كلمات رُويت بالدماء

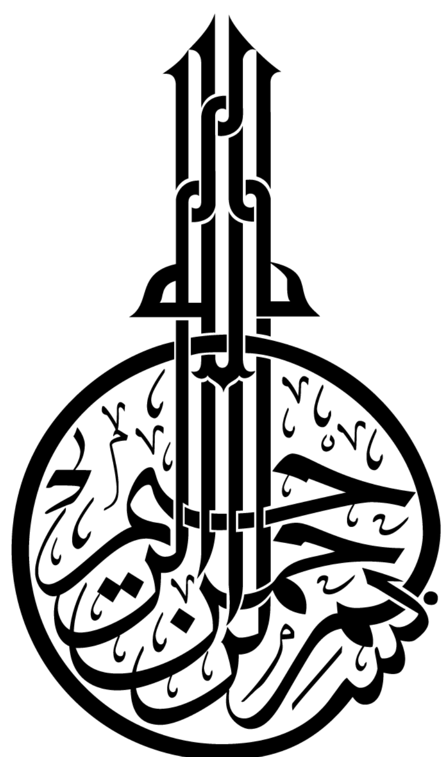
الكتاب الجامع لكلمات وخِطابات ورسائل
الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-

- الطبعة الثانية -

إن كلماتنا ستبقى ميتةً لا حراك فيها هامدةً أعراساً من الشموع ، فإذا متنا من أجلها انتفضت و عاشت بين الأحياء



مؤسسة صرح الخلافة الاعلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله القويّ المتين، والصلاة والسلام على مَن بُعِث بالسيف رحمة للعالمين، ثم أمّا بعد:

فلا يخفى عليكم ما قدمه مشايخ التوحيد والجهاد من بذل وعطاء وتضحيات من أجل دين الله عزوجل وسعياً لتحكيم شرعه؛
فبذلوا الغالي والنفيس من أجل ذلك
وصدَّقوا أقوالهم بأفعالهم، فكانت كلماتهم التي سطروها بدمائهم نوراً لمن سار على دربهم وناراً على أعداء الله عزوجل.

فكان لزاماً على أهل التوحيد الوفاء لمشايخهم؛ بأن يعتنوا بإرثهم وبما تركوه لنا ، وقد قال شيخنا وأمامنا أبي بكر البغدادي -حفظه الله- «وبعد قرون مضت من قيام حكم الله في الأرض واتساع سلطان المسلمين ودولتهم، انكفأ المسلمون وانحسر سلطانهم بما كسبت أيديهم {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠] ولن يصلح حالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١].

و توالت حملات أمم الكفر على أرض المسلمين وغدت حمى مستباحا فضاع الدين، وأصبح المسلمون في هرج ومرج تتلقفهم الأهواء وتلقي بهم في كل واد، وسُلط عليهم طواغيت العرب والعجم أذناب اليهود وخدام الصليب، إلا أن رحمة الله وفضله ومنته على هذه الأمة عظيم، فقيض لها أبناء الإسلام النزاع من القبائل،

الذين لم يجمع بينهم شيء من حطام الدنيا الزائل، فعمروا الأرض بالجهاد وأحيوا ما اندرس من معالم الدين الحنيف وشرعة رب العالمين، وقارعوا أمم الكفر في مشارق الأرض ومغاربها، شمالها وجنوبها، حتى ساق الله دولة الصليب أمريكا إلى بلاد الرافدين، واشتعلت جذوة الجهاد، فحمل الراية وتقدم الركب أمير الاستشهاديين، الشيخ المجاهد أبو مصعب الزرقاوي تقبله الله، فقد كان مجددا في عصره مربيا معلما أجاد فأفاد وعم خيره البلاد.

بل وما من مجاهد اليوم في دولة الإسلام إلا وللشيخ عليه فضل كبير، ثم

حمل الراية من بعده الجبلان الأشمان، الشيخان المجاهدان، أبو عمر البغدادي، ووزير حربه أبو حمزة المهاجر، نسأل الله أن يتقبلهما من الشهداء، فصانوا الأمانة وساروا على منهج الحق الذي لا لبس فيه، غير مبدلين ولا ناكثين».

ومن هذا المنطلق قام إخوانكم في مؤسسة صرح الخلافة بطباعة الكتاب الجامع لكلمات وخِطابات ورسائل الشيخ الهُمام أسد الغاب وحذّاف الرقاب أمير الاستشهاديين أبي مُصعبٍ الزرقاوي -تقبله الله- وإخراجه بحلة جديدة، والذي سبق وإن طَبَعَتْه «منتديات البراق الإسلاميّة».

فالله نسأل أن يتقبل عملنا هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل شيخنا ويُسكنه فسيح جنّاته.

جميع كلمات و رسائل و خِطابات

أمــير الإستشــهاديين وقائــد المجاهديــن الشــيخ الهُــمام أبي مصعــب الزرقــاوي -تقبلــه اللــه-

كما نُشِرت و بالترتيب الزمني

بالإضافــة للملــف الكامــل للبيانــات و المقــالات المتعلقــة بإستشــهاده .

فهرس الخطابات

فهرس الخطابات

الخطاب الأول

إِفَادَةُ أَسِيرٍ؛ وَ يَا قَوْمِ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلى النَّارِ!

٤ ذو القعدة ١٤١٤ هـ
١٥ أبريل/نيسان ١٩٩٤ م

بِقَلَمِ الشَيَخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِيِ (رَحِمَهُ الله)

[هذه كلمات كتبها المجاهد أحمد الخلايلة (أبو مصعب الزرقاوي) رحمه الله، وألقاها أمام المحكمة العسكرية في الأردن، وبها كشف للطواغيت وأذنابهم أصل دعوة المسلم في هذا العصر وكل عصر، حُكِمَ عليه في حينه ١٥ سنة، و لم يعلم حينها إنه في غضون عشرة أعوام سيصبح القائد الملهم، و أسد الإسلام الذي مرغ بأنف أمريكا التراب و إنه بإيمانه و يقينه، و تضحياته هو و رفاقه سيهزم أكثر من خمسين دولة و راية للكفر مجتمعة في العراق، و أنه سيقصف إسرائيل بالصواريخ، و يدمر أوكاراً للكفر في الأردن، و أنه قد غَيّرَ وجه و خريطته العالم بثباته على الحق و قوة إيمانه و يقينه بالله عز و جل.

وعند خروجه من السجن، بعد أن يسر الله له الخروج في عام ١٩٩٩م ذهب الى أفغانستان مرة أخرى، بعد أن ذهب إليها أول مرة في أيام الجهاد ضد الروس، ومنه الى العراق وأسس هناك جماعة التوحيد والجهاد و كان أميرها، إلى أن تمت مبايعته أميراً لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بواسطة الشيخ أسامة بن لادن، و من ثم ساهم في تشكّلَ مجلس شورى المجاهدين،

وهو إتحاد عدد من الجماعات المجاهدة في العراق، و أصبح تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين أحد أعضائها، إلى أن إستشهد رحمه الله، نحسبه كذلك و الله حسيبه بعد طول إثخان، و بعد أن أذاق قوى الكفر العالمية الأمرّين، و بعد أن مهَدَ و أرسى بدمائه أُسُسَ و قواعد إنشاء الإمارة الإسلامية و إعادة الخلافة على نهج النبوة.

وإننا نعيد نشر هذه الإفادة و التي كُتبت في عام ١٩٩٤م؛ للفائدة والتعريف على منهج هذا المجاهد الذي لقب بأمير الذباحين و شيخ الإسلام و أسده، وأرعب الصليبيين و اليهود في العراق و في كل مكان، ونرجو ان تكون كلماته هادية للمسلمين وحجة على الطغاة المرتدين]

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، إله المرسلين، الذي أنزل الكتاب المبين على قلب نبيه ليكون نذيرا للعالمين، مالك يوم الدين، الذي له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

ثم الصلاة على خير من بعث فأدى، وبلغ فأوفى، وراوده المشركون للتنازل عن دينه فأبى، فصلوات الله وسلامه عليه تترى، حتى يتقبل ويرضى.

أمَّا بعد؛

نحن قوم كنا في جاهلية جهلاء، في وقت عطلت فيه أحكام الله المطهرة ونسي كتاب الله جانبا، واستبدل بشرائع شتى من اذهان وحثالات البشر، فأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وأشيعت الفاحشة بين الناس، وفشى الزنا في أشراف القوم وعامتهم، وأصبح الربا والخمر يسميان بغير أسميهما تغطية للحق وتجميلا لصورة الباطل، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول في الحديث الصحيح: (يشرب اناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)، وقطعت الأرحام، واستبيحت الحرم، وأزهقت الأنفس، وسالت الدماء بغير حق، كل ذلك سببه غياب حكم الله عز وجل الذي فيه السعادة الأبدية، قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠]...

فمنَّ الله علينا بأن أنار لنا طريق الهداية بعد ظلام دامس خيم عليه الشرك والفسوق والعصيان، وبصر أعيننا وأفئدتنا إلى الحق، في وقت أصبحت فيه عيون كثير من الناس مصابة بالعشى – فنسأل الله العافية – قال تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} [الأنعام:١٢٢]، وقال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللّهُ

أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} [الأنعام:١٢٥]...

فنهضنا بفضل الله عز وجل ندعو الناس للرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإلى متابعة أمره ونهيه والتحذير من عصيانه ومخالفة أمره، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر:٣٨-٣٩]، فلا سبيل للرشاد إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا يطاع غيره، ولا يعبد غيره، ولا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [البينة:٥]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين} [الأنعام:١٦٢]...

ولكن سنة الله ثابتة في أن الحق والباطل يصطرعان إلى يوم القيامة، فما راق لأصحاب الباطل أن يروا أصحاب الحق يدعون الناس إلى التوحيد، وما طاب لأهل الشرك والتنديد أو يروا أهل التوحيد يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، قال تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر:٤٥].

فرجوع الناس إلى ربهم معناه انتهاء جولة الباطل وانتهاء حكمهم وفقدانهم لملذاتهم وشهواتهم، فكيف يعيش رؤوس القوم سواسية مع المساكين والضعفاء، لهم ما للمساكين وعليهم ما على المساكين، قال تعالى: { فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ } [هود:٢٧]، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٢٨].

روى الإمام احمد وغيره في سبب نزول هذه الآية: أنه مر ملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار - فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء؟! أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟! لو طردت هؤلاء لاتبعناك!

فارادوا أن يوقفوا هذا السيل الجارف للباطل، المطهر للأرض من الشرك، فعملوا على محاربتنا بشتى الوسائل، قال تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد} [البروج:٨].

فهذه الدعوة نحملها لنزفها إلى الناس مبشرين بجنة عرضها السموات والأرض إن أطاعوا،

ومحذريهم من عقاب الله إن خالفوا واتبعوا أهواءهم

أيها القاضي بغير ما أنزل الله:

تعلم ان خلاصة دعوتنا متمثلة بقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت} [النحل:٣٦]، فإن أول وأهم ما افترض الله على عباده تعلمه والعمل به هو التوحيد -أي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله- قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون} [الذاريات:٥٦]، قال المفسرون: أي ليوحدوني وحدي.

وقد تظنون أيها القضاة أن العبادة إنما هي الصلاة والصيام والزكاة فقط، فتقولون: نحن نعبد الله، وهل ترانا نعبد غيره؟! فنصلي ونسجد ونصوم ونذبح لله!، فأقول لكم: إن العبادة ليست كما تفهموها بهذا الفهم الضيق، بل هي أوسع واشمل مما تظنون، فكلمة التوحيد التي خلق الله من اجلها الخلق وأرسل الرسل وانزلت عليهم الكتب هي: «**لا إله إلا الله**».

وتنقسم إلى شقين:

شق النفي؛ وهو «**لا إله**» أي لا معبود بحق سوى الله، فتنفي الإلوهية عن غير الله، فلا يعبد غيره في صيام ولا صلاة ولا حج ولا تشريع.

والشق الآخر، الإثبات؛ وهو: «**إلا الله**» أي إثبات الإلوهية لله وحده، فلا يطاع غيره في كل كبيرة وصغيرة.

فجاءت هذه الكلمة العظيمة -كلمة التوحيد- التي لا ينجو العبد من النار إلا بتحقيقها وبالإتيان بشروطها ومقتضياتها، فقول الله عز وجل: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا} [البقرة:٢٥٦] جاءت مفسرة لهذه الكلمة العظيمة، فقوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ} [البقرة:٢٥٦] اي ينفي الإلوهية والعبودية عن غير الله، وقوله: {يُؤْمِن بِاللّهِ} [البقرة:٢٥٦] إقرار وإثبات لعبودية الله وحده.

وقد ضمن الله لمن آمن به وحده وكفر بالطاغوت بأنه المتمسك بالعروة الوثقى، تلك العروة التي لا نجاة إلا بالتشبث بها، فالصلاة عروة والزكاة عروة والحج عروة وأعمال البر عرى كلها، ولكن من تمسك بأي عروة من هذه العرى ولم يستمسك بعروة التوحيد، لا شك أنها

تنفصم ولن تنفعه عند الله، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا} [الفرقان:٢٣] لأنها لم تؤسس على التوحيد الخالص، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ} [الغاشية:٢-٣].

مَرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدير راهب، فناداه: ياراهب، فأشرف، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قوله عز وجل: {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية:٣-٤] فذاك الذي أبكاني، عملت كثيرا ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نارا حامية.

فلذلك أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن توحيده، وتحقيقه لعبودية الله وحده، ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن أبن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن، قال: (إنك تقدم قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله -وفي رواية أن يوحدوا الله- فإن هم أجابوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم...)، فلم يدعوهم بداية إلى الصلاة والزكاة والحج وغيرها من شرائع الإسلام، ولكن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده.

قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت} [النحل:٣٦].

والطاغوت لغة: كل ما زاد عن حده، قال تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَة} [الحاقة:١١] أي عندما زاد الماء عن حده حملناكم في السفينة.

والطاغوت اصطلاحا: هو كل ما عبد من دون الله، وهو راض بالعبادة.

وتتنوع أشكال الطاغوت، فتارة يكون الطاغوت صنما، وتارة قبرا أو إنسانا أو قانونا، ولقد كانوا في الجاهلية الأولى يعبدون الأصنام ويذبحون عندها ويدعونها، وجاء بعدهم من عبد القبور فيذبحون لها ويتبركون بها ويتخذونها آلهة وأربابا تعبد من دون الله، ولكن ابتلي الناس في هذا العصر باتخاذهم لونا آخر من الآلهة يعبدونها، وهي طاعة أشخاص تابعوهم بالتحريم والتحليل، فيشرعون لهم ما يوافق أهواءهم، فيحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، فمن تابعهم على ذلك اتخذهم أربابا من دون الله، قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه} [يوسف:٤٠].

روى الإمام أحمد وغيره عن عدي بن حاتم -كان نصرانيا ثم أسلم-: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ قول الله عز وجل: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة:٣١]، فقال: يارسول الله ما عبدوهم -وكان يظن أن العبادة إنما هي الركوع والسجود- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألم يكونوا يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فيتبعونهم؟) قال: نعم، قال: (فتلك عبادتهم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، إن علموا أنهم بدلوا دين الله فتابعوهم على التبديل فهذا كفر، فقد جعله الله ورسوله شركا، وإن لم يكونوا يصلون ويسجدون لهم). أهـ

ويقول في موضع آخر: (ومتى ترك العلم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله، كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة). اهـ

قال تعالى: {المص *كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف:١-٣]، ويقول تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام:١٢١]، روى الطبراني عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية، أرسلت فارس إلى قريش ان خاصموا محمدا، وقولوا له: تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله عز وجل فهو حرام؟!

أيها القاضي بغير ما أنزل الله:

إذا عرفت هذا، وظهر لك أن الكفر البواح والشرك الصراح إتخاذ غير الله مشرعا - سواء كان هذا المشرع عالما او حاكما أو نائبا أو شيخ عشيرة - وعلمتم أن الله قد حكم على الشرك في كتابه، فقال: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [النساء:٤٨].

ثم علمتم أن المادة «٢٦» من دستوركم الوضعي تنص على:

أ- السلطة التشريعية تناط بالملك واعضاء مجلس الامة.
ب- تمارس السلطة التشريعية وغيرها صلاحياتها ومهامها وفقا لمواد الدستور.

عرفتم أنَ كُلَ مَنْ قَبِلَ بِهذا الدين المُحدث والكفر البواح المناقض لدين الله تعالى وتوحيده، أنه قد اِتخذ هؤلاء المشرعين ارباباً من دون الله تعالى، يشركهم مع الله في عبادته.

قال الشيخ احمد شاكر رحمه الله تعالى -وكان قاضي المحاكم الشرعية في بداية تحكيم مصر للقوانين الوضعية-: (هذه القوانين التي فرضها على المسلمين اعداء الإسلام هي في حقيقتها دين آخر جعلوه دينا للمسلمين بدلاً من دينهم السامي النقي، لانهم اوجبوا عليهم طاعتها وغرسوا في قلوبهم حبها وتقديسها والعصبية لها... حتى جرى على الألسنة والأقلام -كثيرا- كلمات «تقديس القانون» و «قدسية القانون» و «حرمة المحكمة» وأمثال ذلك من الكلمات التي يأبون أن توصف بها الشريعة الإسلامية واراء الفقهاء، بل حينئذ يصفونها بـ «الرجعية» و «الجمود» و «شريعة الغاب» إلى امثال ما ترى في الصحف والمجلات والكتب المدرسية التي يكتبها اتباع أولئك الوثنيين...

ثم بَيَّنَ كيف تدرج الأمر بالمسلمين فصاروا يطلقون على هذه القوانين ودراستها «الفقه» و «الفقيه» و «التشريع» و «المشرع» وما إلى ذلك من الكلمات التي تطلق على الشريعة وعلمائها...

ثم بَيَّنَ كيف وصل الحال بهم إلى الدرك الأسفل، فنفوا شريعتهم الإسلامية عن كل شيء، وصرح كثير منهم في كثير من أحكامها القطعية الثبوت والدلالة بأنها لا تناسب هذا العصر، وإنما شرعت لقوم بدائيين غير متمدنين، فلا تصلح لهذا العصر الإفرنجي الوثني خصوصا في الحدود المنصوصة في الكتاب، والعقوبات الثابتة في السنة...

إلى أن قال: ولقد ربى لنا المستعمرون من هذا النوع طبقات ارضعوهم لبان هذه القوانين حتى صار منهم فئات عالية الثقافة واسعة المعرفة بهذا اللون من الدين الجديد الذين نسخوا به شريعتهم، ونبغت فيه نوابغ يفخرون بها على رجال القانون في أوربا، فصار المسلمون من أئمة الكفر ما لم يبتل به الإسلام بأي زمن آخر...

وانتهى بقوله: وصار هذا الدين الجديد والقواعد الأساسية التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام فسواء منها ما وافق في بعض احكامه شيئا من أحكام الشريعة أو ما خالفها). اهـ

وأنظروا إلى مشرعيكم أمثال محمد فاضل والسنهوري أين هم الآن؟، إنهم تحت أطباق الثرى...

يالله ويا للعجب! مشرعيكم يموتون! ولكن ربنا ومشرعنا وحاكمنا حي لا يموت.

قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُون} [المائدة:٥٠]، قال ابن كثير: (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الاراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير...).

ايها القاضي بغير ما انزل الله:

من أجل هذا عادانا قومنا، ورمونا عن قوس واحدة، وظاهرونا بالعداء الصريح، وبذلوا الغالي والرخيص من اجل القضاء على هذه الدعوة العظيمة، ولكن انى لهم؟ والله جل ذكره يقول: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة:٣٢]، وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور:٥٥].

فالقضية ليست قضية «قنابل وسلاح ومتفجرات» وإنما قضية دعوة توحيد ودين... فلقد طوردنا منذ مدة طويلة، وكان السبب لأن اخواننا بدأوا ينشرون هذه الدعوة الكريمة –دعوة الأنبياء– بين الناس، وقاموا بعقد حلقات الدروس في المساجد والبيوت، من اجل إخراج الناس من الشرك إلى التوحيد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن الجور والظلم إلى العدل والأمن، ومن نار جهنم إلى جنات عدن، قال تعالى: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف:٣١]، وقد كنا سمعنا وقرأنا عما يفعله زبانية المخابرات في ساحات التعذيب، وما اقترفوه بحق إخوان لنا سموا بـ «قضية مؤتة»، وما فعله زبانية المخابرات من تعذيب جسدي ومحاولة إهانة وتدنيس لكرامة هؤلاء الفتية.

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه جاء رجل فقال: يا رسول الله أرايت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي، أفأعطيه؟، قال: (لا، لا تعطيه)، قال: أفرأيت إن قاتلني، أفأقتله؟، قال: (نعم)، قال: أفرأيت إن قتلته؟، قال: (هو في النار)، قال: أفرأيت إن قتلني؟، قال: (أنت شهيد).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه)، ونحن بفضل الله أصحاب دعوة عظيمة حملها قبلنا الأنبياء والصالحون، فلا بد لحامل هذه الدعوة أن يكون صاحب انفة وعزة وكرامة، فوالله إن الموت أحب إلينا من أن يدنس عرض أحدنا، والموت أحب إلينا من أن يداهم جنود الطاغوت بيوتنا فيقودونا من بين أهالينا وأطفالنا...

نحن –أيها القاضي– لا نقول هذا حتى نعلمك بحالنا، ولكن نقول هذا من باب قول الله عز وجل: {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِين} [الأنعام:٥٥]، فنحن نعلم –بفضل الله– ما هي تكاليف هذه الدعوة العظيمة وما يتبعها من أذى بجميع اشكاله، قال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور} [آل عمران:١٨٦].

فنبين لك –ولا يخفى عليك– مناداتكم بالديمقراطية –ذلك الدين الكفري المحدث– فتقتلون الناس باسم الديمقراطية، وتبيحوا الخمر والزنا والفساد باسم الديمقراطية، وتزعق أبواقكم الإعلامية بشتى وسائلها تزين صورة هذا الدين المحدث وتصفه بالعدل والإتزان، وحرية الفرد وكرامة المواطن –وما قتل «محمود العوالمة» إلا دليل على كرامة المواطن عندكم– فها أنتم تزجون باسم الديمقراطية الكافرة الناس في غياهب السجون أسرابا إثر أسراب، تهمهم شتى، ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها التهمة المضحكة المسماة «إطالة اللسان» فكل إنسان يقف في وجوهكم ليصدع بكلمة الحق تعاقبونه لأنه أطال اللسان على النظام وطواغيته! فما هي إطالة اللسان في شرعكم وقانونكم الوضعي؟!

يقول الله عز وجل في كتابه: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْم} [الأنعام:١٠٨]، يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره هذه الآية: (فالسب المجرد في ديننا إن كان يترتب عليه مفسدة أعظم ينهى عنه).

ولكن هذه الدعوة العظيمة التي فصلناها لكم والتي تسموها أنتم في شرعكم «إطالة لسان»، هي في شرعنا المطهر حق وواجب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)، فقول الحق وتعرية الباطل مطلوب في شرعنا، قال الصحابي في الحديث الصحيح: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأن نقول الحق ولا نخشى في الله لومة لائم).

قال تعالى مادحا هؤلاء: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب:٣٩]، فعندما يقف الموحد يتكلم بما يعتقد من كتاب الله وسنة نبيه، داعيا الناس إلى التوحيد، محذرا إياهم من الشرك والمشركين ومن متابعتهم، موضحا ذلك بالدليل النقلي من كتاب الله وسنة نبيه، والعقلي مما جبلت عليه فطرة المؤمن كقول الله عز وجل: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون} [المائدة:٤٤]، فمن يقف ينكر أن من لم يحكم بما انزل الله، معطلا لشرعه، مستبدلا لحكمه، غير كافر؟!.

فهل تبيين ما في كتاب الله عن الذي يحكم بغير ما أنزل الله، يعتبر في شرعكم الوضعي إطالة لسان؟!

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة، فمن أدرك ذلك الزمان فلا يكون لهم جابيا ولا عريفا ولا شرطيا)، وهذا حديث صحيح إذا ذكرناه نصحا لكم، قلتم «إطالة لسان»... وهذا زمان انقلب فيه الحق باطلا والباطل حقا.

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم -وقبله الأنبياء- يعرون اصنام القوم وألهتهم المدعاة، ويسفهون أحلامهم، قال تعالى ذاكرا إبراهيم: {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء:٦٦-٦٧]، وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله صناديد قريش وطواغيتهم: أأنت الذي تسب ألهتنا وتسفه أحلامنا؟، قال: (نعم)، مع أن دعوته لم يكن فيها شتم ولا سب ولا فحش...

فهذه سنة انبيائنا عليهم السلام وعلى خطاهم نسير إن شاء الله تعالى.

بينما الذي يسب خالق كل شيء يحاكم - في شرعكم - بايام قليلة أقل ممن يسب حاكمكم! بالله عليك أيها القاضي بغير ما أنزل الله من هو ربكم إذا؟!

انتم تقولون في شعاراتكم (**الله، الوطن، الملك**)، فالله كتابه مقدم على الوطن والملك، ثم عقوبة من «أطال لسانه» على الملك أكبر من عقوبة من «أطال اللسان» على الله عز وجل، فمن هو الإله الحق في شرعكم؟!

أيها القاضي بغير ما أنزل الله:

قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً} [النساء:١٠٥-١٠٩]...

ولا يكون الحق إلا في كتاب الله...

أذكركم ايها القضاة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاض في الجنة، اما القاضيان اللذان في النار، فقاض علم الحق وحكم بغيره فذلك في النار، وقاض جاهل لم يعرف الحق وحكم بغيره فذلك ايضا في النار، وقاض عرف الحق وحكم به فذلك في الجنة)، والحق ما وافق الشرع وحده.

فوالله إننا على هدايتكم لحريصون، وإنها والله ايام قلائل وتنقضي هذه الحياة الدنيا، فربح فيها من ربح وخسر فيها من خسر، فإنكم ما تقضون على أحد من قضاء إلا وسيقضي عليكم يوم القيامة قضاء أدهى وأمر -عندما تقبلون على الله فرادى- قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام:٩٤]، عندها -والله- لن تجدوا لكم من دون الله وليا ولا نصيرا، فهذه النياشين والرتب والبزات العسكرية الناعمة لن تنفعكم عند الله، ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا)، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله النساء والرجال ينظر بعضهم إلى بعض؟!،قال: (يا عائشة الامر أشد من ان يهمهم هذا)، وأما القاضيان الذين عن شمالك ويمينك معتمدا عليهما في قضائك، وهما لك كالجناحين للطائر فلن يغنوا عنك من الله شيئا، وستاتي يوم القيامة بدونهما، قال تعالى: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم:٩٥].

فنحن -بفضل الله- لن يهمنا ما دبرتموه في الخفاء مكرا بنا، فالامر أمر الله، والقضاء قضاء الله، قال تعالى: {وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ} [غافر:٢٠]... فقضاؤكم إنما يكون في هذه الأرض، قال عز وجل مخبرا عن سحرة فرعون -لما آمنوا-: {قَالُوا

لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه:٧٢]، وما سجونكم بالتي تثنينا عن عزمنا بمواصلة دعوتنا إلى الله وحده، فأنتم – والله– السجناء، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يحشر المتكبرون يوم القيامة امثال الذر في صورة الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوه نار الأنيار، يسقون من طين الخبال وعصارة أهل النار)، فهذا هو السجن الأبدي السرمدي، لا كسجنكم هذا، – هذا بفضل الله وكرمه – وسع الله علينا سجونكم بذكر الله فأمست مدارس للدعوة وتعليم كتاب الله، قال تعالى: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا} [الكهف:١٦].

فأنتم تعقدون في محاكماتكم هذه المسرحيات لمحاكمتنا بقانونكم الوضعي، ولكن اعلموا أيها القضاة بأنكم إن متم على ما أنتم عليه... عندها سنلتقي هناك في محكمة العدل عند مليك مقتدر، وستجدون هذا كله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

اللهم هل بلغت؛ اللهم فأشهد.

إِفَادَةُ الأَسِيرِ،
أَحْمَد فَضِيل نَزّال الخَلايِلَة

أَبُوْ مُصْعَبِ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ التَّوْحِيدِ فِيْ الأُرْدُن
سِجْنُ سُوَاقَةُ – الأُرْدُن

الخطاب الثاني

رِسَالةٌ إِلى عَشَائِرِ بَنِي حَسَنٍ؛ يَا قَومِ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ

٢٩ صفر ١٤٢٤ هـ
١ مايو/أيار ٢٠٠٣ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ونذيراً للناس أجمعين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، الذين استجابوا لله ورسوله فأقاموا الدين.

أمّا بعد؛

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً بقومه، حريصاً على هدايتهم، لم يترك خيراً إلا ودلهم عليه، ولا شراً إلا وحذرهم منه، {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٢٨].

حثهم على الامتثال لأوامره سبحانه وتعالى ورغبهم بما عند الله من الأجر العظيم والثواب

الجزيل، وحذرهم من معصيته سبحانه ومخالفة أمره، وخوّفهم من سخطه و أليم عقابه، وبيّن لهم السبل، وجلّى لهم الطريق الموصلة إلى رضوان الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام:١٥٣]، فسبيل الله؛ طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم.

وأمرَ الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يخص قومه وعشيرته بالنذارة، فقال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤]...

(قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم) [رواه مسلم].

فإليكم يا أبناء عشيرتي، يا أهلي وقرابتي، أوجه نصيحتي هذه، علها تكون سبباً في عودة من انحرف منكم عن الجادة والصراط المستقيم.

فإني والله لأشفق عليكم أن تمسكم النار، أو يصيبكم الخزي والعار، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يا قوم لقد أعز الله العرب بهذا الدين.. وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، ونقلهم به من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، وسوّدهم به على بني الإنسان.. وإنها والله لنعمة عظيمة أن أرسل الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم من قلب القبائل العربية ليخرجها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران:١٦٤]..

إن البرية يوم مبعث أحمد * نظر الإله لها فبدل حالها**
بل كرم الإنسان حين اختار من * خير البرية نجمها و هلالها**

والحكمة من خلق الله لعباده، تتجلى في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}

[الذاريات:٥٦].. قال المفسرون: (أي ليوحدونني وحدي، أو ليوحدونني بالعبادة) فتوحيد الله بالعبادة إذاً هو غاية خلق الله لخلقه.. والعبادة لا تقتصر على الصلاة والزكاة والصيام والحج بل هي أوسع من ذلك وأشمل، فالعبادة كما فسرها شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ورأس العبادة (إفراد الله بالعبادة) أي لا حاكم ولا مشرع ولا رازق ولا خالق إلا الله، وهو التوحيد والعروة الوثقى التي لا تنفصم.

لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم..... الحديث.) [أخرجاه في الصحيحين]

فهذا دليل على أن توحيد الله هو الباب الذي يلج منه المرء إلى الإسلام، وهذا مصداق قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٥٦].

فالله جل شأنه ضمن لمن تمسك بهذه العروة ألا تنفصم ولم يضمن لمن تشبث بغيرها من العرى النجاة..

وهذه العروة الوثقى هي كلمة النجاة وهي كلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**).

ولها شقان؛ **نفي وإثبات**:

فـ(**لا إله**) نفي الألوهية عن غير الله، و (**إلا الله**) إثبات الألوهية لله وحده.

ولأجل هذه الكلمة العظيمة خلق الله الخلق وبعث الرسل وأنزل الكتب، ولأجلها قام سوق الجنة والنار، ولأجلها شرعت سيوف الجهاد وانقسم الناس إلى حزبين..حزب أولياء الرحمن، وحزب أولياء الشيطان.. وفريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير.

ولأجلها سالت الدماء، وتزينت الحور في الجنان، وكانت هذه الكلمة غاية دعوة كل نبي:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦].

والطاغوت كما يقول بن القيم رحمه الله:(ما تجاوز به العبد حده من معبود أو مطاع أو متبوع.. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة) [أعلام الموقعين].

فالطواغيت تتجاوز الحجر والشجر، والشمس والقمر.. إلى طواغيت البشر.. فمن الطواغيت ماتكون عبادته بالسجود له والتمسح به ومنها ماتكون عبادته بطاعته واتباعه و التحاكم إليه كالأحبار والرهبان والمشرعين الذين أفسدوا البلاد والعباد بقوانينهم الوضعية التي تعد طاعتها ومشرعيها عبادة تصرف لغير الله عز وجل.

كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه الذي ظن أن عبادة الأحبار والرهبان إنما تكون بالسجود والركوع لهم فقط.. وذلك حينما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم.. وسمعه يقرأ {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة:٣١] فقال: يا رسول الله: إنا لسنا نعبدهم، قال صلى الله عليه وسلم: أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال بلى، قال فتلك عبادتهم) [رواه أحمد والترمذي وحسن].

قال بن كثير في تفسيره: ولهذا قال تعالى {وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا} [التوبة:٣١] أي الذي إذا حرم شيئاً فهو الحرام، وما حلله فهو الحلال، وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ.

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُون} [المائدة:٤٤].. ويقول: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة:٥٠]، فليس ثم إلا حكمان؛ إما حكم الله وإما حكم الجاهلية..

وها هم حكام البلاد يحكّمون الجاهلية من جديد، في الدماء والفروج والأموال، الجاهلية بأبشع الصور وأنتنها، جاهلية تسوغ لحثالة من البشر أن تستعبد العباد وأن تنازع الله سبحانه في أخص خصوصيات ألوهيته، في الحكم والتشريع {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ} [يوسف:٤٠].

ورأس الكفر ملكٌ؛

يوالي أعداء الله ويناصرهم من طواغيت الشرق والغرب من اليهود والنصارى، ويصالحهم على اغتصاب مقدسات المسلمين وأراضيهم، هو ومن قبله أجداده [أصدرت اسرائيل ميدالية ذهبية تحمل صورة حسين والعلم الأردني وطابعاً تذكارياً تكريماً لذكرى حسين وقالت الحكومة إن هذا تكريم لذكرى حسين الذي يتسم بالإنسانية ولأنه نموذج للجار المخلص في علاقته بجيرانه.. علماً أن مثل هذه الميداليات لا تصدر عادة إلا لتكريم قادة اسرائيل فقط ، وحسين هو الأجنبي الوحيد الذي تكرمه اسرائيل بميدالية خاصة.. وكان حسين قد قال بنفسه في لقاء مع تلفزيون اسرائيل أنه طار بنفسه وبطائرته الخاصة إلى تل أبيب قبل حرب أكتوبر بيوم واحد وأبلغ جولدامائير بموعد الهجوم المصري السوري]، فأي ولاء لأعداء الله أكبر من مصالحة اليهود ومعاونتهم ومناصرتهم؟، والله عز وجل يقول: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:٥١] ويقول تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم} [البقرة:١٢٠]..

ويستهزئ بدين الله عز وجل وأهله وأوليائه في إعلامه وصحفه ويرخص لذلك ويباركه.. {قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة:٦٥-٦٦]، بل لا يفتأ هو وزمرته ليل نهار يشيعون الفاحشة والفجور بين المسلمين ويسعون لقتل الغيرة فيهم ويزينون لهم الرذيلة والفاحشة والعياذ بالله [وليس أدل على ذلك من المظاهرة الحاشدة التي خرجت من قلب عمان وعلى رأسها المسمى بالأمير علي وحاشيته لتقدم عريضة لرئاسة الوزراء تطالب فيها بتغيير الحكم المخفف الذي كان يصدر بحق من يقتل بدافع الشرف و تطالب بإنزال أشد العقوبات بحقه ، فواحسرتاه يا قوم على هذه الحال التي وصلتم إليها]، وهذا أمر واضح لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته عن نور الهدى..

ويحارب أولياء الله ويطاردهم ويزج بأبناء هذه الدعوة المباركة في السجون، فهاهو يقصف بطائرات الأباتشي المسلمين من أهل معان في نفس الوقت الذي كانت فيه نفس الطائرات تقتل أبنائنا وإخواننا المسلمين في جنين، وما ذلك إلا لحماية أمن اسرائيل ولخمد كل حركة قد تقض مضاجع أحفاد القردة والخنازير، فالأردن هي صمام الأمان لإسرائيل وسياجها المتين، وليس أدل على ذلك من تأهب الجيش الإسرائيلي واستعداده للتدخل في تلك المعركة في حالة رجحان كفة المسلمين من أهل معان على الطاغوت وأنصاره..

ومن قبل ذلك في أفغانستان، وما أدراكم ما أفغانستان؟.. التي تجمع فيها أهل التوحيد والإيمان..لنصرة هذا الدين وللجهاد في سبيل الله.. تقاتِل فيها القوات الأردنية جنباً إلى جنب مع القوات الصليبية لتطفئ نور هذه الدعوة المباركة.. ولتقضي على أسودها..

ثم ها هي العراق تحت وطأة النصارى في حربهم الصليبية الجديدة [نحن لا نقصد بحال من الأحوال النظام العراقي فهو نظام مرتد خبيث وليس بأفضل حالاً من النظام الأردني]، وها هو النظام الأردني العميل، يثبت للقاصي والداني، أنه صليبي أكثر من الصليبين أنفسهم، بدعمه لهذه الحملة وترحيبه وتصفيقه، وفتحه البلاد وتسليمها للصليبين لكي يستغلوها كيف شاءوا في حربهم هذه [وما الرويشد والأزرق والصفاوي والمفرق إلا شاهد على وجود هذه القواعد العسكرية التي تنطلق منها الطائرات الأمريكية لتصب جام حممها من أطنان المتفجرات على المسلمين من أهل العراق].

والطاغوت ليس منفرداً في جرائمه هذه بل له شركاء وأعوان يعينونه في ظلمه وغيّه وإفساده ويؤمّنون له الحماية ممن يريد الاقتصاص منه،قال تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [هود:١١٣]، قال العلماء الركون هو الميل اليسير وقال بن تيمية رحمه الله: «وكذلك الأثر المروي: (إذا كان يوم القيامة قيل: أين الظلمة وأعوانهم؟ -أو قال وأشباههم – فيجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم في النار). وقد قال غير واحد من السلف: أعوان الظلمة من أعانهم، ولو أنهم لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً، ومنهم من كان يقول: بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم.»...

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة (ثم يا كعب بن عجرة، أعاذنا الله من امارة السفهاء، قالوا يا رسول الله وما إمارة السفهاء قال امراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردوا علي حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهم مني وأنا منهم وسيردون علي حوضي) [صحيح بن حبان]

وقال بن تيمية رحمه الله في قوله تعالى {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا} [النساء:٨٥]» والشافع الذي يعين غيره، فيصير معه شفعاً بعد أن كان وتراً، ولهذا فسرت – الشفاعة الحسنة – بإعانة المؤمنين على الجهاد – و الشفاعة السيئة – بإعانة الكفار على قتال المؤمنين كما ذكر ذلك بن جرير، وأبو سليمان «

هذا في الركون الذي هو الميل اليسير.. فكيف إذاً بمن كان من جنود الطاغوت وأنصاره، قال تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص:٨] فالجنود دون شك شركاء في جرائم أسيادهم وكبرائهم.

وحقيقة الأمر أن معركتنا اليوم لإقامة دولة الإسلام ليست مع الحكام أنفسهم فحسب، بل مع أنصارهم وأعوانهم من جند وشرطة ومخابرات الذين شبههم الله تعالى بالأوتاد في قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر:١٠]، قال الطبري في تفسيره « يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربك أيضاً بفرعون صاحب الأوتاد، واختلف أهل التأويل في معنى قوله – ذي الأوتاد – ولِمَ قيل له ذلك؟ فقال بعضهم: معنى ذلك: ذي الجنود الذين يقوُّون له أمره، وقالوا:الأوتاد في هذا الموضع الجنود»

«و إن العبودية للطاغوت وطاعته فاحشة للغاية مهما لاح فيها من السلامة والأمن على الحياة والنفس والطمأنينة على الرزق ورغد العيش، فأي شر أشر من خضوع إنسان لإنسان طاغوت وأي عبودية أشر من خضوع إنسان لما يشرعه إنسان مثله يبول ويتغوط وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان أبله معتوه وأي مهانة أعظم من أن يوضع في أنف الإنسان خطام يقوده إنسان مثله يوجهه نحو رغباته وشهواته وأي وأي..... على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد فحسب بل إنه يهبط بهم هذا الطاغوت متحكماً في معتقداتهم وأرواحهم وأجسادهم وأعراضهم وأموالهم حتى يقيم عليها وعلى أشلائهم وجماجمهم مجداً لذاته « ا.هـ [من كلام أحد المشايخ المعاصرين].

إن الأسود إذا تولى أمره * راعٍ فقد حشرت مع الأغنام**

فيا قوم.. أبعد كل هذا لا تعقلون؟!

أبعد كل هذا يا قوم.. ترضون لأنفسكم أن تكونوا جنداً محضرين وخداماً مخلصين لمن باعوا الآخرة ورضوا بالدنيا ومتاعها الزائل الرخيص؟

أبعد كل هذا يا قوم.. تزجون بفلذات أكبادكم ليكونوا أوتاداً لحماية الطاغوت ولتحقيق شهواته ونزواته وليبني على جماجمهم دعائم كرسيه الزائف الزائل..

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها * ويا حاطباً في حبل غيرك تحطب**

و والله إن أول من سيتبرأ منكم يوم القيامة هو هذا الطاغوت الذي تنصرونه، قال تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ

يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة:١٦٥-١٦٧]..

دلاهمُ بغرور ثم أسلمهم * إن الخبيث لمن والاه غرّار**

فيا قوم تبرأوا منهم في الدنيا، قبل أن يتبرأوا منكم يوم الحساب، عندما (.. يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت....الحديث) [جزء من حديث طويل رواه البخاري].

فياقوم حذار ثم حذارِ أن تكونوا ممن سيتبع الطواغيت في ذلك اليوم العصيب، واسعوا أن تكونوا يومها ممن (..يأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه...) [جزء من نفس الحديث السابق].

يا قوم عودوا لدينكم فهو مجدكم وعزكم ومجد آبائكم وأجدادكم الذين نالوا شرف الانضواء تحت لواء صلاح الدين الأيوبي في حطين وشرف المشاركة في تحرير القدس مع قبائل أخرى، فأقطع صلاح الدين للقبائل التي شاركت معه أراضٍ حول القدس من أجل حمايتها من الصليبيين وقال: (هذا مسرى جدكم فحافظوا عليه) يقصد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت حصة **(بني حسن)** في الجزء الجنوبي الغربي من القدس حيث عاشوا وتكاثروا في قرى الولجة وعين كارم والمالحة وغيرها...

يا قوم...أجدادنا يومها حافظوا على تلك الأراضي وحموا القدس الشريف، فعاشوا عزة الإسلام وقوته، أباةً مخلصين.

واليوم أبناء قبيلتنا هم سياج متين يحمي كيان اليهود، وهم جند الطاغوت وشرطته ومخابراته وهم شركاؤه في جرائمه ضد الإسلام وأهله.

كيف لا وأبناؤكم في أفغانستان تحت راية الصليب يقاتلون أهل الإيمان بحجة أنهم قوات حفظ

السلام التابعة للأمم الملحدة؟.

كيف لا وأبناؤكم يقتلون المسلمين من أبناء معان بحجة حفظ أمن النظام؟.

كيف لا والطائرات التي انطلقت لقصف المسلمين من أهل العراق انطلقت من مضارب بني حسن؟

أين أنتم يا وجهاء العشيرة وكبرائها من ذلك العز الذي عاشه أجدادكم، وذلك الفتح الذي فتحه الله عليهم تحت راية صلاح الدين؟..

بل أين هي نخوتكم ومروءتكم وغيرتكم على دين خير البرية؟..

إن المروءة ليس يدركها امرؤٌ * ورث المكارمَ عن أبٍ فأضاعها**
أمرته نفسٌ بالدناءةِ و الخنا * ونهته عن سبل العلا فأطاعها**

يا قوم كيف رضيتم بتسلط هذا الطاغية عليكم؟ هذا الذي تربى في أحضان الغرب، ليحكم فيكم بشرعة الشيطان، ويعطل فيكم شرعة الرحمن، ألا تخافون أن يصيبكم الله بعقاب منه؟.. قال عليه الصلاة والسلام (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون أن يغيّروا عليه فلا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا) [رواه بن ماجة].

فيا قوم أعدوا الجواب لرب الأرباب إذا سألكم يوم الحساب عن دم كل امرء مسلم شاركت في سفكه أياديكم في العراق وفي معان و في أفغانستان وغيرها، بزجكم لأبنائكم في جيش الطاغوت وبسكوتكم عن هذه الجرائم [نحن نعلم أن من أبناء العشيرة من لم يتلوث دينه بشيء من هذا ولكننا نعلم أيضا أن اليد التي عقرت ناقة صالح كانت يداً واحدة ولكن لعنة الله شملت قوم ثمود جميعا.. فهل مسلموا معان والعراق وأفغانستان أهون على الله من ناقة صالح؟؟].

روى بن ماجة عن أبي هريرة رفعه: (من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله تعالى مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)..

وإن من أوجب الواجبات عليكم السعي لتحكيم شرع الله ورفع راية التوحيد عالية في البلاد، وموالاة أهل الحق والتوحيد والتبرؤ من أهل الشرك والتنديد..

أما آن لكم أن تنفضوا غبار الذل عنكم؟..

أما آن لكم أن تعودوا إلى الله وتعلنوها نقية بيضاء صافية «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وتعودوا إلى فطركم السليمة ملة أبيكم إبراهيم الذي كان أصل دعوته البراءة من الطواغيت والمشركين..{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:٤]..أي حتى تحكموا الله وحده فلا يطاع غيره ولا أمر إلا ما أمر ولا شرع إلا ما شرع..

يا قوم أطيعوني وأجركم على الله، فوالله لا طاقة لكم على عذاب الله، فكيف بكم إذا سعرت النار، وتطاير شررها، وكتمت الأنفاس وعُضّ على الشفاه بالأضراس {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا} [الفرقان:٢٧-٢٩].

أين الذين طغوا وجاروا واعتدوا * وعتوا وطالوا واستخفوا بالورى**
و تمسكوا بحبالها لكنها * فصمت لهم منها وثيقات العرى**

ما أخلدتهم بعد سالف رفعة * بل أنزلتهم من شماريخ الذرى**
وإلى البِلى قد نقّلوا وتشوهت * تلك المحاسن تحت أطباق الثرى**

أفناهم من ليس يفنى ملكه * ذو البطشة الكبرى إذا أخذ القرى**
فاصرف عن الدنيا طماعك * إنما ميعادها أبدا حديث يفترى**

وأنتم يا أبناء هذه الدعوة المباركة من أبناء عشيرتي، الله الله في دينكم، وسنة نبيكم، سيروا على درب العزة والمجد، ولا تغرنكم كثرة الهالكين والمتخاذلين ولا تستوحشنكم قلة السالكين الصابرين.

ولا تطيعوا أحداً في معصية الله لا كبير عشيرةٍ ولا وليّ نعمة، ولا تمنعنكم هيبة أحد من الناس كثُرَ ماله أو علا جاهه أن تقولوا ما يرضي الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحقرن أحدكم نفسه، قالوا: يارسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمراً لله عليه فيه مقال،

ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى).

ولا تكونوا ممن يحسنون إذا أحسن الناس ويسيئون إذا أساءوا ولكن أحسنوا إن أحسنوا أو أساءوا، قال عليه الصلاة والسلام: (ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم إن عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم، قالوا يا رسول الله كيف نصنع؟ قال كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله)..، فشقوا طريقكم الصعب الطويل بتوحيدكم وصبركم وجهادكم..وعند الصباح يحمد القوم السرى، واحرصوا أن تكونوا مع ركب الفالحين:

{فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩].

وأخيراً يا قوم:

ما كتبت كلماتي هذه إلا نصحاً لكم وإشفاقاً عليكم، وأسأله سبحانه أن تكون خالصة لوجهه الكريم،ومع كثرة الطالبين وقلة الناصرين، التجأت لركن ركين وحصن حصين إلى الله العزيز المتين، الذي من دخل حصنه كان من الآمنين، ومن قصده كان له خير معين {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل:٦٢]، ومن طرح نفسه عند بابه فلن يخزى، ومن انتسب إليه فلا يضل ولا يشقى.

دعي القوم ينصُر مُدعيهِ * ليُلحقه بذي الحسب الصميم**
أبي الإسلام لا أب لي سواه * إذا افتخروا بقيس أو تميم**

ولسان حالي يقول كما قال خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما سأله ذلك الصحابي يوم مؤتة بعد أن كثرت الجراح في المسلمين، يا خالد أإلى سلمى أم إلى أجا [جبلين في جنوب شرقي حائل]؟... فبكى خالد رضي الله عنه وقال: لا إلى سلمى ولا إلى أجا ولكن إلى الله الملتجا.

ألا هل بلغت؛ اللهم فاشهد،
ألا هل بلغت؛ اللهم فاشهد،
ألا هل بلغت؛ اللهم فاشهد.

كتبها نصحاً وإشفاقا،
أحمد فضيل نزال الخلايلة

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثالث

إِلْحَقْ بِالقافِلة ...

١٢ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ
٤ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد؛

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا**

إلى أخوة المنهج ورفاق الدرب وأخلاء الروح؛

أخاطبكم والشوق يحدوني وأمل اللقاء يدفعني أن يجمع الله الشمل، وأن يلتأم الجمع كرة أخرى على طاعة الله والجهاد في سبيل الله.

أخاطبكم وأنا أنتظر اليوم الذي تصلون فيه حبال الود السابق وترممون فيه بناء الأخوة السالفة.

حبي لكم يا أخوتي لمّا يعد سرا * كيف وكل عين تنطق**
بمحبة الله العلي أحبكم * حباً على جنبات قلبي يشرق**
فكل فرد في الفؤاد مكانه * ما ضاق عنه القلب وهو ضيق**

أخاطبكم بعد أن قلّ الموافق، وعزّ النصير، وكثرت الجراح واشتدّ الخطب وتخطفت يد المنون كثيراً من الفرسان الأوائل، والأبطال الأماثل، **وقد أخرنا الله لحكمة يعلمها.**

ونحن نعاهده سبحانه ونعاهدكم أن نظل شجىً في حلوق الطغاة، وسيفاً مسلطاً على رقاب الظالمين، وجنداً للإسلام نذود عن حياضه، ونستسهل في سبيله الصعب، ونسترخص نفوسنا حتى يظهره الله أو نهلك دونه.

أخاطبكم مشفقاً ناصحاً، وحزيناً متعجباً أن يتخلف مثلكم عن الركب، ويستأخر بعضكم يستبقي الحياة، ويثّاقل جمعكم عن النفير، وقد أتاكم الصليب وأجلب عليكم بخيله ورجله ورماكم عن قوس واحدة.

فأين حديث الماضي، وسمر الليالي، وجراحات الأيام، وآهات المشتاقين إلى الجهاد و الجنان والحور!!

أترضون لأنفسكم مثل السوء؟!

قال الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا

الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً * أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء:٧٧-٧٨].

فها هي أمريكا جاءت بقضها وقضيضها، وأقبلت بفخرها وخيلائها تحادّ الله ورسوله، فأين أسود الشرى، وفرسان الميدان، وأبطال التوحيد، ورجال العقيدة!! {هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة:٢٤٦]

لقد قال أئمتنا قديما: (**إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيما أقامك؟**)، فطوبى لمن أقامه الله في مقام الجهاد، والنكاية في أعدائه، والتحريض عليه.

قال سبحانه وتعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً} [النساء:٨٤]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال:٦٥]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف:١٠-١٣].

وقد أخرج ابن ماجه عن كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا هل من مشمّر إلى الجنة فإن الجنّة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطّرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية)؟ قالوا: (نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها)، قال: (قولوا إن شاء الله)، فقال القوم: (إن شاء الله)، ثم ذكر الجهاد وحرض عليه.

وعن علي رضي الله عنه –موقوفاً– قال: (من حرض أخاه على الجهاد كان له مثل أجره، وكان له في كل خطوة من ذلك عبادة سنة).

فالنصر يا قومي لن تهن سحائبه * إلا بجيل عظيم البذل مغوار**
هُبوا ولبوا فما في البؤس من رغدٍ * فالجذع من مكة والغصن أنصار**

ولم تزل راية التوحيد خافقةً * ومرهف الحد مسنوناً على النار**

وقد آلمنا وقرح أكبادنا أنا رأينا الجهاد قد درست آثاره فلا تُرى، وطُمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مُقمرا، وأظلم نهاره بعد أن كان نيّرا، وذوى غصنه بعد أن كان مورقا، وانطفأ حُسنه بعد أن كان مشرقا، وقفلت أبوابه فلا تطرق، وأغللت أسبابه فلا ترمق، وصفنت خيوله فلا تركض، وربضت أسوده فلا تنهض، وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض، وأغمدت السيوف من أعداء الدين إخلاداً إلى حضيض الدعة والأمان، وخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان، وآمت عروس الشهادة إذ عدمت الخاطبين، وأهمل الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطبين.

فلا نجد إلا من طوى نشاطه عنه أو اثّاقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبة عنه، أو تركه جزعاً من القتل وهلعا، أو أعرض عنه شحاً عن الإنفاق وطمعا. أو جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضي بالحياة الدنيا من الآخرة {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة:٣٨].

فيا إخوة العقيدة؛

بم تتعللون – وأنتم أهل الحق؟ – وما الذي يقعد بكم يا أهل الصدق؟ ألأهل والأولاد والمساكن؟ قال الله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة:٢٤].

قال صاحب المشارع: (في هذه الآية الشريفة من التحذير والتخويف والتهديد لمن ترك الجهاد رغبة عنه سكوناً إلى ما هو فيه من الأهل والمال مافيه كفاية، فاعتبروا يا أولي الأبصار).

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة:٣٨].

قال القرطبي رحمه الله: (هذا توبيخ على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وقوله؛ {اثَّاقَلْتُمْ} [التوبة:٣٨] أي إلى نعيم الأرض أو الإقامة في الأرض).

قال الله تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة:٨١-٨٤].

فانظر- رحمك الله - إلى هذا الوعيد الشديد، والخزي الشديد، والوبال الأليم لمن تخلف عن الجهاد وتقاعد عنه وكره الإنفاق فيه.

وهذه الآيات وإن كانت نزلت لأقوام بأعيانهم فإن فيها ترهيباً وتهديداً لمن فعل كفعلهم، وتخلف عن الجهاد الواجب كتخلفهم، وناهيك عن ذلك فعلاً شنيعاً، ووعيداً فضيعا ولا حول ولا قوة إلا بالله. فهل بعد هذا الخذلان خذلان!! فاتقوا الله واحذروا مكره لمن تخلف عن أمره.

قال صاحب المشارع رحمه الله: (اعلم أيها الراغب عما افترض عليه من الجهاد الناكب عن سنن التوفيق والسداد؛ أنك قد تعرضت إلى الطرد والإبعاد وحرمت والله الإسعاد بنيل المراد).

ليت شعري هل سبب إحجامك عن القتال واقتحامك معارك الأبطال، وبخلك في سبيل الله بالنفس والمال؛ إلا طول أمل؟ أو خوف هجوم أجل؟ أو فراق محبوب من أهل ومال؟ أو ولد وخدم وعيال؟ أو أخ لك شقيق؟ أو قريب عليك شفيق؟ أو ولي كريم؟ أو صديق حميم؟ أو حب زوجة ذات حسن وجمال؟ أو جاه منيع؟ أو منصب رفيع؟ أو قصر مشيد؟ أو ظل مديد؟ أو ملبس بهي أو مأكل هني؟

ليس غير هذا يقعدك عن الجهاد، ولا سواه يبعدك عن رب العباد.

وتالله ما هذا منك أيها الأخ بجميل! ألا تسمع قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة:٣٨] ؟

أصغِ لما أُملي عليك من الحجج واستمع ما ألقي إليك من البراهين الساطعة ولتعلم أنه ما يقعدك عن الجهاد سوى الحرمان وليس لتأخرك سبب إلا النفس والشيطان.

وأما سكونك إلى طول الأمل وخوف هجوم الأجل والاحتراز من الموت لابد من نزوله، والإشفاق من الطريق الذي لابد من سلوك سبيله، فوالله إن الإقدام لا ينقص عمر المقدمين كما لا يزيد الإحجام عمر المستأخرين؛ {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف:٣٤]، {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [العنكبوت:٥٧].

وإن للموت سكرات – أيّها المفتون – وإن هول المطلع شديد ولكن لا تشعرون، وإن للقبر عذاباً لا ينجو منه إلا الصالحون، وإن فيه سؤال الملكين الفاتنين، {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء} [إبراهيم:٢٧].

ثم بعد ذلك الخطر العظيم؛ إما سعيداً فإلى النعيم المقيم، وإما شقياً فإلى عذاب الجحيم.

والشهيد آمن من جميع ذلك لا يخش شيئاً من هذه المهالك، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يجد ألشهيد من ألم القتل إلا كمس القرصة).

فما يقعد بك –أيها الأخ– عن انتهاز هذه الفرصة ثم تُجار في القبر من العذاب وتفوز عن الله بحسن المآب، وتأمن من فتنة السؤال وما بعد ذلك من الشدائد والأهوال، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقزن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين، أرواحهم في جوف طير خطر تسرح في عليين، فكم بين هذا الموت الكريم، وبين الموت الأليم.

لئن كانت الأرزاق قسماً مقدرا * فقلة حرص المرء في الرزق أجمل**
وإن كانت الأموال للترك جمعها * فما بال متروك به المرء يبخل**

وإن كانت الدنيا تُعد نفيسة * فقدر ثواب الله أعلى وأنبل**
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت * فقتل إمرئ في الله بالسيف أجمل**

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة:٥٤]، وسياق الآيات يبين أن ذلك بسبب موالاة الكفار والركون إليهم...

فماذا ستفعل يارب؟

{فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:٥٤] .

من هؤلاء المصطفون؟ من هؤلاء الكرام الذين يدّخرهم الله لنصرة دينه ورفع رايته حين بنكص الناس وينفض جمع الإيمان؟
{يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة:٥٤].

ثم ماذا يارب؟
{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة:٥٤].

لكن الله يقرر أن هذا الأمر محض الفضل وخالص الإحسان وليس يناله كل أحد؛
{ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة:٥٤].

فحذار.. حذار.. من التخلف عن ذلك الركب.

واحرص –يا أخ التوحيد– أن تكون من هؤلاء الذين يحبهم الله ويحبونه، فإن القافلة إذا سارت وشُدت الرحال تخلف العاطل، وظهر الحق من الباطل.

قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١١١].

لما كثُر المدّعون للمحبة طُولِبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعط الناس بدعواهم لأدعى الخلي حرقة الشجي؛ فتنوع المدعون في الشهود، فقيل؛ «**لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببينة**»، {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ} [آل عمران:٣١]...

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية؛
{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة:٥٤]...

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم؛ «**إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا إلى بيعة**»، {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} [التوبة:١١١]...

فلما عرفوا عظمة المشترى وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأناً، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار، وقالوا؛ «**والله لا نقيلك ولا نستقيلك**»، فلما تم العقد وسلموا المبيع، قيل لهم؛ «**مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها**»، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى أنه عاوض من عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملك بما تفضل به على عباده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة؛ «بايعهم الله فأغلى ثمنهم»).

وقال تعالى: {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء} [آل عمران:١٤٠].

قال السهيلي رحمه الله: (وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبيه على حب الله إياهم).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وماله على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة).

ولما قُتل عبدالله بن عمر بن حرام يوم أحد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك، ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحا، فقال؛ «يا عبد الله تمنّ علي أعطك؟»، قال؛ «يا رب! تُحييني فأقتل فيك ثانية»، قال؛ «إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون» قال: يارب أبلغ من ورائي)، فأنزل الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩].

وعن ابن عباس قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتؤوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا؛ «من يبلغ إخواننا عنا انا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب؟»، فقال الله؛ «أنا أُبلّغهم عنكم»، فأنزل الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء

عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩]).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول؛ (أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وأن الله عز وجل ليدعوا يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول الله عز وجل أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا: ادخلوا الجنة فيدخلوها بغير حساب فتأتي الملائكة فيسجدون، فيقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي) [رواه أحمد والبزار].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران:١٦٩]؟ فقال: (أما أنا قد سئلنا عن ذلك، فأخبرنا؛ أن أرواحهم في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتؤي إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطّلع إليهم ربك اطلاعة فقال؛ «هل تستزيدون شيئا فأزيدكم؟» قالوا؛ «ربنا! وما نستزيد؟ ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا»، ثم اطّلع إليهم ثانية فقال؛ «هل تستزيدون شيئاً فأزيدكم؟»، فلما رأوا أنهم لن يتركوا، قالوا؛ «تعيد أرواحنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى»).

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ قال صلى الله عليه وسلم: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي، فهو علي ضامن أن ادخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر وغنيمة، والذي نفس محمد بيده مامن كلم يُكلم في سبيل الله تعالى إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم لونه لون الدم وريحه المسك، والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو أبداً، ولكن لا أجد سعة فاحملهم، ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

فأي فضل بعد هذا الفضل وأي منة بعد هذه المنة، وأي شرف بعد هذا الشرف؟!

فهذه أمريكا بين ظهرانينا؛ فتعالوا فاشتفوا منها، وارووا ضمأكم من دمائها... تعالوا لتذودوا عن أعراض المسلمات، ولتظفروا بهذه البشارة الكريمة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا

يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا).

وروى ابن أبي شيبة عن سلمان بن أبي ربيعة أنه قال: (قتلت بسيفي هذا مائة مستلئم كلهم يعبد غير الله، ما قتلت منهم رجلاً صبرا).

وعن ابن سيرين؛ استلقى البراء بن مالك فترنم، فقال له أنس: (اذكر الله يا أخي)، فاستوى جالساً، فقال: (أي أنس! - ابن أبي - لا أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين؛ مبارزة، سوى من شاركت في قتله).

واحذر -يا أخ التوحيد- من مزالق الشيطان ومداخله، واحذر؛ أن يحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ويضع أمامك العوائق والأسباب التي تبرر لك القعود والتخلف عن الجهاد - حتى وإن كانت هذه الأعمال طاعة لله ورسوله - فإن هذا الشيطان الطريد المريد لا يفتأ يحول بين العبد وبين ما يرضي ربه.

ورحم الله ابن القيم حين نبّه على هذا الأمر الخطير وقال - ما معناه -: (إن الشيطان ملحاح بطيء اليأس، وهو يترصد للمؤمن ويقعد له في طريق سيره إلى الله ثم ينصب له فخاخاً وأشراكا، لا يتدلى إلى الأدنى إلا إذا عجز عن الأعلى، فيبدأ له بنصب فخ الشرك والكفر فإن نجا منه، نصب له شَرك البدعة، فإن جاوزه أعد له شَبكة الكبائر، فإن تخطاه أعد له شَرك الصغائر، فإن نجا شغله بالمباح، فإن عجز ترصد وكمن له في عقبة العبادات المفضولة، فشغله بها وحسنها بعينه وزينها له و أراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحا، لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمرضي عن الأرضى له، فيشغله بطلب علم الكفاية عن فرض العين من الجهاد، ويزين له جهاد الدعوة وقد انفتح باب جهاد السيف على مصراعيه).

وقد قال تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة:١٩].

وقديماً قال أئمتنا: (**ليس الفقيه الذي يعرف الخير، وإنما الفقيه الذي يعرف خير الخيرين**).

وقد خرّج ابن المبارك بإسناده عن صفوان؛ أن أبا هريرة قال: (أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر و يصوم فلا يفطر ما كان حيا؟) فقيل: (يا أبا هريرة من يطيق هذا؟)، قال: (والذي

نفسي بيده إن نوم المجاهد في سبيل الله أفضل منه).

فهذه درجة نائمهم فكيف قائمهم؟!
وإذا كانت هذه رتبة غافلهم فكيف بعاملهم؟!
وإذا كان هذا خطر شراك نعالهم فكيف بخطير أفعالهم؟!

تالله إن هذا لهو الفضل المبين، لمثل هذا فليشمر المشمرون، وعلى فواته فليبك العاجزون المقصرون، وعلى ضياع العمر فليحزن المفرطون.

فكم من الأحباب يارب اصطفيتهم واتخذتهم من بيننا وحرمتنا من ذلك بذنوبنا... اللهم فلا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم وألحقنا بهم.

وإن كنت أنسى... فلا أنسى في هذا المقام إخواننا الشهداء رحمهم الله الذين كانوا معنا في السراء والضراء وصبروا معنا على لأواء الطريق.

وعلى رأسهم الأخ الحبيب الغالي الشهيد الحي -نحسبه كذلك والله حسيبه- **أبو عبيدة عبد الهادي دغلس**؛ فوالله ما رزءت بمصيبة -بعد أن هداني الله- بمثل فقد هذا الأخ، هذا الأخ الذي كنت استصغر نفسي أمامه لفرط شجاعته وإقدامه وصبره وحسن خلقه... فعلى مثل عبد الهادي فلتبكِ العيون... فعلى مثل عبد الهادي فلتبكِ العيون.

فكلما تذكرته تذكرت حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أحمد وابن حبان، عن ابن مسعود أنه قال: (عجب ربنا من رجلين - وذكر منهما - رجل غزا في سبيل الله، فانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام، وماله في الرجوع، فرجع حتى يهريق دمه، فيقول الله لملائكته؛ «انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه»).

فيوم أن اضطر المجاهدون إلى أن يخلوا مواقعهم نتيجة القصف الشديد والمتواصل أبى أن يرجع، وتبايع على الموت -هو وثلة من إخوانه- وانغمسوا في العدو نسأل الله أن يتقبلهم.

ماتوا وغُيّب في التراب شخوصهم * فالنسر مسك والعظام رميم**

فوالله لقد كان جبلاً من الجبال، وأسداً من الأسود، وعابداً من العباد، وزاهداً من الزهاد، ترى

الصلاح في وجهه، مسعّر حرب لو كان معه رجال، لا تأخذه في الله لومة لائم، شديدا ً على أعداء الله، رحيماً وبراً بإخوانه.

رحمك الله يا عبد الهادي رحمة واسعة، لقد كنت -والله- الأخ الحبيب والصديق الشفيق، وكنت السمع والبصر، فوالله إن مكانك مازال شاغراً، لا يستطيع أن يملأه أحد، وبفضلك فقدت عضواً من أعضائي.

وإن كنت أنسى فلن أنس ذلك اليوم الذي قلت لي فيه: (إني لأدعو لك أكثر مما أدعو لوالدي).

فأي خسارة بعد هذه الخسارة، وأي رزية بعد هذه الرزية، فقدتك في وقت كنت أحوج ما أكون إليك فيه.

نسأل الله عز وجل أن يرفعك في عليين، وأن يلحقنا بك غير مفتونين شهداء صالحين مع النبيين والصديقين وحَسُن أولئك رفيقا، أنت وإخوانك الذين لم أذكرهم لضيق المقام.

لُيسق عهدكم عهد السرور فما ***كنتم لأرواحنا إلا رياحينَ

ولا يفوتني في هذه الساعة أن أوجه نصيحة وتذكرة إلى علماء الأمة ودعاتها:

فقد قال سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران:١٨٧].

لقد أخذ الله عليكم الميثاق أن تقوموا بما أمركم الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والحفاظ على شريعته وبذل النفوس والمهج في سبيل دينه.

ولكنكم للأسف الشديد... بدل أن تقوموا بحق الله؛ آثرتم السلامة وأخلدتم إلى الراحة والأهل والمال والولد، وتركتم المجاهدين يواجهون أعتى قوة في العا لم أجلبت عليهم بخيلها ورجلها.

فأين أنتم يا علماء الأمة؟
إلى متى تنكصون وعن الحق ترغبون!!

أما زالت المصالح والمفاسد ديناً لكم ومنهجا!!
أما آن لكم أن تعودوا إلى دينكم؟

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

ودل قوله صلى الله عليه وسلم؛ (حتى ترجعوا إلى دينكم)؛ على أن ترك الجهاد والإعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج عن الدين ومفارقة له، وكفى به ذنباً وإثماً مبينا.

أما آن لكم أن تستيقضوا من غفلتكم؟
أما آن لهذا الليل الطويل أن ينجلي؟

عن أي فتنة تتكلمون؟
وعن أي مصلحة تتحدثون؟
وهل هناك فتنة يا علماء الأمة أعظم مما نحن فيه؟!

إن الفتنة الشرك، إن الفتنة ظهور الباطل على الحق، إن الفتنة ضياع حكم الله في الأرض، إن الفتنة أن يحشر الأسود في الأقفاص في كوبا وغيرها.

فها أنتم يبلغ أحدكم ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو خمسين سنة أو أكثر؛ لا يكلف نفسه رباط يوم في سبيل الله، ولا يتجشم عناء سفر كي يغبّر قدميه في سبيل الله، يفني أحدكم عمره في طلب العلم على أريكته سلماً لأعداء الله لا يُبتلى يوماً في سبيل الله بحبس أو ضرب أو غيره.

والله إنه لأحد أمرين؛

إما أنكم أعز على الله من نبيه الذي أوذي في ذات الله بشتى أنواع الأذى،
أو أنكم على غير هدي النبي...

ومعاذ الله أن تكون الأولى، ومعاذ الله أن تكون الأولى، «فوالله ما جاء أحد بمثل ما جئت به

قط إلا أوذي».

إلى من تركتم الأمة؟ إلى طواغيت المشرق والمغرب يستبيحون بيضتها ويسومونها سوء العذاب ويذبحون خيرة بنائها المجاهدين ويستولون على خيراتها؟! أهكذا كان السلف الصالح يغار أحدهم على أمته؟! أين التضحيات يا علماء الأمة؟

أين أنتم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله).

أين أنتم من سفيان الثوري ذلك العالم الرباني الذي قال: (والله إني لأرى الأمر يجب علي أن أتكلم فيه فلا أستطيع فأبول دماً) ؟!

ذاك سفيان بال دماً عندما خلُصت نفسه لله ولم ينازعها شيء من الدنيا، بال دماً عندما مازج دمه وخالط أنفاسه حب هذا الدين.

أما بلغكم يا علماء أن يونس بن عبيد رحمه الله نظر إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل: (ما يبكيك يا أبا عبد الله؟)، قال: (قدماي لم تغبرا في سبيل الله).

لم تغبر قدماه عندما كان الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فماذا لو كان الجهاد فرض عين؟ تُرى لو كان ابن عبيد في زماننا ماذا تظنون أنه قائل؟ والله لكان لسان حاله:

فيا جبال اقذفي الأحجار * ويا سما ء امطري مهلاً وغسلينا**
ويا كواكب آن الرجم فانطلقي * ما انت إن أنت لم ترمي الشياطينا**

لقد حل بالأمة ما حل من ويلات ونكبات وتعطيل لشريعة رب الأرض والسماوات يوم تخاذل علماء الأمة عن التضحية، يوم أن ضعفت جذوة الجهاد في صدورهم، فتخلفوا عن الركب، يوم غاب عن أذهانهم أن الأمة لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا بدماء العلماء، وأن التضحية بدمائهم هو نتاج طبيعي للإرث النبوي الذي ورثوه في صدورهم.

ورحم الله ابن حزم يوم أن قال:

مناي من الدنيا علوم أبثّها * وأنشرها في كل باد وحاضر**
دعاء إلى القرآن والسنن التي * تناسى رجال ذكرها في المحاضر**
وألزم أطراف الثغور مجاهداً * إذا هيعة ثارت فأول نافر**

لألقى حمامي مقبلاً غير مدبر * بسمر العوالي والدقاق البواكر**
كفاحاً مع الكفارفي حومة الوغى * وأكرم موت للفتى قتل كافر**
فياربِّ لا تجعل حمامي بغيرها * ولا تجعلني من قطان المقابر**

ذلك ابن حزم... وأنعم بابن حزم.

أمّا انتم يا علماءنا؛ فقد هادنتم الطواغيت وأسلمتم البلاد والعباد لليهود والصليبيين، وأذنابهم من حكامنا المرتدين، يوم أن سكتم عن جرائمهم وجبنتم عن الصدع في وجوههم، وعجزتم عن حمل راية الجهاد والتوحيد التي كلفكم الله بها، يوم أن قتلتم الغيرة والحمية على دين الله في قلوب الشباب ومنعتموهم من النفير إلى ساحات الوغى، ففرغت ساحات الوغى من الأسود إلا من رحم الله، فلا تكاد تجد عالماً بيننا يُستفتى.

يا عباد الله؛

لا تكاد تجد عالماً بيننا يُستفتى، ولا طالباً به يقتدى، ولا قائداً ربانياً يقود بنا البحر. لقد خذلتمونا في أحلك الظروف، وأسلمتمونا إلى عدونا، وخليتم بيننا وبينه، وغفلتم عن حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أبو داود حيث قال: (ما من امرئ يخذل امرءً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته).

أليس فيكم من يغُط غطة سعيد بن عامر، فقد ذكر أصحاب السير أن أهل حمص شكوه حين كان والياً عليهم إلى عمر، وعابوا عليه أموراً، منها؛ أنه كان يغط وتتجلله الغشية حتى يشق ذلك على الناس. فأجاب معتذراً: (شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضّعت قريش لحمه وحملوه على جذع، وهم يقولون؛ «أتحب أن محمد مكانك وأنك في أهلك ومالك؟»، فيقول؛ «والله! يا قوم ما يسرني أن يفديني محمد صلى الله عليه وسلم بشوكة في قدمه، فكلما ذكرت ذلك المشهد الذي رأيته وأنا يومئذ من المشركين، ثم تذكرت تركي نصرة خبيب يومها أرتجف خوفاً من عذاب الله ويغشاني الذي يغشاني»)، أليس فيكم من يرجف قلبه خوفاً من عذاب الله ويغشاه ما كان يغشى سعيد لترككم نصرة المجاهدين؟

نعم أسلمتونا للعدو وأسلمتم الأمة قبلنا يوم تخاذلتم عن نصرتنا يا علماء الأمة.

إن اليد التي عقرت ناقة صالح يدٌ واحدة، وقد أهلك الله قوماً بأكملهم نتيجة ذلك، وإن ناقة صالح عليه السلام ليست بأعز على الله من مئات الآلاف من المسلمين من هذه الأمة الذين يذبحون على أيدي الكافرين، بسبب صمتكم وسكوتكم عنهم.

واعلموا يا علماء الأمة؛ أنكم قادمون على الله لا محالة في يوم تشيب له الولدان، {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا} [الحج:٢]، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس:٣٤-٣٧]، في ذلك اليوم العصيب أعدو الجواب لرب الأرباب.

يوم يسألكم عن الأمة ماذا قدمتم لها، وعن المجاهدين وكيف نصرتكم لهم، وعن أعداء الملة وكيف بغضكم وعداوتكم لهم، بالسيف والسنان والقلب واللسان.

إن الله سائلكم عن الأسرى في يد اليهود و الصليبيين والمشركين لمَ لم تستنقذوهم؟

ألم تسمعوا ما قاله عبد الرحمن بن عمرة لما بعثه عمر بن عبد العزيز في فداء المسلمين في القسطنطينية، يقول؛ فقلت له: (أرأيت يا أمير المؤمنين إن أبوا أن يفادوا الرجل بالرجل كيف أصنع؟) قال: (زدهم)... إلى أن قال: (فإن أبوا إلا أربعاً)، فقال: (أعطهم بكل مسلم ما سألوه، فوالله لرجل من المسلمين أحب إلي من كل مشرك عندي، إنك ما فاديت به المسلم فقد ظفرت، إنك إنما تشتري الإسلام).

إن الله سائلكم عن أفغانستان والعراق ماذا قدمتم لهما.

إن الله سائلكم عن الملا عمر وخذلانكم له، وليس له ذنب إلا أنه أطاع الله ورسوله ورفض أن يعطي الدنية في دينه.

ورحم الله ابن الجوزي يوم اعتلى المنبر وقام خطيباً في الناس يحثهم على الجهاد والحفاظ على بيضة هذا الدين ودفع الكافرين عن ديار المسلمين، بعد أن تخلف الناس وتقاعسوا عن النفير، فقال: (أيها الناس؛ مالكم نسيتم دينكم، وتركتم عزتكم

وقعدتم، عن نصر الله فلم ينصركم؟ حسبتم أن العزة للمشرك وقد جعل الله العزة ولرسوله وللمؤمنين، يا ويحكم!

أما يؤلمكم ويشجي نفوسكم مرأى عدو الله وعدوكم يخطرعلى أرضكم التي سقاها بالدماء آبائكم يذلكم ويستعبدكم وأنتم كنتم سادات الدنيا؟

أما يهز قلوبكم وينمي حماستكم مرأى إخو ان لكم قد أحاط بهم العدو وسامهم ألوان الخسف؟

أفتأكلون وتشربون وتتنعمون بلذائذ الحياة وإخوانكم هناك يتسربلون اللهب ويخوضون النار وينامون على الجمر؟

يا أيها الناس؛ إنها قد دارت رحى الحرب ونادى منادي الجهاد وتفتحت أبواب السماء، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب فافسحوا الطريق للنساء يُدرن رحاها، واذهبوا فخذوا المجامر والمكاحل يا نساء بعمائم ولحى، أو لا! فإلى الخيول وهاكم لجمها وقيودها.

يا ناس؛ أتدرون مم صنعت هذه اللجم والقيود؟ لقد صنعها النساء من شعورهن لأنهن لا يملكن شيئاً غيرها، هذه والله ظفائر المخدرات لم تكن تبصرها عين الشمس صيانة وحفظا؛ قطعنها لأن تاريخ الحب قد انتهى وابتدأ تاريخ الحرب المقدسة الحرب في سبيل الله، فإن لم تقدروا على الخيل تقيدونها فخذوها فاجعلوها ذوائب لكم وظفائر، إنها من شعور النساء فلم يبق في نفوسكم شعور).

وألقى اللجم من فوق المنبر على رؤوس الناس وصرخ: (**ميدي يا عمد المسجد، وانقضي يا رجوم، وتحرقي يا قلوب الماً وكمدا، لقد أضاع الرجال رجالتهم**) أ.هـ.

نعم والله لقد أضاع الرجال رجولتهم!

فماذا نقول نحن في هذا الزمان الذي عز فيه النصير، وقل فيه المعين وتداعت علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

إننا والله لا نريد رجالاً كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد والمقداد وطلحة والزبير،

لكننا نريد رجالاً كصفيّة!

نعم كصفية! عندما قامت بالدفاع عن حرمات المسلمين عندما همّ ذلك اليهودي الخبيث أن يدخل الحصن ويكشف عورات المسلمين فقاتلت عن أعراض المسلمين.

فيا ربي أدركنا فقد بلغ الزبى * من الكرب سيل الفاجعات المغرق**

فيا علماء الأمة، ويا دعاتها، ويا شبابها؛

اتقوا الله، اتقوا الله، وأدركوا ما فاتكم؛ فإنما العصمة السيف..

فدونكم أعداء الشريعة بين ظهرانيكم، ومدوا يد العون إلى اخوانكم بالغالي والنفيس قبل أن يلفظكم التاريخ.. نعم! قبل أن يلفظكم التاريخ، وقبل أن ينفض السوق فيربح فيه من يربح ويخسر فيه من يخسر.

عندما أخاطب العلماء، إنما أخاطب العلماء الربانيين، لا أقصد بذلك علماء السوء ومشايخ الفضائيات فهؤلاء يكفيهم الأثر؛ (**أن القبور اشتكت إلى الله من نتن رائحة الكفار، فأوحى الله إليها أن بطون علماء السوء أشد نتناً من رائحتك**)، أولئك الذين يأكلون الدنيا بالدين.

أما انتم أيّها المجاهدون الصابرون نقول لكم:

مع كل ما يصيبنا من هم ونصب وضيق وبلاء، فوالله لن يرى الأعداء منا إلا كل ما يسوءهم، ولنجاهدنهم بكل ما نستطيع، ولنبذلن الغالي والنفيس في حربهم، فإن مراغمة الطواغيت من أقرب القربات إلى الله، فاصبروا إنما هي أيام قلائل ثم بعدها يأتي الفرج والنصر بعون الله، فإنَ تأخر النصر لا يعني تخلف وعد الله، حاشا وكلا.

إياكم والنكوص والرجوع عن هذا الطريق، فإنه والله مع مشقته وصعوبته ومرارته لحلو في ذات الله، وإنها لنعمة عظيمة أن يصطفيكم الله لنصرة دينه، والجهاد في سبيله.

ألا يكفيكم -يا رفاق الدرب؛ يا أُنس الروح وسلواها- الحديث الذي رواه أبو هريرة، قال: مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال:

(لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فقال: (لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة).

ورحم الله ابن تيمية عندما قال: (واعلموا أصلحكم الله أن من أعظم النعم على من أراد الله به خيراً أن أحياه إلى هذا الوقت الذي يُجدد الله فيه الدين ويحيي فيه شعار المسلمين وأحوال المؤمنين والمجاهدين؛ حتى يكون شبيهاً بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فمن قام في هذا الوقت بذلك كان من التابعين لهم بإحسان، فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه المحنة التي حقيقتها منحة كريمة من الله تعالى، وهذه الفتنة التي في باطنها نعمة جسيمة، حتى والله لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان علي وغيرهم حاضرين في هذا المكان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين ولا يُفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته، وسفه نفسه، وحُرم حظاً عظيماً من الدنيا والآخرة).

فهل بعد هذا ترومون فضلاً، وتطلبون بدلا، فأكثروا من الدعاء أن يثبتنا على الطريق، وليكن لسان حالنا جميعاً:

لكنني اسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا**
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا**
حتى يقولوا إذا مروا على جثتي * أرشدك الله من غاز وقد رشدا**

فيا ربي إن حانت وفاتي فلا تكن * على شرجع يُعلى بخضر المطارف**
ولكن قبري بطن نسر مقيله * بجو السماء في نسور عواكف**
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابة * يصابون في فج من الأرض خائف**
فوارس من بغداد ألف بينهم * تُقى الله نزالون عند التزاحف**
إذا فارقوا دنياخم فارقوا الأذى * وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف**

أمولى الموالي ليس غيرك لي مولى * وما أحدٌ يا رب منك بذا أولى**
تبرأت من حولي إليك وقوتي * فكن قوتي في مطلبي وكن الحولا**
وهب لي رضىً ما لي سوى ذاك مبتغى * ولو لقيت نفسي على ليله الهولا**

اللهم مكن للمجاهدين في الأرض، اللهم مكن للموحدين في الأرض، اللهم جيش جيوشهم، وابعث سراياهم، وخلّص نواياهم، وخذ العيون عنهم، اللهم يسر لهم كل خير، اللهم قو شوكتهم وآنس وحشتهم، وكن لهم العون والنصير، فهم أقوياء بك يا رب العالمين.

اللهم إن أمريكا جاءت بخيلها وخيلائها تحاد الله ورسوله، اللهم فأحمها الغداة... اللهم فأحمها الغداة، اللهم كما مزقت ملك قيصر فمزق ملك بوش، اللهم شتت شملهم وفرق شملهم، واجعلهم غنيمة للمسلمين.

اللهم العن طواغيت العرب والعجم، اللهم عليك بالحكام المرتدين، اللهم احصهم، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا، اللهم آمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الرابع

رِسَالةٌ مِنْ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيّ إِلى الشَّيخِ أُسَامة بن لادِنَ (حَفِظَهُ الله)

٢٤ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ
١٥ فبراير/شباط ٢٠٠٤ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

[هذه رسالة عَثرَ عليها عُبادُ الصليب في العراق، و هي رسالة من الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله كتبها للشيخ أسامة بن لادن حفظه الله قبل الإنضمام إلى تنظيم القاعدة، و فيها بيان للمنهج و خطة العمل التي إرتضاها الشيخين لمشروع صد الحملة الصليبية الجديدة على العراق، و إعادة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، لتحقيق مقاصد الشرع و تحرير العرض و الأرض، و التحضير للمعركة الفاصلة مع اليهود.

و للعلم فإن تنظيم التوحيد و الجهاد في حينها لم ينفي ما جاء في الرسالة إنما أكده مع بعض التحفظ، و ذلك ما قاله الشيخ أبو أنس الشامي رحمه الله (مسؤول اللجنة الشرعية) في بحثه القيم (الرد على شبهات حول الجهاد في العراق)، فقال رحمه الله:

... اولاً : الرسالة التي تناقلتها الأنباء وتحدثت عنها الدنيا وتحير الناس في أمرها هي **صحيفة صادقة النسبة الى الأخ القائد ابي مصعب الزرقاوي حفظه الله ورعاه، ولكن قد أعتراها بعض التحريف والتزيف،** [و تفصيل ذاك التحريف و التزييف] فنحن لا يمكن أن نقتل مسلماً سُنياً او أن نجترئ على حرمة بيت من بيوت الله ومعاذ الله أن نفعل هذا ... (إنتهى كلامه

رحمه الله)

و لما لهذه الرسالة من فوائد، إرتأينا إدراجها، و نرجوا من القارئ الكريم أن يقرأها مراعياً التحفظ الذي ذكره شيخنا أبا أنس رحمه الله و الذي قد عملنا جاهدين إلى عدم نقله في ما هو مدرج من الرسالة]

بسم الله الرحمن الرحيم،

مِن [كلمات محذوفة من أصل الرسالة] إلى الشم العرانين والصناديد في زمن العبيد، إلى الرجال في قلل الجبال إلى صقور العز وليوث الشرى إلى الأخوين الكريمين [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

فإن تكن الأجساد منا تباعدت فإن المدي بين القلوب قريب، وعزاؤنا قول الإمام مالك أرجو أن يكون كلانا على خير واسأل الله العلي الكريم أن تصلكم رسالتي هذه وأنتم ترفلون في ثياب العافية وتتنسمون رياح النصر والظفر، آمين.

وعزاؤنا قول الإمام مالك أرجو أن يكون كلانا على خير واسأل الله العلي الكريم أن تصلكم رسالتي هذه وأنتم ترفلون في ثياب العافية وتتنسمون رياح النصر والظفر، آمين.

فإليكم حديثا يناسب المقام ويكشف اللثام ويزيح الستار عن المخبوء من الخير والسوء في ساحة العراق.

كما تعلمون إن الله منّ على الأمة بالجهاد في سبيل الله في ارض الرافدين، ومن المعلوم لديكم ان الساحة هنا ليست كسائر الساحات؛ ففيها من الإيجابيات ما ليس موجوداً في أي ساحة أخرى، وفيها من السلبيات أيضا ما ليس موجوداً في غيرها، ومن اعظم إيجابيات هذه الساحة انه جهاد في عمق ارض العرب، **وبينه وبين أرض الحرمين والأقصى رمية حجر**، وأننا نعلم من دين الله أن المعركة الحقيقية والفاصلة بين الكفر والإسلام هي في هذه الأرض؛ **أي في الشام وما حولها**، وعليه فلا بد من بذل الغالي والنفيس والسعي الحثيث من أجل ان نثبت موطأ قدم في هذه الأرض، لعل الله ان يحدث بعد ذلك أمراً.

فالواقع يا مشايخنا الاجراء يحتم علينا أن ننظر إلى هذا الأمر بنظرة عميقة نستهلها من شرعنا الحنيف وواقعنا الذي نعايش، **واليكم الواقع كما أراه بنظري** القاصر، واسأل الله أن يعفو عن خطلي وزللي، فأقول والله المستعان:

أن الأمريكان كما لا يخفي عليكم قد دخلوا العراق من مبدأ عقدي، ولأجل إقامة دولة إسرائيل الكبري من النيل إلى الفرات، وان هذه الإدارة الأمريكية المتصهينة تعتقد أن التعجيل بقيام دولة إسرائيل هو التعجيل بخروج المسيح، فجاءت العراق بقضها وقضيضها وفخرها وخيلائها تحاد الله ورسوله، وكانت تظن أن الأمر سيكون سهلا نوعا ما، وان كانت ثمة صعوبات فستكون يسيرة، ولكنها اصطدمت بواقع مغاير كل التغاير؛ فبدأت عمليات الاخوة المجاهدين من اللحظة الاولى، مما جعل الأمور مختلطة نوعا ما، ثم تعالت وتيرة العمليات، وكان ذلك في المثلث السني -إن صحت التسمية-، مما جعل الاميركان يضطرون إلى عقد صفقة مع الرافضة؛ شر الورى، وقد تمت الصفقة على إن يحوز الرافضة ثلثي الغنيمة في سبيل الوقوف في صف الصليبين في وجهة المجاهدين.

أولاً. التركيبة:

العراق في الجملة فسيفساء سياسية، وخلطة عرقية، وتباينات مذهبية طائفية متناثرة، لا تنقاد إلا لسلطة مركزية قوية وسلطان قاهر، بدءاً من زياد بن أبيه، وانتهاء بصدام، والمستقبل على خيارات صعبة؛ فهي أرض متاعب جمة المصاعب **لكل جاد ولاعب**، وأما التفصيل:

١. **الأكراد**: وهؤلاء بشقيهم **البرزاني والطالباني**؛ قد أعطوا صفقة أيديهم وثمرة قلوبهم للأمريكان، وفتحوا أرضهم لليهود، وصاروا قاعدة خلفية لهم وحصان طروادة لخططهم، يتسللون عبر أراضيهم ويستترون بلافتاتهم ويتخذونهم جسرا يعبرون عليه لسيطرة مالية وهيمنة اقتصادية، بالإضافة إلى القاعدة الجاسوسية التي أقاموا لها صرحاً كبيرا في تلك الأرض، في طولها والعرض، وهؤلاء بالجملة -الأكراد- قد خبا صوت الإسلام عندهم، وخفت بريق الدين في ديارهم، أسكرتهم الدعوة العراقية، **وأهل الخير فيهم مستضعفون يخافون أن تتخطفهم الطير**.

٢. **الرافضة**: العقبة الكؤود، والافعي المتربصة، وعقرب المكر والخبث، والعدو المترصد، والسم الناقع.

ونحن هنا نخوض معركة على مستويين؛

المعركة الأولى: مستوى ظاهر مكشوف مع عدو صائل، وكُفرٍ بيِّنٌ.
المعركة الثانية: معركة صعبة ضروس مع عدو ماكر، يتزيا بزي الصديق، ويظهر الموافقة ويدعو إلى التآلف، ولكنه يضمر الشر، ويفتل في الذروة والغارب، وقد صار إليه ميراث الفرق الباطنية التي مرت في تاريخ الإسلام، وتركت في وجهه ندوبا لا تمحوها الأيام.

إن الناظر المتئد والمبصر المتفحص ليدرك أن التشيع هو الخطر الداهم، والتحدي الحقيقي؛ {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون:٤]، إن رسالة التاريخ تصدقها شهادة الواقع لتشي بأوضح بيان؛ أن التشيع دين لا يلتقي مع الإسلام، إلا كما يلتقي اليهود مع النصارى تحت لافتة أهل الكتاب؛

فمن الشرك الصراح،
وعبادة القبور،
والطواف بالأضرحة،
إلى تكفير الصحابة،
وسب أمهات المؤمنين، وخيار هذه الأئمة،
وصولاً إلى تحريف القرآن، كمُنتج منطقي للطعنِ في حَمَلَتِه،
إضافة إلى القول بعصمة الأئمة، وركنية الأيمان بهم والإقرار لهم بتنزل الوحي عليهم،

إلى غير ذلك من صور الكفر ومظاهر الزندقة التي تطفح بها كتبهم المعتمدة، ومراجعهم الأصلية، والتي لا يزالون يقومون بطبعها وتوزيعها ونشرها.

وإن الحالمين الذين يظنون أن الشيعي يمكن أن ينسي الإرث التاريخي والحقد الأسود القديم على النواصب كما يسمونهم؛ واهمون.

وهم أشبه بمن يطالب النصراني أن يتخلي عن فكرة صلب المسيح، وهل يفعل هذا عاقل، وإن هؤلاء القوم قد جمعوا إلى كفرهم، وأضافوا إلى زندقتهم؛ مكرا سياسياً وسعياً محموماً للتغول على أزمة الحكم وموازين القوة، في الدولة التي يحاولون –بالتعاون مع الأمريكان حلفائهم في الباطن– رسم معالمها، وتثبيت تضاريسها الجديدة، عبر لافتاتهم السياسية وتنظيماتهم.

وهؤلاء طائفة غدر وخيانة على مر التاريخ والعصور، وهو مذهب وجهه لحرب أهل السنة والجماعة، فإن الرافضة عندما سقط النظام البعثي الخبيث كان شعارهم (**الثأر الثأر... من تكريت والانبار...**) فهذا يدل على مدي حقدهم الدفين على أهل السنة، ولكن استطاع علماؤهم الدينيون والسياسيون ان يضبطوا أمور طائفتهم، حتى لا تكون المعركة بينهم وبين اهل السنة حرباً طائفية ظاهرة، لانهم يعلمون انهم لن ينجحوا بهذه الطريقة، ويعلمون انها لو قامت حرب طائفية لقام كثير من الأمة لينصروا أهل السنة في العراق، وبما ان دينهم دين التقية؛ عمدوا خبثا ومكرا إلى طريقة أخرى...

فبدأوا بالسيطرة على مرافق الدولة، ومفاصلها الامنية والعسكرية والاقتصادية، وكما تعلمون -حفظكم الله- ان مقومات اي بلد هي الأمن والاقتصاد، وهم متغلغلون في داخل هذه المرافق والمفاصل.

واضرب مثالاً يُقرِب الأمر؛ فإن **فيلق بدر** وهو الجناح العسكري للمجلس الأعلى للثورة الاسلامية، قد خلع ثوبه الرافضي، ولبس مكانها ثوب الشرطة والجيش، فدخل بكوادره بهذه المؤسسات، وتحت مسمي الحفاظ على الوطن والمواطن، يبدأون بتصفية حساباتهم مع أهل السنة، فان الجيش الأمريكي قد بدأ يتواري عن بعض المدن، ويقل تواجدهم، وبدأ يحل مكانه جيش عراقي، **وهذه هي المشكلة الحقيقية التي نواجهها**؛ فإن قتالنا مع الأمريكان أمر يسير، فالعدو ظاهر ومكشوف الظهر، جاهل بالارض وجاهل بواقع المجاهدين، لضعف المعلومة الاستخبارية لديه، ونعلم يقيننا ان هذا القوات الصليبية ستواري غدا أو بعد غد، فالناظر إلى الواقع يري مسارعة العدو إلى تشكيل الجيش والشرطة التي بدأت بمباشرة مهامها الموكلة إليها.

فهذا العدو المتمثل بالرافضة، المطعَّم بعملاء -من المحسوبين على أهل السنة- هو الخطر الحقيقي الذي نواجهه؛ فهم أبناء جلدتنا، ويعرفون مداخلنا ومخارجها، وهم أشد مكراً من أسيادهم الصليبيين، وقد بدأوا -كما أسلفت- محاولة السيطرة على الوضع الأمني بالعراق، وقد قاموا بتصفية كثير من أهل السنة، ومن خصومهم من الحزب البعثي وغيره -من المحسوبين على أهل السنة- بشكل مُنظم ومدروس، وبدأوا بقتل كثير من الاخوة المجاهدين؛ مروراً بتصفية العلماء والمفكرين والأطباء والمهندسين وغيرهم.

فإني اظن والله اعلم؛ بأنه لن يحول الحول إلا واغلب الجيش الأمريكية في الخطوط الخلفية،

يقاتل عنه بالوكالة الجيش الرافضي السري وفيالقهم العسكرية، وهم يتسللون كالأفاعي ليتسلطوا على جهازي الجيش والشرطة القوة الضاربة والقبضة الحديدية في عالمنا الثالث، مع السيطرة على الاقتصاد تماما كأوليائهم اليهود، وآمالهم تعظم مع الأيام في أن يقيموا دولة الرفض لتمتد من إيران مرورا بالعراق وسوريا ولبنان وانتهاء **بمملكة الخليج الكرتونية**.

لقد دخل **فيلق بدر** وهو يحمل شعار (الثار الثار ... من تكريت والأنبار...)، لكنه خلع زيه ليلبس بعد ذلك شعار الجيش والشرطة؛ ليبطش بأهل السنة ويقتل أهل الإسلام، باسم القانون والنظام، كل ذلك في ظل خطاب ناعم الملمس، وبيل الباطن، يمتطي صهوة التقية دينهم الغنوصي، يتبرقع بالكذب، ويتستر بالنفاق، مستغلا سذاجة كثير من أهل السنة وطيبة قلوبهم، ولا ندري إلى متى تظل أمتنا لا تتعلم من التجربة التاريخية، ولا تبني على شهادة الأعصُرِ الخالية.

لقد كانت الدولة الصفوية الشيعية عقبة كأداء في طريق الإسلام، بل كانت خنجراً قد طعن الإسلام وأهله في الظهر، **ولقد صدق أحد المستشرقين حين قال**: «**لولا الدولة الصفوية لكنا اليوم في اوروبا نقرأ القرآن كما يقرأه البربري الجزائري**».

نعم؛ فلقد وقفت جحافل الدولة العثمانية على أبواب **فِيَّنا**، وكادت تتهاوي أمامها تلك الحصون، لينداح الإسلام في ظل سيف العز والجهاد في أرجاء أوروبا، لكن هذه الجيوش اضطرت للرجوع والانكفاء إلى الوراء؛ **لأن جيش الدولة الصفوية احتل بغداد**، فهدم مساجدها، وقتل أهلها، وسبا نساءها وأموالها، فرجعت الجيوش لتذود عن حرم الإسلام وأهله، ودارت معركة حامية الوطيس، دامت نحو قرنين من الزمان، ولم تنته إلا وقد خارت قوة الدولة الاسلامية، وانحسر مدها، و استنامت الأمة لتستيقظ على طبول الغربي الغازي.

لقد حدثنا القرآن؛ أن دسائس المنافقين، وكيد الطابور الخامس، ومكر بني جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا بكلام معسول وقلوبهم قلوب الشياطين في جثامين الأناسي، أن هؤلاء مكمن الداء وسر البلاء، وفأرة السد {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون:٤]

ولقدْ صدقَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية، حينَ قَالَ يَصِفُ حالـهُم، بعدَ أن ذَكَرَ تكفيرَهُم لِأهلَ الإسلام، فقالَ رَحِمَه الله:

(ولهذَا السَّببِ يُعاونُونَ الكُفَّارَ على الـجَمهُور مِنَ المسلمين، ويُعاونُونَ التتار، وهُم كَانوا من

أعظمِ الأسبابِ في خروجِ جنكيز خان، مَلكِ الكفار إلى بلاد الإسلام، وفي قدومِ هولاكو إلى بلادِ العراق، وَفي أخذِ حَلَب، ونهبِ الصَّالحية، وغير ذلكَ بخُبثِهم وَمكرِهِم.

وَلِهَذا السَّببِ نَهَبُوا عَسكَرَ المسلمينَ لما مرَّ عليهم وَقتَ انصرافهم إلى مصرَ في النَّوبَةِ الأولى، وَبهذا السَّببِ يَقطعون الطُرُقاتِ على المسلمين، وبهذا السَّببِ ظَهَرَ فيهم مُعاونَةَ التتار والإفرنجِ على المسلمين، والكآبةُ الشديدةُ بإنتصار الإسلامِ مَا ظهر.

وكذلكَ لمّا فَتحَ المسلمونَ السَّاحِلَ عكَّه وغيرَها، ظَهَرَ فِيهم من الإنتصار للنصارى، وَتقدِيمِهِم على المُسلمين مَاقَد سَمِعَ النَّاسُ مِنهم، وكلُّ هذا الذِي وصفتُ بعض أمورهِم، وإلاَّ فَالأَمرُ أعظَمُ مِن ذَلك.

وَفي قُلوبِهم مِن الغِلِّ والغيظِ على كِبارِ المسلمينَ وصِغَارهِم، وصَالحيهم وغيرِ صالحيهم، مَالَيس في قلبِ أحد، وأعظمُ عبادتهم لَعنُ المسلمينَ مِن أولياءِ الله.....وهؤلاءِ أشدُّ النَّاسِ حِرصاً عَلَى تَفريقِ جَمَاعةِ المُسلمينَ، وَمِنْ أعظَمِ أصُولِهم عِندهم، التكفيرُ واللَّعنُ والسبُّ لخيار ولاةِ الأمور، كالخُلَفاءِ الرَّاشدين، وَالعُلَمَاءِ المسلمين، إذْ كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤمِن بالإمامِ المَعصوم، الذِي لَاوجُودَ لَه، فَمَا آمنَ باللهِ ورسولِه عليه الصَلاةُ والسَّلام.

والرافضة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين، وهم كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذ بلاد الإسلام، وقتل المسلمين، و سبي حريمهم.

وقصة ابن العلقمي وامثاله مع الخليفة وقضيتهم في حلب مشهورة، يعرفها عموم الناس، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصة عند الروافضن واذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيدا ومسرة عند الرافضة) الفتاوي الجزء ٢٨ صفحة ٤٧٨ إلى ٥٢٧.

وسبحان الله، وكأنما كشفت له سجف الغيب، فاستشرف الحاضر، فتحدث واصفا عن معاينة وخبر.

ولقد خط لنا أئمتنا سبيلا واضحا، وكشفوا الستر عن هؤلاء القوم، فهذا الإمام البخاري يقول: «ما باليت صليت خلف رافضي او صليت خلف اليهود والنصارى، لا يسلم عليهم ولايعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تأكل ذبائحهم». خلق أفعال العباد صفحة ١٢٥.

وهذا الإمام احمد يقول، وقد سُئِلَ عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، فقال: (ما اراه على الاسلام).

وهذا الإمام مالك يقول: (الذي يشتم أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ليس له سهم أو نصيب في الإسلام) كتاب السنة للخلال رقم ٧٧٩.

وهذا الفريابي يقول: (ما أري الرافضة إلا زنادقة) اللالكائي الجزء ٨ صفحة ١٥٤٥.

ولما أقام ابن حزم الحجة والبراهين على اليهود والنصاري في تحريف التوراة والانجيل، لم يجدوا معتصما إلا إن يقولوا أن الشيعة عندكم يقولون بتحريف القرآن، فقال رحمة الله: (فأما قولهم في دعوى الروافض بتبديل، فإن الرافضة ليسوا من المسلمين، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر) الفصل الجزء ٢ صفحة ٧٨.

قال ابن تيمية (وبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء، أحق بالقتال من الخوارج، وهذا هو السبب فيما شاع العُرف العام إن أهل البدع هم الرافضة، فالعامة شاع عندهم أن ضد السني هو الرافضي، لأنهم اظهر معاندة لسنة رسول الله عليه وسلم وشرائع الإسلام من سائر أهل الأهواء) الجزء ٢٨ صفحة ٤٨٢.

وقال (وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على ان الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل؛ قُتِلَ، وان كان المال الذي يأخذه قيراط من دينار، فكيف بقتال هؤلاء الخارجين عن شرائع الإسلام، المحاربين لله ورسوله، صلى الله عليه وسلم) الجزء ٤ صفحة ٢٥١.

ومع هذا كله فليعلم أهل الإسلام إنا لسنا أول من بدأ السير في هذا المهيع، ولسنا أول من شهر السيف، فإن هؤلاء القوم ماضون في قتل دعاة الإسلام والمجاهدين عن الملة، والطعن في ظهورهم، في ظل صمت وتواطئ من العالم كله، بل حتى من الرموز المحسوبة على السنة وللأسف.

ثم أنهم من بعد شوكة في حلوق المجاهدين، وخنجر في خاصرتهم، والناس قاطبة تعلم أن أكثر المجاهدين الذين سقطوا أثناء الحرب كانوا على أيدي هؤلاء القوم، ومازالت الجروح تتسع، وهم يُعمِلُونَ فيها خناجر الحقد والكيد دائبين، لا يفترون آناء الليل وأطراف النهار.

٣. أما أهل السنة:

فأضيع من الأيتام على موائد اللئام، وقد فقدوا الرائد، وتاهوا في بيداء السذاجة والغفلة، مع الفرقة والتشرذم، وضياع الرأس الجامع الذي يلم الشتات، ويمنع البيضة أن تتشظي، وهم أيضا أصناف:

أ. العامة:

وهؤلاء [كلمات محذوفة من أصل الرسالة]، هم الكثرة الصامتة والحاضر الغائب، وهؤلاء وإن كانوا في الجملة كارهين للأمريكان، يتمنون زوالهم وانقشاع سواد غيمتهم، لكنهم مع ذلك يتطلعون إلى غد مشرق، ومستقبل زاهر، وعيش رغيد، ورفاهة ونعمة، ويستشرفون ذلك اليوم، وهم مِن بُعد؛ فريسة سهلة لإعلام ماكر وخلب سياسي علا فحيحه.

ب. المشايخ والعلماء:

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

ج. الإخوان:

وهم كما عهدتموهم، يمتهنون التجارة بدم الشهداء، ويبنون مجدهم الزائف على جماجم المخلصين، قد أذالوا الخيل ووضعوا السلاح، وقالوا لا جهاد... وكذبوا!!

كل سعيهم لبسط السيطرة السياسية، والاستحواذ على مناصب التمثيل لأهل السنة في كعكة الحكومة المزمع إنشاؤها، مع حرص في الباطن على السيطرة على المجاميع المجاهدة عبر الدعم المالي لغايتين:

الغاية الاولى: لعمل دعائي إعلامي في الخارج يستدرون به المال والعطف [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

الغاية الثانية: لضبط الوضع، وفكفكة هذه المجاميع عند انتهاء الحفل وتوزيع الهدايا والعطايا،

وهم الآن جادون في إنشاء هيئة شورى أهل السنة والجماعة، ليكونوا الناطقين باسم أهل السنة والجماعة، ودأبهم إمساك العصا من الوسط، والتقلب بتقلب الأجواء السياسية، فدينهم زئبقي، ليس لهم أصول ثابتة، ولا ينطلقون من قواعد شرعية مستقرة والله المستعان.

د. المجاهدون:

وهؤلاء هم خلاصة أهل السنة، وعصارة الخير في هذا البلد، وهم ينتسبون في الجملة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وإلى مذهب السلف، وبطبيعة الحال فقط تشظت السلفية عند منعرج اللوي، وتخلف عن الركب أهل الإرجاء.

وهؤلاء المجاهدون في الجملة يمتازون بالآتي:

الميزة الأولى: أكثرهم قليلو الخبرة والتجربة، وخاصة في العمل الجماعي المنظم، ولا شك أن ذلك بسبب نتاج نظام قمعي، عسكَرَ البلد، ونشر الرعب، وبث الخوف والوجل، ونزع الثقة بين الناس، ولذلك فأكثر المجاميع تعمل منفردة، من غير أفق سياسي أو بعد نظر وإعداد لوراثة الأرض، نعم بدأت الفكرة تنضج، وعلا الهمس الخفيف ليصبح حديثا صاخبا عن وجوب التجمع وتوحيد الراية؛ لكن الأمور مازالت في بواكيرها ونحن بحمد الله نحاول إنضاجها سريعاً.

الميزة الثانية: الجهاد هنا وللأسف فهو الغام تُزرع، وصواريخ تُطلق، وهاون يضرب من بعيد، ولا زال الأخوة العراقيون يؤثرون السلامة، وأن ينقلبوا إلى أحضان أزواجهم لا يروعهم شيئ، و ربما تباهت المجاميع فيما بينها أنه لم يقتل منها أحد أو يؤسر، ولقد قلنا لهم في مجالسنا الكثيرة معهم؛ إن السلامة والنصر لا يجتمعان، وشجرة الظفر والتمكين لا تبسق شاهقة إلا بالدماء والاستبسال، والأمة لا تحيي إلا بأريج الشهادة، وعطر الدماء الفواح المهراق في سبيل الله، ولا يفيق الناس من سكرتهم الا إذا صار حديث الشهادة والشهداء هو سميرهم وهجيراهم، ولازال الأمر يحتاج إلى مزيد صبر وإقناع، والأمل بالله كبير.

هـ. المجاهدون المهاجرون:

وهؤلاء مازالت أعدادهم نزرة؛ بالقياس إلى ضخامة المعركة المتوقعة، ونحن نعلم ان أرتال الخير كثيرة، وإن زحف الجهاد ماض، وأنه لايقعد بكثير منهم عن النفير إلا تشوش الراية وتغمغم الحقيقة.

وإنما يمنعنا من الإستنفار العام أن البلد ليس فيها جبال نأوي إليها، أو غابات نكمن في أجمها، فظهورنا مكشوفة وحركتنا مفضوحة، والعيون في كل مكان، والعدو من أمامنا، والبحر من ورائنا، ولذلك يكون الإخوة أحيانا كثيرة كلاً علينا في إيوائهم وحفظ أمنهم، وهذا يجعل تدريب الجدد الأغمار بمنزلة حمل الأغلال والآصار، وإن كنا بحمد الله ومع الجهد الدائب والبحث الحثيث ظفرنا ببعض الأماكن التي تتكاثر مع الأيام بحمد الله، لتكون نقاط ارتكاز لإخوة يسعرون الحرب ويحملوا أهل البلد إلى ميادين الجهاد، لتدور رحى حرب حقيقة باذن الله.

ثانياً. الواقع والمستقبل:

لا شك أن خسائر الأمريكان كبيرة جدا بسبب إنتشارهم في رقعة واسعة، وبين ظهراني الناس، وبسبب سهولة الحصول على السلاح، مما يجعلهم أهدافا سهلة، يسيل لها لعاب المؤمنين، لكن أمريكا ما جاءت لتخرج، وما كان لها أن تخرج مهما كثرت فيها الجراح وسال منها من دماء، وهي ترنو إلى المستقبل القريب، الذي تأمل فيه أن تتوارى في قواعدها، آمنة مطمئنة، لتسلم العِراق لأيدي حكومة لقيطة، بجيش وشرطة يعيدون للناس سيرة صدام وزبانيته.

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

ثالثاً. فأين نحن:

مع قلة الناصر، وخذلان الصديق، وضيق الحال؛ فقد أكرمنا الله تعالى بحسن النكاية في العدو، وكل العمليات الاستشهادية التي تمت، سوى عمليات الشمال، كنا بحمد الله مفتاحاً لها، رصداً وإعداداً وتخطيطاً، وقد كَمَلت بحمد الله حتى الآن خمساً وعشرين، فمنها في الرافضة ورموزهم، والأمريكان وعساكرهم، والشرط والجنود، وقوات التحالف، والقادم أكثر إن شاء الله.

وإنما كان يمنعنا من الإعلان إنا كنا نتريث حتى يكون لنا ثِقل على الساحة، ونفرغ من إعداد أجهزة متكاملة، قادرة على تحمل التبعات بعد الإعلان، حتى نظهر بقوة ثم لا ننتكس والعياذ بالله، ونحن بحمد الله قد قطعنا شوطاً جيداً ، وطوينا مراحل مهمة، ومع قرب زمان الحسم فإننا نشعر إن الجسم بدأ يمتد في الفراغ الأمني، ليحرز نقاطاً على الأرض، تكون نواة إنطلاقة

وانبعاثة جادة بإذن الله.

رابعاً. خطة العمل:

بعد البحث والفحص يمكننا حصر عدونا في أربعة طوائف:

١. **الأمريكان:** وهؤلاء كما تعلمون أجبن خلق الله، وهم صيد سهل بحمد الله، ونسأل الله أن يمكننا منهم قتلاً وأسراً، لنشردبهم من خلفهم، **ولنقايضهم بمشايخنا وإخوننا المعتقلين**.

٢. **الاكراد:** بشقيهم البرزاني و الطالباني؛ هؤلاء غصة وشوكة لم يحن أوان خضدها وهم آخر القائمة وإن كنا نجهد أن ننال بعض رموزهم إن شاء الله.

٣. **الجنود والشرط والعملاء:** وهؤلاء عين المحتل التي بها يبصر وأذنه التي بها يسمع ويده التي بها يبطش ونحن بإذن الله عازمون على إستهدافهم وبقوة في الفترة القادمة قبل أن يستمكن له الأمر ويحكموا القبض.

٤. **الرافضة:** وهؤلاء في رأينا مفتاح التغيير؛ أقصد أن استهدافهم وضربهم في العمق الديني والسياسي والعسكري سيتفزهم لِيُظهِرُوا كَلَبَهُم على أهل السنة، ويُكشِروا عن أنياب الحقد الباطني الذي يعتمل في صدورهم، وإذا نجحنا أمكن إيقاظ السنة الغافلين، حين يشعرون بالخطر الداهم والموت الماحق على أيدي هؤلاء السبئية، وأهل السنة على ضعفهم وتشرذمهم هم أحد نِصالاً، وأمضي عزائم، وأصدق عند اللقاء، مِن هؤلاء الباطنية، فإنهم أهل غدر وجبن ولا يستطيلون إلا على الضعفاء، ولا يصولون إلا على مهيضي الجناح.

وأهل السنة في معظمهم يدركون خطر هؤلاء القوم، ويحذرون جانبهم، ويتخوفون عواقب التمكين لهم، ولولا المخذلون من مشايخ التصوف والإخوان لكان للناس حديث آخر.

هذا الأمر، مع ما يُرجى له من إيقاظ الهاجع وتنبيه الراقد، فإن فيه تقليما أيضا لأظفار هؤلاء القوم، وقلعاَ لأنيابهم، قبل أن تدور المعركة المحتومة مع مايرجى له من إثارة حنق الناس على الأمريكان، الذين جلبوا الدمار وكانوا سبب هذا الوبال، حذراً من أن يمص الناس رحيق العسل ويظفروا ببعض الملاذ التي حرموا منها قديماً، فيستنيخوا إلى الدعَة، ويخلدوا إلى الأرض، ويؤثروا السلامة، ويصدوا عن صليل السيوف وحمحمة الخيول.

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

خامسا. آلية العمل:

ان واقعنا –كما أسلفت لكم– يحتم علينا ان نعالج الامر بكل شجاعة ووضوح، وان نسعي في علاجه، لانه نعتبر ذلك لن يكون هناك نتيجة يكون فيها ظهور الدين، فالحل والله تعالى اعلم الذي نراه؛ ان نقوم بكشف الرافضة، و استنهاض همم أهل السنة لِقتالهم و صدِهم، لعدة اسباب؛ وهي:

أ. انها –أي الرافضة– قد اعلنت الحرب المبطنة على أهل الاسلام، وانها العدو القريب الخطير لأهل السنة، وان كان الامريكان هم ايضا عدوا رئيسياً ولكن الرافضة خطرهم اعظم، وضررهم اشد، و أفتك على الامة من الامريكان، الذين تجد شبه اجماع على قتالهم، كونهم عدوا صائلا.

ب. انهم والوا الامريكان وناصروهم، ووقفوا في صفهم، في وجه المجاهدين، وبذلوا لهم وما زالوا يبذلون كل غال ونفيس، في سبيل القضاء على الجهاد والمجاهدين.

ج. ان قتالنا للرافضة هو السبيل لإستنفار و إستهاض هِمم الأمة للمعركة، [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

أولاً: سعيناً حثيثاً وركضناً مسابقة للزمن لتكوين سرايا مجاهدة تأوي إلى بؤر آمنة وتجوس الديار مجاهدة تصطاد العدو في الطرقات والدروب من الأمريكان والشرط والجنود، ونحن ماضون في تدريب هؤلاء وتكثيرهم، أما الروافض فستكون النكاية فيهم بإذن الله بعمليات إستشهادية وسيارات مفخخة.

ثانياً: نحن نجهد منذ فترة في رصد الساحة وغربلة العاملين بحثاً عن الصادقين ذوي المنهج السوي لنتعاون معهم على الخير، ونتسق معهم بعض الأعمال، وصولاً إلى الالتحام والتوحد، بعد التمحيص والتجربة، ونرجوأنا قد قطعنا شوطاً جيداً ولعلنا نقرر الإعلان قريبا، ولو بشكل تدريجي، لنظهر علانية، فقد طال زمن الكمون ونحن جادون في تجهيز مادة إعلامية تكشف الحقائق وتسنفر العزائم وتستنهض الهمم وتكون ساحة لجهاد يتكامل فيه السيف والقلم.

ثالثاً: يرافق هذا سعي نرجو أن يشتد في كشف الشبهات المعوقة وبيان الأحكام الشرعية، عبر الأشرطة الصوتية، والدروس العلمية، نشراً للوعي وترسيخا لعقيدة التوحيد وإعدادًا للبنية التحتية وإبراءً للذمة.

رابعاً: [كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

خامساً: الزمن المقترح للتنفيذ؛ أملنا أن تتسارع وتيرة العمل وتتشكل سرايا وكتائب بخبرة وتجربة وجلد إنتظارا لساعة الصفر التي نبدأ فيها بالظهور العلني والسيطرة على الأرض في الليل ليمتد الأمر إلى النهار بإذن الواحد القهار.

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

و يعلم الله إنا ما سعينا في يوم لنبني مجداً لأنفسنا، وكل الذي نرجوه أن نكون رأس حربة وطليعة تمكين وجسراً تعبر عليه الأمة إلى النصر الموعود، والغد المنشود.

هذه رؤيتنا قد شرحنها، وهذا سبيلنا قد جليناه، فإن وافقتمونا عليه وارتضيتموه لنا منهاجاً وطريقا، وأقتنعتم بفكرة قتال طوائف الردة فنحن لكم جند محضرون، نعمل تحت رايتكم وننزل على أمركم، بل ونبايعكم علانية على الملأ وفي وسائل الإعلام إغاظةً للكفار، وإقراراً لعيون أهل التوحيد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وإن بدا لكم غير ذلك، فنحن إخوة ولا يفسد الخلاف للود قضية، نتعاون على الخير ونتعاضد على الجهاد، وبانتظار جوابكم.

حفظكم الله مفاتيح للخير وذخراً للإسلام وأهله، آمين آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أَبُوْ مُصْعَبِ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الخامس

مِنْ أَبِي مُصْعَبِ الزَّرقَاوِيّ إِلى أُمَّتِي الغَالِيةِ؛ خَيرُ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ

١٥ صفر ١٤٢٥ هـ
٥ أبريل/نيسان ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

مِنْ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرقَاوِيّ إِلى أُمَّتي الغَالِيةِ؛ خَيرُ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ؛

السَّلامُ عليكِ وَرحمةُ اللهِ وَبركاتُه،

فإِنِّي أحمدُ اليكِ اللهَ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَى ودِينِ الحقِّ ليظهره على الدينِ كلِه.

وأُصلي وأُسلمُ على الضَّحوكِ القتَّالِ، الذِي بُعثَ بالسيفِ بينَ يدي السَّاعةِ، ليُعبدَ اللهُ وحدَه.

أمّا بعد؛

فَنزفُّ إليكِ تهنئةٌ بَل وَعشْرا، تَحمِلُ أطيبَ البُشرَى، بعظيمِ النِكايةِ وشدَةِ الإِثخانِ، من المجاهدينَ الأبطالِ، في عَدوكِ وعدوهِم.

فَنحنُ بحمدِ اللهِ نغزوهم كما يغزونَنَا، ونصولُ عليهم كمَا يَصولونَ علينَا، وَننَالُ مِنهم كمَا يَنالونَ مِنَّا، وَلسنا سواءً: فَقتلانا في الجنة وَقتلاهُم في النَّار {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُون} [النساء:١٠٤]، هذا مع قلةِ النَّاصرِ، وضَعفِ الإمكاناتِ، وَلكنَّ اللهَ مولانا ولا مولى لهم، فقد أكرمنا اللهُ فقطفنا رؤسهم، ومزَّقنا أجسادهم في مواطنَ عديدة:

- فالأمم المتحدة في بغداد،
- وقوات التحالفِ في كَربلاء،
- والطِّليان في الناصرية،
- والقواتُ الامريكيةُ على جسرِ الخالدية،
- والمخابراتُ الأمريكيةُ في فندقِ الشاهين،
- والقصرُ الجمهوريُ في بغداد،
- والسي آي إيه في فُندقِ الرشيد،
- والقوات البولنديةِ في الحلة...

وقد أُحيطت هذه العمليةُ المباركة، بتكتيمٍ إعلامي غيرِ مسبوقٍ في العراق، وأظهرَ الإعلامُ الخبيث، أنَّ المتضررَ من هذه العملية هم الابرياءُ وحدهم، ولم يذكروا أن أربعاً من الطائراتِ المروحية، هبطت الى الموقعِ لنقلِ الجُثثِ النجسة، من قواتِ التحالفِ الصليبي، وأن قتلاهم يزيد على مائتين جندي،

- وأخيرا وليس آخراً، الموساد الإسرائيلي في فندق جبل لبنان،
- وغيرُها وغيرُها في قائمةٍ طويلة، مضتْ بعضُ فصولها،والقادِمُ أدهى وأمرُّ بعونِ الله.

وَنحنُ نَتحدَّى الإعلامَ الأمريكي الكاذب، بأن يُبينَ حقيقةَ الدَّمار، وحجمَ الخسائرِ التي حلَّت بقواتِه، فَرامبُو هوليود لا مكانَ له بَينَ أُسودِ الإسلامِ وأبطاله، ولنَا معهم بإذنِ اللهِ صولاتٌ وَجَولات، وإذا كَانَ جُون أبي زيد قَد نجى هذِه المرَّةَ مِنْ سُيوفِنا، فَنَحنُ له ولبريمر وَلجنرالاتِهم وَجُنودِهم وَأعوانِهم بالمرصادِ، نتخطَّفُهم كالطيرِ، ونقطعُ عليهم كُلَّ طَريقٍ، ونُشرِّدُ بهم من خَلفَهم، ونقولُ لَهم كَما قَالَ شيخُ الإسلام ابن تيميةِ، في رسالته إلى مَلِكِ قبرص؛ أن عندَ المسلمينَ من الفِداويهِ، الذينَ يَغتَالونَ الملوكَ على فُرُشِها وأفرَاسِها، مَا قد سَمِع به الناس.

أمَّتي الحَبيبة؛ أما آن لكِ أن تُبصري السَبيلَ وتستبيني الرَّشدَ وتقرئِي الحقيقةَ الكامنةَ، وَراءَ سُدُف الظلامِ، وغبار الكذبِ ودخانِ الدَّجلِ، الذي يُطلقه أعداءُ اللهِ تخذيلاً لكِ وتخديراً، حتى لا تثِبي وثبةَ الأبطال، ولاتَنهضي نهضةَ الرِّجال، لأنهُم يُدركُونَ أنَّ المارِدَ الإسلامِي إذا استيقظَ فلنْ يقفَ دُونَ أبوابِ روما وواشنطن وباريس ولندن.

لقدْ حَاوَلوا مِنْ قبلُ أن يُغطُوا حقيقةَ المعركةِ، وأن يُشوشُوا على رايةِ الجهادِ الصَّافيةِ، فَأوهموا العالمَ أنَّ الذي يُقاومهم هم فلولُ النظامِ البائد وعناصرُ البعثِ الكافِرِ، حتى لا تتفاعلَ الأمَّةُ معَ المعركةِ، ولاتنهدَ للملحمة،وهذا كَذِبٌ وتَزوير، فَما سَمعتوه من بُطولةٍ وفداءٍ وعزيمةٍ ونكايةٍ في الأعداءِ، إنَّما هو بفضلِ اللهِ صُنعُ أبنائكُم، وفرسانُ الأمةِ، من مُهاجرينَ وأنصار، ألّف بينهمُ القرآنُ، ووحدتهُم كلمةُ التوحيدِ على اختلافِ لغاتهم وألوانهم، ونُبشرِكِ، أنَّا قد اثخنَّا فيهم قتلاً، واسلنا دمائهم، ومنعناهم لذيذ النَّومِ والرُّقاد، حتَّى بَكُوا كالنِّساءِ الأَيامى، والأَطفال اليَتامى.

أمةَ الإسلام؛ دَعينا نضعُ النِّقاطَ على الحروفِ، ونُحدثكِ عن طبيعةِ المعركةِ، وحقيقةِ المكرِ، وخفايا الصّراع.

لقد جَاءت أمريكا بأساطِيلها وَمَسَاطِيلها، فحلّتْ بالعُقرِ من الدِّيار، وَنزَلت بِقَضها وقَضِيضِهَا بَينَ ظهرانِي المسلِمين، **وهِي تَطمَعُ**:

أولاً: بثروات هذهِ الأرضِ المعطاء، وكنوزها وخيراتِها التي سالَ لها لعابُ مصاصي الدماءِ، من الرأسماليين الكبار، الذين يَدفعُهُم الشرَهُ الى الثروة، الى كُل فعلٍ مهما كان قَذِراً ودنيئا،ثم لايَتورْعُون في سبيلِ ذلكَ عن صغيرٍ ولاكبيرٍ، ولارَجلٍ ولا إمرأة، فالغايةُ تبررُ الوسيلة، وقانونُ الغابِ بايديهم، يُجرِّمونَ مَن يشاءون، ويستبيحونَ ما يُريدُون.

ثانياً: جاءت أمريكا وقد أرعبَها المدُّ الإسلاميُ المتصاعد، وأفزعَهَا نشيدُ الجهاد الذي عَلا صوتُه فهزّ العالم، وزلزلَ الدُنيا بأسرِها، فجاءت لتُغيّرّ ثوابتَ الأمةِ، وتحرّفَ الكلمَ عن مواضعه، وتُبدِّلَ المناهج، وتَقضِي عَلى ينابيعِ الخيرِ المتفجرة في ضميرِ الأُمةِ الإسلامية، وَلِتقطعَ الطريقَ على الصَحوةِ النَّاهِضة، والرَّجعةِ الصَّادِقة، ولِتنشُرَ الخَنَا والخَبَث، وتبُثَّ فِكرها الساقِط، وثقافَتها اللَّقِيطة، باسم الحرية والديموقراطية، وهي تُؤَمِّلُ أن تُعيدَ صياغةَ المنطقة، ورَسمَ خَريطَتِها السياسيةِ والدينيةِ والثقافية، وفق مصالحها الخاصّة.

ثالثاً: قَدّمْت زُحوفُ التتار المعاصرين، وهي تحملُ إرثاً من الحقدِ الدَّفين، والعداوةِ التاريخية، والتَعصّبُ الدِّيني، الذي تُغذّيه النبوءاتُ التوراتية، على المسلمين عامة، وعلى العراقِ وأهله خاصّة...

فالعراقُ في النبوءاتِ التوراتيةِ التي يؤمنُ بها الأُصوليونَ الإنجيليون، الذينَ يَحكمونَ في واشنطن ولندن هي بلدُ الشَّر، والمدينةُ الزانية، والعدوُّ الأولُ لبني إسرائيل، ولذلكَ فهي تَأمرُ بقتلِ رجالهم، وهَتكِ نسائهم، ورضخِ رؤوسِ أطفالهم، وَيصبِ حِمَمِ الموت على رؤوسهم، تماماً كما فعلوا في الواقِعِ حذوَ القذة بالقذة..

رابعاً: جاءت أمريكا لتوفّرِ الأَمنَ لربيبتها إسرائيل، وتقضيَ على كلِّ خطرٍ يمكنُ أن يتهددها، ومَن يُعايشُ الوضعَ، يُدركُ أنَّ ألاخطبوطَ الإسرائيلي، قد تغلغلَ في البلادِ سياسياً ومخابراتياً واقتصادياً، ولولا اللهُ الذي أقامَ رايةَ الجهاد، لأفاق أهلُ العراقِ ليجدوا أنفسهم عبيداً للسياسيين، ومدراءِ الشركاتِ اليهودية، وجيشِ الخُبراءِ والمستشارينَ اليهود...

فاسألوا العَميلَ الصهيو أمريكي، جلالَ الطَّالباني؛ عن فِرقةِ الاغتيالاتِ التابعةِ للموساد، التي تسكنُ في شارعِ العدنانية، في وسطِ كركوك والتي تَسعى حثيثاً، لتصفيةِ رموز وكوادر أهلِ السُنة، وهي الان متواجدةٌ بقوةٍ في بغداد، والمجاهدونَ عازمونَ بعونِ اللهِ، على أستئصالِ شافَتِهم رَغمَ التدابيرِ الأمنيةِ، التي يتَّخِذُها لهُم العُمَلاء، مِنَ المُخابرات الكرديةِ والرافضة.

خامساً: جاءتْ أمريكا وهي تُؤمّلُ أنْ تُقطِّعَ أوصالَ الدولِ العربيةِ الكبيرة، وتُفَتِّتَ كِياناتِها لتُقِيمَ دُوَيلاتِ ضعيفة، لاحَول لها ولاسلطان، تَغرسُ بينها دويلاتِ طائفية، تدين لها بالولاء، وتحملُ حقداً أسوداً على أهل الإسلام، وتظلُّ أشواكاً في طريق اجتماعِ كلمةِ المسلمين، نعم، لقدْ أدركتْ أمريكا، أن الاسلام السني هو العدو الحقيقي، وان الفرق الباطنية هي نِقاطُ الضعف، وهي الثغرةُ الحقيقيةُ التي يمكنُ أن يَنفُذَ منها الأعداء، للاستيلاءِ على أهلِ الإسلام، فقررتْ أنْ تَجعلَهم حِصانَ طرواده لاختراقِ حُصُونِ الأُمة، وعلى رأسها هؤلاءِ الرافضة.

وتأكيداً لهذا الامر انقل كلام بن غوريون عام اربعة وخمسين وتسعمائة والف حيث يقول (أننا نعيش في محيط سني ولذلك على اسرائيل أن تتعاون بل وتجند الاقليات العرقية والمذهبية في المنطقة المحيطة لخدمة المصالح الاسرائيلية).

يَنبَغي أن تعلمِي أمةَ الإسلام؛ أنَّ التَّشيُعَ دينٌ لا يلتقي معَ الإسلام، إلا كمَا يلتقي اليهودُ مع

النصارى تحتَ إسمِ أهلِ الكتاب، فَمِن تحريفِ القرآنِ، وسبِّ الصحابة، والطعنِ في أمهاتِ المؤمنين، الى تكفيرِ أهلِ الإسلام، واستباحةِ دِمَائِهم، مروراً بأنواعِ الشِّركِ الأكبر، وَصُوَر الكُفْرِ المستَبين، وضروبِ الخُرَافةِ والخُزعبلاتِ والأساطيرِ المضَلِّلة.

وبإستحضار التَّجرُبةِ التّاريخية وشهادةِ العصور الخَالية، ودلالاتِ الواقع المُعاصِر، والتَّجربةِ الحيةِ التي نَعيشُهَا، نُدركُ حَقاً مَعنى قَولِه تعالى {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [المنافقون:٤].

لقدْ كَانوا عبر التَّاريخ شجاً في حُلوقِ أهلِ الإسلام، وخِنجَراً يَطعَنُهم فِي الظَهر، وفأرةُ السدِّ التِي تَهدِمُ البُنيَان، والجِسرُ الذِي يَعبُرُ عَليهِ أعداءُ الامة.

ولقدْ صدقَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية، حينَ قَالَ يَصفُ حالهُم، بعدَ أن ذَكَرَ تكفيرَهُم لِأهلَ الإسلام، فقالَ رَحِمَه الله:

(ولهذَا السَّببِ يُعاونُونَ الكُفَّارَ على الجَمهُور منَ المسلمين، ويُعاونُونَ التتار، وهُم كَانوا من أعظمِ الأسبابِ في خروجِ جنكيز خان، مَلكِ الكفار إلى بلاد الإسلام، وفي قدومِ هولاكو إلى بلادِ العراق، وَفِي أخذِ حَلَب، ونهبِ الصَّالحية، وغير ذلكَ بخُبثِهم وَمكرِهِم.

وَلهَذا السَّببِ نَهبُوا عَسكَرَ المسلمينَ لما مرَّ عليهم وَقتَ انصرافهم إلى مصرَ في النَوّبةِ الأولى، وَبهذا السَّببِ يَقطعون الطُرُقاتِ على المسلمين، وبهذا السَّببِ ظَهَرَ فيهم مُعاونَةَ التتار والإفرنجِ على المسلمين، والكآبةُ الشديدةُ بإنتصار الإسلامِ مَا ظهر،

وكذلكَ لمّا فَتحَ المسلمونَ السَّاحِلَ عكَّه وغيرَها، ظَهَرَ فِيهم من الإنتصار للنصارى، وَتقدِيمِهِم على المُسلمين مَاقَد سَمِعَ النَّاسُ مِنهم، وكلُّ هذا الذِي وصفتُ بعض أمورهِم، وإلاَّ فَالأَمرُ أعظَمُ مِن ذَلك.

وَفِي قُلُوبهم مِن الغِلِّ والغيظِ على كِبارِ المسلمينَ وصِغارهم، وصَالحيهم وغيرِ صالحيهم، مَاليَسَ فِي قلبِ أحد، وأعظمُ عبادتهم لَعنُ المسلمينَ مِن أولياءِ الله.....وهؤلاءِ أشدُّ النَّاسِ حِرصاً عَلَى تَفريقِ جَمَاعةِ المُسلمينَ، وَمِنْ أعظَمِ أصُولِهم عِندهم، التكفيرُ واللَّعنُ والسبُّ لخيار ولاةِ الأمور، كالخُلَفاءِ الرَّاشدين، وَالعُلَماءِ المسلمين، إذْ كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤمِن بالإمامِ المَعصوم، الذِي لاَوجُودَ لَه، فَمَا آمنَ باللهِ ورسولِه عليه الصَلاةُ والسَّلام.

والرَّافضةُ تُحبُّ التتار ودَولَتَهُم، لإنه يحصلُ لهم بهَا مِن العزِّ، مَا لايَحصُل بدولةِ المسلمين، وَإذَا غلبَ المسلمونَ النَّصَارى والمشركين، كَانَ ذَلك غُصَّةً عِندَ الروافض، وإذَا غَلَبَ المشركونَ والنَّصَارى المسلمين كان ذلك عِيدا ومسرةً عندَ الرَّافِضة. إنتَهى كَلامُه رَحِمَه الله، وكأنّي به يَعيشُ بينَ ظهرانِينَا، فيصفُ عَن مُشَاهَدةٍ وَعِيان، فَيَقُولُ رَحِمَه الله:

وكذلكَ إذَا صَارَ لليَهُودِ دولةٌ في العراقِ وغَيرِها، تَكُونُ الرافِضَةُ مِن أعظمِ أعوانهم، فَهُمْ دَائِماً يُوَالُونَ الكُفَّار مِنَ المُشرِكينَ واليَهودِ والنَّصَارى، ويُعاونُونَهم عَلَى قِتَالِ المُسلِمينَ ومُعَادَاتِهم. إنتَهَى كَلامُه رَحِمَه الله.

ويقول آرييل شارون في مذكراته: (توسعنا في كلامنا عن علاقات المسيحيين بسائر الطوائف الاخرى لاسيما الشيعة والدرور، شخصياً طلبت منهم توثيق الروابط مع هاتين الاقليتين حتى إنني اقترحت إعطاء قسم من الاسلحة التي منحتها اسرائيل ولو كبادرة رمزية الى الشيعة الذين يعانون هم ايضا مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينين ومن دون الدخول في أي تفاصيل لم أرى يوما في الشيعة اعداءً لاسرائيل على المدى البعيد) انتهى كلامه.

واسمع ايها المسلم تصريح ليسلي كَلد رئيس مجلس العلاقات الخارجية الامريكي في مقال له في نيويورك تايمز يقول: (إن الاستراتيجية الوحيدة في العراق القابلة للحياة هي تصحيح الخلل التاريخي والتحرك على مراحل نحو حل الدول الثلاث: الاكراد في الشمال، والسنة في الوسط، والشيعة في الجنوب).

ويقول: (الفكرة العامة هي في تقوية الشيعة والاكراد وإضعاف السنة ومن ثم الانتظار لمعرفة ماإذا كان سيتم التوقف عند الحكم الذاتي او تشجيع تكوين دولة! يجب أن تكون الخطوة الاولى جعل الشمال والجنوب منطقتين تتمتعان بالحكم الذاتي مع حدود مرسومة بشكل يتوافق قدر المستطاع مع الحقوق العرقية، أعطوا مليارات الدولارات التي صوّت عليها الكونغرس لإعادة الإعمار كلها إلى الشيعة والاكراد) أ. هـ كلامه.

وقال: (يمكن لها أمريكا أن تساعد في تسليح وتدريب الاكراد والشيعة في حال طُلب منها ذلك) أ.هـ.

أليسَ هذَا مَا فعلهُ الرافضةُ حينما دَخلتْ قُواتُ الكافِرِ المُحتل، ولقد صَدَقَ ذَلكَ المُستشرِق،

حِينَ قال: (لَولا الدَّولةُ الصَّفويةُ لكنَّا اليوم في أوروبا نقرأ القرآن كما يَقرؤُه البربريُ الجزائري).

نعم، فَلقَد وَصَلتْ جَحَافِلُ الدولةِ العُثمَانِية، إلى أبوابَ فيينا، لكنها وقفتْ ثُمَّ انكفأتْ راجعةٌ لتذودَ عَنْ الـمُسلمينَ في بَغداد، وتَدفَعَ صولةَ دولةِ الرفضِ الصَّفَويِّة، التي سفكتِ الدِّمَاءَ وهتكتِ الـحُرُمَات، وهدَّمَتِ المساجدَ وأزهقت أرواحَ أهل السنَّة، بلا ذَنبَ إلا حبهُم لصحابةِ محمدٍ صلى الله عليهِ وسلم. وكانتْ تِلكَ آخِرَ نُقطةٍ وصلتْ إليهَا جُيُوشُ الإِسلام، ثُمَّ انحسرَ بَعدَ ذَلكَ مَدُّ الإسلام، وتقلَّصَ ظِله بسببِ ضَرَبَاتِ الحقدِ الموجعة، التي كَالتهَا دولة الرَّفضِ للدَّولةِ العُثمَانيـة.

وهؤلاءِ القومُ قَد كفَّرهُمْ أئِمةُ السلف، وَبيَّنُوا حَقِيقتُهم، فَهذا الإمامُ البُخاري رحمه اللهُ يقول:»إني لأَستجهِلُ مَن لا يُكفِرُهُم إلا أن يكونَ غَيرَ عارفٍ بمذهبهِم».

وقال: (ما باليتُ صليتُ خلفَ يَهوديٍ أو نصرانيٍ أو رافضي، لا تُؤكلُ ذبائحُهُـم، ولا تُشهدُ جَنائِزُهُـم، وَلاَ يُعـادُ مريضُهُـم).

وَهذا الإمامُ مالك، رحمهُ اللهُ يقول: «الذي يَشتُمُ أصحابَ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، ليسَ له سهمٌ أو نصيبٌ فِي الإسلام»، وقالَ مُعلّقاً على قولِه تعالى يُعجبُ الزُّرّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفَّار: «فمَنِ إغتاظَ مِنَ الصحابة فهو كافر» وتَبعه على هذا الاستدلال، الإمامُ الشَّافِعي رحمه الله.

وهذا الإمامُ أحمد رحمه اللهُ يقول، وَقَد سُئِل عمَّن يَسُبُّ الصحابةَ رضي الله عنهم (ما أراه على الإسلام).

وقالَ لِمن سَبَّ أصحابَ رسولِ اللهِ، أو أحداً مِنهُمْ، أو تَنقَّصَهُم أو طَعَنَ عليهم، أو عرَّضَ بعيبهِم أو عَابَ أحداً مِنهُم، فَهُو (مُبتَدِعٌ رافضيٌّ خَبيث، مُخالِفٌ لا يَقبَلُ اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً، بَلْ حُبُهم سُنَّة، والُّدعاءُ لهم قُربة، والإقتِدَاءُ بآثارهِم فَضِيلة).

وَلَقَد بَدَأَ فَحِيحُ هَؤلاءِ الأَفَاعِي يَعلُو مِن جَديد، وأطلُّوا برُؤوسِهِم لِيَرسُمُوا خَريطة الـمَنطِقَةِ معَ حُلفائهمُ الأمريكان، والـخَبَالةِ والـحُثالةِ مِن أهلِ السُّنة.

فَعَبرَ فَيالِقِهِمُ العسكرية، وَتنظِيمَاتِهِمُ السرِّيةِ وَالعلنيَّه، تغوَّلُوا على المراكز الحسَّاسة، وسَيطَرُوا عَلَى

جِهَازَي الشُرطَةِ وَالجَيش.

نعم، فلَقد نَزَعَ فَيلقُ الغَدر، المسمَّى بفَيلقِ بَدر، وَالذِّي دَخَلَ العِراقَ وهوَ يَحمِلُ شِعارَ الثأر الثأر من تكريت والأنبار، نَزع شِعَارَه وَلبسَ زيّ الشُّرطةِ والجَيش، لِيَفتِكَ بأهلِ السنة، بإسمِ الدَّولةِ والقانون، والحِفَاظِ على الوطَنِ والمُواطِن، وَهُم يَتهيَّئُونَ لِورَاثةِ الأرضِ والسيطرةِ على البلاد، لِيُقيمُوا دَولةَ الرَّفض، مُمتَدة مِن إيران مُروراً بالعِراق، وسوريا الباطنية، ولُبنانَ حزبِ اللات، وَمملكاتِ الخَليجِ الكَرتُونِيَّة، التِّي تمتلئُ أرضُهَا بأَلغَامِ الرفض، وَبُؤرِ التَّشيُّع.

وَمَعَ ذَلك، فَلْتعلمِ الدُّنيا أنّنا لسنا أوّلَ مَن بَدأ القِتَال، بَل هُمُ الذينَ قَتلُوا المُجاهِدين، واغتَالُوا المُهَاجِرين، وَكَانُوا عُيُوناً لِلأمريكانَ وآذاناً، فَكَم مِن مُجاهدٍ قُتِل بطلقةٍ غادرة، جاءتهُ مِن وَرَاءِ ظهره على أيدِي هؤلاء، كَمَا وغصبُوا مساجد التوحيدِ، وَحوَّلوهَا إلى مَعَاقِلَ للوثنيةِ والشِّرك، وغَصَبوا الأَعراضَ وأنتَهكُوا الحُرُمات، وَهُم مَاضُونَ بسعيٍ حثيث، فِي قَتلِ وَتَصفِيَةِ الدُّعاةِ والعُلمَاءِ وأصحابِ الخِبرة، مِن أهلِ السُّنة...

كلُّ ذلِكَ ولِلأَسفْ، وأهلُ السُّنةِ نِيامٌ بسبَبِ رادةٍ كَذَبَة، وَدُعَاة حِكمةٍ مزعُومَة، وَعُلَمَاءِ سوءٍ خدّرُوا الأُمَّةَ وَخَذلُوهَا وخذَّلُوها، وَكَانُوا جِسرا يَعبرُ عَليهِ الأعدَاءُ لِيَفتِكُوا بالأُمَّة، وَكُلَّمَا أرَادَتْ الأُمَّةُ أنْ تَستَيقِظَ، لِتثأرَ لدِينِهَا المُهَان، ولعرضِها المُغتَصَب، قَالوا لهَا نَامِي ولا تَستَيقِظِي، أَتُرِيدُونَهَا حرباً طَائفِيَّة، هذا وَحَبلُ المَكرِ مُتَّصِل، وَخِطَّةُ الحَربِ دائرة.

وهؤلاءِ المُخذِّلون، مُستَمِرُّونَ فِي حَقنِ الأُمَّةِ بأفيونِ الموت البطيء، والعَجِيبُ أنَّ هَؤلاءِ عذَابٌ عَلى المُسلمينَ، وَرَحمَةٌ لِلكَافِرين، فَهذَا قَائِلُهُم يَطعَنُ فِي الشَّيخِ المُجَاهدِ أسامةَ بنُ لادن، وَيَلمِزُه وَيتَّهِمُه أنَّهُ صَنِيعَةُ الأَمرِيكَان فِيمَا هُوَ يُثنِي عَلَى إمَامِ الكُفرِ والزَّندَقة (السيستاني) وَيُطرِيهِ وَيَصِفُهُ بأَنَّهُ عَالِمٌ مِن عُلماءِ المسلمين، فإلى الله المشتكى.

لَقدْ عَهِدنَا عُلمَاءَ الإسلامِ عَبرَ تاريخِ الأُمَّةِ يَتَقدَّمونَ الصُّفُوفَ، وَيُقودُونَ الزُّحُوف، وَيُوَاجِهُونَ الحُتُوفَ بحدِّ السّيُوف، دباً عَن المِلّةِ، وَدِفَاعاً عَنِ البَيضَة، وَحِفظاً لِلإِسلامِ وَأهلِه.

أَمَّا هَؤلاء، فَنِضالُهُم رَكضٌ محموم، وَجِهَادُهُم سعيٌ حَثِيثٌ إلى أبوَابِ الكَافِرِ المُحتَل، يَحمِلُونَ بيدٍ شَهَادَاتِ الزَّيفِ بالعِلْمِ الكَاذِب، الذّي يَزعُمُونَ الإنتِسَابُ إليه، وَيَحمِلُونَ باليدِ الأُخرَى عَبَاءَاتِ المجدِ المنتَهَب، يَتسوّلُونَ مِن عَدُوِّهِم مَنصِباً لقيطاً، واعتِرَافاً بحقِهِم فِي تَمثِيل أهلِ السُّنة، وَكَأَنَّهُم لَم يَقرءُوا القُرآن، وَلَم يُصغُوا إلى شَهَادَةِ التَّاريخ، بأَنَّ الحُقُوق لا تُوهَبُ، بَل تُؤخَذُ غِلاباً،

وأنَّ البلادَ لا تُحرَّرُ إلاَّ بالسَيف...

لايَسلَمُ الشَّرفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى * حَتَى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبه الدَّمُ**

أَنسيتُم أن قُدوَتنَا مُحمَّداً عليهِ الصَّلاة وَالسَّلام، عَرَضَ عَليهِ الكُفَّارُ أن يُمَلِّكُوهُ عَليهِم، فَلا يَقضُوا أَمرَاً دُونَه، فَأَبَى وَأختَارَ طَرِيق الجِهاد، فلمَاذَا عَدلتُم عَن هَديهِ، ونَبذتُم سِيرَتَه، وَدَخلتم تَحتَ عَباءِةِ الكَافِرِالمحتَل!

فَأَضفَيتُم عَليهِ الشَّرعية، وخَذَّلتُمُ الأُمَةَ عَن جِهَادِه، لِمَاذا تَكذِبُونَ عَلَى الأُمة، أنَّكُم يُمكن أن تُحصِّلُوا لَهَا حَقَّها، عَبرَ مُؤَامَرَاتِكُمُ السِّياسِية، وَمُبَادَرَاتِكُم السِّلمِية، وَأَنتُم تَعرِفُون، أنكُم لاَ سُلطَان لكُم على الكُرسِيِّ الذِّي تَجلِسُونَ عَليه.

تَتَوهمونَ أنكُم بقُبلاتِكُم الحَارَّة لِبرايمر، وضَحكَاتِكُمُ الصَّاخِبةِ مَعَهُ ستستمِيلُون قَلبَهُ، وَتَحوزُون ثِقَتَه، فَيُسلِمُكُم البلادَ وَالعِبَاد، حُباً لَكُم وَكَرَامَة!.

أُمَّةَ الإسلام؛ أنتِ تَعلَمِينَ أَنَّ أمريكا لاَ تُرِيدُ لَنَا الخَير، وَلَا تَبغِي لَنَا إلَّا الخَبالَ وَالوَبَال، وَضَجِيجُهُم هَذِه الأَيَّام، فِي التَّحذِيرِ مِن خِطَّةِ المجَاهدِين، لَيسَ صِيانَةً لِدِمَاءِ المسلِمينَ وَلا طمعاً فِي صَلاحِهم، وَلا حِرصَاً عَلى خَيرِهم، ولكنَّهمُ إرتَاعُوا، وأفزعَهُم أن يَمضي المجَاهِدُونَ فِي خُطتِهم، فَيُسقِطُوا أقنِعةَ الكذِبِ، وَيُميطُوا اللِّثامَ عَن حَقِيقةِ المعركة، لأنهم يَعرفونَ ويُدركُونَ أن أهلَ السُّنةِ أبطالٌ أشاوس، وَليوثٌ وَفَوارس، فإذَا استيقَضُوا مِن رَقدَتِهِم، وأفَاقُوا مِن هَجعَتِهم، وَاقتحَمُوا الميدَان، وَدَخلُوا المعرَكَةَ مَعَ الأمريكان واليهودِ وأوليائهم، مِن الرَّافِضةِ وحَثَالةِ أهلِ السُّنة، فَلن تَستطيعَ الدُّنيا كُلُّها أن توقِفَ زَحفَهُم، أو تَمنعَ تقدُّمَهُم، لِذلك فَهم يُحذِّرونَ وسَيُحذرِّون مِنَ الإنجرار إلى المعرَكَةِ الحَقِيقيَّة، بحجَّةِ الخَوفِ مِن الطَائِفِيَّة، والحِرصِ عَلى البلادِ وَكَذبُوا!

وَهَاهِي أمرِيكَا بَدَأت تَتَوارَى فِي قَواعدِهَا الخَلفيّة، وتَدفَعُ بهؤلاءِ فِي الصُّفوفِ الأمَاميّة، لِيَنُوبُوا عَنها فِي حربِ المجَاهِدِين، فَعَدُوُّنا الآن والخَطَرُ الدَّاهِمُ علَى الجِهاد، هُم هَؤلاءِ الروافِض، ومَعهمُ الحُثالةُ مِن أهلِ السُّنة، فَهم الذينَ يَتتبَعُون العَورات، وَيعرِفُونَ المدَاخِلَ والمخَارج، ويُوجهُونَ حِرابَهم إلى صُدُور المجاهدين، أفَنَترُكُهم يَئِدُونَ الجِهادَ ويجتثُّونَ جُذُورَه، حَذَراً مِن فِتنةِ طائفيةٍ مزعومة.

فَهاهُم يُحذِّرونَ مِن حربٍ طائفية، ويُظهرونَ الحِرصَ على الدَّم العِراقي والوَطَن العِراقي، فأَينَ حرصُهم على الدَّمِ العراقِي يومَ كانت فَيالِقُهُمُ العسكرية، تُقاتِلُ جنباً إلى جنب مَعَ دَولةِ الرَّفضِ المجوسية، ضِدَّ أبناءِ شعبهم كَما يَزعُمُون؟

بل إسألُوا أبنائكم أيهَا الغَافِلونَ مِن أهلِ السُّنة، الذين كَانوا جُنداً للطَّاغيةِ صدام، عِندمَا أسرهمُ الجَيشُ الرافضيُّ الايراني، مَن كَان يُعذِّبُهم؟ إسألوهم؟ أليسَ فَيلقُ الغدر، فَيلقُ بدر؟ أ لَم يَكُن يُحقِّقُ مَعهم وَيُعذِّبُهم بيده، الهَالكُ باقرُ الحكيم؟

ما أسرعَ مَا نَسيتُم يَاأهلَ السُّنة!

ومن الغريب أيضا أن تدخل امريكا محمد باقر الحكيم الذي اتخذ من ايران عدو امريكا مقرا له في معارضته للعراق وهو يحمل الفكر الايراني الشيعي نفسه وهو ايضا ربيب للنظام الايراني وجميع اسلحته منه ثم يُسمح له بالدخول باتفاق سري عُقِدَ في جنيف اشارت اليه عدة صحف منها صحيفة لوكنار الفرنسية وقالت الصحيفة: (إن سيناريو عودة الحكيم الى العراق خضع لبرنامج تم وضعته بدقة في لقاء جنيف ادارة بوش بتأمين سلامة عودة الحكيم ولقد كان مقتله صفعةً لامريكا حتى اشاد بول وولفويتز نائب وزير الدفاع الامريكي وهو احد صقور البنتاغون المتشددين بمناقبه ووصفه بالوطني الحقيقي وبمصدر إلهام لاتباع الديانات المختلفة)، ولِمَ لايألمون لمقتله وهو الذي كان يسمي الجهاد أعمال عُنف وتخريباً للبلاد وهكذا تسمى الامور بغير اسمها وتصبح الخيانة والعمالة اجتهادا سائغا وَلقد أكرَمَنا اللهُ فِيمَا مَضَى بقَتلِ الحكيم، الذي كَانَ يَقطُرُ خُبثاً وَمكراً وعداوةً لِأهلِ الإسلام.

فقد أطلقَ العَنانَ لفيلَقِه، فَيلقَ الغدر، أن يَسفِكُوا دِماءَ المسلمين، وَيَهتِكُوا أعراضَهم، ويَستَولُوا على مَساجِدِهم. فَكم مِن مَسجدٍ إغتَصبُوه، وَكم مِن عِرضٍ حُرَّةٍ مُسلِمةٍ إنتَهَكُوه، وَكم مِن دَمِ مُسلمٍ مجاهدٍ سَفَكُوه، وَكَم مِن أسيرٍ وأسيرةٍ بسببهم تَسلَّط عَليهِمُ الأمريكَان، وَحسبُنا، أنَّنا لَم نَسمَع أن رافضيّاً أو رافضيةً إستاقَهُمُ الأمريكانُ أسرى، بَينَما سُجُونُهُم مَلَيء بِالأَسرى مِن رجالِ ونِساءِ أهلِ السُّنة، وَلتَسمعِ الدُّنيا، أنَّنا مَاضُونَ بعونِ اللهِ، فِي قَتلِ أئِمَّتِهم وحَصدِ رُؤوسِهم، غَضَباً لأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي والحسن والحسين وعَائشة، وَثَأراً للدِّمَاءِ المسفُوحة، وَالأعرَاضِ المنتَهبة، وَالمساجدِ السَّليبة.

وَلَنْ نَكفَّ عَنكُم يَا أفَاعِي الشَّر، حَتَى تَرفعُوا أيدِيَكُم عَن مَساجِدِنَا، وتَقبضُوا أيدِيَكُم عَن دِماءِ أهلِ السُّنة، وَتكفُّوا السِنَتكُم عَن الطَّعن فِي عِرضِ نبينا عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وتَمتَنِعُون

عَن مُنَاصَرةِ الأَعداءِ مِن الصليبيينَ واليهود، عَلى أهلِ الإِسلام.

أمةَ الإسلام؛ ياأمتي إنَّنَا نَألـمُ هُنَا مِنَ الخِذلانِ العَجيب، والصَّمتِ الرَّهيب، الذَّي تتعامَلِينَ بهِ مَعَ المِلحمةِ الكُبرى، والوَقْعَةِ العُظمَى فِي هَذا الزَّمان، فَأَينَ زُحُوفُ الأَبطالِ، وأسودُ الشَّرى، وشَبابُ مُحمدٍ عليه الصلاةُ والسَّلام، وَأينَ عُلماءُ الإِسلام، لِماذَا تَنحَّيتُم عَنِ الطَريق، واعتَزلتُم قِيادةَ الرَّكب، واستَسلمتُم إلى المتَعِ الزَائِفة، وَأخلَدتُم إلى الأَرض، فَأينَ قَوارعُ القُرآن، وَأينَ سِيَرُ الأَفذاذِ، وَمَآثرُ العُلمَاءِ والمجاهِدِين، أليسَ فِيكُم مَن يُحيِيهَا؟

إن اعداء الله يدركون أنّ هذه الحرب نقطة تحول في أحوال العالم وأنها مفرق طريق بين سيطرة مطلقة للغرب الكافر وحضارته وانموذج حياته وبين البعث الاسلامي القادم باذن الله، ولذلك قال بوش في كلمة امام المجلس الوطني لتنمية الديمقراطية مشددا على ان اخفاق الديمقراطية في العراق سيشجع الارهاب في العالم ويشكل تهديدا للامريكان واكد رئيس وزراء بريطانيا توني بلير، فقال: ان ما يحصل اليوم في العراق سيحدد العلاقات بين العالم الاسلامي والغرب، وقال: هذه هي المعركة الاساسية في بداية القرن الحادي والعشرين، واضاف: نحن الآن في نقطة سيكون الاخفاق في العراق كارثة للغرب كله.

أُمةُ الإسلام؛ أدركي الجِهادَ فِي العراق، قَبلَ أن تتَكَالبَ الكَثرةُ الكَافِرةُ عَلى المُجاهدين، فوَالذِّي نَفسِي بيدِه، إذا خَبت جَذوةُ الجِهاد، وَضَعُفَ نَفسُه، وسُكِّرَتْ جُيوبُ الجِهادِ فِي العراق، فَلن تَقوم للأُمَّة قائمةُ إلاّ أن يَشاءُ الله، وسيُضيِّقُ الخِناق على الأُمةِ بأَسرِهَا، وَسيَضرِبُ اللهُ الذُّلَّ عَلى الأُمَّة، وتحلُّ عليها العقوبات القدرية، وسَيُصبحُ حَالُنا كما ذَكرَ ابنُ كثير، فِي البدايَةِ والنِّهاية، عندمَا تَخلَّفَ النَّاسُ عَن الجِهاد، وَلَم يَشعُرُوا الاَّ والتتارُ فِي عُقرِ دَارهم، فَتمرُّ المرأةُ مِن التتار على الرَّهطِ مِنَ الرِّجال، فتقولُ لهم مَكانَكُم لاتبرحوا، فتذهبُ فَتُحضِرُ السكين، ثُمَّ تَذبَحُهم واحداً تِلوَ الآخر، دُونَ دِفاعٍ أو حِرَاك.

فالعُقوبةُ تَتبَعُها العُقُوبة، والمعصِية تعَقَّبُهَا المعصية، ولن تُرفَعُ العُقوبَةُ إلاّ بالتوبة النَّصُوح، والتوبةُ هنا، أن تَعودوا إلى دِينِكُم، وهو الجهاد...

أما أنتُم حُكّام العرب؛ فَقد رضِيتُم لأَنفُسِكُم أن تكُونوا أحذِيةً للبَاطِل، وَقَاعدةٌ خلفية تنطلقُ مِنهَا طَائِراتُ القتلِ والتدمِير، وَمَا زِلتُم قَواعِدَ إمدادٍ بالمؤنِ والعَتاد. فَنقُولُ لكُم، لقَد ذَهَبَ صَدَّامُ غَيرَ مَأسُوفٍ عليه، فقَد كَانَ طاغيةٌ، وعدواً للهِ ولِرَسُولِه، ذَهبَ بيدِ أسيادِه الأَمريكان، أمَّا أنتُم فَستذهبُون كذلِك، ولَكن، نسأَلُ الله أن يَكونَ ذَلكَ بأَيدِينَا وسُيُوفِنَا، وقَريباً إن شاء

الله، وَمَا ذَلكَ عَلَى اللهِ بعزيز.

وأمَّا أنتم أيها المـُجاهدون الأَبطال؛ فلكم تحيةُ إكبارٍ وإعزازٍ، فلَقد أكرمَكُمُ اللهُ، فَأَذَلَّ على أيدكم أعتى قوةٍ عَلى مرِّ التَّاريخ، فَعُضُّوا عَلَى النواجِذ، واجثُوا عَلى الرُّكب، واشحذُوا سُيوفَكُم، واحرقوا الأرضَ تحتَ أقدام الغُزاة، أذيقوهُم حرَّ لَظَى، واقذفوا بهم فِي الجَحِيم، فلَقد دارت رَحَى الحربِ الزَّبُون، واشتعلَ اوارُ المِعركة، واشتَدَّ لَهيبُهَا، فَكُونُوا فُرسَانَهَا، واقتَحِمُوا أهوالها؛ عَليكم بِالأَمريكَان، عَليكُم بالرَّافِضة، عليكم بالمنافقين والعُمَلاء...

أمةَ الإسلام؛ يا أمَّتي نَحنُ أبناؤكِ وجُندُكِ الأَوفِياء، ونَعِدُكِ أن نظلَّ كذَلِكَ حتى آخرَ قطرةٍ من دمِنا، وسنَظلُّ لكِ ماءً سلسبيلاً، عذباً نميراً، ونسائمَ باردة، ونوراً يُنير دربَ السالكين.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمدُ للهِ ربِّ العَالمين.

أَبُوْ مُصْعَبِ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السادس

تفْجِيرُ مَقَرِّ المُخَابَرَاتِ؛ الرَّدُّ عَلى كَذِبِ المُخَابَرَاتِ الأُرْدُنِيَّةِ

١١ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ
٣٠ أبريل/نيسان ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

من العبد الفقير؛ أبي مصعب الزرقاوي، إلى أمة الإسلام؛

السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته،

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فقد تناهى إلى سمع العالم الصخب والضجيج الذي أثارته دوائر الأمن في الأردن، وهي تحاول أن تصور الشعب الأردني كضحية مستهدفة، تحاول أيدي الإرهاب الوصول إليها للفتك بها

والنيل منها، في مشهد درامي يستثير العواطف، ولتُظهر للناس أنها الدرع الحصين، والسيف القاطع، ضد من يتربص بأمن الشعب؛ في محاولة فاشلة لإخفاء الوجه القبيح لحقيقة دور هذه المؤسسات، التي أنشبت أظفارها وغرست أنيابها في قلوب أهل الإسلام تعذيباً وتشريداً وقتلاً وأسراً، حراسة «لجناب» دولة اليهود، وصيانة لأمنها، تماماً كما صرح أحد ضباطها لأحد ليوث الإسلام في سجونهم وهو يسخر منه ويهزأ قائلا: (إياكم أن تحلموا بتحرير القدس ما دامت المخابرات الأردنية موجودة)، كلمات حق نطق بها كاذب دعي، تصور حقيقة ماثلة للعيان لا يجهلها إلا العميان.

وهنا لا بد من وقفات؛ كذبت المخابرات الأردنية مرتين:

- مرة حين زعمت أننا كنا نعد للفتك بأهل الإسلام، وقتل الأبرياء من السكان،
- وثانيا حين زعمت أنها أفشلت المخطط حفظا للبيضة وصيانة لدماء أهل الإسلام.

فما فعلوا ذلك إلا ذباً عن أسيادهم، وحماية لأوليائهم من اليهود والنصارى، وما كان لنا نحن أهل الإسلام أن نجترئ على قطرة دم حرام نهريقها بغير حق، فنحورنا دون نحوركم، وأرواحنا فدىً لكم، ودماؤنا نهريقها دفاعا عن الإسلام وأهله، وما ذُكِرَ من أرقام خيالية، وأنها قنبلة كيماوية تقتل الآلاف من الناس فهذا كذب محض.

فعلم الله أننا لو ملكنا -ونسأل الله أن ييسر ذلك قريبا- أننا لو ملكنا هذه القنبلة لما ترددنا لحظة واحدة أن نسعى حثيثاً في ضرب مدن إسرائيل كإيلات وتل أبيب وغيرها، فالأطنان التي صنِعت هي من المواد الأولية التي تباع في الأسواق، كما ذكر الأخ عزمي الجيوسي، فك الله أسره، وأما القنبلة الكيماوية والسموم فهي تلفيق من أجهزة الشر الأردنية، ولقد ظهر ذلك جلياً... فآثار التعذيب كانت بادية على وجه الأخ ويديه، نعم؛ كانت الخطة أن يدمر مبنى جهاز المخابرات كاملاً، فالعملية كانت لمنابع الشر الأسود في ديارنا.. وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لقد استعلنت الحكومة الأردنية بالكفر، وجاهرت بالحرابة لله ورسوله، وعطلت الشريعة وبثت الخنا والفجور.. وسبقت في هذا الميدان كل أنظمة الخيانة العربية، وغدت مطية لكل عدو كافر.

ثانياً: لقد كانت الأردن ولا تزال قاعدة إمداد خلفية للمؤن والعتاد للجيش الأمريكي المحتل في العراق، حتى إنها سبقت في ذلك دولة الكويت، وتأهلت لأن تكون أحد شرايين الإمداد

الرئيسية عبر خط جوي يمتد ليتلاقى مع المطارات الكردية في الشمال، منطلقا من القواعد الأردنية كالصفاوي والمفرق وماركا والجفر والأزرق.

ثالثاً: لقد أحدّت المخابرات الأردنية البصر، وأرهقت السمع، وجدّت كل الجد في مطاردة فرسان الإسلام في كل ساحات الجهاد، حتى تحول سجنها بحق إلى غوانتانامو العرب، فمن استعصى في التحقيق على الأمريكان في باكستان وأفغانستان يُرحّل إلى الأردن، فيذوقون التعذيب ألواناً وأصنافا، فهنالك أخوة من جزيرة العرب واليمن والشيشان والعراق ومصر وغيرها منذ سنتين وأكثر في زنازن المخابرات الأردنية.. ومنهم الأخ المجاهد أبو زبيدة، فك الله أسرهم جميعاً، فأصبحت قاعدة بيانات ومرجعاً رئيسياً لكل عدو للإسلام يروم تصفية مجاهديه والنيل من فرسانه.

رابعاً: وفي المشهد العراقي أيضا، بدأت خطة المكر والإختراق للمؤسسات والمجتمع العراقي من قِبل الموساد الأردني، بغطاء دبلوماسي من السفارة الأردني هناك، عبر جوازات ووثائق ثبوتية وغيرها، بحيث صارت السفارة وكراً للموساد، الذين يحلمون بكنوز أرض الفرات، ويعلم الله أن السفارة الأردنية أثناء القصف على بغداد قبل سقوطها لم تُغلق لحظة واحدة، مع أن جميع السفارات والقنصليات الأخرى أُقفلت قبل بداية الحرب الصليبية.

خامساً: ولا ننسى هنا جيش المترجمين من العملاء الأردنيين، الذين يرقبون الغادي والرائح بحثا عن المجاهدين العرب الذين لا يهتدي الأمريكان إلى تمييزهم، بالإضافة إلى أسطول الناقلات للمؤن والزاد والبيوت الجاهزة التي تنقلها الشاحنات الأردنية للجيش الأمريكي حتى يستعينوا بها على حرب المجاهدين.

وفي الختام؛ فالحرب سجال، والأيام دول، ولنا معك حكومة الأردن وقائع تشيب لهولها الولدان، في مواقف -مضت بعض فصولها- والقادم أدهى وأمر بإذن الله.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السابع

كَلِمَةٌ قَصِيرَةٌ؛
كَلِمَةٌ فِي شَرِيطِ نَحرِ نِيكُولاسْ بِيرغْ

٢٢ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ
١١ مايو/أيار ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ وَ صُورَةِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

أمة الإسلام؛

أبشري فقد بدأت تباشير الفجر وهبت رياح النصر، فلقد أكرمنا الله في الفلوجة بنصر مؤزر في يوم من أيام الله، و كان الفضل لله وحده.

أمة الإسلام؛

هل بقي عذر للقاعد؟
وكيف ينام المسلم الحر ملأ جفنيه وهو يرى الإسلام يذبح، ويرى نزيف الكرامة وصور العار وأخبار الامتهان الشيطاني لأهل الإسلام رجالاً ونساءً في سجن أبي غريب؟

فأين الغيرة وأين الحمية؟
وأين الغضب لدين الله؟ وأين الغيرة على حرمات المسلمين؟
وأين الثأر لأعراض المسلمين والمسلمات في سجون الصليبيين؟

أما أنتم علماء الإسلام؛ فإلى الله نشكوكم، أو ما ترون أن الله قد أقام الحجة عليكم بشباب الإسلام الذين أذلُّوا أعتى قوة في التاريخ فكسروا أنفها وحطموا كبرياءها..

أوما آن لكم أن تتعلموا منهم معاني التوكل، وتستلهموا من فعالهم دروس التضحية والفداء..

إلى متى تظلون كالنساء لا تحسنون إلا لغة اللطم ولا تعرفون إلا طريق العويل والبكاء؟!

فهذا يناشد أحرار العالم! وذاك يتوسل إلى كوفي عنان! وثالث يستجدي عمرو موسى! ورابع يطالب بمظاهرات سلمية! وكأنهم لم يسمعوا إلى قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال:٦٥].

أو ما شبعتم من جهاد المؤتمرات و المعارك الخطابية!

أوما آن لكم أن تسلكوا طريق الجهاد وتحملوا السيف الذي بُعث به سيد الأنبياء!

ونرجوا منكم أن لا تتورطوا كعادتكم في إنكار ما سنفعله إرضاءً للأمريكان، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم- وهو سيد الرحماء بضرب أعناق بعض أسرى بدر وقتلهم صبراً، **ولنا فيه أسوةٌ و قدوة حسنة**..

أما أنت كلب الروم بوش؛ أبشر بما يسؤك، وانتظر بعون الله أياماً عصيبة، وستندم أنت وجنودك على اليوم الذي وطئت فيه أرض العراق، واجترأت فيه على حمى المسلمين.

ورسالة أخرى الى العميل الخائن برويز مشرف؛ فنقول له نحن في أشد الشوق انتظاراً

لإستقبال جنودك فوالله لنطلبهم قبل الأمريكان، وسنثأر لدماء أخواننا في **وانا** وغيرها.

وأما أنتن أمهات وزوجات جنود الأمريكان؛ فنقول لكنَّ أنَّ عرضنا على الإدارة الأمريكيه مفاداة هذا الأسير ببعض الأسرى في سجن أبي غريب فامتنعت، فنقول لكنَّ إن كرامة المسلمين والمسلمات في سجن أبي غريب وغيرها دونها الدماء والنفوس، ولن يصلكم منا الا النعوش إثر النعوش، والتوابيت تلوا التوابيت، ذبحاً على هذه الطريقة...

[وهنا يقوم الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله بِذبحِ نيكولاس بيرج، وبعد ذبحه علق اخوانكم المجاهدون جثة هذا العلج الكافر على احد جسور بغداد، ليكون عبرة لغيره من العلوج و شاهداً على عزة المسلمين]

{فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد} [التوبة:٥]

والله اكبر والعزة لله ولرسوله وللمجاهدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبِ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثامن

مِنْ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيّ لِكَلب الأُرْدُنِّ عَبدِ اللهِ الثَّانِي؛ أَبْشِرْ بِمَا يَسُوؤُكَ

٢٦ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ
١٥ مايو/أيار ٢٠٠٤ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

من أبي مصعب الزرقاوي الى الطاغوت ابن الطاغوت عبد الله بن الحسين.

أمَّا بعد؛

فلم أدر حين تناهى إلى سمعي خبر تشاور حكومتكم في أمر سحب الجنسية الأردنية مني أأضحك أم أبكي.

أأضحك ساخراً، ام أبكي لإن مثلكم صار يتحكم في أمر أمة محمد صلى الله عليه و سلم؛ فَيَصِل من يشاء، ويقطع من يشاء، و إلى الله المشتكى.

ودعني أهمس فى أذنك الصماء عن سماع الحق بأمور:

أولاً: أنا انتسب –شئت أم أبيت– الى عشيرة كريمة المحتد، عزيزة النسب، لا أرغب عنها، ولا يملك بشر مهما كان أن يخلعني من هذا النسب، مع أمتعاضي وشدة حزني وألمي لما آل اليه حالهم حين دخلوا تحت عباءتك المهترئة، وصاروا أجنادا لدولتك وعساكر، بعد أن كانوا للتوحيد حراسا، وللحق رجالاً، شهد لهم التاريخ ببيض الصنائع تحت راية السلطان صلاح الدين.

نسب عربي صميم أفرح به * ولكن فخري بديني وقرآني**
أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم**

أما الدولة الأردنية ، فالانتساب اليها عار وخزي؛ فدولتك –أيها الملك– لقيطة، أنشاها غلادستون وزير المستعمرات البريطانية الذي كان يفخر في مجلس العموم البريطاني بأنه اقام دولة في يوم، هذه الدولة هي دولتك ايها الملك الانكليزي.

اتدري لماذا اقيمت لكم؟

دعني اقولها صريحة واضحة؛ ’’لحماية دولة اسرائيل‘‘، انها الحقيقة التي يعرفها القاصي والداني، ويتهامس الناس بها في السر خوفا من بطش زبانيتك.

وأقول لك مهنئاً: انك ووالدك تستحقان وسام الشرف، فلقد قمتما بهذه المهمة بكفاءة واقتدار، وعلى الشيطان جزاؤكما.

ثانياً: أنا وأن كنت احن الى مهد طفولتي واشتاق الى اهلي واخواني واصدقاء الطفولة والشباب؛

لكنني عالمي ليس لي ارض اسميها بلادي...
وطني هنا او قل هنالك حيث يبعثها المنادي...

لقد هجرت ارض الذكريات، وهاجرت الى ارض الامنيات، التي نقيم فيها دين رب الارض والسماوات..

إلى بلاد الافغان في طاعة الرحمن،
وانا الان في العراق أجاهد مع اخواني؛ لنقيم للإسلام وطنا، وللقرآن دولة.

المؤمن –ايها الملك– أجْلُّ من ان يشده التراب، ويتعلق قلبه بحظائر رسم حدودها سايكس وبيكو، فذلك شأن البهائم التي تجتمع على الكلأ والمرعى والسياج والقطيع، و أما المؤمن فالنفخة الالهية الكريمة التي تسري في حناياه هي وطنه، واهله وعشيرته، فيها يواصل ويفاصل، ومن اجلها يوالي ويعادي.

هذه المعاني لا يدركها مثلك –ايها الملك–، لأنك وباختصار Made in England، وهذه المعاني انما يفهمها ابناء هذه الامة واهل هذه الملة، و ابشرك انها غراس قرآني سيستمر وسيتضوع اريجه في الامة من جديد، مهما حاولت منعها –أيها الملك–، فأنى لمثلك ان يغطي نور الشمس بغربال؟!

وأبشر بما يسوؤك...

ولا انسى قبل الوداع ان اقول لك: **إسحبها ولا تبالي فجنسيتك، تحت قدمي ونعالي..**

والى لقاء عند الملك الحق.. أيها الملك.

أَبُوْ مُصْعَبِ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب التاسع

رثَاءٌ:
الشَّيخُ أَبُو مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ
يَرثِي أَبَا البرَاءِ الكُوَيْتِيُّ فَيْصَل المطِيرِي

٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ
١٧ يونيو/حزيران ٢٠٠٤ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

وميض من وراء السديم * ابا البراء ايها الساكن قلبي**
كل يوم يمر يأخذ بعضي * يورث القلب حسرة ثم يمضي**

كثير هم الشخوص الذين يلقاهم الانسان في رحلته على ظهر هذا الكوكب، وخاصةً إذا الانسان قد امتطى صهوة جواده ضارباً في فجاج الارض، يطيف في الأصقاع، لا يكف عن التجوال والترحال، يبحث عن اخبية العز المتناثرة كواحة ظليلة في صحراء ملتهبة، تلحف بهجيرها وتحرق بشمسها وجوه الاحرار، ومع ذلك فقِلة هم الذين يوسعون في القلب محلاً ويحفرون في القلب رسماً لا تبلوه الايام ولا يمحوه كر الاعوام... ولقد كنت من هؤلاء –علم الله– ابا البراء.

لقد كان وجهك وجه شهيد، ناطقاً بالصدق لائحةً عليه سيماء الصلاح، نحسبك والله حسيبك ولا نزكي على الله احدا، إذا خالطك انسان أحبك، ولمس بيدي قلبه طيب قلبك وبياض سريرتك، إذا ذُكِرَ التواضع فأنت غرته، موطأ الاكناف؛ لا يجد رفيقك منك الا الخير والألطاف، سهلٌ سمح، لا يتكبر بالاساءة، ويغضي على الأذى فيطويه في جوانحه ويتجرعه بصمت ثم لا ينتقم الا لله.

يطيف بوهلي –ابا البراء– إنك ربما لم تخاصم انسانا، ولم تؤذ مخلوقاً في حياتك قط، لا في جاهلية ولا في اسلام، نفس رقراقة، بالحب دفاقة، مع اصالة وعراقة، لا تعرف الكلال ولا الملال، مع عزيمة لا ترضى بالهزيمة، ومضاء وثاب، يأبى الذل والخنوع، ويطوي على الجوع حتى يبلغ ينبوع العز والكرامة، ليرتشف سلسبيلا خالصاً..

تلك هي قصتك ومسار رحلتك في هذه الحياة، والتي ختمت لك بالشهد المستطاب، وتحقيق الاماني والرغاب.. انها الشهادة ابا البراء –إن شاء الله –.

لقد صبرت معي في درب الجهاد، وتجرعنا سويا الغصص في الله، وكنت تتلمظ تنتظر اليوم الموعود؛ لإصدار شريط –CD– لنقدمه للأمة، لتعرف بجلاء حقيقة الجهاد وصور التضحية والعطاء لأهل الاسلام في العراق مهاجرين وأنصار.

فانعم عيناً ابا البراء، وابشر بما يسرك، وعداً منا غير مكذوب ان شاء الله، عن قريب نقدمه لأمتنا الغالية، لينضاف أجره الى سجلك، عطاء غير مجذوذ.

وان كنت شربتُ حسرةً في أمر شهادتك فهي أني حيل بيني وبين ان اقبل جبينك الوضاء قبلة الوداع، و أن أباشر دفنك بيدي وفاءاً لعهدك، فأسأل الله ان يعوضنا رؤياك في الجنان.

فنم قرير العين ابا البراء، وسلام على روحك في الخالدين...

رفيق دربك الحزين،

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب العاشر

عِندَمَا يَبكِي الرِّجَالُ!

٢ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ
١٩ يونيو/حزيران ٢٠٠٤ م

بِقلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

لبست ثيابي وامتشقت سلاحي عازماً على الخروج لتفقد أخوة العقيدة ورفقاء الجهاد والسلاح؛ وإذا بالأخ عبد الرحمن الأنصاري يخبرني بقدوم الأسد أبي محمد اللبناني ويستأذن بالدخول علي.

وأبو محمد هذا أسد من أسود التوحيد وليث من ليوث الحمى لطالما ذاد عن الإسلام بسيفه، وخاض المعارك واقتحم الأهوال، ولم ينثن أبدا، صاحب عزيمة وقّادة وقلب كقلب الأسد، شارك في معارك القائم وراوة، مدينتان تقعان في العراق بالقرب من الحدود السورية وغيرهما، وكان معه في مقدمة الصفوف أبنه الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة، رامياً به في وسط المعمعة تلفحه، وابنه بوهج نارها، ثابت ثبات الرجال، راسخ رسوخ الجبال.. لسان حاله: (نفسي لنفس محمد الفداء وعرضي لعرض محمد الوجاء).

صدق الله فصدقه -نحسبه كذلك-، فاصطفى الله سبحانه فلذة كبده عندما سقط صريعاً يتشحط بدمه رخيصاً في سبيل الله في معارك راوة، وبكى أبو محمد ابنه بكاءً مراً، لا لفقده -والله-، ولكن لعدم مرافقته إياه إلى الجنان، ولازال محتسباً صابراً يقارع الكفار الذين جاسوا

خلال الديار، رافضاً تبعات الخزي والعار ومازال.

وليت شعري.. يقف مثل أبي محمد بالأبواب؟

فأذنت له، ودخل مبتسماً كعادته لا يرفع طرفه حياءً، وعانقته وأخذت بيده، وأجلسته إلى جانبي، وتحدثنا ساعة عن تطورات العمل ومستلزماته، وعن الإخوة واحتياجاتهم (أنصاراً ومهاجرين)، فقد كان أبو محمد المسئول العسكري للإخوة.

وكنت الحظ عليه –على غير عادته– شحوباً في وجهه، وحزناً يعلو ذلك الوجه الوضاء، فسألته: (ما بالك أبا محمد ؟ هل ثمة شيء أحزنك؟)

فنكس رأسه هنيهة مطرقاً، ثم رفعه، فإذا عيناه تذرفان!

لا إله إلا الله! ما أغلى هذه الدموع، وما أرقها حين فاضت من قلبٍ مكلوم.

إنها دموع.. ولكنها ليست كدموع سالت لفراق صديق، أو للقاء عشيق، أو لزوال نعمة، أو لحلول نعمة.

إنها دموع الوفاء..
إنها دموع الصفاء والنقاء..

ولو بُذلت للعيون لتجود بما جادت به عينا أبي محمد؛ لما استطاعت أن تسخو بمثلها، فليست النائحة الثكلى كالمستأجرة.

إن كنت تنوح يا حمام ألبان للبين * فأين شاهد الأحزان**
أجفانك للدموع أم أجفاني * لا يقبل مدع بلا بيان**

إنها لحظات صدق عالية، وشفافية عالية، فاض بها قلبه فسحّت عيناه حزناً وألماً، وحسرةً على وقوع رفيق دربه، وأنيس قلبه، وصاحب سره، الجبل الأشم ((أبو عبد الله الراوي)) في الأسر، فلطالما سارا سوياً على هذا الدرب، وكانا إخوة متحابين لا يكادان يفترقان، براءة في الأخوة وطفولة في المحبة وعذوبة في المودة.

عندما يترائيا لك أول ما يتبادر لذهنك قوله –صلى الله عليه وسلم– في السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: (رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه).

عينان لم تطعهما الكرى منذ ثلاث * ولم أتلذذ بطعام منذ ذاك**

قالها أبو محمد، فحاولت أن أخفف عنه وأسليه بما فتح الله علي، فاستأذن للخروج فقمت وعانقته مودعاً، ولكنه كان ليس كأي وداع؛ وداعٌ أخذ معه قلبي وتركني حزيناً مهموماً، حُبست الدمعة في عيني، شاطرته الشعور وعشت معه اللحظات الأليمة، **لأني طالما عشت هذه اللحظات**، وأصبحت محطات في قطار حياتي..

فمنذ ١٤ عاماً وأنا أودع الأحباب..
وكم من حبيب جائني خبر قتله في ثغر من الثغور..
وكم من شقيق وقع في أسيراً بين يدي كفور..

لا يشعر بألم فقد الأحباب إلا من لامس شغاف قلبه برد الأخوة..
ولا يعرف ذوق الأخوة إلا من عاش لهم..

أخاك أخاك إن من لا أخا لهُ ***كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاح

فما طابت الدنيا إلا بهم، وما زانت الليالي إلا بنورهم..

فكم من أخ فارقني منذ سنين مازالت حسرته في قلبي، ففجعت بموت والدتي –رحمها الله– مؤخراً وكانت من أحب الناس إلي، ولكن –علم الله– أن مصيبتي بـ (أبي عبيدة عبد الهادي دغلس) كانت أشد وقعاً على نفسي من وفاة حنونتي.

فكلما ذهب بعضهم ذهب بعضي..

كيف لا!! وهم اليد والمعصم..
كيف لا!! وهم السمع والبصر..
كيف لا!! وهم وهم..

رأى أحد إخواني في منامه (أن أحدى يدي شلّت) ولم يخبرني بذلك إلا بعد مقتل (أبي البراء فيصل المطيري رحمه الله)، فعلم أن الرؤيا قد وقعت فقصّها علي، أمسكت قلمي، وعزمت أن أخط مداده على ورقي، متجلداً صابراً، مذكراً أبا محمد وإخوانه قائلاً:

اصبر أبا محمد فوالله الذي نفسي بيده إني أرى بشائر النصر تلوح..
وإني لأرى الظفر قادم كما يعقب الليل النهار..
وما فقد الأحبة إلا دليل صدق الطريق..

فأيما فئة مؤمنة قامت تقاتل لنصرة هذا الدين فجادت بأبنائها فإنما هي تزكية لهذه الفئة، وهل يقوم الدين ويستوي عوده ويطلع فجره وتشرق شمسه إلا بدماء أبنائه..

أبا محمد..

إن الحرب بيننا وبينهم سجال،
ينالون منا وننال منهم..

فبالأمس مزقنا أجسادهم وتناثرت أشلائهم في مواطن عديدة،
وأصابهم في مقتل ومازالوا يلعقون جراحهم..

أبا محمد..

إننا نقاتل لأجل الله،
فهذه الآلام والجراحات هي أوسمة شرف نعتز بها ونفخر..

فأي شيء أعظم من أننا جنود للتوحيد وحراس للعقيدة،
فالله مولانا ولا مولى لهم..

أبا محمد..

إن أعظم ما يشد أزرك ويقوي عزمك وتنتصر على حزنك وألمك؛

أن هؤلاء الأعداء قد بارزوا الله سبحانه بالعداوة وعطّلوا شريعته..

واستباحوا الديار وهتكوا الأعراض وانتهكوا الحرمات..
مما يجعلك تتغيظ أشد الغيظ ويتمعر وجهك غضباً لله ولرسوله..

ويعبس وجهك مكفهراً لجريمتهم، وتمتشق سيفك صارخاً:

(ملة الكفر لا نجونا إن نجوتم)

فالطريق طويل، والدرب شائك، ولا بد من تكاليف..

فرضى الله عز وجل مهره الدماء والنفوس، والغالي والنفيس، وكل ما تلاقيه من مصائب وبلاءات ومحن إذا مُزجت في ذات الله استحالت إلى شهدٍ حلو..

فوالله يا أبا محمد..

لا طاب العيش إلا بمقارعة هؤلاء الطواغيت..

وإنني كلما أتذكر أنني ماضٍ إلى ربي يوما وأنا أرجو أن يدخلني جنته بمنه وكرمه، وأن ذلك اليوم سيكون آخر فصل من فصول مراغمتي لأعداء الله، وأن الحرب بيني وبينهم قد وضعت أوزارها وحطت رحالها؛ أصابني هم وحزن -عَلِمَ الله-.

فوالله إن لذة حربهم وبغضهم وعداوتهم -لأجل ربي- لا تعد لها لذة.

فاصبر أبا محمد..

فما عهدتك إلا صابراً ولا يضيرك كيدهم، وليكن لسان حالنا:

اللهم خُذ من دمائنا حتى ترضى،
اللهم خُذ من دمائنا حتى ترضى،
اللهم خُذ من دمائنا حتى ترضى،

اللهم من بطون السباع وحواصل الطير.

و اسلَم لأخيك،

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الحادي عشر

وَصَايَا هَامَّةٌ لِلمُجَاهِدِينَ، وَالرَّدُّ عَلى المُخَذِّلِينَ

١٩ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ
٦ يوليو/تموز ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

{وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران:١٣٩-١٤٠]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]

ثم أمَّا بعد؛

التاريخ يعيد نفسه، ومنطق الأحداث عبر العصور لا يتغير، تتغير الأشخاص ويتبدل اللاعبون وتتطور الآلات ولكن مسرح الأحداث ثابت، وقصة الصراع واحدة؛

حق يصارع باطلاً، وإسلام يحارب كفراً وجاهلية ونفاق يتدسس، وضعفاء خورة يُمسكون العصا من الوسط، ينتسبون إلى أمتهم، ولكنهم يؤثرون دنياهم، وينتظرون سكون العجاج وانتهاء المعركة؛ لينحازوا إلى القوي، ويركبوا سفن الغالب وبئس ما صنعوا.

وحدهم الربانيون يحملون الراية في زمن الانكسار، ويرفعون الجباه في زمن الاستخزاء، وتبحر هممهم عبر الأثير مسافرة إلى الخبير البصير، مقتدية بالبشير النذير -صلى الله عليه وسلم-، غرباء تلفح وجوههم رياح الوحشة، وتدمى أقدامهم الحافية في صحراء ملتهبة بنار العداوات، تُغلق دونهم الأبواب؛ فيستطرقون باب السماء؛ فيُفتح لهم من روح الجِنان ما يحيا به الجَنان، خالطتهم بشاشة الإيمان فلا يرتد أحد منهم سخطة لدينه ولو رمته الدنيا عن قوس واحدة.

أمتي لقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وجاوز الظالمون المدى، واستنسر بأرضنا البغاة، واجترأت علينا الذئاب.. بل الكلاب.

ويبحث الناس عن حل في سراب صحراء التيه، والحل بين أيديهم وبأيديهم..

إنه الجهاد في سبيل الله.

وهذه وصايا أئمة الجهاد الذين سبقوا في هذا الدرب المبارك جمعتها بتصرف يسير؛ تذكرة لنفسي ولإخواني المجاهدين؛ حضّاً على الثبات، ودعوة إلى المصابرة على المبادئ والثوابت.

أيها المجاهدون؛

إني لا أخاف عليكم كثرة عدوكم، ولا عظم أسلحتهم، ولا تحزب قوى الشر واجتماعها عليكم، ولا خذلان إخوانكم المسلمين في بقاع الأرض، ولكني أخاف عليكم من أنفسكم؛ أخاف أن يصيبكم الوهن والضعف والفشل وكثرة المعاصي.

ولكم فيما حصل يوم أحد موعظة وذكرى، قال تعالى: {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} [آل عمران:١٥٢]

قال ابن كثير: «كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة، وفشل بعض المقاتلة؛ تأخر الموعد الذي كان مشروطاً بالثبات والطاعة»، انتهى كلامه رحمه الله.

لقد حدث في هذه الغزوة مواقف عجيبة منها: أن العدو كان أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، فنصر الله المسلمين في أول النهار؛ فلما عصوا أدار عليهم الدائرة آخره.

قال جابر - رضي الله عنه -: (لقد تفرق الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة).

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - قال: (فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال -يعني أنس بن النضر- اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-)

وجلس أبو الدرداء يبكي بعد فتح جزيرة قبرص لما رأى بكاء أهلها وفرقهم، فقيل: ما يبيكيك يا أبا الدرداء في يوم أعزالله به الإسلام؟ فقال: (ويحكم ما أهون الخلق على الله إن هم تركوا أمره، بينما هم أمة كانت ظاهرة قاهرة، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترون).

أيها المجاهدون؛

قد يتأخرنصر الله، وقد تكون هزائم وجراحات في صفوفكم، وليس هذا بغريب، إذ تلك سنة

الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

قال هرقل لأبي سفيان: (سألتك كيف كان قتالكم إياه -يعني رسوال الله صلى الله عليه وسلم- فزعمت أن الحرب سجال ودول، فكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة).

إن أعظم ما تمتحنون به في قتالكم هو: (الصبر - واليقين).

اليقين: بأن الله منجزٌ وعده، وناصرٌ جنده وحزبه ولو بعد حين.
والصبر: عند الشدائد فان النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا.

سأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبدالله، **أيما أفضل للرجل**: **أن يُمكن أو يُبتلى؟**
فقال الشافعي: **لا يُمكن حتى يُبتلى**.

فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم وسلامه، فلما صبروا مكنهم.

فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة.

يخطئ من يظن بالله ظن السوء، فينظر إلى عدد العدو وعدتهم وينسى وعد الله:

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة:٢١]

{وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة:٥٦]

{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم:٤٧]

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور:٥٥]

فهذا الشرط مقابل المشروط: الأمان والإخلاص والعمل الصالح ثم النصر و التمكين و الإستخلاف:{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَاد} [الزمر:٢٠]

و ما أجمل ما قاله سيد – رحمه الله – تعليقا على قوله تعالى:

{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:٢٤٩]

فهذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهم ملاقو الله.

القاعدة أن تكون الفئة المؤمنة قليلة لأنها هي التي ترتقي الدرج الشَّاق حتى تنتهي إلى حزب الإصطفاء والإختيار، ولكنها تكون الغالبة لأنها تتصل بمصدر القوى، و لأنها تمثل القوة الغالبة، قوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده محطم الجبارين، و مخزي الظالمين، و قاهر المتكبرين.

أيها المجاهدون؛

إنكم والله في حال تغبطون عليها لاكما يقول المخذلون المرجفون ممن ينظرون إلى الأمر نظرة مادية بحتة و أفزعها ما تبثه الأخبار الغربية و العربية و أذنابها من انتصار الأحزاب و فرار المجاهدين، فالحرب لا تقاس بالعدد و العدة و لا بالنصر و الغلبة فإنه لا بد من هذا و هذا ثم يأتي النصر و التمكين ولو بعد حين.

قال شيخ الإسلام –و هو يصف ما حصل في زمانه من تحزب الأحزاب من التتار و المنافقين و غيرهم على المسلمين– قال رحمه الله: **فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها إلى ثلاث فرق**:

١– الطائفة المنصورة: و هم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين

٢– والطائفة المخالفة: و هم هؤلاء القوم و من تحيز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.

٣– و الطائفة المخذلة: و هم القاعدون عن جهادهم و إن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة، أم من الخاذلة، أم من المخالفة فما بقي قسم رابع

و أعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا و الآخرة، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة، قال تعالى: {قُلْ

هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} [التوبة:٥٢]، يعني إما النصر و الظفر و إما الشهادة والجنة.

فمن عاش من المجاهدين كان كريماً له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، و من مات أو قتل فإلى الجنة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يعطى الشهيد ست خصال: يغفر له بأول قطرة دم من دمه ، و يرى مقعده في الجنة، و يكسى حلة من الإيمان، و يزوج بثنتين وسبعين من الحور العين، و يوقى فتنة القبر، و يؤمن من الفزع الأكبر».

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجة و الدرجة كما بين السماء و الأرض أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله»، فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد...

إلى أن قال شيخ الإسلام: وكذلك اتفق العلماء -فيما أعلم- على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهاد فهو أفضل من الحج، و أفضل من الصوم، و أفضل من صلاة التطوع.

و المرابطة أفضل من المجاورة بمكة و المدينة وبيت المقدس.. حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: (لئن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود)، فقد اختار الرباط ليلة على العبادة في أفضل الليالي عند أفضل البقاع..

إلى أن قال: و اعلموا أصلحكم الله أن النصرة للمؤمنين، والعاقبة للمتقين، و أن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون.

و هؤلاء القوم - يعني الأعداء - مقهورون مقموعون، الله سبحانه و تعالى ناصرنا عليهم، ومنتقم لنا منهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأبشروا بنصر الله تعالى وبحسن العاقبة {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩] و هذا أمر قد تيقنَّاه و تحققناه و الحمدلله رب العالمين..

ثم قال رحمه الله: و أعلموا أصلحكم الله أن من أعظم النعم على من أراد الله به خيراً أن

أحياه إلى هذا الوقت الذي يجدد الله فيه الدين و يحي فيه شعار المسلمين و أحوال المؤمنين و المجاهدين، حتى يكون شبيها بالسابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار.

فمن قام في هذا الوقت بذلك كان من التابعين لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم و رضوا عنه و أعد لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم.

فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على المحنة.. التي في حقيقتها منحة عظيمة كريمة من الله، و هذه الفتنة التي في باطنها نعمة جسيمة، حتى -والله- لو كان السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار كأبي بكر و عمر و عثمان و علي و غيرهم حاضرين في هذا الزمان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين، و لا يُفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته و سفه نفسه و حُرم حظاً عظيما من الدنيا و الآخرة إلا أن يكون ممن عذر الله تعالى كالمريض و الفقير و الأعمى و غيرهم... انتهى كلامه رحمه الله.

و يقول رحمه الله: و سنام ذلك الجهاد في سبيل الله، فإنه أعلى ما يحبه الله و رسوله، و اللائمون عليه كثير إذ كثير من الناس الذين فيهم إيمان يكرهونه، وهم إما مخذلون مفترون للهمة و الإرادة فيه، و إما مرجفون مضعفون للقوة و القدرة عليه، و إن كان ذلكن من النفاق... انتهى كلامه.

أيها المجاهدون؛

لا أجد أفضل من أن أسوق إليكم ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على تحزب الأحزاب في غزوة الخندق قال رحمه الله:

و كان مختصر القصة - أي غزوة الخندق - أن المسلمين تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم و جاءوا بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين فاجتمعت قريش و حلفاؤها من بني أسد و أشجع و فزارة و غيرهم من قبائل نجد و اجتمعت أيضاً اليهود من قريضة و النظير، فاجتمعت هذه الأحزاب و هم بقدر المسلمين مراتٍ عديدة، فرفع النبي صلى الله عليه و سلم الذرية من النساء و الصبيان في آطام المدينة.

و في هذه الحادثة - أي المعاصرة لشيخ الإسلام - تحزب العدو من مغلٍ و غيرهم من أنواع الترك، و من فرس ومستعربة و نحوهم من أجناس المرتدة من نصارى الأرمن و غيرهم ، و

نزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين و هم بين الإقدام والإحجام، مع قلة من بإزائهم من المسلمين و مقصودهم الإستيلاء على الدار وإسطلام أهلها كما نزل أولئك بنواحي المدينة بإزاء المسلمين و كان عام الخندق برد شديد و ريح شديدة منكرة بها صرف الله الأحزاب عن المدينة كما قال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا} [الأحزاب:٩]

و هكذا هذا العام، أكثر الله فيه الثلج و المطر و البرد على خلاف أكثر العادات، حتى كره أكثر الناس ذلك، و كنا نقول لهم: لا تكرهوا ذلك فإن لله فيه حكمة و رحمة، و كان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله بها العدو.

و قال الله في شأن الأحزاب: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب:١٠-١١]

وهكذا هذا العام جاء العدو من ناحية علو الشام.. وهو شمال الفرات...

إلى أن قال: و ظن النَّاس بالله الظنونا:

- هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام حتى يصطلموا أهل الشام.

- و هذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن و ما بقيت تكون تحت مملكة الإسلام.

- وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرا و أحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر.

- و هذا يظن أنهم يأخذونها ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها فلا يقف قدامهم أحد فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن و نحوها.

- و هذا قد تعارضت عنده الأمارات و تقابلت عنده الإرادات لاسيما و هو لا يفرق من المبشرات بين الصادق و الكاذب، و لا يميز في التحديث بين المخطئ و الصائب؛ فلذلك استولت الحيرة على من كان مستهكماً بالاهتداء و تراجمت به الأراء تراجم الصبيان بالحصباء.

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب:١١] ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الذي

يكفر به خطيئاتهم و يرفع به درجاتهم، ثم قال تعالى: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} [الأحزاب:١٣]

فقالت طائفة منهم:

- لا مقام لكم هنا لكثرة العدو فارجعوا إلى المدينة.

- و قيل: لا مقام لكم على القتال فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم

.. فهكذا لما قدم العدو من التتار كان من المنافقين من قال:

- ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم فينبغي الدخول في دولة التتار.

- و قال بعض الخاصة: ما بقيت تسكن.

- و قال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء كما قد استسلم أهل العراق و الدخول تحت حكمهم...

إلى أن قال شيخ الإسلام: فإن هذه الحادثة كان فيها أمور عظيمة جازت حد القياس، وخرجت عن سنن العادة، وظهر لكل ذي عقل من تأييد الله لهذا الدين، وعنايته بهذه الأمة بعد أن كاد الإسلام أن ينثني.

وانقطعت الأسباب الظاهرة، وأهطعت الحزاب القاهرة، وتخاذلت القلوب المتناحرة، وثبتت الفئة الناصرة ففتح الله أبواب سماواته لجنوده القاهرة، وأرغم معاطف أهل الكفر والنفاق وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق... انتهى كلامه رحمه الله.

ولما وصلت الأخبار أن التتار يعدون العدة لغزو الشام فخاف الناس، وغلت المواصلات وأصبح إيجار الخيل من حماسة إلى دمشق مائتي درهم سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة.

ورأى بعض الأمراء تسليم القلعة للتار حماية للسكان، فوقف ابن تيمية أمامهم وطلب من صاحب القلعة عدم تسليمها ولو لم يبق فيها إلا حجرٌ واحد؛ فأخذ صاحب القلعة برأي ابن

تيمية، وكان فيه مصلحة للمسلمين.

ووصلت الأخبار بقدوم الجيوش المصرية إلى الشام، فخرج هولاي ومن معه من التتار إلى دمشق، وبقيت دمشق بلا جند ولا حرس، فنودي في أهلها أن يخرجوا بأسلحتهم ويبيتوا على الأسوار والأبواب يحرسون البلد فخرجوا على الأسوار.

وكان ابن تيمية يدور على الأسوار كل ليلة يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلوا عليهم آيات الجهاد والرباط.

ولما عادت الحياة إلى دمشق دار ابن تيمية وأصحابه على الحانات فكسروا آنية الخمور، ثم خرج ابن تيمية مع الأثرم – نائب دمشق – إلى بلاد جبيلة وكسروان لتأديب الرافضة والباطنية على دعمهم التتار، وإغارتهم على المسلمين، فخرج رؤسائهم إلى ابن تيمية فأظهروا الطاعة والندم، وردوا كل ما أخذوا، ثم عاد الأثرم إلى دمشق، وصدرت الأوامر أن يُعلق الناس الأسلحة بالدكاكين، وأن يتعلموا الرمي فبنيت الإماجات (وهي معسكرات التدريب في دمشق) وأمر الفقهاء أن يتعلموا الرمي استعداداً لأي ظرف طارئ.

وهكذا يجب الاستعداد من الأمة في اوقات الخاء حتى إذا نزلت الشدائد انبرى من أبنائها من يدافع عنها ويرد عنها كيد الأعداء، وفي سنة ثنتين وسبعمائة للهجرة دخل التتار بلاد الشام، فاضطرب الناس، وقنتوا في الصلاة، ثم كان أولى المواجهات، فجاءت قوة التتار قوامها سبعة آلاف مقاتل، فتصدى لها جماعة من أبطال الشام عددهم ألف وخمسمائة، فنصر الله جنوده.

ومع اقتراب جيش التتار انسحب الجيشان: الحموي والحلبي إلى حمص، ثم خافوا أن يباغتهم التتار فنزلوا إلى مرج الصُفَّر، ووصل التتار إلى حمص، ثم ساروا إلى بعلبك، فاشتد خوف الناس، وانتشرت الإشاعات والأراجيف، فكان لشيخ الإسلام ابن تيمية دور كبير في تهدئة الناس والحفاظ على الاستقرار الداخلي.

ثم بدأ بعض الناس يُشككون في: شرعية قتال التتار؛ لأنهم يظهرون الإسلام تماماً كما يفعل بعض المنهزمة الآن في قتال جند الطواغيت.

قال ابن حزم في المحلى: (إنه لا أعظم جرماً بعد الكفر ممن نهى عن الجهاد في سبيل الله وأمر أن تُسلم الحريم إلى أعداء الله) انتهى كلامه رحمه الله.

فانبرى ابن تيمية لهم وأصدر فتاويه المشهورة في وجوب قتال التتار، وفند جميع الشبه التي أثيرت حول هذه المسألة، وكان يقول للناس: (لو رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني؛ فتشجع الناس للقتال وقويت قلوبهم).

ولما اقترب التتار التفت ابن تيمية إلى أحد أمراء الشام، وقال: (يافلان، أوقفني موقف الموت) [هنا يبكي الشيخ أبو مصعب].

يقول الأمير: فنقلته إلى مقابلة العدو وهم منحدرون كالسيل، تلوح اسلحتهم تحت الغبار، ثم قلت: يا سيدي هذا موقف الموت [هنا يبكي الشيخ أبو مصعب] وهذا العدو وقد أقبل تحت الغبرة، فرفع الشيخ طرفه إلى السماء، وأشخص بصره وحرّك شفتيه [هنا يبكي الشيخ أبو مصعب] طويلاً -يدعو ربه- [هنا يبكي الشيخ أبو مصعب] ثم التحم بالتتار، واشتد القتال، واشتعل النزال، واستبسل الأبطال، ففر التتار إلى الجبال.

ثم أظلم الليل وحاصر المسلمون الجبال، وقد امتلئت قلوب التتار بالرعب.

أيها المجاهدون؛

إن الدين لايقوم إلا على أولي العزمات من الرجال، ولا يقوم أبداً على أكتاف المترخصين والمترفين، وحاشاه أن يقوم على أكتافهم.

فالدين العظيم لا يقوم إلا على أكتاف العظماء من الرجال، والمسئولية الجسيمة التي ناءت بحملها السموات والأرض، لا يمكن ان يقوم بها إلا أهلها ورجالها.

إن كنت تنوح يا حمام البان للبين * فأين شاهد الأحزان**
أجفانك للدموع أم أجفاني * لا يُقبل مُدّعٍ بلا برهان**

كيف يقوم الإسلام ويعود إلى سالف مجده وعزه دون عزمة كعزمة أبي بكر الصديق يوم الردة، إذ أقسم ذلك الشيخ الكبير، الرقيق البكّاء في عزمة من أعظم عزماته قائلاً: (**والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لومنعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم على منعه**)

كيف يقوم الإسلام دون عزمة كعزمة أنس بن النضر الذي قال: (لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع)، فشهد أحداً فقاتل حتى وجد بجسده وهو ميت بضع وثمانون طعنة وضربة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه: «اللهم إني اسالك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد».

إن الهمة العالية لتغلي في القلوب غليان الماء في القدر،وإنها لتستحث صاحبها على عظائم الأمور صباح مساء حتى يكون كما يقول الشافعي -رحمه الله-: (الراحة للرجال غفلة).

وهذا الصحابي عبدالله بن جحش ينتحي جانباً مع سعد بن أبي وقاص قبل غزوة أحد، واتفقا على أن يدعو كل واحد منهما دعاءً ويؤمن الآخر فكان دعاء عبدالله بن جحش:

(اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً باسه أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلت يا عبد الله فيم جُدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت).

ما أعظم هذا الدعاء، وما أروعه..

إنها نفوس باعت كل شيء لربها، وتحول المر عندها حلواً...إنه لا يصدر إلا من رجل استعذب الطريق وذاق حلاوته، فلا يهمه شيء سوى مرضات ربه، ولا يهمه سوى أن يلاقي الله وهو طائع له مقتول في سبيله.

من لنا بمثل هذه العزمات، من لنا بمثل أحمد بن حنبل، وابن تيمية، والعز بن عبد السلام؛ يحملون راية الجهاد في سبيل الله، والجلاد ضد اعداء الله، وقد ترك العلماء الميدان، وانسحبوا من قيادة الركب، وشق عليهم أن يبذلوا المهج من أجل الله، ولم يكفهم حتى صاحوا بالمجاهدين، ورموهم بكل نقيصة، فلا تسمع صوتهم إلا في مناوءة المجاهدين.. كل ذلك تحت ذريعة: **السياسة والكياسة**.

ولا أدري متى سيترك هؤلاء ((فقه الهزيمة، ومفاهيم الخور والجبن)).

أما سمعتم كيف استنكروا ذبح الأمريكي (بيرغ)، لقد أقدموا على الاستنكار لأنهم أحجموا من قبل عن قتال الكفار، ولأنهم لم يتنسموا رياح العز ولم يرفعوا رأساً بمعاني الإيمان التي يستعلي بها المؤمن على الجاهلية وأهلها:

{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُون} [المنافقون:٨]

فمثلهم حقيق أن يشق عليه تصور نفسه —وهو العبد الذليل— يذبح السيد الأمريكي.

نعم.. فلقد ارتضعوا لبان الهوان من ثدي أمهاتهم فسرى في أعماقهم، فأنى لهم أن يغيروا أو يبدلوا.

هذه الحقيقة المرة لا يستعلنون بها، ولكنهم يغطونها برداء الفقه، ويقدمونها موشّاة بلباس الحكمة؛ فزعموا وكذبوا أن هذا الأمر شوّه صورة الإسلام في أعين الغربيين ذوي الأحاسيس المرهفة، وأن العالم كان يتفاعل مع جريمة أبي غريب وقوانتنامو، فجاءت هذه العملية فأثرت سلباً على هذا التفاعل والتجاوب من شعوب العالم.

بل إن شعبية كلب الروم بوش كانت في أدنى مستوياتها فجاءت هذه العملية فرفعت من شعبيته، وكأن أحرار العالم المزعومين كانوا قد أحدّوا سيوفهم وعبأوا كتائبهم واشرأبت منهم الأعناق لتحرير العراق واستنقاذ الحرائر والثكالى من سجون القهر والظلم.

والمؤسف حقاً والمفزع أن الاعلام الصليبي الكافر قد استطاع وبمواطأة أبناء جلدتنا أن يؤثروا في تكوين شخصية المسلم، فمن خلال الضخ الرهيب، والقنوات العربية والعالمية نجح هؤلاء في غسل أدمغة المسلمين والتأثير على تفكيرهم، وتنكيس فطرهم، وتخنيث عزائمهم.

سبحان الله عدو صليبي حقود جاء بمخطط رهيب للسيطرة على الأمة والتمكين لليهود، فحارب الشريعة، واغتصب الحرمات، وانتهك الأعراض، وسام الناس الخسف والهوان، وأمتي ترقب من بعيد لا تحسن غير اللطم والعويل.. عاجزة عن كسر قيود الذل التي رسفت فيها زماناً طويلاً.

لقد انشئت أجيال أُشربت الذل وذللت بلبوس العار، فانقلبت موازينها وتغيرت تغيراً كبيراً

جداً، ففقدت موازين الرشد وهداية السماء، كما أخبرنا الصادق المصدوق:

(تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً عودا، فأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، وأي قلب أشربها نُكتت فيه نكتة سوداء، حتى يصير القلب على قلبين: ابيض مثل الصفاة لا يضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه).

وهذا هو أبو بكر الصديق، الرحيم الشفيق –فداه أبي وأمي– يخط لنا طريقاً لائحاً، وسنة واضحة حين كُتب إليه في أسير التمس قومه فداءه بكذا وكذا، فقال: (اقتلوه.. لقتل رجل من المشركين أحب إلي من كذا وكذا)

ولقد سعى بعض الوسطاء في استنقاذ هذا العلج وبذلوا لنا ما شئنا من الأموال –مع حاجتنا الماسة إلى المال نضخه في عجلة الجهاد– ولكننا آثرنا أن نثأر لأخواتنا وأن ننتقم لأمتنا.

ونحن قد عاهدنا الله على أن نُحيي الأمر العتيق، ونلزم سُنن الراشدين.

ألم يقل نبينا وهو الرحيم الشفوق –صلى الله عليه وسلم–: «لقد جئتكم بالذبح»، فوجلت منها قلوب العتاة القساة من ملأ قريش، فهابوه وخافوه، وأقبلوا يسترضونه ويستعطفونه، وقد كانوا قبل ذلك يسخرون منه ويهزؤن.

ونقول: لو ان الأمة شحذت سيوفها، وقامت على أمشاط أقدامها، وجيشت جيوشها، وتحركت صوب واشنطن طلباً للثأر، فجاءت حادثة الذبح فعكست الرياح وبعثرت الجيوش.. لكان لهم شأناً آخر، ولكن أين أمتي مما حلّ ويحُل بالمسلمين في العراق وفلسطين وأفغانستان وأندونيسيا والشيشان وغيرهم.. فهل تُحسن أمتي إلا البكاء والنحيب، والمظاهرات السلمية، والشجب والتنديد.

فماذا فعلت جيوش المتظاهرين لأفغانستان؟؟

بل ماذا فعلت الأمة للملا عمر الذي ضحى بدولة كاملة لأجل (مُسلمٍ واحدٍ) [يقصد الشيخ

أسامة بن لادن] وهو الآن شريد طريد في الجبال؟؟

وماذا فعلت الأمة لنساء سراييفو وأندونيسيا وكشمير وفلسطين والعراق اللائي تلطخ شرفهن على مرأى ومسمع من الأمة جمعاء؟؟

والله لو كان فينا بقية من غيرة ونحوه على أخواتنا الحرائر لما طاب لنا نوم، ولما تلذذنا بالنساء على الفرش حتى تستنقذ هؤلاء الثكالى.

ويلك أمتي.. عرضُكِ بيد عباد الصليب يعبثون به ولا مجيب..

قد استرد السبايا كل منهزم * لم يبق في أسرها إلا سبايانا**
وما رأيت سياط الذل دامية * إلا رأيت عليها لحم اسرانا**
وما نموت على حد الظُبى أنفاً * حتى لقد خجلت منا منايانا**

واستنهاضاً للعزائم، وإقراراً لعيون الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها؛ عزمنا على ألا نفادي هذا العلج ولو دفعوا لنا وزنه ذهباً..

بل إننا عاهدنا الله أن لا نفادي أسيراً بمال مع إقرارنا بجواز ذلك، ولكن حتى يعلم أعداء الله أنه ليس في قلوبنا هوادة ولا رحمة لهم..

فإما فك العاني..
وإما النحر..

وأعجب عجباً لا ينقضي من موقف بعض المنهزمين من أصحاب الخور والجبن، الذين أماتوا علينا ديننا، ورضوا بالهوان، وعلى رأسهم (حارث الضاري) الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق، الذي صرح في بعض مجالسه الخاصة بأنه ماعاد يستطيع يرفع رأسه بسبب ذبح الأمريكي، والمنصر الكوري الجنوبي، فأقول له:

لقد كنت أظن من قبل أنك ستحفر قبراً وتنام فيه حتى يأتيك الموت خجلاً من عجزك عن مناصرة أخواتك المسلمات اللواتي انتهك عرضهن في سجن أبي غريب الذي يقع على بعد مئات الأمتار من بيتك.

أو أن تقسم أنك لن تلبس عقالاً على رأسك ولن تذوق طعاماً ولن يغمض لك جفن حتى تستنقذ أخواتك أو تهلك دون ذلك.. ولكن وللأسف لم يحصل شيء من ذلك..

غاية جهادك أن تمد حبال الود مع الرافضة.

ألا تذكر مواقف الخزي والعار التي ذللتك إلى يوم القيامة حين جمعتكم لقاءات الشر مع (جواد الخالصي) فخاطبته قائلاً: «كنت أسمع عن صبرك وجلادك فآليت على نفسي إن لقيتك أن أقبل رأسك وحان وقت الوفاء»، ثم قمت مبادراً فقبلت رأساً ملئت بالحقد على الإسلام، رأس لا يفتر لسانه عن الطعن في عرض نبيك محمد صلى الله عليه وسلم.

فقلي بربك.. بأي وجه تقابل نبيك يوم الحشر.

لقد كنت ضارياً حقاً على أهل الإسلام حين اتهمت رموز الجهاد بالعمالة..

ولكنك كنت حملاً وديعاً مع الرافضة، فتبرعت لهم بمساجدنا بزعمك أنها حجارة ويمكن أن يبنى غيرها.

فإلى الله نشكوكم، وبين يديه سنوقفكم ونسئلكم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإنك لتعجب أشد العجب من الصبر والجلد من أعداء الدين في حربهم للمسلمين، وبذل نفوسهم ومهجهم وأوقاتهم في سبيل نصر باطلهم.. قال تعالى:

{وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاد} [ص:٦]

فهم يقطعون الفيافي والقفار بأساطيلهم وجيوشهم الجرارة من أجل نشر عقائدهم الباطلة وتراق دمائهم، وتزهق أنفسهم في سبيل باطلهم.

نعم.. فقد نشرت جريدة الديلي تلغراف – البريطانية – مؤخراً تقريراً يشير إلى أن العراق أصبح مرتعاً للحملات التنصيرية، وأشارت إلى أن أعضاء الجماعات التبشيرية في الولايات المتحدة بدأوا في التنصير تحت عنوان (انقاذ النفوس في العراق) حيث أكد قادة تلك الجماعات أن

احتلال أمريكا للعراق أوجد فرصة تاريخية لهداية النفوس الحائرة من الشعب العراقي سواء كانوا من مسلمين أو النصارى الشرقيين الأرثذوكس.

ويقول رئيس مجلس التنصير العالمي (جون برادي) المسئول عن التنصير في الشرق الأوسط أن أعضاء الكنيسة المعمدانية البالغ عددهم ستة عشر مليون نسمة قد طلبت منهم الكنيسة قبل الحرب أن يواصلوا الدعاء من اجل فتح العراق.

وقال جون حنا –أحد المنصرين– بعد زيارة قام بها بالعراق: المسئولية كبيرة على المبشرين الأمريكيين، فالأبواب كلها مفتوحة، وأساليب التبشير متاحة، والدعم العسكري موجود لإنقاذ العراقيين من القيم المعادية للمسيحية والمسيحيين.

أيها المجاهدون؛

سيقول لكم المنافقون وقطاع الطريق إلى الله: أتظنون أن شيئاً مما تريدون سيتحقق، وهل تظنون أن الخلافة الإسلامية أو حتى الدولة الإسلامية ستقوم، إن ذلك لا يمكن أن يحدث، وهو أمر أقرب إلى الخيال من الحقيقة.

فإذا قالوا ذلك فتذكروا قول الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:٤٩]

وقولوا لهم: إن الله سيفتح على المسلمين روما كما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، وكما فتحت القسطنطينية من قبل.

قولوا لهم إننا نأمل من نصر الله بما هو أبعد من ذلك.. إننا نرجو من الله أن يفتح البيت الأبيض والكرملين ولندن.. ومعنا وعد الله:

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم} [النور:٥٥]

أما متى يكون ذلك.. فليست مهمتنا، ولم يكلفنا الله بها، وإنما كلفنا بالعمل للدين والذود عن الشريعة واستفراغ الوسع في ذلك وبذل أقصى الجهد.. أما النتائج فهي إلى الله عز وجل.

فعليك بذر الحب لا قطف الجنى * والله للساعين خير معين**

عندما ابتلي الإمام أحمد – رحمه الله – في فتنة خلق القرآن وظهرت الفتنة بقوة السلطان، جاء رأس البدعة أحمد بن أبي دؤاد إلى الإمام أحمد متشمتاً: أ لم تر كيف ظهر الباطل على الحق يا أحمد؟

فقال الإمام أحمد – رحمه الله –: إن الباطل لم يظهر على الحق.. إن ظهور الباطل على الحق هو انتقال قلوب الناس من الحق إلى الباطل، وقلوبنا بعد لازمة للحق.

قولوا لهؤلاء كما قال يعقوب عليه السلام: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون} [يوسف:٩٤]، فرغم كل هذه الابتلاءات والشدائد فإننا نجد ريح الفرج و النصر والتمكين.. لولا أن تفندون، وكثير من الناس يقولون لكم: إنكم لفي ظلالكم القديم.

لقد قال المنافقون للصحابة بعد غزوة أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم..

وهذه الكلمات يقولها المنافقون لأهل الإيمان في كل زمان إذا أصابت المجاهدون في سبيل الله مصيبة، أو تعرضوا لقتل وجراح وسجن وتعذيب.

فإذا قالوا ذلك فقولوا لهم:

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج:٣٨]

{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُه} [الحج:٤٠]

وسيقول المنافقون لكم مثلما قالوا عن أصحاب الرجيع الذين غدر بهم المشركون:

(يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم أقاموا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم)

وهذه الكلمات ستقال لكم هذه الأيام كلما قتل بعض الإخوة.. لا هم قعدوا وسلموا، ولا

هـم استطاعوا أن يزيلوا المنكرات والموبقات.

فإذا سمعتم هذا فقولوا لهم قول الصّدّيقة خديجة: (أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً)

فنقول لكل من مجاهد في سبيل الله: كلا – والله – لا يخزيك الله أبدا، إنكمو لتصلون الأرحام، وتـذودون عـن الشريعة، وتجاهـدون في سـبيل الله ضـد مـن كفر بـالله مـن اليهـود والصليبيين والمرتديـن.

قال المؤرخ محمد البسام في كتابه –الدرر والمفاخر في أخبار العرب الأواخ– عن علماء الدعوة النجدية في قتالهم لملك مصر: (ولا والله تغلّب عليهم صاحب مصر عن ضعف منهم أو جبن؛ **بل خيانة من العربان**، أو رضى من ساكني البلدان)

أيها المجاهدون؛

لقد بعتم أنفسكم لله عز وجل وليس أمامكم إلا خيار واحد هو أن تُسلموا المبيع لمن اشتراه:

{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١].

وإذا استلم المشتري المبيع فليصنع به ماشاء، وليضعه حيث يشاء، فإن شاء وضعه في قصر، وإن شاء وضعه في سجن، وإن شاء ألبسه فاخر الثياب، وإن شاء جعله عارياً إلا مما يستر به عورته، وإن شاء جعله غنياً، وإن شاء جعله فقيراً معوزاً، وإن شاء علقه على عود مشنقة، أو سلط عليه عدوه فقتله أو مثّل به.

يقول سيّد – رحمه الله – معلقاً على حادثة أصحاب الأخدود:

(لم يكـن بـد مـن هـذا النمـوذج الـذي لا ينجـوا فيـه المؤمنـون، ولا يؤخـذ فيـه الكافـرون؛ ذلـك ليستقر في حس المؤمنين أصحاب دعوة الله أنهم قد يُدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهـم مـن الأمـر شيء، وإنما أمرهـم وأمر العقيـدة إلى الله.

إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا، وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتن وأن يصدقوا الله في العمل والنية، ثم يعمل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدعوته ودينه ما شاء، وينتهي بهم إلى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ الإيمان، أو إلى غيرها مما يعلمه الله ويراه).

وإنهم أجراء عند الله.. أفيحُسن لمن باع شاة أن يغضب على المشتري إذا ذبحها، أو يتغير قلبه لذلك!!

ألم تسمع عما حدث لأسد الله وأسد رسوله (حمزة) لقد بُقر بطنه وأخرجت كبده ومثّل به.

وما جرى لخير الخلق صلى الله عليه وسلم يوم أحد.

وتأمل الأنبياء والرسل وهم صفوة الخلق: فلقد أُلقي في النار إبراهيم عليه السلام، ونُشر بالمنشار زكريا،، وذُبح السيد الحصور يحي، ومكث أيوب في البلاء سنوات، وسُجن في بطن الحوت يونس، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين.
كل ذلك وهم راضون عن ربهم ومولاهم الحق.

وقد كان بعض السلف يقول: (لو قُرض جسمي بالمقاريض أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يكن)

فكونوا إخوتي من هؤلاء الذين لا يُزاحم تدبيرهم تدبير مولاهم ولا يناهض اختيارهم اختياره سبحانه، فهؤلاء لم يتدخلوا في تدبير الله بملكه (لو كان كذا لكن كذا - ولا بعسى — ولعل — وليت)

فاختيار الله لعبده المؤمن أعظم اختيار، وهو أفضل اختيار مهما كان ظاهره صعباً أو شاقاً، أو فيه هلكة للمال أو ضياع للمنصب والجاه، أو فقد الأهل أو المال، أو حتى ذهاب للدنيا بأسرها.

وتذكروا قصة غزوة بدر وتفكروا فيها جيداً: فلقد أحبّ بعض الصحابة —رضي الله عنهم— وقتها الظفر بالعير، ولكن الله - سبحانه — اختار لهم النفير، وفرق بين الأمرين عظيم.

فماذا في العير.. إنه طعام يؤكل ثم يُذهب به إلى الخلاء، وثوب يبلى ثم يُلقى، ودنيا زائلة.

أما النفير.. فمعه الفرقان الذي فرق الله به بين الحق والباطل، ومعه هزيمة الشرك واندحاره، وعلو التوحيد وظهوره، ومعه قتل صناديد المشركين الذين يقفون حجر عثرة أمام الإسلام، ويكفي أن الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم.

أيها المجاهدون؛

عند الابتلاء يكثر المتقهقرون فلا تحزنوا لذلك، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس –رضي الله عنه– أن قريشاً صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشترطوا: أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقال الصحابة: أنكتب هذا؟ قال: نعم.. إن من ذهب منا إليهم (فأبعده الله) ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً..

فلا تحزن على من أبعده الله.

وما أروع ما قاله ابن القيم –رحمه الله– (عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين، وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق وأحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك) انتهى كلامه –رحمه الله–

فحذار أن تُصغوا بقلوبكم إلى الشبه التي يلقيها قطاع الطريق والمنهزمة ليصدوكم عن درب الجهاد، فالأمر هو محض توفيق الله سبحانه و تعالى، فإن الله تعالى أعرض صفحاً عن هؤلاء فخذلهم رغم ما يحملون في صدورهم وعقولهم من كثرة الكتب والمتون.

فالقضية ليست كثرة العلم.. بل تقوى الله التي تورث الفرقان الإيماني:

{يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} [الأنفال:٢٩]

ورحم الله شيخ الإسلام عندما قال: (وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعاباً، فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا).

اللهم مكن للموحدين في الأرض،
اللهم مكن للمجاهدين في الأرض،
اللهم جيش جيوشهم.. وابعث سراياهم.. وخلّص نواياهم..

اللهم احفظهم بحفظك،
اللهم احفظهم بحفظك،
اللهم احفظهم بحفظك..

اللهم اكلأهم بعينك التي لا تنام، والخلق ينامون،
اللهم يسر لهم كل خير،
اللهم من أرادهم بهم خيراً فوفقه لكل خير،
ومن أراد بهم شراً فخذه أخذ عزيز مقتدر..

اللهم احفظهم واحفظ أعراضهم،
اللهم احفظهم واحفظ أعراضهم،
اللهم احفظهم واحفظ أعراضهم..

اللهم إنهم مساكين؛ فأعزهم بعزك يارب العالمين،
الهم إنهم فقراء؛ فأغنهم بفضلك يا رب العالمين..

اللهم أحيي أمة محمد،
اللهم احيي أمة محمد،
اللهم احي أمة محمد..

اللهم انصر أمة محمد،
يارب العالمين،
ياربنا.. ياربنا..

ياربنا انصرنا على القوم الظالمين،
ياربنا انصرنا على الكافرين..

اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى،
اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى،
اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى..

اللهم بطون السباع وحواصل الطير،
اللهم بطون السباع وحواصل الطير،
اللهم بطون السباع وحواصل الطير..

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثاني عشر

المَوقِفُ الشَّرعِيُّ
مِنْ حُكُومَةِ كَرزَاي العِرَاقِ

٦ جمادى الثاني ١٤٢٥ هـ
٢٣ يوليو/تموز ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

أمة الإسلام أبشري فقد طلع فجر دولة القرآن، وبدأت خيوط صبح العز تتسلل عبر ليل بهيم طال أمده، وجثم بظلامه.. وظلمه طويلاً على صدر الأمة.

لقد استطاع أبنائكم البررة -بفضل الله وتوفيقه- أن يكسروا صولة أمريكا وأن يحطموا كبريائها الكاذب، فبدت هذه القوة الغاشمة التي طالما سعت حثيثاً في حرب هذا الدين في هذه الأرض كدمية لوحش مخيف مملؤ يوشك أن تطيش بوخزة إبرة.

لقد جاءت أمريكا وهي تمني نفسها وتحلم أن تستقبل بالورود ونثر الزهور، إستقبال الفاتحين البررة، ولم تدر أن جذوة الإسلام مازلت متقدة في أعماق القلوب لا يملك طاغية عنيف ولا جبار مريب أياً كان أن يطفئها أو ينزعها من أعماق النفوس، وفوجئت بأمة حية وشباب مسلم كريم عزيز يأنف من الذل ولا يرضى بالضيم، فولولت سريعاً وانكفأت تلعق جراحها وبدا لها أن الأفق مظلم وأن هذه الأمة لا تقهر، فعدلت إلى أسلوب المكر والخداع الذي تتقنه.

وبالتواطئ مع المنافقين والعملاء من بني جلدتنا بدأ فصل جديد من الخداع؛ يروم نزع فتيل الجهاد واطفاء جذوته في القلوب المؤمنة.

(**حكومة كرزاي**) فكرة وجدت قبولاً ولاقت نجاحاً ظاهرياً في أفغانستان فلتكرر التجربة وليغرر بالأمة هنا في العراق ولتقدم لها وصفة المكر الجديد: (**حكومة عراقية ديمقراطية**) ويا لها من طرفة ذهب بريقها.

لقد قصدت أمريكا من وراء هذه اللعبة إلى أمور؛

أولاً: (**حقن الدم الأمريكي غالي الثمن عزيز القدر**)

لقد أثبت الجندي الأمريكي أنه أجبن شيء وأضعفه، وصار هدفاً سهلاً لأسياف المجاهدين يحصدون منهم الرؤوس، ولم تفلح التكنولوجيا المتطورة، ولا الأسلحة الفتاكة الذكية في الدفع والذود عن هؤلاء النوكى؛ فليكن ذلك إذاً بأيدي العبيد السمر والجنود رخاص الثمن من أبناء العالم الثالث؛ يُتخذون درعاً للأمريكان ومجناً لهم يستترون بهم من ضربات المجاهدين، وليكونوا أيضاً كاسحة ألغام وطلائع معركة مع أبناء أمتهم؛ فهم أقدر على القتال وأشد وأنكى على المجاهدين ولينعم السيد الأمريكي بقرة العين هانئاً في قواعده بعيداً عن لظى الحرب، وهاهم الأمريكان يستاقون الآلاف من هؤلاء ليدوسوا بهم أمة الإسلام مقابل لعاعة من الدنيا، وفتات من مال سرقوه أصلاً من ثروات وكنوز هذه الأرض المعطاء.

ثانياً: لقد أثبتت شهادة التاريخ والتجربة المعاصرة أن الاستعمار (غير المباشر) هو السلاح الأجدى مع هذه الأمة، فبدلاً من أن يتولى الأجنبي الكافر استلاب الأمة ونهب ثرواتها واستعبادها بنفسه؛ فليكن ذلك على أيدي المنافقين ممن ينتسب إلى هذه الأمة لوناً ولساناً.

وها هي الدول العربية من حولنا تُدار من البيت الأبيض عبر وسطاء شديدي الإخلاص لأسيادهم، أذلوا الأمة وساموها الخسف والهوان، وباعوها في سوق النخاسة بثمن بخس، وقدموا أبنائها قرابين على مذبح السيد الأمريكي؛ فلتكرر التجربة إذاً مرة أخرى في العراق.

ثالثاً: لقد صرح كولن باول قديماً أمام إحدى المنظمات اليهودية قائلاً: (إن حربنا على العراق لتحرير اسرائيل من الخطر العراقي).

وإذ قد عجزت أمريكا عن أداء هذه المهمة فلتوكل بها إلى المنافقين من بني جلدتنا، فهم أقوى وأقدر، ألم يقل الأعور موشى ديان قديماً: (إن الدول العربية بمنزلة الكلاب تحرسنا).

ألم يقم المرتدون من أبنا جلدتنا بهذه المهمة خير قيام ويحرسوا اسرائيل حراسة مشددة، وهاهو (علاوي) قد تعهد واستعد للقيام بهذه المهمة؛ فلتسند إليه إذاً.

رابعاً: مع تسارع حمى الانتخابات الأمريكية فلابد لراعي البقر من انجازات ولو كانت موهومة، وهكذا تُختزل قضايا أمتنا ومصيرها لتصبح أوراقاً انتخابية بيد رعاة البقر.

ونحن نقول هنا للإدارة الأمريكية؛ وللعالم من ورائها:

أولاً: نحن هنا لا نجاهد لأجل حفنة تراب، أو حدود موهومة رسمها سايكس وبيكو، كما وأننا لا نجاهد ليحل طاغوت عربي مكان طاغوت غربي، لكنّ جهادنا أسمى وأعلى.

إننا نجاهد لتكون كلمة الله هي العليا وليكون الدين (كله) لله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال:٣٩]

وكل من ناوء هذا الهدف أو وقف في طريق هذه الغاية فهو عدو لنا وهدف لأسيافنا مهما كان اسمه ومهما كان نسبه.

إن لنا ديناً أنزله الله ميزاناً وحكماً، قوله فصل، وحكمه ليس بالهزل، هو النسب الذي بيننا وبين الناس، فموازيننا – بحمد الله – سماوية، وأحكامنا قرآنية، وأقضيتنا نبوية، الأمريكي المسلم أخونا الحبيب، والعربي الكافر عدونا البغيض، ولو تشاركنا وإياه في رحم واحدة.

ثانياً: كل مسلم أخ لنا نذود دونه وعنه، وليعلم أهل الإسلام في كل مكان أننا لم ولن نجترئ على قتل مسلم معصوم أو سفك دم حرام حاشا وكلا.

ثالثاً: لقد ولّى الزمان الذي تقبل فيه الأمة أن ترتضع الذل والهوان وأن يُسرق فجرها الواعد على أيدي المنافقين من أبنا جلدتنا في القرن الماضي بذلت الأمة الغالي والنفيس، وصاولت وطاولت، وجاهدت الكافر المحتل، وفي غفلة من عين الرقيب وبسذاجة لا تُحسد عليها أذنت للمنافقين الوصوليين أن يستلموا دفة الحكم، وأن يتبوؤا مكان القيادة ففعلوا بأهل الإسلام ما عجز الأجنبي الكافر أن يفعل عشر معشاره.

هذه التجربة حاضرة في أذهاننا ماثلة أما أعيننا ولن نسمح بتكرارها بإذن الله.

لقد أحيا أبنائكم البررة – بحمد الله – فقه سلفنا الصالح في قتال طوائف الردة وإنفاذ حكم الله في المرتدين والممتنعين عن شرائع الله، وسيظل جهادنا موصولاً لا يفرق بين كافر غربي أو مرتد عربي حتى تعود الخلافة إلى الأرض أو نموت دون ذلك.

رابعاً: أما أنت أيها الجندي والشرطي فها أنت ذا تكرر الجريمة النكراء نفسها، لقد رضيت لنفسك من قبل أن تكون حذاء للطاغوت (صدام) يدوس بك كرامة وعرض أهل الإسلام، ويروع بك الآمنين، ويقتل بسلاحك البرئاء.

هذه القصة المتكررة نجدها أين ما توجهنا في طول العالم الإسلامي وعرضه، طغاة ظالمون يبطشون بأمة مستضعفة ويستذلونها، كل ذلك.. بك أيها الجندي.

أما نحن فلن نسمح لك أن تهدم آمالنا بهذا الجهاد المبارك، ولن نأذن لك أن تسطوا على غدنا الوضاء الذي بدأت تباشيره تلوح في الأفق.

لقد حكمنا عليك بحكم القرآن: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص:٨].

وسنُنفذ فيك القدر الإلهي: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [القصص:٤٠].

خامساً: كلما تذكرت أخواتنا الحرائر في سجون الصليبيين وكلما تراءت أمامي صورة تلك الحرة الثكلى **وهي تُكره على تجرع كأس ملئت بـ (مني عباد الصليب) تميد بي الأرض.**

وأعاهد الله على الانتقام من كل يد ساهمت في صنع فصول هذه المؤامرة.

أبكي على تلك الكواعب ويلها * سيقت إلى أحضان نذل مجرم**
بالأمس كن حرائر لا يُرتقى * أبداً لهن بعدن بعد الأنجم**
واليوم ذقن الأسر ذقن هوانه * فبكين دمعاً قانياً كالعندم**

وأعجب من بعد عجباً لا ينقضي كيف يرتضي مسلم حرٌ فيه بقية من دين وقد رأى هذا العار أن يكون جندياً عند عباد الصليب، أو شرطياً عند هؤلاء الكفار، هل فقد هؤلاء الإحساس وتجردوا من دينهم؟؟

لقد عاهدنا الله وأخذنا على أنفسنا عهوداً مغلظة أن لا نلين ولا نستكين حتى نستنقذ هؤلاء الثكالى ونثأر للعرض المستباح والكرامة المهراقة.

سادساً: أما أنت علاوي –عفواً– رئيس الوزراء المنتخب ديمقراطياً، فقد أعددنا لك سماً ناقعاً وسيفاً قاطعا، وملئنا لك كأساً مترعة بريح المنية وعبق الموت.

لقد نجوت من حيث لا تدري مراراً من فخاخ محكمة أرصدناها لك، ولكننا نعدك أننا نستكمل معك الشوط إلى نهايته، ولن نكل أو نمل حتى نسقيك من الكأس التي سقينا منها (عز الدين سليم) أو نهلك دونه؛ فأنتم رموز الشر وأئمة الكفروعنوان العمالة والخسة، أنتم أهل النفاق: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [المنافقون:٤].

سابعاً: حذار حذار.. من مكر كُبار ينسجه الأمريكان مع قرضاي العراق الجديد؛ ليسرقوا النصر الذي أحرزه أبنائكم في الفلوجة غير خافٍ عليكم أن امريكا كانت قد أعدت معسكرات اعتقال كبيرة، وكانت تنوي أن تذل رجال الفلوجة جميعاً، وأن تستبيح أعراضهم ثأراً لكرامتها المهدرة على أعتاب هذه المدينة، ولكن فوجئوا وبشهادة سادتهم وقادتهم بشجاعةٍ وبسالةٍ قل في التاريخ نظيراً لها؛ فطاشت سهامهم، وارتدت قواتهم على أعقابها خاسئة ذليلة؛ فتعاظم حقدهم وازداد حنقهم، وقرروا أن يغتالوا فرحة الظفر ولكن..

بالتواطئ مع المرتدين من بني جلدتنا وكذا وللأسف مع بعض شيوخ العشائر، فانسلخوا من دينهم.

كل ذلك بحجة وجودي في الفلوجة، وكذب زعمهم، وما درى هؤلاء الحمقى أني بحمد الله سيّاح في العراق أتنقل ضيفاً على إخواني وأهلي في طول البلاد وعرضها، لكنها ذريعة للانتقام.

وكونوا على حذر دائم عيونكم صوب العدو وأصابعكم على الزناد والله معكم ولن يتركم اعمالكم.

ثامناً: أما أنتي أمتنا الحبيبة؛ فلا أظن أن عاقلاً بقي يصدق أكذوبة (الديموقراطية الموعودة) بعد صرخات (أبي غريب) وفضائح (غوانتانمو) وإلى الله نشكوا هذا الصمت والخذلان العجيب من الأمة: علمائها ودعاتها وعوامها.

ما لَكِ أمة الإسلام أخنيت على الذل وطويت على الخنوع وهذه اللامبالاة والسلبية المطلقة إلى متى!!!

أما أنتم علماء السلاطين فهلا أفتيتم بالقنوت ضد الأمريكان كما أفتيتم بالقنوت ضد إخواننا المجاهدين في جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد ذكرتمونا بفتياكم هذه صنيع (بلعام ابن باعوراء) الذي راوده قومه ليدعوا على موسى عليه الصلاة والسلام، فمازالوا به حتى فعل فعاقبه الله —وهو العالم بآيات الله— فأدلع لسانه.

ونسأل الله تعالى أن يفعل بكم ما فعل به، فقد احتذيتم حذوه، واقتفيتم أثره.

أمة الإسلام لسنا بحاجة إلى دروس في معاني الحرية أو أساليب الحكم من رعاة البقر، لقد أغنانا الله بالقرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} [العنكبوت:٥١]

بلى والله قد كفى الله وشفى..
بلى والله قد كفى الله وشفى..

وأبشري أمة الإسلام بما يسرك -بعون الله-، فقد بدأت طلائع الفتح، وسيكون لنا مع الكفار صولات وجولات.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثالث عشر

كَلِمَةٌ قَصِيرَةٌ؛
كَلِمَةُ الشَّيخِ أَبِي مُصعَبٍ
عَبرَ شَرِيطِ (رِيَاحُ النَّصرِ)

٢٢ جمادى الثاني ١٤٢٥ هـ
٨ إغسطس/آب ٢٠٠٤ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أمَّا بعد؛

فإن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فمن رحم المأساة يولد الأمل، ومن ظلمة الديجور ينبثق النور..

بشراكي أمة الإسلام؛

وقد حشد الحق أجناده، وأسرج المجد جواده، ومضت كتائبه تجوب الخافقين تقارع الظلم، وتطاعن في نحور الكافرين.

لقد أرست الأمة زمناً طويلاً ركنت فيه إلى الدنيا واستنامت عن درب الجهاد والفداء، واستباح العدو بيضتها، وانتقص أرضها من أطرافها وجاس الكفار خلال الديار، وسنة الله أن الأيام دول والدهر إقبال وإدبار، ولقد بلغت امتنا القاع، وآذنت الآن -وبحمد الله- بالارتفاع والإقلاع من جديد، وستظل ترتقي صعدا حتى تبلغ الذروة وتستحوذ على المجد مرة أخرى؛ ليتحقق لنا بشارة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ثوبان -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها».

وكذا ما رواه أحمد عن تميم الداري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، حتى لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذل الله به الشرك وأهله».

لقد تنزل القرآن فيما مضى على عرب الصحراء الذين تاهت فطرهم في بيداء الشرك، وغرقوا في لجة الفوضى، ونهشت الفرقة جماعتهم، وصار الثأر حديثهم، والانتقام نسيج علاقاتهم، فأنشأهم الله بنور القرآن خلقاً آخر، وبنى لهم صرحاً طاول السماء؛ حتى آبت صحرائهم

القاحلة بساتين حضارة وحدائق علم وفضل، وصاروا للأمم رعاةً، وللحق دعاةً.

وها هي رياض القرآن -وبحمد الله- قد رجعت آهلة بفرسان الفجر الأغر، ورجال الغد المشرق يصنعه الله من جديد صناعة قرآنية ليتصل حبل الأرض من جديد بالسماء فتهب نسائم الإيمان لتحيا بها الأمة كرة أخرى، وتتحول من بعد إعصاراً يعصف بالبغي والظالمين.

أمة الإسلام؛

لقد أكرم الله أبنائك في جماعة التوحيد والجهاد ليكونوا طليعتك المقاتلة، وسيفك القاطع، وذراعك الباطشة، على منهج السلف نتلاقى، وتحت لواء الجهاد نمضي.

إن لكل إنسان قوتين:

١- علمية يتصور بها الحقائق ويزن بها الأفكار.
٢- وعملية يشق بها طريقه ويصنع بها الأحداث.

ولا شك أن أصفى تصور ما كان على قاعدة التوحيد، وأن أفضل سعي ما كان متعلقاً بذروة السنام : (الجهاد في سبيل الله).

ولذلك؛

فنحن جماعة التوحيد والجهاد نصاول العدو، ونطاول البغي، **سعياً إلى إعادة الخلافة إلى الأرض**، وتطبيق الشريعة وإقامة الملة العوجاء.

نجاهد هنا وعيوننا على القدس، ونقاتل هنا وأمدنا روما، حسن ظن بالله، أن يجعلنا مفاتيح البشارات النبوية، والأقدار الإلهية..

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:٥٥]

على ديننا لا نساوم، وعن درب الجهاد لا نعدل، وبأوساط الحلول لا نرضى، فليس بيننا وبين الكفار إلا سيف الإسلام نسلطه حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الكافرين.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١].

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الرابع عشر

أَينَ أَهْلُ المرُوءَاتِ؟

٢٦ رجب ١٤٢٥ هـ
١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمتي... أمة السيف والقلم؛

ما بالك انكسر سيفك وانبطح قلمك؟ وقد كنت من قبل أبية فوق النجوم، فبت اليوم مسحوقة تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين.

أمتي الغالية؛

حديثي اليوم إليك ذو شجون، أو ما تسمعين فحيح الأفاعي تخط طريقها في ظلام غفلتك لتغتال فجرك!

دعيني -أمتي الحبيبة- أبث حديثاً معدنه ترابي ولكن جرت في لفظه لغة السماء.

دعيني أحدثك بأمرنا ونحن في منعرج اللوا؛ لتستبيني الرشد وتستجمعي القوى؛ مخافة أن نندم ولات ساعة مندم.

لقد عرف القاصي والداني بحقيقة الحلف الشيطاني؛ ثلاثي الكفر والمكر في أرض الرافدين:

أولهم: الأمريكان، حاملوا لواء الصليب.

وثانيهم: الأكراد، متمثلين بقوات البشمرقة المطعمة بكوادر عسكرية يهودية، يقودها العميلان البرزاني والطالباني

وثالثهم: الرافضة، عدوة أهل السنة متمثلة بفيلق الغدر؛ فيلق بدر، وحزب الدعوة إلى الشيطان.

وأما مطيتهم اليوم؛ الخائن علاوي؛ فله نصيب الأسد من قوسنا الرامي –إن شاء الله–.

أيها الخائن؛ كُف عنا جُشائك واحفظ لأمثالك انتفاخك، وانتظر فذاك المكر الذي يسبح في بحيرة وجهك؛ قد غدا – إن شاء الله – قاب قوسين منا أو أدنى، فانتظر ملك الموت وأنت في هيلك وهيلمانك، مع الخشب المسندة إخوانك من مهازل أعضاء حكومتك، ولئن كان معك عباد الصليب، فمعنا رب مجيب قريب، ولن تُعجز الله في الأرض هربا، وإن غداً لناظره لقريب.

يا أمتي؛

هذه حقيقة هذا الرافضي ذي السيرة السوداء:

مازال يُنتج كل يوم قصة * تُروى وقولاً في الخديم ملفقا**
خوّان أمته الذي يرمي لها * حبلاً من الأوهام حتى تشنقا**

كالذئب من يرمي إليك بنظرة * مسمومة مهما بدا متأنقا**

شتان بين فتى تشرب قلبه * بيقينه ومن ادّعى وتشدقا**

وأخو الضلالة لا يزال مكابرا * يطوي على الأحقاد صدراً ضيقا**

لقد طبق رأس الكفر الصليبي المثل؛ «شمّر وائتزر و البس جلد النمر»، فاستنسر على النجف؛ ولكن هل للنجف يقصدون أم لغيرهم يتهيأون؟!

يا أمتي؛

تمهلي وتبصري، فليس النجف بغيتهم، بل مثلث السنة.. ذو العزيمة الشماء والهمة.

وأقسم بالذي رفع السبع الطباق، وقطع من الطغاة الأعناق وأذل الرقاب؛ أن رأس أمريكا قد مُرغ ها هنا في التراب، وداسه أبطالنا حتى غدت أسطورته كالسراب.

إنهم أخوة الجهاد من مهاجرين وأنصار، هم من أذاق التحالف العالمي كؤوس الذل، وصفعوه صفعات لا تنسى، ولقنوه دروساً لا يزال يكتوي من نارها، ويتلوى من ألمها حتى الآن؛ دروساً نكّست أعلامهم، وزلزلت أقدامهم، وشتتت أفكارهم حتى دبّ الرعب في أوصالهم، ونخر سوس اليأس في عظامهم، ولم لا؟! وقد أثخن أبطالنا فيهم أيما إثخان، حتى رأوا جبن الجندي الأمريكي.

نعم! هكذا يريدون أن يخوفونا بمن سحقوهم هناك في النجف، وهكذا دأب الجبان، فبدأوا بهم ليعيدوا نبض الحياة إلى موات جنودهم قبل معركتهم الحامية القادمة مع أهل السنة، وهذا ديدن الكفر: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِم} [القلم:٥١]، لينزلوا علم التوحيد الخفاق في أرض العراق تحت ظل نصرهم الزائف.

فيا فتى الإسلام في العراق... بل في كل بلاد الإسلام؛

أيها الهائم يبغي الحياة؛
أيها التائق لنصرة دين الله؛
أيها المقدّم روحه بين يدي مولاه؛

هُنا الهداية والرشاد، هُنا الحكمة والسداد، هُنا نشوة البذل ولذة الجهاد، فلتسارع إلى الكتيبة الخرساء، ولتعمل تحت راية سيد الأنبياء.

يا أمة الإسلام؛

ها قد تداعت عليك الأمم كما تداعت الأكلة إلى قصعتها، فعلام يُستنكر على ثلة من المجاهدين وفدت من كل حدب وصوب، وتركو الغالي والرخيص وباعو النفس للنفيس؛ ليكونوا خط الدفاع الأول عن حرمات الأمة، والعقبة الكأداء التي يتحطم على جنباتها كبرياء الصلف الأمريكي.

يا أمة الإسلام؛

حتى متى تخدعكم أبواق الغرب الناعقة وصداها العميل في بلادنا؟! وكيف تلقين السمع لساقطي العدالة؟! وأية عدالة بقيت عند من تضمخ برذائل الكفر وتسربل بلبوس المكر ووشّى فعاله بالغدر؟!

كيف تصدقين يا أمتي كذبهم المشين عن أبنائك الذين باعوا الآجل بالعاجل وقدموا أرواحهم دون سهام الكفر الطائشة ذباً عن أعراضك ودفاعاً عن دينك؟!

يا أمتي؛

أستغفر الله! وأمتي على فراش التخدير لم تزل...

بل يا أهل المروءات؛

متى تقومون قومة واحد، وعفاف المسلمات أمامكم ينتحر، ونطفة الإجرام على مرآكم تتهكم وتنتقل، وصعاليك الكفر لأعراضكم تنهش ثم تستتر؟!

هذا سجن أبي غريب دونكم فاستنطقوه... وا لهف نفسي، نظرات حائرة وقلوب ثائرة، وجراح رسمت في كل قلب دائرة، وليس من رأى كمن سمع.

يا أهل المروءات؛

حتى مَ تُقض المضاجع وتنهمر المدامع، وتهانون شر إهانة؛ فتحوقلون وتغمضون عيونكم وكأنها رمية من غير رامي؟!

ولكن يا حسرة على أهل المروءات...

دخلت على المروءة وهي تبكي * فقلت علام تنتحب الفتاةُ**
فقالت كيف لا أبكي وأهلي * جميعاً دون خلق الله ماتوا**

وبعد هذا العار قولي لي يا أمتي؛ متى تنفضين غبار الذل متى تكسرين قيود الخنوع.. متى تنزعين أغلال العبودية.. ثم متى تسرجين خيول العز؟!

يا أمتي عار نردد؛ أننا * أبناء من سادوا وكانوا**
والقدس غارقة يمزقها الأسى * ويعيد رجع أنينها الجولان**
حتّام ينخر في عزائمنا الهوى * وتذيبنا الآهات والأحزان؟**

وأما أنتم أيها المجاهدون الغرباء؛

فلا والله ما كانت الدعوات يوماً طريقاً مفروشة بالورود والرياحين، إن ثمن الدعوات باهض، وثمن نقل المبادئ إلى أرض الواقع كثير من الأشلاء والدماء، ولن يوقد سراج الفجر في هذه الظلماء إلا المجاهدون والشهداء.

حقاً ما أروعها من كلمة؛ «فزت ورب الكعبة».

فواهاً لريح الجنة ثم واها، ولكن أين من صدق الله فصدقه؟

وما ألطف لحن نبيكم صلى الله عليه وسلم، على وعثاء السفر ومشاق الطريق، يخاطب إصبعه الجريحة:

هل أنت إلا إصبع دميتِ * وفي سبيل الله ما لقيتِ**

نبيكم الذي جُرح وجهه، وكُسّرت رباعيته، وهُشمت على رأسه الكريمة بيضته.

إخوتي؛ يا من ترقرق ماء البشر في غرتكم، وتفتق نور الشرف من أسرّتكم؛

لله دركم... لله دركم؛ أي رباط فريد هذا الذي ربط قلوبكم.. فتألقت ابتسامتكم العذبة ترد الروح لميت القلب، وليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، فاحذروا من داء السآمة، وإياكم وإيثار السلامة، فعقبى هذه الارتكاسة الندامة –عياذاً بالله–.

صدقوني إن قلت لكم؛ إنني لا أعرف مظلوماً تواطئ الناس اليوم على هضمه وزهدوا في حقه وإنصافه كالمجاهدين وجهادهم، ولكن لا عليكم، فللباطل جولة وللحق الدولة، والأمر صبر ساعة ثم حسن العاقبة، {وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُم} [محمد:٣٥].

فأقدم ولا تقنع بعيش منغص * فما فاز باللذات من ليس يقدم**

أو تظنون قائد زمام امريكا أحسن حالاً من أبي جهل يوم سكر بعده وعتاده وأقسم أن لا يرجع حتى تدق الطبول وتشرب الخمور، وحقاً لم يرجع إلا برأس مقطوع، وهزيمة نكراء يعلوها الخنوع.

لقد حار أعدائنا كيف يفتون في عضدكم فلم يروا أخيراً إلا التخويف بأسلحتهم المتطورة الفتاكة، وفات عُبّاد المادة أن القوة التي تستمد روحها من الله ماكانت لتفتتها زوابع الزمان، ولا تكنولوجيا الأمريكان.

قولوا لي يا أهل أذكار الصباح والمساء؛ ماذا تساوي قنابلهم النووية، وأسلحتهم الكيماوية وغازاتهم السامة أمام كلمة واحدة من أعجب الكلمات، كلمة –والله– يذوب أمامها عنفوان كل سلاح، ويضمحل من بهائها دهاء كل تربص وتدبير، وتتكسر على صدورها سهام تلويحات الكافرين، خفيفة على اللسان، نافعة للإنسان: (بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)، ولا يعرف شأنها إلا من واظب عليها في الصباح والمساء، وهذه كلمة واحدة من مشكاة النبوة تحصنك أمام فاتك القنابل فكيف بمن لا يفتر عن أذكار الصباح والمساء.

فهؤلاء يظنوننا أننا إن أُصبنا سنقول: «لو أنا فعلنا كذا لكان كذا».

فهيّا يا شباب محمد بن عبد الله، أروهم تطبيقاً عملياً لا كلاماً، معنى قوله تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران:١٥٤]، واشرحوا لهم بلسان الحال وبينوا لهم بروائع الإقدام معنى حديث نبيكم: (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك و ما أخطأك لم يكن ليصيبك)، ثم قولوا لهم: **موتوا بغيظكم، فلن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا، وإن الرصاصة التي كتب عليها اسمك لن تخطئك.**

ثم تفكروا في أية غزوة كان عتاد المسلمين أعلى من المشركين، ثم تأملوا كيف كانت النتيجة في حُنين.

إني لأعجب من هؤلاء السطحيين ممن يقيس جهادنا بمقاييس الدنيا بالفلس والقرش، والعدد والعتاد، ثم يأتي ليبث أراجيفه فينمق أباطيله بلسان نصوح، عساها تلقى أُذناً مريضة أو قلماً مأجوراً، وما درى الجُهّال أن عقيدتنا منصورة من رب السماء.

فإن خوفوك بحثالاتهم فردد: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ} [الزمر:٣٦].

وإن انتفشوا أمامك فتذكر: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء} [الرعد:١٧].

وإن هالتك طاقاتهم التي بثتها صحفهم، من عدد وعتاد وإعلام وأقلام، فاسترخي أمام قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون} [الأنفال:٣٦].

وإن حلقت طائراتهم، تتبختر في طول السماء وعرضها، فخاطبها ومن فيها ومن صنعها ومن أرسلها، خاطبهم جميعاً: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن:٣٣]، فالله أعلى من طائراتكم وأشد بطشا.

وإن نازلتموهم وجهاً لوجه فكَبُر عليكم عددهم فكبّروا عليهم قائلين: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ} [البقرة:٢٤٩].

وأخيراً؛ إن لاحت حبائل الشيطان بالتشكيك بيقين نصر الله، فقطّعها بقوله تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة:٢١].

فهؤلاء ما عرفوا إسلامنا، فأروهم أيها الغرباء إسلامنا، ولا تخدعنكم العبارات المعسولة واللافتات الزائفة، أروهم أحفاد خالدٍ والمثنى وعَمْرٍ وموسى.

هذا يوم القادسية حين حمى الوطيس واستكلب الموت على الأبطال هتفت سلمى زوج سعد -وكان سعد قد تزوجها بعد موت زوجها المثنى- هتفت حين لم تجد المثنى يسوق الأجناد والفرسان للجلاد، هتفت قائلة: (وا مثناه... ولا مثنى اليوم للخيل... وا مثناه... ولا مثنى للمسلمين اليوم... القوم أقران ولا مثنى لهم).

ما زال يروي لنا التاريخ قصتهُ * فكم حيث على شوق رويناهُ**
وكم حديث على الحباب أطربنا * وزادنا طرباً لما أعدناهُ**
وقع الحوافر يا بغداد أغنية * ثراك ينشدها والرمل أفواهُ**

وحمحمات خيول الله تطربني * الحرب دائرة والناصر اللهُ**
صهيلها في دروب الحق يملكني * فكم أذوب بها وجداً وأهواهُ**
هذا المثنى يُروي الأرض من دمه * والعين في رؤية الأحداث عيناهُ**

لم يستعر مقلة أخرى ولا شفة * أخرى ولم تصغ للتضليل أذناهُ**
كيانك الضخم يا بغداد حصّنهُ * سيف المثنى ونور الحق جلاهُ**
النور فوق ذراع الشمس صبّحه * والنور فوق ذراع البدر مساهُ**

ورحم الله موسى بن نصير فاتح المغرب ومتمم فتح الأندلس، كيف كان ينتصر؟

حين سأله الخليفة: (ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حربك من أمور عدوك؟)، قال موسى: (التوكل والدعاء إلى الله، كنت أنزل السهل وأستشعر الخوف والصبر، وأتحصن بالسيف والمغفر وأستعين بالله وأرغب إليه في النصر)، قال له الخليفة: (فأخبرني عن الروم؟)، قال: (أُسد في حصونهم، عقبان على خيولهم، نساء في مراكبهم، إن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غلبة فأوعال تذهب في الجبال، لا يرون الهزيمة عارا).

طبت يا موسى وطاب مسراك، فقد وصفت فأصبت وتحدثت فصدقت، وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه أمريكا برومهم.

فحاشا لله أن يضيعكم - أيها الغرباء - وكيف يضيع ربنا من يُعلي كلمته وينصر دينه؟ والله لن يضيعكم وقد خرجتم في وجه عدوكم وتركتم أزواجكم وأولادكم.

لن يضيعكم وقد هجرتم ملذاتكم وشهواتكم وأهلكم وجيرانكم طمعاً بجنة ربكم.

لن يخزيكم وقد نفرتم ابتغاء مرضاة الله تدعون إلى الله على بصيرة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتقومون الليل وتصومون النهار، وتصلون الأرحام وتذودون عن الشريعة، وتدافعون عن الفضيلة وتحاربون الرذيلة.

فما دمتم على الحق فأبشروا، فوالله لا يخزيكم أبدا.

ولتغلبن أمريكا، والله! لتغلبن أمريكا ولو بعد حين؛ حتى تصير شامة سوء على خد الزمان.

واستأنسوا بما يروى في سيرة نبيكم أنه قاله لكعب بن مالك: (ما نسي ربك لك بيتاً قلته)، قال: (ما هو؟)، قال: (أنشده يا أبا بكر)، فقال:

(زعمت سخية أن ستغلب ربها * وليُغلبن مُغالب الغلاب)**

فالله الله في دينكم، والله الله في إخوانكم وفي أنفسكم، والله الله في عقيدتكم وأعراضكم، لا يؤتين الإسلام من قبلكم، فالمعركة أمامكم فاصلة، وأحزاب الكفر من جديد قادمة، والعدو مستعر، فلا بد من شحذ الهمم واستنهاض العزائم نحو القمم، واحذروا أن يكونوا على دنياهم أحرص منكم على دينكم، فإنكم بين خيرين؛ شهيد مرزوق وفتح قريب.

واهتفوا من أعماق قلوبكم؛

ولن أُصالحكم مادام لي فرسٌ * واشتد قبضاً على الصمصام إبهامي**

وهذه صرخة من الأعماق؛

إلى الآساد في بغداد والأنبار؛
وإلى الأبطال في ديالى وسامراء؛
وإلى الليوث في الموصل والشمال؛

خذو للحرب أهبتها، وأرهفوا سمعكم، وأحدوا أبصاركم، وتيقضوا لما سيجري حولكم، ولتكن أياديكم على الزناد، فأمامكم مفازة موحشة، وليل عبوس، وفتنة ضروس؛ ثم تكون لكم الغلبة –بإذن الله– إن صبرتم وصابرتم فثقوا بالله واصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

وهاهي الشرارة قد انقدحت في العراق وسيتعاظم أوارها –بإذن الله– حتى تحرق جيوش الصليب في دابق.

فيا أبطال الإسلام في كل مكان من أرض العراق؛

ها قد رمانا الكفر عن قوس واحدة وأعد لنا حبال مكر بالتواطئ مع أهل الشقاق والنفاق؛ لإذلال الرجال وانتهاك أعراض النساء، واستباحة الحرمات، وليرفعوا الصليب فوق أرضنا وتحت سمائنا، فلا تعطوا الدنية في دينكم، ولا تصغوا إلى مراوغ يلبس مسوح نصوح ليثنيكم عن الشهادة أو النصر.

وإذا كان عدونا مع هذه الخناجر التي نطعنه بها من هنا أو هناك لا زال يتجلد، يحكي انتفاخاً صولة الأسد ويذل العباد ويفعل الأفاعيل، فكيف إذا ملك زمام العراق، واستوت سفينته بلا أمواج؟!

إن عدونا لو غلب لأهلك الحرث والنسل، ولاستباح بيضتكم لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، {يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ} [التوبة:٨]، ولأذاقوا المسلمين كؤوساً أحلاها مر علقم.

فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا * وتُضرب بالبيض الرقاق الجماجم**

فقولوا ما قاله أمثالكم من الأبطال، وسلّوا أنفسكم فإن نومكم ونبهكم أجر كله –إن شاء الله– قالوا:

لئن شـح العطاء * فنحن للدين الأضاحي**
وعلى الطريق شدا الرجال * بألسن البذل الفصـاح**
والنصـر يُجنى بالدماء * و بالـرماح و بالصفاح**

وبعد هذا؛

فلتعلم الدنيا بأسرها أن منهجنا لا يقبل الرق، ولا يرضى أن يُباع في سوق المساومات، وسنبقى ماضين –بعون الله– مهما طالت الطريق واشتدت اللئواء، ومهما تكاثرت العملاء، فالقضية أكبر؛ إنه رب العالمين، وإنها جنة الفردوس.

فمن لم يسمعه صرير الأقلام، وصدى زئير الكلام؛ فيسمعه صليل السيوف.

وإذا تلعثمت الشفاه * تكلمت منا الجراح**

فالأرحام التي ولدت خالداً لا تزال تحمل وتضع رغم غطرسة الباطل.

إنا لمن أمة طابت أرومتها * فليس في خلقها عيب ولا عوجُ**
يمضها الجرح لكن لا يزلزلها * وينهش القيد رجليها فينزلجُ**

لئن غزاها عبيد السوط فليثقوا * أن سوف نخرجهم من حيثما ولجوا**
الحق عُدتنا في حرب باطلهم * والسيف حجتنا إن أعوزت حججُ**
سطا عليها غزاة الشرق واندثروا * ومر فيها بزاة الغرب واندرجوا**

لم يبق منهم ومن آثار دولتهم * سوى أساطير باللعنات تمتزجُ**
لن يسكت الأسد عما قد ألم بهم * ما دام فيهم دم الإيمان يختلجُ**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} [الأنفال:٤٥].

{وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الخامس عشر

رِثَاءٌ؛
الشَّيخُ أَبُو مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ
يَرثِي الشَّيخَ أَبِي أَنَسٍ الشَّامِيُّ رَحِمَه اللهُ

١٢ شعبان ١٤٢٥ هـ
٢٦ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

وصلني خبر مقتله ولم أصدق بادئ ذي بدء..
وبقيت بين الرجاء والخوف، حتى جاء الخبر اليقين.

ذكريات تلقي بظلالها..
كلما تراءى أمامي شيء من أثر الجهاد والمجاهدين في أرض الخلفاء، أرض الرافدين.

شعرت وكأن جسمي انشق شقين..
وما كانت تستطيع العين إلا أن تنفِّس بدمعات بين حين وأخرى.

قد كان رفيق دربي في الأتراح والأفراح..

في الحل والترحال، كالظل لا يفارقني، صديق صدوق، نصوح شفوق.

رحمك الله يا أبا أنس، نِعمَ حامل رسالة كُنت..

لقد تركت فراغاً لا يملئه أحد..
وأورثت لِلقلوب لوعة لا يسكُنُ لهيبها إلا بلقياك في الجنات بإذن الله.

فوالله لإن سُئِلنا لنصدقن، ولئِن استشهدنا لنشهدن..
أنك كنت فارساً من فرسان الإسلام حقاً وعالماً؛ عاملاً مجاهداً.

فسلامٌ على روحك في الخالدين؛

عينُ جدي بدمعك الرقراق * واسكبيه على أعز الرفاق**
أي خطبٍ قد أثار شجوني * وأشاع الأحزان في أعماقي**

يا أخي يا أخا المودة والحب * فخذها من قلبي الخفاق**
إن حبي الشاميَ خلٌ وفيٌ * صاحب الفضل والسجايا الرقاق**
لا تلمني على البكاء فإني * قد وجدت البكاء حلو المذاق**

إن فيه راحةً وعزاءاً * إنما الصبر أعظم الترياق**
إيه ياشامُ قد فقدت عزيزاً * فكسيتِ الأحزان كالأطواق**

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السادس عشر

كَلِمَةٌ قَصِيرَةٌ؛
كَلِمَةٌ فِي شَرِيطِ نَحرِ أَلَن آرمِسترُونج

٢٦ شعبان ١٤٢٥ هـ
١٠ أوكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ وَ صُورَةِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

قال تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد:٤]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أبشري أمه الإسلام؛

أمة الثناء والرفعة والأمجاد والعزة، أمة البطولات والمفاخر والجهاد والشهداء، خير امة أخرجت للناس، لِتُخرِجَ الناس من عبادة العبيد إلى عبادة رب العباد.

ابشري؛ فما زال أبنائك شوكة في حلوق أعداء الله، لا تتركونهم ينامون في الليل ولا يرتاحون في النهار.

أبشرى ولا تيأسي، فحرب الأنبياء وأتباعهم سجال، يوم لهم ويوم عليهم، يرهبهم العدو

ويرهبونه، ويثخن فيهم ويثخنون، يصيبهم بقرح ويصيبون، ثم تكون العاقبة للمتقين، والويل والدمار للظالمين.

أمة الإسلام؛ لا تخفى عليك مجازر الكفر التي يرتكبها، لا يميز فيها بين رضيع أو كبير، ولا بين رجل ولا أمرآة، فقنابلهم تحصد الأرواح وتحصد النفوس، وليس هذا فحسب؛ فسجونهم ملأى بإخوان لنا باعوا أنفسهم لله لرد الكافرين عن بلاد المسلمين ولتطبيق شرع الله مع الأمن والأمان والراحة والاطمئنان لأبناء الإسلام.

وليس هذا فحسب؛ **فسجونهم تضم بين جنبتها أخوات لنا لا ذنب لهن إلى أن يقلن ربي الله**، فإتهموهن اتهامات باطله، **وسولوا لأنفسهم من بعدها العبث بأعراضهن، والتسلي بأجسادهن، وانتهاك عفافهن.**

كيف تنعمين يا امة الإسلام؛ واختنا العذراء يهينها علج وغد؟

كيف تنعمين ودمعة الذل تنهمر على خديها؛ وابراقة الحياء تخجل أهل المروءات؟

كيف تنامين قريرة العين، وبنتك في سجون أعدائك، تتنهد من ألم العون؟ وتتلوى من غلظة جنود الكفر؟

يا اختنا أبشري؛ فأنَ جند الله قادمون، قادمون بأذن الله ليخرجوك من أغلالك إلى طهرك وعفافك، وإرجاعك إلى أمك وأبيك، أو زوجك وبنيكِ.

فلكِ منا أن نقابل هؤلاء الكفرة بالمثل..

لكِ من المجاهدين الصاع صاعين، والباع باعين..

حتى يرتدعوا ولا يعودوا لمثلها من أسر لأخواتنا، وكل نسائنا، فوراء نسائنا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أما أنت كلب الروم بوش؛ فقد جاءك قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، فالقتل في سبيل الله أشهى أمانيهم، والإثخان في جنودك من اسعد لحظاتهم، وحز رؤوس الكفرة المجرمين تطبيق

لأمر ربنا:

{فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد: ٤]

يا كلب الروم؛ لا تظن أن جند الإسلام غافلون عن خطتكم الخبيثة لتوطيد لإسرائيل الكبرى إلى حدود النهرين، فدمائنا وأجسادنا بينكم وبين أحلامكم الماكرة، وسترى من بطولات أبناء الإسلام ما لا يسرك.

إن غطرستك سيأتي اليوم الذي تتمرغ فيه بالتراب بلا رجعة بأذن الله، ستزول بعد ان سبح بحمدها كثير من الفجراء إن شاء الله.

لكل شي إذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش إنسان**

وها نحن اليوم نذيقك شي من كأس الهوان، لتذوق شي من الإهانة التي تذيقها لأسرانا في سجونكم، في طول الأرض وعرضها، وحيث أنكم لم تفرجوا عن أخواتنا السجينات، وراح عميلكم المأجور علاوي يدعي انه لا توجد ألا اثنتان من النظام السابق.

فحيث أنكم ماطلتم، فنصيب أول علج حز الرأس، على مرآى و مسمعٍ منكم، ولكم مهلة أربع وعشرين ساعة، فإن التزمتم بطلبنا كامل فأفرجتم عن كل المسلماتَ، وإلا فرأس الأخر وراءه كرأس صاحبه هذا.

و انه ليسعدني أن أرى البسمة على وجوه صغارنا وكبارنا، وهم يرون انفك قد احمر حنقاً وغيضا، وعيونك قد زاغت يميناً وشمالا، وجبلك الجليدي قد ذاب أمام حرارة الأيمان ويقين الإسلام.

و أقسم بالله الذي كسر الأكاسرة، وقصم ظهور القياصرة، أننا لن يغمد لنا سيف و مسلمة واحدة تهان في سجونكم، لن نسكت ما دام لنا عرق ينبض بدم الأيمان والشوق إلى الجنان.

وهذا سيكون مصير كل عميل أو متآمر من حثالات التاريخ، يسير في قافلة الاحتلال، فيخسر حياته وأخرته لقاء حفنه من مال.

و هل كانت أمريكا تستطيع سجن أخواتنا واغتصابهن، أو إذلال إخواننا وتهديم مساجدنا وبيوتنا واستباحة حرمتنا؛ لولا الجيش والشرطة؟!

فهؤلاء هم من أتى بالأمريكان، و عبدوا لهم الطريق، وذللوا لهم الصعوبات، فحكمهم كحكم الأمريكان {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:٥١]، وليس له منا إلا السيف، ولا يغرنت اختلاف الأزياء وتغاير الأسماء، فقد صرنا نرى أخيراً الزي واحد، حتى طريقة حملهم لرشاشات صارت كالأمريكان.

والحمد لله، فقد أصبحت امريكا اليوم هي وحلفائها في حالة لا تحسد عليها، وبدأت أرجلها تغوص في مستنقع من التخبط والاضمحلال، بغير رجعة إن شاء الله، وسترى الدنيا من سيطحن الأخر في نهاية المطاف، إسلامنا أم كفرهم، توحيدنا أم تكذيبهم، عدلنا أم جورهم.

{فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُون} [التوبة:٥٢]

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

[هنا يقوم الشيخ بذبح الأمريكي النجس بيده الشريفة الطاهرة؛ ليكون عِبرة لكل من تجرأ على هذا الدين و ليثأر لعرض المؤمنات في سجون الصليبين، و الله أكبر و لله الحمد]

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ جَمَاعَةِ التَّوْحِيدِ وَ الجِهَاد
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السابع عشر

بَيَانٌ:
البَيعَةُ لِتَنظِيمِ القَاعِدَةِ
بِقِيَادَةِ الشَّيخِ أُسَامة بنُ لادِنَ

٣ رمضان ١٤٢٥ هـ
١٧ أوكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤ م

بِأَمْرِ و مُبارَكَةِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

بيعة الأمير أبي مصعبٍ الزرقاوي لشيخ المجاهدين أسامةَ بن لادن
(بيان بشارة انضواء جماعة التوحيد والجهاد تحت لواء القاعدة)

إغاظة لأعداء الله وإفراحاً لكل مسلم:

إن الحمد لله الذي وَحَّدَ صفوفَ المجاهدين، وفرَّق شَمْل الكافرين، الحمد لله القائل {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا} [آل عمران:١٠٣]، والصلاة والسلام على مَن أَلَّفَ اللهُ به بين قلوب المؤمنين، فكانوا كالبنيانِ المرصوص في وجه أعداء الدين، أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم، وعلى آله وصحبه الذين رَفَعُوا سيف الحق يداً واحدة فأزهقوا رؤوس الباطل، **أمَّا بعد:**

كانت هناك اتصالاتٌ بين الشيخ «**أبي مصعب**» حفظه الله مع الإخوة في القاعدة منذ (٨) أشهر، وتم تبادل وجهات النظر، ثم حصل انقطاع قَدَري، وما لبث أن أكْرَمَنَا الله بعودة الاتصالات، فَتَفَهَّم إخواننا الكرام في «**القاعدة**» استراتيجية «**جماعة التوحيد والجهاد**» في أرض الرافدين أرضِ الخلفاء، وانشرَحَت صدورهم لمنهجها فيها.

ومع إطلالة شهرِ رمضانَ شهرِ العطاءِ والانتصارات، وفي ظرفٍ أحوجَ ما يكونُ فيه المسلمون إلى لَمِّ شَمْلِهم ليكونوا مخرزاً في أعين أعداء الدين... تَزُفُّ إلى أمتنا الغراءِ خيرِ أمة أخرجت للناس بشرى تُفْرِح المؤمنين وتُميت من شدة الغيظ الكافرين، وتُرْعِبُ كلَّ عدوٍّ للمسلمين.

تَزُفُّ إليها نبَأَ بيعةِ جماعة التوحيد والجهاد أميراً وجنوداً لشيخ المجاهدين «أسامة بن لادن» على السمعِ والطاعةِ في المَنْشَطِ والمَكْرَهِ للجهاد في سبيل الله حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدين كله لله.

ولقد سَمِعْنا بقول نبينا فآمنا به وصدقناه (لا تَذْهَبُ الدنيا حتى تَصِيرَ لِلُكَعَ بن لُكَع) ، وقد رأينا مهازل رؤوساء الحكومات اليوم، وإنا في انتظار وعده الآخر المُرْتَقَب في الأمراء: (تكون –أي النبوة– ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفَعَها، ثم تكونُ ملكاً عاضّاً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج نبوة، ثم سكت) ، فعسى أن يكون هذا على أيدينا.

فوالله يا شيخ المجاهدين؛ لئن خضتَ بنا البحر لخضناه معك بإذن الله، ولئن أَمَرْتَ لَنَسْمَعنّ، ولئن نَهيتَ لنَنْتَهِيَنَّ، فنِعْمَ القائدُ أنت لجيوش الإسلام ضد الكفار جميعِهم أصليين ومرتدين.

فهيا يا شباب الأمة إلى لواء شيخ المجاهدين، نرفع معاً كلمة «**لا إله إلا الله**» عالية خفاقة كما رفعها أجدادنا الأبطال، ونُطَهِّر ديارَ الإسلام من كل كافرٍ أو مرتد أثيم، حتى يدخل الإسلام بيتَ كل مَدَرٍ ووَبَر.

جماعة التوحيد والجهاد،
بقيادة الأمير:
أَبِي مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ

تم الاعلان عنه:
في يوم الاحد الثالث من شهر رمضان لسنة ١٤٢٥ هـ
الموافق ١٧/١٠/٢٠٠٤ م

تَنْظِيمُ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثامن عشر

رِسَالةٌ إِلى الأُمَّةِ
وَ المُجَاهِدِينَ دَاخِلَ الفَلُّوجَةِ

٢٩ رمضان ١٤٢٥ هـ
١٢ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب:٢٢]

من أبي مصعب الزرقاوي إلى أمتي الغالية؛

السلام عليك ورحمة الله وبركاته،

ها قد ارتفع للجهاد لواء، وخفقت له راية، واشتد ساعد أبطال الإسلام في العراق، فلقد خفقت معهم قلوب أهل الإسلام فرحا، وجعلت ترقب أملا يكبر بفجر قريب، ينقشع معه ظلام الذل الذي أطبق على صدر الأمة ردحا طويلا على أيد اليهود والصليبيين، وأذنابهم من حكامنا المرتدين.

هذه الحقيقة أدركتها أمريكا ومن معها، فمادت بهم الأرض، وهم يشعرون أن رياح الجهاد ستزلزل عروشهم، وتزعزع بنيانهم، فتمالئوا فيما بينهم، وحشدوا جموعهم، واتحدوا في مقابلة العدو القادم لهم، إنه الإسلام المحض تحت راية الجهاد الحق.

أخاطبك يا أمتي؛ ودماء أبنائك تسيل في العراق عامة، وفي الفلوجة خاصة، بعدما أقبل عليهم عباد الصليب ومن معهم من أبناء جلدتنا، الذين باعوا دينهم بدنياهم، وخانوا الله ورسوله، كقوات البشمركة، والرافضة، بمباركة إمام الكفر والزندقة، أعني السيستاني.

وليس يعين الظالمين بظلمهم * سوى أدنياء تستلذ المثالب**
فهم مثل كلب الصيد يتبع ربه * ليلتذ لا نفع جنى بل متاعب**

يا أمتي؛ إن هذه الدماء ستكون بإذن الله مصابيح هدى في دجى الليل البهيم، وأبشري يا أمتي، فلا نشك لحظة بأن نصر الله بدأت تلوح علاماته في الأفق، فهاهم أبنائك يسطرون أروع الصور في قتالهم لأمريكا وحلفاؤها، ولا تنخدعي بإعلامهم الخبيث، فكل ما تسمعونه هو محض كذب وتزوير، وأتحدى أمريكا، أن تظهر الحقيقة لما يدور في أرض المعركة والنزال، وأتحداها مرة أخرى، أن تسمح للقنوات الفضائية أن تدخل لتغطي أحداث المعركة، ولكن هيهات فما عادت الشمس تغطى بغربال.

أما أنتم أبطال الإسلام في الفلوجة؛ الله الله في جهادكم، والله الله في أمتكم، والله الله في دينكم، فصبر ساعة ثم تكون لكم العاقبة بإذن الله، وتذكروا غزوة الأحزاب، غزوة الخندق، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بكنوز قيصر وكسرى، فمع الشدائد تأتي اللطائف بعون الله، وقد جاءكم العون والمدد، فالعدو بفضل الله يسير كما رسم له، والخطة بفضل الله بدأت بالظهور آثارها، فأكثروا من الدعاء، فأنتم اليوم طليعة أمة، فلا تضنوا وتبخلوا بنفوسكم من أجل دينكم.

وهذا نداء للأبطال في العراق؛ الله الله في إخوانكم، هبوا لنجدتهم، فإن هذه المعركة، من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام والكفر، فقوموا قومة رجل واحد، واحرقوا الأرض تحت أقدام الغزاة، واقعدوا لهم كل مرصد، واجلسوا لهم جلسة الأسد لفريسته، وكونوا كما قال الشاعر:

يتطهرون يرونه نسك لهم * بدماء من علقوا من الكفار**

فماذا أنت فاعلة أمة الإسلام؟!
وماذا أنتم قائلون علماء الإسلام؟!

أما نحن؛ فقد حسمنا خيارنا، واخترنا طريقنا، وسنمضي فيه إلى الغاية بإذن الله.

{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة:٥٢]

من لم يباشر حر الهجير في طلاب المجد * لم يقل في ظلال الشرف**

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب التاسع عشر

كَلِمَةٌ قَصِيرَةٌ؛
رِسَالَةٌ إِلى المُجَاهِدِينَ خَارِجَ الفَلُّوجَةِ

١١ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ
٢٣ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٤ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله.

رسالة إلى الأبطال في بغداد و الأنبار؛
و إلى الأسود في الموصل و الشمال؛
و إلى الليوث في ديالى و سامراء و صلاح الدين؛

لقد صار العد يتجنب قتالكم، مخافة التشتيت و الإستنزاف؛ فقد حشد جُلَّ قدراته وطاقاته للقضاء على الإسلام في الفلوجة.

فإذا إنتهى من الفلوجة تحرك بإتجاهكم، فكونوا على حذر، وفوتوا عليه هذه الخطة، فالعدو ضعيف، ولا يستطيع أن يتوسع في معركته؛ فقد أثخنته الجراح.

فلا تكتفوا بخروجه من أرضكم؛ ولكن حصنوا ثغوركم، وأزحفوا إليهم، و أخرجوهم مِن جحورهم، وأمطروهم بالصواريخ و مدافع الهاون، و أقطعوا عليهم طرق الإمداد الرئيسية و

الفرعية؛ فإنها شريانه الرئيسي، و أكمنوا لهم على تلك الطرق، فإنها غنيمة باردة، و ظهرٌ مكشوف.

و احرصوا أن يكون زمام المعركة بأيديكم لا بيده، وأطيلوا في أمد المعركة، ولا يمر عليهم يوماً إلا والذي بعده شراً منه وأنكى؛ فإن العدو يراهن على الأيام في كسر حدة المعركة، وإخماد لهيبها وإطفاء جدوتها.

فالصبر الصبر، ولن يغلب عُسرٌ يُسرَين، {وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد:٣٥].

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب العشرون

وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبتلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ

١١ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ
٢١ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

{الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت:١-٣].

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فهاتيك عبرة جديدة أُرسلها عبر أثير الكلمات...
وهاتيك خفقة حانية أُصدرها من صميم القلب وضلوع الجنبات...
من جندي واقف على عتبات الحرب، وأزيز المعمعات...

من أبي مصعب الزرقاوي إلى من يراه من أهل الأوقات والمروءات؛

لم تزل تكابدني آلام الأمة المحزونة، لم تزل تفارقني أشباح الأمة المطعونة، أمة المجد العظيم والشرف الكريم، سامتها أيدي الغدر ألوانا من الشر المهين؛ فتوسدت لحاف الذل والمهانة، وتجرعت كؤوس القهر والخيانة، وأُقعدت عن واجباتها ومهامها، وحجبت عن أحلامها آمالها.

وبات المرض يعوث أركان الجسد، ثم طرح أرضاً وشدت أركانه إلى وتد، وتكالبت عليه وحوش الأرض مع الذئاب، وغدت أوصاله مقطعة بين المخالب والأنياب؛ فذاك قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأُمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها)، قال: قلنا يا رسول الله: أمن قلة بنا يومئذ؟! قال: (أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن)، قال: قلنا: ما الوهن؟! قال: (حب الحياة وكراهية الموت)، وفي رواية أخرى لأحمد: (وكراهيتكم القتال).

فلتعلموا أهل الإسلام؛ أن الابتلاء تاريخ وقصة طويلة منذ أن نزلت «**لا إله إلا الله**» على هذه الأرض، فابتلي الأنبياء والصادقون، وكذلك الأئمة الموحدون.

فمن جرد نفسه لحمل كلمة «**لا إله إلا الله**» ونصرها وإقامتها في الأرض عليه أن يدفع تكاليف هذا التشريف من تعب ونصب وبلاء.

فأين أنت؛ والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِيَ في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيعَ يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشِرَ بالمنشار زكريا، وذُبِحَ السيد الحصور يحي، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم... **وتزهى أنت باللهو واللعب؟!**

والله تعالى يبتلي بعض الخلق ببعض، ويبتلي المؤمن بالكافر، كما يبتلي الكافر بالمؤمن، وهذا النوع من الابتلاء هو قاسم مشترك بينهم جميعاً، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: ١-٢].

روى مسلم عن نبينا صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: (إنما بعثتك لأبتليك وابتلي بك).

والذي علمناه من القرآن والسنة أن من الأنبياء من قتله أعداؤه ومثلوا به كيحيى، ومنهم من هم قومه بقتله ففارقهم ناجياً بنفسه كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام، وعيسى الذي رفع إلى السماء.

ونجد من المؤمنين من يُسام سوء العذاب، وفيهم من يلقى في الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد... فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا وقد طردوا أو قتلوا أو عُذبوا؟!

الابتلاء هو قدر الله في جميع خلقه، ولكنه يزداد ويعظم في شدته على الأخيار الذين اجتبتهم عناية الله، وخاصة المجاهدين منهم لابد لهم من مدرسة الابتلاء.. لا بد لهم من دروس التمحيص والتهذيب والتربية.

ثبت في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة).

وروى البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في المعجم الكبير، وابن سعد في الطبقات، عن عبدالله بن إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يصح ولا يسقم؟)، قلنا: نحن يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مه؟!)، وعرفناها في وجهه، فقال: (أتحبون أن تكونوا كالحمير الصيّالة؟)، قال، قالوا: يا رسول الله لا، قال: (ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات؟)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فوالله إن الله ليبتلي المؤمن وما يبتليه إلا لكرامته عليه، وإن له عنده منزلة ما يبلغها بشيء من عمله دون أن ينزل به من البلاء ما يبلغ به تلك المنزلة).

وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء).

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنه يؤتى يوم القيامة بأنعم الناس كان في الدنيا،

فيقول الله عز وجل: اصبغوه في النار صبغة، ثم يؤتى به فيقول: يا ابن آدم هل أصبت نعيماً قط؟ هل رأيت قرة عين قط؟ هل أصبت سروراً قط؟ فيقول: لا وعزتك! ثم يقول: ردوه إلى النار. ثم يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا، فيقول تبارك وتعالى: اصبغوه في الجنة صبغة ينصبغ فيها، ثم يؤتى يه فيقول: يا ابن آدم هل رأيت ما تكره قط؟ فيقول: لا وعزتك ما رأيت شيئا قط أكرهه).

قال شقيق البلخي: (من يرى ثواب الشدة لا يشتهي الخروج منها).

والله عز وجل شرع الجهاد تكملة لشرائع الدين ورفع منزلته عالياً حتى صار في ذروة التكليف الرباني، وجعل فيه شدة وبلاء تكرهه النفوس وتجبن عنده الطباع، ثم حببه وقربه من جوهر الإيمان ومكنون التوحيد، فلا يطلبه إلا صادق الإيمان قوي البرهان: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} [الحجرات:١٥].

فحقيقة الجهاد؛ قائمة على صقل النفس وتجريدها لربها وخالقها بفعل أوامره، والإقدام على وعوده، وهذا لا يكون إلا إذا حُف هذا الطريق بالشدائد والمحن، ولهذا يقول الله عز وجل: {وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} [محمد:٤-٦]، ويقول: {وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد} [البقرة:٢٥٣].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي لابد أن يعقد شيئا من المحنة يظهر فيه وليه، ويفضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم، وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهتك به استار المنافقين فظهرت مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد، وخيانتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم).

وتأملوا يا عباد الله قوله سبحانه تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج:١١].

روى البغوي في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن الرجل من الأعراب كان يؤمن

برسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا ولد له بعد الإسلام غلام وتناسل فيه وكثر ماله، قال: هذا دين حسن، هذا دين جيد، فآمن وثبت، أما إذا لم يولد له غلام ولم يتكاثر خيله، ولم يكثر ماله، وأصابه قحط أو جدب، قال: هذا دين سيئ، ثم خرج من دينه وتركه على كفره وعناده).

يقول سيد رحمه الله: (فلا بد من تربية النفوس بالبلاء ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد وبالجوع ونقص الأموال والأنفس الثمرات، لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تقر على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف لا يعُز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن النفيس الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تَعُز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم وكانوا أحق بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها وصبرهم على بلائها ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى، ومدخور الطاقة، وتفتح في القلوب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن إلا تحت مطارق الشدائد) انتهى كلامه رحمه الله.

سئل الشافعي رحمه الله؛ أيهما خير للمؤمن أن يبتلى أم يمكن؟ فقال: (ويحك! وهل يكون تمكين إلا بعد بلاء؟).

وعن صفوان بن عمر أنه قال: كنت والياً على حمص فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عم لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه فقال: (يابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالا).

ألا من يحبه الله يبتليه..

صبراً على شدة الأيام إن لها * عقبى وما الصبر إلا عند ذي حسب**
سيفتح الله عن قربٍ يعقبه * فيها لمثلك راحات من التعب**

ويقول سيد رحمه الله: (إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس «آمَنَّا» وهم يتركون لهذه الدعوى؛ حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم؛ كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وهذا هو

أصل الكلمة اللغوي، وله دلالته وظله وإيحائه، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب، هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت وسنة جارية في ميزان الله سبحانه؛ {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت:٣]

وإن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل، وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، وإلا الذين يؤثرون على الراحة والدعة وعلى الأمن والسلامة وعلى المتاع والإغراء، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء) انتهى كلامه رحمه الله.

فإن على الفئة المقاتلة التي سلكت طريق الجهاد في سبيل الله أن تعي طبيعة المعركة ومتطلباتها نحو هدفها المنشود وطريقها الذي لابد أن يعبد بدماء الصالحين من أبنائها، وأن تدرك أن هذا الطريق فيه فقد للأحباب والأصحاب، وترك للخلان والأوطان؛ كما قاسى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم خير الخلق بعد الأنبياء مرارة الهجرة وفقد المال والأهل والدار كله في سبيل الله... **فأين نحن منهم؟!**

وما على هذه الفئة إلا ان تصبر في طريقها الذي سلكته، وأن تحتسب عند الله ما قد يقع لها من فقد بعض القيادات والأفراد، وأن تمضي على دربهم وتعلم أن هذه سنة الله عز وجل، وأن الله يصطفي من هذه الأمة من عباده الصالحين، وألا تتعجل النصر فإن وعد الله آت لا محالة.

وينبغي أن يعلم المسلم؛ أن اتباع الحق والصبر عليه هو أقصر طريق إلى النصر وإن طال الطريق وكثرت عقباته وقل سالكوه، وأن الحَيدة عن الحق لا تأتي إلا بالخذلان وإن سهل طريقها وظن سالكه قرب الظفر فإنما هي أوهام.

قال تعالى: {وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون} [الأنعام:١٥٣].

هـذا هـو الجهـاد؛... قمة... وثمرة... يأتي بعد صبر طويل ومكوث مديد في أرض المعركة انتظاراً لجلب الأعداء واصطباراً لشرورهم مكوث يستمر شهور وسنوات متتالية، وإن لم تتجرع هذه الآلام لن يفتح الله عليك بالنصر لأن النصر مع الصبر.

وقد قال شيخ الإسلام: (إنما تنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين).

إن مفاهيم الحق وصدق العقيدة والتوحيد تبقى دُمى في عالم الأشباح لا تجري فيها روح الحياة إلا إذا حملها أناس صادقون صابرون يتحملون تبعات هذا الطريق ولأوائه ويستعذبون العذاب ويستحلون النصب ولا يرضون إلا بالموت من أجل إحياء هذه المفاهيم على أرض الواقع تطبيقاً عملياً، لا كما يتمنى البعض هذه المفاهيم ويزركشونها ضمن قوالب نظرية فلسفية، وخطب رنانّة بعيدة عن روح العمل والصدق والتنفيذ.

وإن الإسلام اليوم بأمس الحاجة إلى رجال صادقين صابرين ينزعون إلى الجد ويستعذبون التعب ويرتاحون بالنصب، فيترجمون بصمت متطلبات المرحلة... رجال النفوس الصادقة والهمم العالية والعزائم القويّة، التي لا تعرف إلا سمت التلقي للتنفيذ فتأبى أن يعقدها الكلل، أو يدركها الملل، أو تنفق آمالها في المرا والجدال.

فشمر عن ساعد الجد والعمل واصبر على لأواء الطريق ووعورته، فقد قيل: (قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبرا، ولكل نعمة شكرا، ومن لم يعلم أن مع العسر يسرا).

يا ويح نفسي وما ارتفعت بنا همم * إلى الجنان وتالي القوم أوابُ**
إلى كواعب للأطراف قاصرة * وظل طوبى وعطر الشدو ينسابُ**
إلى قناديل ذهب علقت شرفاً * بعرش ربي لمن قتلوا وما غابوا**

يقول تعالى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون} [التوبة:١٢١].

روى الطبري عن قتادة في تفسير هذه الآية قوله: (ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعداً، إلا ازدادوا من الله قرباً).

فالأمر لله من قبل ومن بعد، ولسنا سوى عبيد له سبحانه، نسعى لتحقيق عبوديته، ومن كمال العبودية؛ أن نعلم ونوقن يقيناً جازماً لاشك فيه؛ أن وعد الله متحقق لا محالة، ولكننا قد لا ندرك حقيقة الأمر لحكمة يعلمها الله، وقد يتأخر النصر ابتلاءً وامتحاناً، وصدق الله العظيم: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين} [الروم:٤٧].

وقد وعد سبحانه عباده الموحدين بالنصر، وجعل التمكين للصابرين وأخبر أن ما حل للأمم السالفة من الظفر والثبات والتمكين على الأرض كان لجميع صبرهم وتوكلهم عليه، كما قال سبحانه: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُون} [الأعراف:١٣٧].

وجعل الله تعالى ما حصل لنبيه يوسف من العزة والتمكين في الأرض بعد الغربة وماجرى له في قصر العزيز إنما هو بصبره وتقواه؛ {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين} [يوسف:٩٠].

وعلق سبحانه الفلاح بالصبر، لقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [آل عمران:٢٠٠].

وذكر سبحانه أن حسن العاقبة في الدنيا هي للصابرين الأتقياء؛ {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين} [هود:٤٩].

نحن نعلم يقيناً أن وعد الله لا يتخلف أبداً ومنشأ السؤال والإشكال، أننا قصرنا النظر على نوع واحد من أنواعه؛ وهو النصر الظاهر، ولا يلزم أن يكون هذا هو النصر الذي وعد به أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين يتجلى في صور أخرى لا تلمحها النفوس المهزوزة الضعيفة.

ومن بعض هذه الصور؛

أن قبائل قريش قد أجمعت قديماً على محاصرة المؤمين ومقاطعتهم في شعب أبي طالب ومعهم بنو هاشم، ثلاث سنوات لا يبيعونهم ولا يشترون منهم؛ حتى لم يجدوا ما يأكلونه إلا ما يلتقطونه من خشاش الأرض، وأوشك المؤمنون على الهلاك لولا أن رحمة الله أدركتهم.

أصحاب الأخدود يلقون في النار ولا يقبلون المساومة على دينهم، ويفضلون الموت في سبيل الله، ثم يحفر الطاغوت أخاديده، ويوقد نيرانه، ويأمر زبانيته وجنوده بإلقاء المؤمنين في النار، وتأتي المفاجاة المذهلة؛ بدل أن يضعف من يضعف، ويهرب من يهرب، لا تسجل الرواية أن احداً منهم تراجع أو جبن أو هرب، بل نجد الإقدام والشجاعة وذلك بالتدافع إلى النار، وكأن الغلام قد بث فيهم الشجاعة والثبات، وهاهم يجدون في اللحاق به وكانهم يتلذذون في تقديم

أرواحهم فداء لدينهم؛ فكانوا هم المنتصرين، بل سماه الله عز وجل (فَوْزاً كَبِيرا)؛ {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج:١١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النظر عن قتال بدر، فقال: (يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع)، فلما كان يوم أحد وأنكشف المسلمون فقال: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-)، ثم تقدم فأستقبله سعد بن معاذ، فقال: (يا سعد بن معاذ؛ الجنة ورب النظر.. الجنة ورب النظر.. إني أجد ريحها دون أحد)، قال سعد: فما استطعت يارسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، فقال أنس: كنا نرى أو نظن، أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب:٢٣].

ونجد هذا المعنى من معاني الانتصار في الحديث الذي رواه خباب عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: (ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعوا لنا؟)، قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه).

ومن أنواع النصر الخفي الذي لا يراه إلا المؤمنون؛

أن عدو الحق مهما كان متجبراً مسرفاً في معاملة خصمه إلا أنه يتجرع ألواناً من الأذى المعنوي والعذاب النفسي قبل أن يقدم على إيذاء خصمه، بل وأحياناً بعد أن يفعل فعلته فإنه لا يجد للراحة مكاناً، ولا للسعادة طعماً.

ولذا؛ فإن الحجاج بن يوسف عندما قتل سعيد بن جبير ذاق ألوان العذاب النفسي، حتى كان لا يهنأ بنوم، ويقوم من فراشه فزعاً ويقول: (**مالي ولسعيد؟**) حتى مات وهو في همه وغمه.

هذا ما نستيقنه في حربنا مع حامل لواء الصليب الطاغوت الأمريكي المتبجح.. فمع بطشه وتجبره بالعتاد والسلاح؛ إلا أنه يلقى من الهوان النفسي والكسر المعنوي ما لو صب على

الجبال لتصدعت.

وقد جاء القرآن معبراً عن هذه الحقيقة كما في سورة آل عمران، فقال سبحانه: {وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران:١١٩-١٢٠]، وقال سبحانه: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب:٢٥].

ومن الصور التي تخفى على مطموسي البصائر؛

ترقب الحياة الكاملة التي أعدها الله لأوليائه وأصفيائه، قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون} [آل عمران:١٦٩].

من لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الأسباب والموت واحدُ**

ومن خلال ماسبق يتضح لنا المفهوم الشامل للانتصار؛ وأنه لا يجوز لنا أن نحدد نوع الانتصار الذي نريده.

وإن من دواعي الثبات والاستبسال – ما رأيناه على أرض الفلوجة– أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن من علامات انتصار دين الإسلام أنه لن تستطيع قوة في الأرض أن تهلك جميع المؤمنين، كما كان يخشى في عهد نوح أو في أول الرسالة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن الجهاد سيبقى قائماً عاملاً في الأرض، كما ورد في الحديث الصحيح: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك).

إن النصر ومصير هذا الدين بيد الله سبحانه، فقد تكفل به ووعد به فإن شاء نصره وأظهره وإن شاء أجله وأخره، فهو الحكيم الخبير بشؤونه، فإن أبطأ فبحكمة مقدرة فيها الخير للإيمان وأهله، وليس بأحد بأغير على الحق وأهله من الله، {يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم:٤-٦].

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا**

فإن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته وعزت عظمته يمن على المؤمنين بالنصر أحيانا ويبتليهم منه أحياناً أخرى فيحرمهم من هذه النعمة ويذيقهم طعم الابتلاء لحكم يقدرها ويعلمها.

قد ينعم الله في البلوى وإن عظمت * ويبتلي الله بعض القوم بالنعمِ**

وقد عدّ ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد نُبذاً من هذه الحكم، فقال:

(**منها**: أن هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال يدال علينا مرة وندال عليه أخرى، قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة.

ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم باطنا، فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المسلم والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مخابتهم، وعاد تلويحهم تصريحا، وأنقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساماً ظاهراً، وعرف المؤمنون أن لهم عدواً في نفس دورهم وهو معهم، لا يفارقونهم، فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: لو نصر الله سبحانه وتعالى المؤمنين دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً، لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء فيما يحبون وفيما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة العبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا، فاستوجبوا منه العزة والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والإنكسار، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ

بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّة} [آل عمران:١٢٣]، وقال: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا} [التوبة:٢٥]، فهو سبحانه إذا اراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره أولاً، ويكون جبره له وانكساره له ونصره على مقدار ذله وانكساره.

ومنها: أن الله سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة، لاستخراج الأدواء منه ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه.

ومنها: أن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أولياؤه، الشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصدّيقيّة إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دمائهم في محبته ورضائه، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسلط العدو). انتهى كلامه رحمه الله.

يقول الله عز وجل: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون} [البقرة:٢١٦].

قال الإمام ابن القيم في الفوائد: (في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه؛ لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد، أوجب له ذلك أمورا.

منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شي أضر عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصية العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة

اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل.

ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور والرضى بما يختاره له ويقضيه لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئاَ، بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوض أمره إلى ربه ورضي بما يختاره له، أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة وينزل في أخرى ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه، لأنه مع اخياره لنفسه، ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه المقدور مع العطف عليه واللطف به فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره. إذا نفذ القدر في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تحيله في رده، فلا أنفع له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحاً كالميتة؛ فإن السبع لا يرضى بأكل الجيف) انتهى كلامه رحمه الله.

باتت تذكرني بالله قاعدة * والدمع يهطل من شأنيهما ما سبلا**
يا بنت عمي كتاب الله أخرجني * كرهاً وهل أمنعن الله ما فعلا**
فإن رجعت فرب الخلق أرجعني * وإن لحقت بربي فابتغي بدلا**
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني * أو ضارعاً من ضنا لم يستطع حولا**

روى الطبري في تاريخه عن ابن اسحاق: أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (شهدت أُحداً مع رسول الله صلى الله عيه أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذّن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي -أو قال لي-: أتفوتنا غزوة مع رسول الله لى الله عليه وسلم؟ والله مالنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل،

فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا، فكان إذا غلب حملته عقبة.. ومشى عقبة.. حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون).

قال أبو الدردا: (ذروة سنام الإيمان؛ الصبر للحكم والرضى بالقدر).

وبهذا الدواء نستشفي من جراحنا المنبعثة هنا وهناك.

فبعد تفهم هذه الحقائق؛ ندرك المعنى المطلوب من وراء تشييد معركة الفلوجة وثباتها وانتصابها بكل ما أوتيت من قوة، لأنها اليوم هي المعركة الوحيدة على ثغر الإسلام الأول، والثبات فيها والرباط على خطوطها يعني الحفاظ على الثغر الأول الذي نطاعن منه الكفر والعدوان.

ولا يعني أن نرى العدو قد دخل إلى العمق وتجول في ساحات المدينة وتمركز على الأطراف أنه قد حقق أهدافه في الانتصار، فمعركتنا مع العدو هي حرب شوارع ومدن تتنوع في تكتيكاتها وأساليبها الدفاعية والهجومية، والحروب الضارية لا تحسم نتائجها من أيام ولا أسابيع بل تأخذ وقتها ريثما يحين موعد إعلان الفوز لأحد الطرفين.

ويكفينا قبل حسم النتيجة أن قرت عيوننا برؤية أبناء الإسلام يثبتون كالجبال الرواسي على خطوط الفلوجة المباركة، ويلقنون الأمة دروساً جديدة في الجلد والصبر واليقين.

ولعلنا نلقي نظرة حول بعض من هذه الدروس والنتائج العظام التي تمخضت عن تلك المعركة الشامخة، فأقول:

أولاً: أحيت المعركة من جديد معاني العزة والكرامة والإباء: وأيقنت الأمة أن هناك ثلة من أبنائها قادرين على مواجهة الأخطار الكالحة بكل جرأة وثبات وعزيمة، وأن هذه الثلة صدقت مع أمتها في خططها ومشاريعها التي أعدتها لانبعاث الأمة من جديد وبذلت من أجل ذلك كثيراً دماء أبنائها وقادتها.

ثانياً: تعلمت الأمة – وهي في ذلتها وانكسارها – أنها تستطيع أن تواجه وترابط وتعارك أسياد الأرض وطغاتها بعصابة قليلة من أبنائها، وبعتاد خفيف من السلاح.. تستطيع بذلك أن تلحق بالعدو خسائر جسيمة أليمة وتجبره على تجرع كأس الهزيمة المر.

ثالثاً: فتحت الفلوجة أرض المعركة على مصراعيها، فألهبت همم أبناء الإسلام داخل العراق وخارجه، ودفعت بدمائها الطاهرة التي أريقت على أرضها بالكثير من أبناء الإسلام لينهضوا بتكاليف الجهاد وينفروا للتصدي للحملة الصليبية العالمية، فاشتعلت المعارك والملاحم في أنحاء متفرقة من أرض العراق وتشكلت الكتائب والمجاميع وانبرى المجاهدون يتلقفون أرتال العدو ويصطادون دورياته ويغيرون على مواقعه، وقد شهدنا بفضل الله خسائره الكثيرة التي تكبدها على أرض العراق كلها، فكان من مفاخر هذا الفتح أن تعظم نفوس أبناء الجهاد وتنهار أمامها أساطير الآلات الحربية الحديثة فهممهم الآن قد تحررت من أوهام العجز والخوف وانطلقت إلى ميادين الجد والعمل.

رابعاً: أحرزت معركة الفلوجة نصراً عسكرياً استرتيجياً مهما، فالجميع على دراية بتفوق الآلة العسكرية الأمريكية وتطور جيوشها ونظامها الحربي الذي يعتمد على ضرب الأهداف عن بعد دون التحام واشتباك، والذي يفترض أن يؤمن سلامة الجندي الأمريكي دون أن يستهلك في معارك خطرة تكلفه روحه، ولكن الفلوجة استدرجت هذه الآلة الضخمة – وفق خطة مدبرة – استدرجتها إلى حرب شوارع قاسية غير منتظمة تستنزف جهدها وطاقتها وعتادها، وأصبح الجندي الأمريكي يواجه الموت والهلاك من حيث لا يحتسب، وأرغم الأمريكان على النزول إلى الأزقة والشورع والدخول إلى البيوت والأبنية، فانكشف العدو لنيران المجاهدين وكمائنهم وفاجأته قدرتهم على المناورة والكر والفر، واضطر لخوض معارك قريبة لم يعهدها، تكبد فيها خسائر عظيمة في الأرواح والآليات تزيد على المئات والعشرات.

خامساً: تجرعت الإدارة العسكرية الأمريكية الهزيمة النفية الكبرى؛ فقد بدى واضحاً لعرابي هذه الحرب ومخططيها؛ أن المجاهدين لا يوقفهم أي نوع من أنواع الردع، ولو كلف ذلك خوض حرب إبادة شاملة يستأصلون فيها جميعاً، فالعقلية الجهادية أصبحت المعضلة الكبرى أمام خطط الحرب الأمريكية والعالمية، وما حدث في الفلوجة من مفاخر والثبات أوهن نفوس قادة العدو وجلب لهم الكآبة والضجر النفسي والإرباك المعنوي، وما ينتظرهم أدهى وأمر بعون الله تعالى.

سادساً: أسهمت الفلوجة بثباتها ورباطة جأشها بكشف اللثام عن وجوه الردة والنفاق والعمالة، وخلعت ثوب الدجل الذي تسربلت به حكومة علاوي المرتدة، وكشفت الزيف الذي تردده من أنها تريد مصلحة العراقيين وتقوم على حقن دمائهم وتجنيبهم الحروب والويلات وتشقى في كسب رضاهم، ثم يراها الناس كلهم وهي تسارع في إنفاذ قرار الحرب على الفلوجة وتغمس يديها في دماء أبناء المدينة الطاهرة، وتقتل الآلاف منهم وتشرد عشرات الألوف وتشرف

على عمليات التدمير والتخريب وهتك الأعراض وسلب الأموال تحت اسم محاربة الإرهاب والمصلحة الوطنية.

سابعاً: أسقطت المعركة القناع الزائف عن قبائح السحنة الرافضية الهالكة، فقد أوغلوا بحقدهم في هذه المعركة، وبلؤم ظاهر شاركوا في الحملة العسكرية على الفلوجة بمباركة من إمام الكفر والزندقة السيستاني، وكان لهم طول كبير في عمليات القتل والنهب والتخريب، واستباحة أرواح العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، بل استزلتهم نفوسهم الكريهة إلى جرائم عظام، فجعلوا يقتحمون بيوت الله الآمنة ويدنسونها، ويعمدوا إلى تعليق صور شيطانهم السيستاني على الجدران ويخطون عليها بحقد: (**اليوم أرضكم وغداً عرضكم**).

وللعلم؛ فإن ٩٠٪ من الحرس الوثني هم من الروافض الحاقدين و١٠٪ هم من قوات البشمرقة الكردية.

وصدق من قال من العلماء في الرافضة: (أنهم بذرة نصرانية، غرستها اليهودية، في أرض مجوسية).

ثامناً: انكشاف الخطوط الخفية لأعداء الجهاد في هذه المعركة، فقد برز فيها مشاركات عسكرية عدة لصفوف خلفية معادية؛ فقد اتضح مشاركة ٨٠٠ جندي إسرائيلي في المعركة، وقد رافقهم ١٨ حاخاماً قضى الكثير منهم كما تناقلت ذلك صحفهم ووسائل إعلامهم. كما ظهرت مشاركة أردنية عسكرية من قبل ضباط أردنيين شاركوا في التخطيط والاقتحام العسكري للمدينة. وذلك يدل على تحقق الجميع من أن الفلوجة هي قاعدة جهادية تؤرق ليل أعداء الدين من الكفار والمرتدين.

تاسعاً: من نتائج المعركة الشامخة؛ تجدد الدماء في عروق أبناء الجهاد، وتزايد حرصهم على الارتقاء بالعمل الجهادي نحو أهدافه المنشودة وخططه الموعودة، فقد أفرزت المعركة جيلا من القادة والطاقات والخبرات التي تعتبر بالأحداث، وتتأمل في التجارب والممارسات والمكتسبات وتمعن بعزم في الطريق المرسوم وقد صقلتها شدائد المعركة، وأخرجتها في قالب قوي متين.

يقول سيد رحمه الله في «الظلال»: (ففي معاناة الجهاد في سبيل الله والتعرض للموت في كل جولة ما يعود النفس الاستهانة بهذا الخطر المخوف الذي يكلف الناس كثيراً من نفوسهم وأخلاقهم وموازينهم وقيمهم ليتقوه، وهو هين هين عند من يعتاد ملاقاته سواء سلم منه

أو لاقاه والتوجه به لله في كل مرة يفعل في النفس في لحظات الخطر شيئا يقربه للتصور فعل الكهرباء بالأجسام وكأنه صياغة جديدة للقلوب والأرواح على صفاء ونقاء وصلاح، ثم هي الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها.. عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها، وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه.

وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد ويصبح عزيزاً على هذه الأيدي أن تسلم راية القيادة للكفر والضلال والفساد وهي قد اشترتها بالدماء والأرواح وكل عزيز وغال أرخصته لتتسلم هذه الراية لا لنفسها ولكن لله.

ثم هو بعد هذا كله تيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم الحسن لينالوا رضاه وجزاؤه بغير حساب وتيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم السوء ليكسبوا ما يستحقون عليه غضبه وفق ما يعلمه من سره ودخيلته) انتهى كلامه رحمه الله.

عاشراً: شهادة الاصطفاء؛ فقد تشرفت هذه العصابة من المؤمنين أن يكون طريقها مرسوماً بدماء أبنائها من الشهداء، وأن يكون كبار قادتها وكوادرها على الخط الأول، فإن دل ذلك على شيء دل على صدق أبناء هذا الجهاد وتجرد هممهم وعزائمهم لتحقيق مطالب التوحيد والعقيدة والتوحيد بتفان وإخلاص، وبشارتهم الأخرى أن الله اصطفى أخيارهم ونجبائهم للقائه وموعده، فكتب لهم الشهادة والفوز بالرضوان على ما كانوا يرجون ويطلبون، فحقق لهم الوعد وأنجز لهم السؤال.

فتلك أحوال سلفهم الصالح يحرصون على الموت كحرص خلفهم على الحياة، فقد كانت الشهادة أغلى أمانيهم وكانوا يسارعون إلى الميدان حباً في القتل في سبيل الله، فقد بلغت نسبة الشهداء من الصحابة في مجموع الحروب ٨٠٪.

وكان شهداء المهاجرين والأنصار أكثر من نصف الشهداء في معركة اليمامة، فقد استشهد منهم من سكان المدينة المنورة يومئذ ٣٦٠ ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ٣٠٠، وكان شهداء المهاجرين والأنصار وشهداء التابعين لهم بإحسان - الذين كانوا ٣٠٠ شهيد تابعي في تلك المعركة - ٨٠٪ من مجموع الشهداء، إذ يبلغ عدد شهداء المهاجرين والأنصار والتابعين ٩٦٠ شهيداً من مجموع ١٢٠٠ شهيد. ويكفينا أن نذكر أن عدد الشهداء من القراء، حاملي القرآن وعلماء المسلمين حين ذاك - في معركة اليمامة - ٣٠٠ شهيد، وفي رواية ٥٠٠، أي

أن نسبة القراء من الشهداء في معركة واحدة فقط ٢٥٪ في رواية، و ٤٥٪ في رواية أخرى، وهي نسبة عالية جداً.

والذين يبحثون في مصادر الصحابة رضي الله عنهم؛ يجدون واحداً من كل خمسة منهم مات على فراشه وأربعة استشهدوا في ميادين الجهاد، فلا تعجب من سرعة الفتوح المذهلة في القرن الأول الهجري وثباتها ودوامها.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشيد بثبات مجاهدينا الأبطال، وأن نذكر طرفاً بسيطاً من نعم الله عز وجل عليهم من الكرامات واللطائف الربانيّة التي حفتهم في معركتهم مع الأمريكان وأعوانهم في الفلوجة، فكانت تثبيتاً لهم وجبراً لحالهم.

ومنها: أنه في اليوم الثالث من المعركة وبعد قصف شديد وعنيف لأحياء الفلوجة، استيقظ المجاهدون من ليلهم فرأوا الآليات والدبابات الأمريكية في الشوارع والطرق والأفرع، فبرز لهم سادات أهل الإسلام في المعمعة، بقيادة الأخ أبي عزام وعمر حديد و أبو ناصر الليبي وأبو الحارث؛ محمد جاسم العيساوي... وغيرهم وغيرهم من الأبطال، فطردوا الغزاة إلى أطراف الفلوجة، وكان سلاحهم في المعركة البيكا والكلاشنكوف.

وقد حصل للأمريكان مقتلة عظيمة كبيرة، حتى أن كثيراً منهم كانوا قد فروا من المعركة واختبئوا في بعض بيوتات المسلمين، وكان المجاهدون يتحرجون بداية من اقتحام تلك البيوت خوفاً على أذى المسلمين، ولما تأكدوا من وجود الجنود الأمريكان دخلوها فوجدوهم خانسون مختبؤون، فجعلوا يقتلونهم قتل الخنافس والذباب، ولله الفضل والمنة.

وبعد أيام من المعركة؛ عرض أحد القادة على للأخ عمر حديد والأخ أبي الحارث جاسم العيساوي أن يحلقوا لحاهم ويخرجوا من الفلوجة بعد أن يسر لهم طريقا آمنا للنجاة ويبدأون بالعمل من الخارج، فرفض البطلان وقالا: (والله لا نخرج مادام في المدينة مهاجر واحد ثابت)، فقاتلا حتى اسشهدا رحمهما الله تعالى وتقبلهما في عباده الشهداء.

ومنها: أن بعض الأخوة قد قاسوا الجوع أياماً عديدة، وبعد رجاء وحسن يقين بالله عز وجل عثروا على بطيخة كبيرة، فلما فتحوها إذا بها حمراء كأحسن ما تكون، فأكلوا منها أياماً يشبعون ويحمدون ويتعجبون، حتى جزموا أنهم لم يتذوقوا طيب مأكلها في الدنيا، ومعلوم أن البطيخ ليس هذا أوانه ومكانه الذي يعرف به.

ومنها أيضاً: أن الإخوة قد عانوا الكثير من مأكلهم ومشربهم، حتى أنهم فقدوا مياه الشرب وشحت لديهم شحاً عظيماً، فأخذت الفطور تنبت على أفواههم وشفاههم، ولما هموا بالبحث عن بضع قطرات من الماء تروي شيئاً من أجوافهم العطشة دخلوا بيتاً فوجدوا فيه ثلاث قرب من الماء قد اصطفت بجانب بعضها على نمط غريب، فلما رأوها تعجبوا إذ لم يعهد في الفلوجة ولا في العراق أن يرى الماء موضوعاً في مثل هذه القراب الجميلة الغريبة، فلما تذوقوا الماء علموا أنه ليس من ماء الدنيا، فشربوا حتى ارتووا، ويقسموا بعدها أنهم لم يشربوا مثله في هذه الحياة الدنيا.

ومنها أيضاً: أن أخاً من جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم قد أصيب في دماغه بطلقة قناص فدخلت من جبهته وخرجت من قفاه، فتناثرت أشلاء دماغه على كتفه الأيمن، فهرع إخوانه إليه وأخذوا ما تناثر من الأشلاء وضموها إلى مكانها ثم ربطوا مكان إصابته وتركوه، وقد تعافى بعدها بأيام، وهو حي الآن ما به من بأس إلا أن لسانه صار به بعض الثقل، نسأل الله أن يتقبل منه ومن إخوانه.

وأما عن روائح المسك.. وما أدراك ما روائح المسك؟! فقد أبصحت من قبيل النقل المتواتر عند جمهور المجاهدين، فقد حدث الكثير من إخواننا عن الروائح الطيبة التي تنبعث من الشهداء والجرحى تقبلهم الله جميعاً.

ومن ذلك ما جرى للأخ البطل أبي طلحة البيحاني؛ فقد أصيب رحمه الله إصابة بليغة وجعلت رائحته الطيبة تفوح في كل مكان، حتى انتشرت ببعض الطرقات واشتمها كثير من الإخوة ثم قضى شهيداً - نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله -

ومما يبعث على الثبات والطمأنينة؛ ما رواه كثير ممن حضر تلك الملحمة من أنهم سمعوا صهيل الخيول وصليل السيوف تشتبك عند احتدام المعارك واشتدادها، فتعجب الإخوة من ذلك مراراً، وراحوا يسألون إخوانهم الأنصار إن كان هناك خيول قريبة من الفلوجة، فجزم الأنصار بالنفي وأكدوا أن المنطقة لا يوجد فيها مثل هذه الخيول، فلله الحمد أولاً وآخراً.

روى أحمد في المسند والحاكم في المستدرك عن أبي بردة بن قيس أخي أبي موسى قال: قال رسول الله عليه وسلم: (اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون).

قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

عش ملكاً أو مت كريما فإن تمت * وسيفك مشهور بسيفك تعذرُ**

هذه لمحة سريعة توجز ثمار ونتائج الثبات والصمود على أرض الفلوجة المباركة، والإنجازات الحاصلة كثيرة المنافع جليلة التوابع، يدركها ويفهمها المنصف المتأمل في الأحداث والمواضع.

ويا أُمة الإسلام؛

قد توالت عليك الجراح والطعنات، وأمراضك وأدوائك المقعدات لا تداوى إلا بالتوحيد المعقود على ألوية الجهاد.

فمتى تقرري قرارك الصحيح بالنفير والإنفكاك من الجلّاد، ومعارك اليوم لا هدأة لها ولا سكون، وقد أحب نبينا صلى الله عليه وسلم ألا يقعد خلاف سرية تغزو في سبيل الله بل كان من فعله أن يديم الغزو والجهاد على مدار الأوقات.

وأذكركم بحديث جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب الذي يرويه البخاري قال: فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لم يكن إلا أن وضع سلاحه فجائه جبريل فقال: (أوضعت السلاح؟! والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، فانهض بمن معك إلى بني قريضة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب)، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول صلى الله عليه وسلم على إثره في موكبه المهاجرين والأنصار.

كيف هان عليكم يا مسلمون أن ترون إخوانكم من أبناء دينكم وقد نزل بهم ألوان من العذاب والقتل والدمار وأنتم آمنون في دياركم سالمون في أهليكم وأموالكم... كيف ذاك؟!

مزجنا دمانا بالدموعا السواجمِ * فلم يبق منا عرضة للمراجمِ**
وشر سلاح المر دمع يريقه * إذا الحرب شبت نارها بالصوارمِ**
فإيهاً بني الإسلام إن ورائكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسمِ**

وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائمِ**
وإخوانكم بـ «العراق» أضحى مقيلهم * ظهور المذاكي أو بطون القشاعمِ**
يسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالمِ**

ولا أنسى في هذا المقام أن أرسل سلامي إلى شيخنا وأميرنا الشيخ المجاهد أبي عبد الله أسامة بن لادن حفظه الله ورعاه؛

فنحن على العهد ماضون - بعون الله - لا نقيل ولا نستقيل، نسيح في أرض الله بسيوف الجهاد، نطاعن أعداء الملة ونناجز عباد الصليب، وإنكم لن تؤتوا من قبلنا وفينا عين تطرف - بإذن الله - فأرم بنا أينما شئت؛ فلن تجد منا إلا المسارعة في تلبية النداء والمصابرة على مجالدة الأعداء، فأبشر بما يسرك - بعون الله - فوالله لئن ندخل السرور على قلبك أحب إلينا من الدنيا وما فيها، فسر على بركة الله ونحن معك.

أنا معْ أسامة حيث آل مآله * ما دام يحمل في الثغور لواءِ**
أنا معْ أسامة نال نصراً عاجلاً * أو نال منزلة مع الشهداء**

وسلامي أيضاً؛ إلى الإخوة المجاهدين في أفغانستان، وعلى رأسهم الملا محمد عمر حفظه الله، والشيخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ الحبيب أبي الليث القاسمي، وإلى باقي الإخوة الذين لم أذكرهم.

وسلامي إلى الأسود في جزيرة محمد صلى الله عيه وسلم؛ نسأل الله أن يحفظكم ويرعاكم، فقلوبنا تخفق بكم وألسنتنا تلهج بالدعاء لكم.

وسلامي إلى الإخوة في الشيشان؛ أبي حفص والسيف وإخوانهم.

وإلى الإخوة الصادقين الموحدين في أرض الإسراء والمعراج.

وإلى المجاهدين في الجماعة السلفية للدعوة والقتال؛ وعلى رأسهم **الأخ الحبيب أبي مصعب عبد الودود.**

وسلامي إلى باقي المجاهدين في أراضي المسلمين.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، **وكل عام وأنتم بخير**، وليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه في هذا العيد.

فليس العيد لمن لبس الجديد... ولكن العيد لمن صدع بالتوحيد... [هنا يبكي الشيخ]
فليس العيد لمن لبس الجديد... ولكن العيد لمن كفر بالشرك والتنديد... [هنا يبكي الشيخ]
فليس العيد لمن لبس الجديد... ولكن العيد لمن جاهد أولياء الشرك والتنديد...

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الحادي و العشرون

وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ

١٣ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ
٢٣ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيَخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يقول الله عز وجل:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف:13-10].

قال ابن القيم – رحمه الله – في مدارجه:

(إذا طرق العدو من الكفار بلد الإسلام طرقوه بقدر الله، أفيحل للمسلمين الاستسلام للقدر

وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره؟) أ. هـ.

اعلموا أيها المسلمون أن الجهاد في سبيل الله اليوم دواء لكثير من الأمراض التي تشكو منها الأمة، فإنه لاشيء بعد التوحيد يعدل الجهاد نفعاً للبلاد والعباد؛ فهو طريق تكفل الله بهداية سالكيه كما قال تعالى:

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:69]

لذلك كان السلف **إذا أشكل عليهم أمر من أمور الدين توجهوا بمسألتهم إلى أهل الثغور والجهاد تيمناً أن يجدوا الهداية والصواب عندهم**، وهو كذلك باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم كما في الحديث:

"عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم"

وبه تُحفظ مقاصد الدين وتصان الحرمات، كما أخبرنا ربنا تبارك وتعالى:

{وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء:75].

وقال تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين} [العنكبوت:6]

أي أن الخير العائد أو المتحصل من الجهاد مرده على أنفسنا إن جاهدنا في سبيل الله؛ فالله تعالى غني عنا وعن جهادنا، وهو كذلك باب عظيم من أبواب التمحيص يعرف به المؤمن الموحد من المنافق المتسلق الذي يتشبع بما لم يُعط، والذي يحب أن يُحمد بما لم يفعل.

فالجهاد ترجمان التوحيد وهو دليل صدق الموحد، ومن لم يكن له سابقة عهد مع الجهاد والبلاء في سبيل نصرة هذا الدين لا يحق له أن يتصدر مواقع الزعامة والقيادة، مهما أوتي من علم وحسن بيان، وهو إن فعل فهو يتشبع ويتظاهر بما ليس عنده، وهو كلابس ثوبي زور.

وما أحوج الأمة إلى هذا الميزان والكشاف في هذا الزمان الذي كثر فيه المتسلقون والمنافقون

والمتاجرون، قال تعالى:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال:74].

وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون} [التوبة:20].

وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} [الحجرات:15].

فاعتبر سبحانه وتعالى جهادهم دليلاً على صدق إيمانهم وتوحيدهم، وأنهم هم المؤمنين حقا - أي الموحدون حقا - وهم الصادقون الفائزون في الدنيا والآخرة.

أما الذين لا يجاهدون ولا ينفرون، الذين تهتز قلوبهم كلما نادى منادي الجهاد، أو فُتح في الأمة باب للبذل والفداء؛ فهؤلاء متهمون في إيمانهم مزورون في دعواهم، قال تعالى:

{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة:46-45].

فاعتبر سبحانه وتعالى تخلفهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلاً على نفاقهم وعدم إيمانهم، كما اعتبر عدم الإعداد والأخذ بأسباب الجهاد دليلاً على عدم صدقهم ورغبتهم في الخروج في سبيل الله.

فلكل دعوى وزعم برهان ودليل، وزعم اللسان من دون عمل لا يكفي، فكيف بمن يثبط الأمة عن الجهاد ويؤثم المجاهدين ويجرمهم لجهادهم!!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (العبودية): (قد جعل الله لأهل محبته علامتين:

الأولى: اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.
الثانية: والجهاد في سبيل الله.

وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان) انتهى كلامه – رحمه الله –

لو قدمت الشعوب المسلمة جزءاً يسيراً مما تقدمه في سبيل الطاغوت في طريق الجهاد في سبيل الله؛ لتغيرت حالهم إلى أحسن حال، و لكان لهم شان آخر يختلف عما هم عليه من الذل والخنوع والهوان والعبودية للطواغيت.

فكيف إذا سمعت هذه الشعوب حقيقة أخبار الجهاد على أرض العراق؟؟

فخطط الجهاد ومشاريعه تسير على قدم وساق على أرض الرافدين – بفضل الله – وثماره أخذت في البدو والصلاح مما أقض مضاجع الكفر في المنطقة؛ ففتلوا حبائلهم وأحضروا مكرهم، و أجلبوا بحقدهم وبطشهم على أرض الفلوجة الطيبة.

فماذا جنى الغاصب الأمريكي وحلفاؤه من الرافضة وغيرهم من غزوهم واعتدائهم على ديار الإسلام الآمنة؟؟

لقد ظهرت فضائحهم وأكاذيبهم المكشوفة للعالم اجمع، وتداعت حججهم ومزاعمهم في تحقيق الأمن والأمان للحكومة العراقية المرتدة..

وشغلهم الشاغل الآن في إلحاح: ((**الكذبة الأمريكية الكبرى**))، التي تُسمى: ((**الديمقراطية**))..

فقد لعب الأمريكان بعقول كثير من الشعوب بأكذوبة (**الديمقراطية المتحضرة**) وأوهموها أن سعادتها ورفاهيتها مرهونة بهذا المنهج البشري القاصر.

وبعدها قررت إدارة الكفر الأمريكية حربها على العراق، وأفغانستان؛ لأنها حامية الديمقراطية في العالم وراعيتها الأولى.

وعلى أرض العراق أُنشأت الحكومة (العلاوية) لهذا الغرض؛ أي لغرض التلبيس والتدجيل على عقول العراقيين والعالم، وللإيهام بأن الولايات المتحدة جادة في إقامة وطن عراقي مستقل وديمقراطي، فتستر بذلك أهدافها ومراميها الصليبية في المنطقة في التمكين لدولة اسرائيل الكبرى، وتخفي أطماعها ونواياها تجاه ثروات العراق وخيراته.

وإن من أعظم ما حرص الإسلام على بقاء صفائه ونقائه وتميزه هو شخصية هذا الدين وقبوله كما أنزل بأوامره وزواجره وحدوده وقواعده، بعيداً عن التمييع والتشويه، والغلو والإفراط والتفريط، وهذا ما جاء مؤكداً في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

قال الله تعالى:
{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود:112].

وقال سبحانه:
{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين} [يونس:109].

وقال سبحانه:

{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} [المائدة:49].

وقال سبحانه:
{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [الزخرف:43].

وقال جل من قائل:
{اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون} [الأعراف:3].

وقال سبحانه:
{وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه} [الأنعام:153].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"

وقال عليه الصلاة والسلام:
"... فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"

جاءت الديمقراطية لتقول لنا؛

إن الشعب في النظام الديمقراطي هو الحكم والمرجع، وله كلمة الفصل والبت في كل القضايا، فحقيقته في هذا النظام تقول:

لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه له الحكم وإليه يرجعون، إرادته مقدسة، واختياره ملزم، وآراؤه مقدمة محترمة، وآراؤه مقدمة، وحكمه حكمة عدل، من رفعه رفع، ومن وضعه وضع، فما أحله الشعب هو الحلال وما حرمه هو الحرام، وما رضيه قانوناً ونظاماً وشريعة فهو المعتبر، وما عداه فلا حرمة له ولا قيمة ولا وزن، وإن كان ديناً قويماً وشرعاً حكيماً من عند رب العالمين.

وهذا الشعار – أعني حكم الشعب للشعب – هو لب النظام الديمقراطي وجوهره ومحوره وقطب رحاه الذي تدور عليه كل قضاياه و مسائله، فلا وجود له إلا بذلك؛ فهذا هو (دين الديمقراطية)؛

الذي يبجل ويعظم جهاراً نهاراً، وهذا ما يقرره منظروها ومفكروها ودعاتها على رؤوس الأشهاد، وهو ما نشاهده ونلمسه في الواقع الذي نراه ونعاينه.

فالديمقراطية على اختلاف تشعباتها وتفسيراتها تقوم على مبادئ وأسس نوجزأهمها في النقاط التالية؛

أولاً: تقوم الديمقراطية على مبدأ أن الشعب هو مصدر السلطات بما في ذلك "السلطة التشريعية" ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشعب ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين، وبعبارة أخرى (**فأن المشرع المطاع في الديمقراطية هو الإنسان وليس الله**).

وهذا يعني أن المألوه المعبود المطاع من جهة: (التشريع و التحليل والتحريم) هو الإنسان والمخلوق وليس الله تعالى، **وهذا عين الكفر والشرك والضلال لمناقضته لأصول الدين والتوحيد، ولتضمنه إشراك الإنسان الضعيف الجاهل مع الله تعالى في أخص خصائص إلاهيته ألا وهو "الحكم والتشريع"**

قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه} [يوسف:40]

وقال تعالى: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف:26]

وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى:10]، وليس إلى الشعب أو الجماهير أو الكثرة الكاثرة.

وقال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُون} [المائدة:50]

وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً} [الأنعام:114]

وقال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّه} [الشورى:21]، فسمى الذين يشرعون للناس بغير سلطان من الله تعالى شركاء وأندادا.

وقال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} [المائدة:49]

وقال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّه} [التوبة:31]

جاء في الحديث عن عدي بن حاتم لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم – وهو نصراني – فسمعه يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّه} [التوبة:31] قال، فقلت له: "إنا لسنا نعبدهم" (أي لم نكن نعبدهم من جهة التنسك والدعاء والسجود والركوع لظنه أن العبادة محصورة في هذه المعاني وحسب)، قال: "أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلون" قال فقلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم".

ورحم الله سيّد قطب إذ يقول: (إن الناس في جميع الأنظمة الأرضية يتخذ بعضهم بعضاً

أرباباً من دون الله، يقع في أرقى الديمقراطيات كما يقع في أحط الديكتاتوريات سواء).

وقال: (أظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية تعبيد العبيد، والتشريع لهم في حياتهم، وإقامة الموازين لهم، فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا كله فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية وأقام نفسه للناس إلاهاً من دون الله).

وقال: (إن الذي يملك حق التحليل والتحريم هو الله وحده، وليس ذلك لأحد من البشر، لا فرد ولا طبقة، ولا أمة ولا الناس أجمعين إلا بسلطان من الله ووفق شريعة الله) انتهى كلامه – رحمه الله –

ثانياً: تقوم الديمقراطية على **مبدأ حرية التدين والاعتقاد**، فللمرء في ظل الديمقراطية أن يعتقد ما يشاء، ويتدين بالدين الذي يشاء، **ويرتد إلى أي دين وقتما شاء**، وإن كان هذا الارتداد مؤداه إلى الخروج عن دين الله تعالى، وإلى الإلحاد وعبادة غير الله عز وجل، وهذا أمر لا شك في فساده وبطلانه، ومغايرته لكثير من النصوص الشرعية؛ **إذ أن المسلم لو ارتد عن دينه إلى الكفر فحكمه في الإسلام (القتل)**، كما في الحديث الذي يرويه البخاري وغيره:

"من بدل دينه فاقتلوه"، وليس فاتركوه.

فالمرتد لا يصح أن يعقد له عهد ولا أمان ولا جوار، وليس له في دين الله إلا.. الاستتابة أو السيف.

ثالثاً: تقوم الديمقراطية على **اعتبار الشعب حكماً أوحد تُرد إليه الحكومات والخصومات**، فإذا حصل أي اختلاف أو نزاع بين الحاكم والمحكوم نجد أن كلاً من الطرفين يهدد الآخر بالرجوع إلى إرادة الشعب وإلى اختياره؛ ليفصل الشعب ما كان بينهما من نزاع أواختلاف.

وهذا مغاير ومناقض لأصول التوحيد التي تقرر أن الحَكَم الذي يفصل بقضائه بين النزاعات هو الله تعالى، وليس أحد سواه.

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّه} [الشورى:10]، بينما الديمقراطية تقول: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الشعب وليس إلى أحد غير الشعب.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} [النساء:59].

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه إعلام الموقعين: (جعُل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر) انتهى كلامه.

ثم إن إرادة التحاكم إلى الشعب أو إلى أي جهة أخرى غير الله تعالى يعتبر في نظر الشرع من التحاكم إلى الطاغوت الذي يجب الكفر به، كما قال تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ} [النساء:60].

فجعل الله سبحانه وتعالى إيمانهم زعماً ومجرد ادّعاء لا حقيقة له لمجرد حصول الإرادة في التحاكم إلى الطاغوت وإلى شرائعه، وكل شرع غير شرع الله، أو حكم لا يحكم بما أنزل الله فهو يدخل في معنى الطاغوت الذي يجب الكفر به

رابعاً: تقوم الديمقراطية على **مبدأ حرية التعبير أو الإفصاح أياً كان هذا التعبير ولو كان مفاده طعناً وسباً للذات الإلهية وشرائع الدين**؛ إذ لا يوجد في الديمقراطية شيء مقدس يحرم الخوض فيه أو التطاول عليه بقبيح القول.

قال تعالى: {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ} [النساء:148]

وقال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً} [التوبة:66-65].

خامساً: تقوم الديمقراطية على **مبدأ فصل الدين عن الدولة وعن السياسة والحياة**، فما لله لله، وهو فقط (العبادة في الصوامع والزوايا)، وما سوى ذلك من مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها فهي من خصوصيات الشعب:

{فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُون} [الأنعام:136]

وهذا القول منهم معلوم من ديننا بالضرورة فساده وبطلانه وكفر القائل به؛ لتضمنه الجحود الصريح كما هو معلوم من الدين بالضرورة، **فهو جحود صريح لبعض الدين، الذي نص على أن الإسلام دين دولة وسياسة وحكم وتشريع، وأنه أوسع بكثير من أن يحصر في المناسك، أو بين جدران المعابد،** وهذا مما لاشك فيه أنه كفر بواح بدين الله تعالى؛ كما قال تعالى:

{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَاب} [البقرة:85].

وقال تعالى: {وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} [النساء:151-150].

سادساً: تقوم الديمقراطية على **مبدأ حرية تشكيل التجمعات والأحزاب السياسية وغيرها أياً كانت عقيدة وأفكار وأخلاقيات هذه الأحزاب.**

وهذا مبدأ باطل شرعاً وذلك من أوجه؛

منها: أنه يتضمن الإقرار والاعتراف طوعاً من غير إكراه بشرعية الأحزاب والجماعات بكل اتجاهاتها الكفرية و الشركية، وأن لها الحق في الوجود وفي نشر باطلها وفسادها وكفرها في البلاد وبين العباد، وهذا مناقض لكثير من النصوص الشرعية التي تثبت أن الأصل في التعامل مع المنكر والكفر إنكاره وتغييره وليس إقراره والاعتراف بشرعيته.

قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال:39]

قال ابن تيمية - رحمه الله -:

(فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها حتى يكون الدين كله لله بإتفاق العلماء) انتهى كلامه رحمه الله.

ومنها: أن هذ الاعتراف الطوعي بشرعية الأحزاب الكافرة يتضمن الرضى بالكفر وإن لم يصرح بفمه أنه يرضى بحريتها، والرضى بالكفر.. كفر.

قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء:140].

ومنها: أن من لوازم الاعتراف بهذا المبدأ السماح للأحزاب الباطلة بكل اتجاهتها بأن تبث كفرها وباطها، وأن تغرق المجتمع بجميع صنوف الفساد و الفتن والأهواء؛ فنعينهم بذلك على هلاك ودمارالبلاد و العباد.

سابعاً: تقوم الديمقراطية على **مبدأ اعتبار موقف الأكثرية، وتبَنّي ما تجتمع عليه الأكثرية ولو اجتمعت على الباطل والضلال والكفر البواح**، فالحق في نظر الديمقراطية الذي لا يجوز الاستدراك أو التعقيب عليه هو ما تقرره الأكثرية وتجتمع عليه لا غير.

وهذا مبدأ باطل لا يصح على إطلاقه حيث إن الحق في نظر الإسلام هو ما يوافق الكتاب والسنة قل أنصاره أو كثروا، وما يخالف الكتاب والسنة فهو الباطل ولو اجتمعت عليه أهل الأرض قاطبة.

قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون} [يوسف:106].

وقال تعالى: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون} [الأنعام:116].

فدلت الآية الكريمة؛ أن طاعة واتباع أكثر من في الأرض ضلال عن سبيل الله تعالى لأن الأكثرية على ضلال، ولا يؤمنون بالله إلا وهو يشركون معه آلهة أخرى.

وقال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – لعمر بن ميمون: (جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)

وقال الحسن البصري: (فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكونوا كذلك).

ومما يلفت النظر ويشتد له العجب؛ أنه رغم ما جرّت التجارب الديمقراطية على المسلمين من نتائج سيئة ووخيمة أفضت إلى الضعف والاختلاف والتفرق، و الشقاق والنزاع؛ حيث الجماعة أصبحت جماعات، والحزب أصبح أحزاب، والحركة أصبحت حركات متنافرة متباغضة.

رغم كل ذلك وغير ذلك مما يشين؛ فإن أقواماً لا يزالون يستعذبون الديمقراطية وينافحون عنها كأنهم أربابها وصانعيها، أشربوا في قلوبهم حب الديمقراطية كما أُشرب بني إسرائيل من قبل في قلوبهم حب العجل، فما نفعهم سمعهم فردعتهم الآيات القرآنية والنصوص الشرعية، ولا نفعتهم عقولهم وأبصارهم فبصرتهم بالواقع المرير الناتج عن تطبيق الديمقراطية.

وتعذر بعضهم بشبهة المصلحة والوصولية للقرار والسيادة عن طريق الديمقراطية، واتخذوها سبيلاً لنيل المقاصد الشرعية والدينية، ولم يلتفتوا لشرعية هذه الوسائل وأحكامها في دين الله عز وجل، ودخلوا من جحر المساومة والمقايضة على ثوابت العقيدة والمنهج باسم (**المصلحة والغاية**).

روى الطبري في تفسيره قال: (لقي الوليد بن المغيره، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله؛ فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خير مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت منا بحظك، فأنزل الله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون:1-6]

إننا نجد في هذه الحادثة أن قريشاً طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنازل لها وتتنازل له حتى يلتقيا حول نقطة واحدة.

وقد يقول قائل؛ لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وافقهم على ذلك وطلب منهم أن يبدؤوا بعبادة الله أولاً؛ فإنهم إذا عرفوا الإسلام لن يرجعوا عنه وفي هذا تحقيق مكسب كبير للإسلام، وتحقيق انتصار، ورفع للبلاء الذي يلاقيه المسلمون.

والجواب؛ أن الله قد حسم هذه القضية:

{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون:3-2]

وفي آخرها: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون:6].

فالقضية قضية مبدأ غير قابلة للمساومة، ولا للتنازل قيد أنملة، فهذه مسألة من مسائل العقيدة، بل هي العقيدة نفسها.

إن التأمل في هذه القضية وكيف حسمها القرآن يعطي من الدروس ما نحن بأمس الحاجة إليه، بل يرسم منهجاً واضحاً جلياً في كيفية مواجهة أساليب كثير من أعداء الإسلام حاضراً ومستقبلاً.

فلو سالمتهم يا أيها المسلم؛ فهم لا يسالمونك إلا بشرط التخلي عن دينك وتدخل في موالاتهم وطاعتهم في منهجهم الديمقراطي (الخبيث) وبخاصة إن كانوا هم الطرف الأقوى، وبخاصة إن كانوا هم الطرف القوي في المعركة.

وإن طمعت يوماً أن يرضوا عنك دون أن تتبع ملته؛ فأنت واهم، وعليك بقراءة القرآن من جديد، ومراجعة التاريخ القريب منه والبعيد لتقرأ صفحات الغدر والحقد والإجرم التي مورست ولا تزال تمارس بحق الإسلام والمسلمين.

فكيف تقبلون يا أيها المسلمون من أهل العراق أن يحكم العدو الصليبي وأذنابه في دمائكم وأبشاركم وفروجكم وأموالكم بشرعة غير شرعة الله الطاهرة، وبدين غير دينه القويم وأنتم أحفاد سعد بن أبي وقاص، والمثنى، وخالد بن الوليد، والقعقاع.. الذين روّوا هذه الأرض بدمائهم؟!!

فينبغي لكم أن تتنبهوا لخطة العدو من تطبيق الديمقراطية المزعومة في بلادكم، فما أرادوها إلا لأجل نزع بقية الخير فيكم، فأحكموها على هيئة المصيدة الخبيثة التي ترمي لسيطرة الرافضة على مقاليد الحكم في العراق؛ فقد أُدخل أربعة ملايين رافضي من إيران من أجل المشاركة في الانتخابات ليتحقق لهم ما يصبون إليه من السيطرة على غالبية الكراسي في المجلس (الوثني) وبذلك يستطيعون أن يشكلوا حكومة أغلبية تسيطر على مفاصل الدولة الرئيسية

الاستراتيجية والاقتصادية والأمنية، وتحت لافتة الحفاظ على الوطن والمواطن، والتقدم نحو المشروع الديمقراطي، وإزالة أية عوالق من حزب البعث البائد، والقضاء على المخربين من فدائيي صدام والإرهابيين؛ ليبدأ الرافضة بتصفية حساباتهم العقدية للقضاء على رموز وكوادر أهل السنة من علماء ودعاة وأصحاب خبرة، ويرافق ذلك ضخ إعلامي رهيب يزين باطلهم ويخفي حقيقتهم وما تخفي صدورهم أكبر.

ثم يبدأون بعد ذلك بنشر مذهبهم (الخبيث) بين الناس بالمال والحديد، والترغيب والترهيب، ويستفيدون من سيطرتهم على مصادر رزق المسلمين.

فإن نجحوا في مشروعهم هذا فما هي إلا بضع سنوات وتكون (بغداد) ومناطق أهل السنة قد تشيع أغلبها، ومن وراء ذلك: سكوت وخذلان كثير ممن ينتسب إلى العلم زوراً وبهتاناً الذين ميعوا عقيدة الولاء و البراء في صدور الناس، وأوهموهم بأن الرافضة إخوان لنا وجيران مودتنا.

وهل أفسد الدين إلا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها**

فوا أسفاه.. إن أصبحت بغداد في يوم من الأيام رافضية؛ فإن بغداد وإن كانت حُكمت سنين طويلة من حكام مرتدين ساموا أهلها الذل والهوان.. لكنها لم تكن في يوم من الأيام رافضية.

فهاهي بغداد والسواد بدأ يعلوها يوماً بعد يوم، وهاهي مظاهر الوثنية والشرك تتبدى فيها عياناً، وأصبحت ترتفع فيها أصوات أهل الرفض بلعن صحابة نبينا عليه الصلاة والسلام، وبسب أمهاتنا زوجات نبينا صلى الله عليه وسلم صباح مساء على منابرهم وفي إذاعاتهم.

ورحم الله الإمام مالك حين قال: (لا يُجلَسُ في أرضٍ يُسبُّ فيها أبو بكر وعمر)

عمر الفاروق الذي قال عندما كان أميراً للمؤمنين:

(لئن أبقاني الله إلى العام القابل لأدعن نساء العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي)

كان يغار على أعراضكم وهو في المدينة المنورة، وهاهم الرافضة اليوم يلعنونه صبح مساء بين ظهرانيكم.

أما بقي فيكم غيرة يا أهل العراق؟؟

أغادرت مضاربكم الحمية على دين الله؟؟

أختنتم أجدادكم يا أحفاد سعد والمثنى وخالد؟؟

أرضيتم بالذلة والهوان وبغايا الروم.. وشُذاذ النصارى.. وخنازير الرافضة يعبثون بأعراض بنات المسلمين ويتلهون بها؟؟

فلهذه الدواعي وغيرها؛ أعلنا الحرب اللدود على هذا المنهج (الخبيث) وبيّنا حكم أصحاب هذه العقيدة الباطلة، والطريقة الخاسرة.

فكل من يسعى في قيام هذا المنهج بالمعونة والمساعدة فهو متولٍ له ولأهله، وحكمه كحكم الداعين إليه والمظاهرين له.

والمرشحون للانتخاب هم أدعياء للربوبية والألوهية.

والمنتخبون لهم قد اتخذوهم أرباباً وشركاء من دون الله.

وحكمهم في دين الله: (الكفر والخروج عن الإسلام)

اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد،
اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد،
اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد،

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثاني و العشرون

يَا أَهلَ الإِسلامِ؛ الشِّـدَّةُ الشِّـدَّةُ...

٣٠ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ
٢٩ أبريل/نيسان ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

{وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران:١٤٦-١٤٨]

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمّا بعد؛

من أبي مصعبٍ الزرقاوي إلى المجاهدين الصادقين في أرض الرافدين؛ أرض البطولة

والفداء، إلى الأسود أصحاب العزيمة الشمّاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

على إخوتي مني السلام تحيةً * تحية مثنٍ بالأخوة حامدِ**
وقل لهمُ بعد التحية أنتم * بنفسي ومالي من طريفٍ وتالد**

هاقد مضى عامان على سقوط بغداد بأيدي الصليبيين، الذين لم يجنوا غير الهزيمة والعار والذل والشنار، عامان مرّا وبفضل الله وتوفيقه لم يحقق فيهما بنوا الأصفر عُبّادُ الصليب أياً من أهدافهم التي جاؤوا من أجلها، فقد كانوا يرومون من غزو العراق السيطرة على الأمة والتمكين لدولة بني صهيون من النيل إلى الفرات، ولكن بفضل الله ثم بفضل ضربات المجاهدين خابت ظنونهم وطاشت سهامهم وارتدوا خاسئين على اعقابهم.

فها أنتم اليوم أيها المجاهدون بفضل الله طليعة الأمة، وصمام أمانها، وسياجها المتين، وصخرتها العتيدة، التي تحطم عليها كبرياء الصلف الأمريكي.

فبِقتالكم حاملي لواء الصليب ومن سار تحت هذا اللواء من المنافقين والمرتدين من أبناء جلدتنا فإنكم لاتذودون عن حمى الرافدين فحسب؛ ولكنكم تدافعون عن الأمة بأسرها.

إن عدوكم الأمريكي أصبح اليوم في وضع لا يحسد عليه بسبب ضرباتكم الموفقة والمركزة بفضل الله تعالى، والتي أرغمته على السعي حثيثا لفتح حوار مع المجاهدين، ولكن هيهات هيهات، فإنها خديعة إبليس أوحى بها إلى شياطين الإنس، فمالذي دفعهم للتصريح بأنه لابد من فتح باب الحوار مع فصائل المقاومة كما يزعمون؛ إنه جهادكم وصبركم وثباتكم في مواجهة هذا العدو، فقد ذكرت جريدة الواشنطن بوست في مقال مطوّل نشر بتاريخ التاسع عشر من آذار الحالي لكاتبها آسكوت تيسون تحت عنوان «بعد عامين .. حرب العراق تستنزف الجيش الأمريكي»، يقول الكاتب:

(إنه بعد عامين من تدشين الولايات المتحدة لحرب العراق فإن عمليات المقاومة العراقية لاتزال تسحق مصادر الجيش الأمريكي وسط مطالب ثقيلة غير متوقعة بمساندة المعارك البرية تستنزف القوة البشرية للجيش الأمريكي).

وينقل الكاتب عن الجنرال ريتشارد نائب رئيس أركان الجيش قوله في مجلس استماع بمجلس الشيوخ: (مايبقيني مستيقضاً في الليل سؤال وهو كيف ستبدو قوة الجنود المتطوعين في عام

.(٢٠٠٧

ويتطرق الكاتب إلى واحدة من أصعب المعارك التي يخوضها الجيش الأمريكي خارج أرض المعركة ولكنها تهدد بإنهياره، وهي التطوع فيقول: (إن الجيش النظامي وسلاح المارينز وغالبية قوات الإحتياط فشلت في بلوغ أهداف التطوع في الربع الأول من السنة ٢٠٠٥ وفق إحصائيات وزارة الدفاع، ويأتي النقص في الخدمة العسكرية وسط إرتفاع مخاوف بين مسؤولي الجيش والمارينز).

ويقول روجرز شولدز قائد قوات الحرس الوطني (إذا لم نتناول هذه المشكلة بشكل صحيح فإن الخطر سيفوق الحد)، ويقول شولدز (إن الإنهاك حل بعشرين بالمئة من أفراد الحرس الوطني)، متوقعاً أن يترك ثلثي الحرس الوطني الخدمة بعد العودة من العراق

أيها المجاهدون؛ فبعد أن وجد عدوكم أن الطريق أمامه مغلق، والباب بوجهه موصد، عمد إلى خطة خبيثة يروم من خلالها سحب البساط من تحت المجاهدين الصادقين، والإلتفاف على هذا الجهاد المبارك، فعرضوا على بعض المنهزمين المحسوبين زوراً وبهتاناً على المجاهدين بأن يشكلوا نواة الجيش العراقي في مناطق أهل السنة، وماذلك إلا لإستخدام هؤلاء للوقوف في وجه المجاهدين، والحيلولة بين المجاهدين وبين عبّاد الصليب.

وليت شعري!

أين كان هؤلاء يوم كانت القذائف والحمم تصب على المجاهدين صبّا؟
ويوم أن كانت دماء المجاهدين تراق دفاعاً عن هذا الدين؟
وذوداً عن أعراض المسلمات والمسلمين في بلاد الرافدين؟

أيها المجاهدون الصادقون؛ حذار حذار من مكرٍ كُبّار ينسجه أعوان أبليس بالليل والنهار.

أيها المجاهدون؛ إن الجهاد بابٌ يُذهِبُ الله به الهمَ والغم، وإن الجنة تحت ظلال السيوف، لقد فتح الله لكم أبواب الجنان وأتى بعدوكم ليفتح به لكم سوق الجهاد، ورحم الله ابن القيّم حين قال (إن الله يقيم الحروب بين الدول ليصطفي منكم شهداء) أو كما قال.

وقال تعالى : {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى

الظَّالِمِينَ} [البقرة:١٩٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: (فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره).

فجهادكم موصول وقتالكم مستمر حتى يكشف الله الغمة ويرفع الضيم عن الأمة.

متى تملك القلب الذكي وصارما * وأنفاً حمياً تجتنبك المظالمُ**

وهذا نداء إلى المجاهدين الصادقين؛

في بغداد الرشيد؛ يا أبطال حيفا والأعظمية والغزالية والعامرية والخضراء والمنصور والدورة والأمين والمأمون، وإلى الأسود في الإسكندرية والحصوة والمسيب والمحمودية واللطيفية واليوسفية والرضوانية وزوبع وأبي غريب والمدائن والطارمية والتاجي؛

وإلى الليوث في ديالا؛ في بعقوبة والمقدادية والخالص وبلدروز وجلولاء وبهرز وشهربان وخانقين؛

وإلى الأماجد في صلاح الدين؛ في تكريت وسامراء وبلد وبيجي والاسحاقي؛

وإلى أسد الشرى في نينوى والشمال؛ في الموصل وتلعفر وربيعة والحويجة وكركوك ودهوك وأربيل والسليمانية؛

وإلى النشامى في الأنبار؛ في الرمادي والفلوجة والقرمة والعامرية والصقلاوية والخالدية وفي هيت حديثة وعانه وراوه والقائم والرطبة؛

وإلى الطليعة المباركة؛ في الحِلِةِ والناصرية وكربلاء والبصرة؛

لقد منّ الله عليكم بعامين من الجهاد المتواصل، فكم بذلتم من النفوس والمهج في سبيل دينكم، وكم لاقيتم من التعب والنصب في طريقكم؛

فالله الله في دينكم،
والله الله في جهادكم،
والله الله في دماء إخوانكم وأعراض أخواتكم،

فلا تكونوا كالذي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا، ولا تغرّنكم كثرة الهالكين، ولا توحشنكم قلة السالكين، ولتكن خير عدتكم؛ **الصبر واليقين**.

ورحم الله خالداً يوم أن وقف واعظاً جنوده فقال : (يا أهل الإسلام إن الصبر عِزٌّ، وإن الفشل عجزٌ، وإن مع الصبر تنصرون، فإن الصابرون هم الأعلون، وإنه إلى الفشل ما يحور المبطل الضعيف، وإن المحق لا يفشل، يعلم أن الله معه وأنه عن حرم الله يذب، وعنه يقاتل، وأنه إذا قدم على الله أكرم منزلته، وشكر سعيه؛ إنه شاكرٌ يحب الشاكرين)

فاصبروا ياإخوة التوحيد؛ فإنها أيامٌ قلائل ثم تكونُ لكم العاقبة وأنتم بين خيرين، شهيدٌ مرزوق أو فتحٌ قريب.

يا أحفاد سعدٍ والمثنى، وخالد وأبي عبيدة؛
يا أسود الشرى وفرسان الميدان؛

ذودوا عن عقيدتكم، وذبّوا عن أعراضكم، واشحذوا سيوفكم، وقاتلوا في سبيل دينكم محتسبين، وسلّوا أنفسكم بخالد رضي الله عنه يوم أن نادى بجنوده في أرض المعركة:

(يا أهل الإسلام الشدة الشدة إحملوا رحمكم الله عليهم)

فإنكم إن قاتلتموهم محتسبين تريدون بذلك وجه الله فليس لهم أن يواقفوكم ساعة، وإياكم والوهن والراحة، أو أن يُضعِفَ يقينكم ما ترونه من هالةٍ إعلامية وآلة عسكرية، فإن أخلصتم النيّات وأصلحتم الطويات فزتم بنصر رب البريات، فلا يختلفنَّ هديكم.

و اعلموا أن المعونة تأتي على قدر النيّة، والأجر على قدر الحسبة، وأن المسلم لاينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له، وكيف يضعف يقينكم وتخور عزيمتكم وأنتم ترون العدو قد إستباح الديار وانتهك الأعراض و سامَ الناس الخسف والهوان!

أو ما سمعتم صرخات أخواتكم تستغيث من وراء أسوار سجون القهر الصليبي؟!
أو ما بلغكم ماحلّ بأخواتكم في فلوجة العز؟!

أوما سمعتم صرخة أمكم التي داس كرامتها رافضي خبيث؛ يوم أن جاؤوا يعتقلوا زوجها ولما لم يجدوه قاموا بإعتقالها وهي تستغيث وتتوسل، حتى قبّلت حذاءه راجيةً منه ألا يسلمها إلى الأمريكان، قائلةً له: «أنا عراقية وأنت عراقي فلماذا تسلمني إليهم؟!»، فما كان من جنود الحرس الوثني إلا أن عصبوا عينيها وقيدوا يديها إلى ظهرها وحملوها، وقذفوا بها في سيارة الإعتقال الأمريكية.

بغدادُ يبكيك دمعُ القلبِ مُسلمةٌ * قد سامها الذل دون الخلقِ صلبان**
أبكي فتاةً كطهر الثلج باكيةً * قد غال عفتها كلبٌ وذئبانُ**

نقفور عاد ولا هارون يلجمه * ناراً فيجثو وملء القلب إذعان**
نقفور عاد وتلك العرب قد بسطت * الرؤوس وكيف تثور جرذان**

ويح الأكابر من قومي تجاذبهم * عن السبيل أباطيل وأوثان**
واحسرة القلب لاسلم يجمعنا * نحوا المعالي ومافي القوم ربان**

بغداد لاتعجبي فالعرب قد مجنت * وللمعاصي لدى الهيجاء خذلان**
وكفكفي الدمع إن القوم قد فسقوا * وعدة الحرب قبل السيف إيمان**

أين أصوات علماء السوء! الذين لانسمع نشازهم؛ إلا في مناوءة المجاهدين؟!
أين هم للدفاع عن أعراض المسلمات؟!

فليتهم إذ لم يذودوا حمية عن الدين * ظنّوا غيرة بالمحارم**
وإن زهدوا في الأجر إن حمي الوغى * فهلا أتوه رغبة في المغانم**

لبيكِ يا أماه ولبيكِ يا أختاه؛
لبيك أيتها العفيفة الطاهرة؛

فوالله لن يهنأ لنا عيش، ولن يغمض لنا جفن، ولن يغمد لنا سيف، حتى نثأر لعرضكن

وكرامتكن.

ونعاهد الله يا كلب الروم بوش؛ بأنه لن يقر لك قرار، ولن يهنأ جيشك بلذيذ عيش، وطيب مقام، مادام فينا عرقٌ ينبض، وقلبٌ يخفق، فنحن قادمون بعون الله قادمون.

فيا أسود التوحيد على أرض الرافدين الحبيبة؛ عزمت عليكم إن وصلكم ندائي هذا أن لا يأتي عليكم الليل إلا وسيوفكم تقطر من دماء عدوكم، أعيدوها خضراء جذعا، قوموا قومة رجلٍ واحد، فلا خير في عيشٍ تنتهك فيه أعرضنا، وتداس فيه كرامة أخواتنا، ويحكما فيه عُبّاد الصليب، واجعلوا من غزوة الثار (**غزوة أبي أنس الشامي**) بداية عهدٍ جديد للفتوحات بإذن الله.

ويا كتائب الإستشهاديين؛ إنطلقوا على بركة الله ل اتدعوا لهم قافلة تسير، ولا حاجزاً يقفون فيه، أحيلوا ليلهم نهارا، وبردهم نارا.

ذروة الدين جهادٌ في الصميم * فلنجاهد أو لتلفظنا الحياةُ**

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، مجري السحاب، إهزم الأحزاب،
اللهم اهزمهم وزلزلهم.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثالث و العشرون

وَ عَادَ أَحفَادُ ابنِ العَلْقَمِيِّ

١٠ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ
١٨ مايو/أيار ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر:٤٤]

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فقد مضت سنة الله سبحانه وتعالى أن يقع الصراع بين الحق والباطل منذ أن برأ الله الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد مضى على مدى التاريخ صور من هذا الصراع.

وهاهو فصل من فصوله يتجدد على أرض الرافدين على يد عُباد الصليب، بعد أن أعلنوها بملء أفواههم أنها: **حرب صليبية**.

فنزلوا بالعثر من البلاد، وسعوا بالكفر بين العباد، وأكثروا من البغي والفساد، فانتهكوا الأعراض، واستباحوا الحرمات، ودنسوا المقدسات؛ يعاونهم في ذلك إخوانهم من الشيعة الروافض الذين ما

كانت حرب على الإسلام والمسلمين إلا كانوا رأس حربة فيها.

كل ذلك في حال ردة من حكام هذه الأمة، وتخاذل من علماء السوء؛ الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل وفي حال غفلة من أهل الحق عن حقيقة هذه المعركة وأبعادها.

فهب المجاهدون الصادقون للذود عن حياض هذا الدين والدفاع عن أعراض المسلمين على قلة منهم في العدد، وضعف في العدة، وندرة في الناصرين وكثرة في المخذلين، هبوا ولسان حالهم يقول:

يا رافعي علم الجهاد تقدموا * ودعوا صفوف المحجمين وراء**
خوضوا الكريهة حاسرين فإن طغت * لجج الملاحم فاركبوا الأشلاء**

فإذا بهم يواجهون أعتى قوة عسكرية عرفها التاريخ المعاصر، بكبريائها وجبروتها، وكامل عددها وعدتها، وهذه سنة الله سبحانه وتعالى، أن يكون الباطل في هذه الجولات أكثر عدداً، وأعظم عدة؛ ابتلاءً من الله لعباده، وتمحيصاً لأوليائه، وليعلموا أن النصر ليس بأيديهم؛ وإنما هو محض فضل من الله تعالى عليهم فيرغبوا في دعاءئهم إليه، ويتوكلوا في جهادهم عليه.

ولما عاين المجاهدون هذا التفاوت الهائل في العدة والعتاد بينهم وبين عدوهم رأوا لزاماً عليهم القيام بما يجبر هذا النقص ويسد هذا الفراغ؛ حتى لا تنطفئ جذوة الجهاد وتخبو ناره؛ فانطلقت كتائب الاستشهاديين يرومون رضى الرحمن، ويتسابقون إلى الجنان، فدكوا معاقل الكفر، وكسروا جحافل الصفر، وأعظموا في العدو النكاية، وأثخنوا فيه الجراح، وحطموا هيبته، وكسروا شوكته، وجرأوا عليه أبناء هذه الأمة، وبعثوا في النفوس الأمل من جديد، فلله الحمد والمنة

ولكن يأبى المنهزمون من أبناء جلدتنا إلا أن يجمعوا إلى قعودهم وتخلفهم عن نصرة هذا الدين الطعن في المجاهدين الصادقين، وأن يكونوا أعواناً للصليبيين من حيث يدرون أو لا يدرون؛ فصوبوا سهام نقدهم إلى نحور المجاهدين، وسلطوا ألسنتهم عليهم، وسخروا أقلامهم للنيل منهم، ورموهم بعظائم الأمور بحجة: **أنه يحصل في بعض هذه العمليات قتل لمن يوصفون بالمدنيين والأبرياء**.

ولعلمي أن المجاهدين؛ أحسبهم ولا أزكيهم على الله، لا يقدمون على مثل هذه العمليات إلا وضوابط الشرع وأوامره تحكمهم.

كيف لا؟ وهم إنما نفروا إلى ساحات الجهاد ابتغاء مرضات رب العباد، ونصرة لدينه، وإعلاءً لكلمته.

أحببت أن **أذكر حكم الشرع في مثل هذه الحوادث،** التي قد يقتل فيها المسلمين تبعاً لا قصدا، مستنيراً بأقوال الأئمة وعلماء الأمة، وليس غرضي بيان حكم العمليات الاستشهادية، فهذه قد قرر غير واحد من علمائنا جوازها فضلاً عن استحبابها، وأصل هذه الكلمة مستخلص من بحث لشيخنا المجاهد: أبي عبدالله المهاجر –حفظه الله ورعاه–، مع تصرف يسير مني، وإسقاط لهذه الأحكام على واقعنا الجهادي في العراق..

فأقول وبالله التوفيق؛

مما لا شك فيه أن الله تبارك وتعالى أمرنا برمي الكفار، وقتلهم وقتالهم بكل وسيلة تحقق المقصود، فيشرع لعباد الله المجاهدين في سبيل إعلاء كلمته رمي الكفار الحربيين وقتلهم وقتالهم، بكل وسيلة تقطف نفوسهم وتنزع أرواحهم من أجسادهم، تطهيراً للأرض من رجسهم، ورفعاً لفتنتهم عن العباد أياً كانت هذه الوسيلة، وإن كانت هذه الوسيلة تعم المقصودين من الكفار الحربيين وغير المقصودين من النساء والصبيان، ومن في حكمهم من الكفار ممن لا يجوز قصدهم بالقتل.

وهو ما اصطلح الفقهاء على تسميتهم بـ(القتل بما يعم)

إن هذه المشروعية مقررة أيضاً، وإن أفضى ذلك إلى قتل عدد من المسلمين ممن يقدر وجودهم حال القتال لسبب أو لآخر، ضرورة عدم إمكان تجنبهم والتمييز بينهم وبين المقصودين من الكفار الحربيين.

ومع التسليم بأن قتل عدد من المسلمين معصومي الدم مفسدة كبيرة بلا شك؛ إلا أن الوقوع في هذه المفسدة جائز، بل متعين دفعاً لمفسدة أعظم، وهي: **مفسدة تعطيل الجهاد.**

إذ القول بعدم الجواز هنا، خاصة في الصورة المعاصرة للقتال، لا يعني غير تعطيل الجهاد وإيقافه، بل وأد الجهاد وسد بابه بالكلية، **مما يعني بالضرورة:**

إسلام البلاد والعباد للكفار الحاقدين على الإسلام وأهله كأعظم ما يكون الحقد ليفعلوا ماشاءوا من ضرب الذل والصغار على الإسلام وأهله، وسوط المسلمين، وقد غدوا لهم عبيداً مطاويع، سوقاً جماعياً نحو الذبح تارة، ونحو الكفر والمروق من الدين تارات، مع تحريف الإسلام وتبديله بصورة تامة، وقلب حقائقه وتغيير محكماته، وإعادة صياغته صياغة جديدة ليغدو ديناً آخر غير ما جاء به المبعوث بالسيف صلى الله عليه وسلم.

وهذا هو هدفهم الأسمى الذي يسعون إليه، ويجدون عليه أعواناً من خبالة المنتسبين للإسلام، المنتسبين من علماء السحت وغيرهم، فأي المفسدتين أعظم في شرع الله ودينه؟؟

وقبل ذكر الأدلة الخاصة بالقول بالمشروعية؛ لابد من تقرير أصلين هامين، فنقول:

الأصل الأول: عصمة المسلمين وعظيم حرمة دمائهم؛

من المسَلَّمِ به القول بأن دماء المسلمين معصومة بعصام الإسلام، إلا بحقه، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»

وإذا كان قتل المسلم بغير حق من أعظم المحرمات التي حرمها سبحانه وتعالى والأدلة على ذلك كثيرة معلومة، قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء:٩٣]

قال الشيخ السعدي رحمه الله: فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد بل ولا مثله. انتهى كلامه

وروى النسائي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: «قتل المؤمن أعظم عندالله من زوال الدنيا»، وروي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وصحح الأئمة وقفه على عبدالله بن عمرو بن العاص.

وقد روى ابن ماجة بإسناد فيه ضعف عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة عند الله منك ماله ودمه، وأن نظن به إلا خيراً»

الأصل الثاني: حفظ الدين مقدم على حفظ النفس؛

قررت الشريعة أن الدين أعظم من النفس والعرض والمال، فهو أعظم الضروريات الخمس وأساسها، وحفظه مقدم على حفظها اتفاقاً مع استحضار أن هذه الضروريات لا حفظ لها إلا بإقامة الدين، والنصوص الكثيرة من الآيات والأحاديث الواردة بالأمر بالجهاد والحث عليه والترغيب فيه، والنهي عن القعود والترهيب منه كلها دالة على تقرير هذا الأصل وهو كون حفظ الدين مقدماً، قال تعالى:

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]

قال مجاهد -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]، قال: (ارتداد المؤمن إلى الوثن أشد عليه من القتل).

وقال قتادة والربيع بن أنس والضحاك: (الشرك أشد من القتل).

وقال ابن زيد في بيان الفتنة المقصودة هنا: (فتنة الكفر).

ونص تعالى على أن الكفر والشرك أشد في شرعه ودينه من االقتل، وهذا نص في تقديم حفظ الدين على غيره من الضروريات الأربع وعلى رأسها النفس؛ فحفظ هذه الضروريات في مقابل ضياع الدين بخلاف أمر الله وشرعه هو الفتنة الحقيقية التي يُحذر منها المولى سبحانه.

قال ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]: (والشرك بالله أشد من القتل).

وقد بُيّن فيما مضى أن أصل الفتنة الابتلاء والاختبار، فتأويل الكلام: وابتلاء المرء في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيماً على

دينه مستمسكاً عليه محقاً فيه.

وقال القرطبي رحمه الله: (قوله تعالى والفتنة أشد من الكفر أي الفتنة التي حملوكم عليها وراموا رجوعكم بها إلى الكفر أشد من القتل). انتهى كلامه رحمه الله.

والمعنيان متجهان دالان أظهر دلالة على ما نحن فيه، ففتنة الكفر والشرك أعظم من مفسدة ما يزهق من نفوس المؤمنين تبعاً لا قصداً في سبيل القضاء عليه،ا وتطهير الكون منها، قال تعالى:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ} [البقرة:٢١٧]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: (وتمام الورع أن يعرف الإنسان خير الخيرين، وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات ويرى ذلك من الورع، أو يدع المعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لما في فعل ذلك من أذى بعض الناس والانتقام منهم حتى يستولي الكفار والفجار على الصالحين الأبرار فلا ينظر المصلحة الراجحة في ذلك، وقد قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ} [البقرة:٢١٧]، يقول سبحانه وإن كان قتل النفوس فيه شر فالفتنة الحاصلة بالكفر وظهور أهله أعظم من ذلك فيُدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما) انتهى كلامه رحمه الله.

وقال أيضاً: (وذلك أن الله تعالى أباح من قتل لنفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق كما قال تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة:١٩١] وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر) انتهى كلامه.

وقال الشاطبي –رحمه الله-: (واعتبار الدين مقدم على اعتبار النفس وغيرها في نظر الشرع).

وقال أيضاً: (إن النفوس محترمة محفوظة ومطلوبة الإحياء بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال عليها، أو إتلافها وإحياء المال كان إحيائها أولى؛ فإن عارض إحيائها إماتة

الدين كان إحياء الدين أولى، وإن أدى إلى إماتتها كما جاء في جهاد الكفار وقتل المرتد وغير ذلك) انتهى كلامه رحمه الله .

إذاً فحفظ الدين بالقضاء على حكم الطاغوت الذي يُعبّد الناس له من دون رب العالمين ويسوقهم سوقاً جميعاً نحو الكفر والردة، فضلاً عما يشيعه في البلاد وبين العباد من الظلم والإفساد مقدم إجماعاً على حفظ غيره من الضروريات الأخرى، أياً كانت تلك الضروريات.

وقد نص الشاطبي –رحمه الله –على أن الأوامر في الشريعة لا تجري في التأكيد مجرىً واحدا وأنها لا تدخل تحت قصد واحد، فإن الأوامر المتعلقة بالأمور الضرورية ليست كالأوامر المتعلقة بالأمور الحاجية ولا التحسينية، ولا الأمور المكملة للضروريات كالضروريات أنفسها، بل بينهما تفاوت معلوم، بل الأمور الضرورية ليست في الطلب على وزان واحد كالطلب المتعلق بأصل الدين، ليس كالتأكيد في النفس، ولا النفس كالعقل إلى سائر أصناف الضروريات، انتهى كلامه رحمه الله

ورحم الله الشيخ سليمان بن سحمان عندما جلّى الأمر بدقة؛ فقال: (ولكن لما عاد الإسلام غريباً كما بدأ صار الجاهلون به يعتقدون ما هو سبب الرحمة سبب العذاب، وما هو سبب الإلفة والجماعة سبب الفرقة والاختلاف، وما يحقن الدماء سبباً لسفكها كالذين قال الله فيهم: {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَه} [الأعراف:١٣١]، وكالذين قالوا لأتباع الرسل: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُم} [يس:١٨].

فمن اعتقد أن تحكيم شريعة الإسلام يُفضي إلى القتال والمخالفة وأنه لا يحصل الاجتماع أو الالفة إلا على حاكم الطاغوت فهو كافر، عدو لله، ولجميع الرسل؛ فإن هذا حقيقة ما عليه كفار قريش الذين يعتقدون أن الصواب ما عليه آباؤهم دون ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم).

وقال: (المقام الثاني إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر وقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل فقال: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْل} [البقرة:٢١٧] وقال: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْل} [البقرة:١٩١] والفتنة هي الكفر، فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتاً يحكم بغير شريعة الإسلام التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم) انتهى كلامه رحمه الله.

فأعظم فتنة ترزأ بها الأرض هي الكفر والشرك بتعبيد العباد لغير المعبود الحق.

ورحم الله الإمام الشوكاني إذ يقول مصارحا: (فيا علماء الإسلام، ويا ملوك المسلمين أي رزئ للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء بهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك من البين الواضح) انتهى كلامه رحمه الله.

وقد تقرر في الأصول أن الضرر الخاص يُتحمل لدفع الضرر العام، وأن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، وأنه إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً، وأنه يُختار أهون الشرين.

وقد تبين لكل عاقل أن ضرر ترك الجهاد وتعطيله أعظم بما لا مزيد له في الدين والدنيا مما قد يترتب على الجهاد من ضرر يلحق البعض في نفس أو مال أو نحو ذلك، مع كون هذا الضرر هو من الضرر الخاص مقارنة بالفواجع والطوام التي تضرب الأمة كلها في دينها ودنياها.

بعد تقرير الأصلين السابقين؛ نقول:

إن مشروعية رمي الكفار المحاربين بكل ما يمكن من السلاح وإن اختلط بهم من لا يجوز قتله من المسلمين تقررت بـ (أدلة خاصة، بالإضافة للقواعد العامة التي سبق تقريرها).

وهذه الأدلة؛ هي:

أولاً: ما قرره جماهير الفقهاء من رمي الكفار المحاربين حال تترسهم بالمسلمين؛

وهو ما يعرف بـ (مسألة الترس) والمراد بالتترس هنا أن يتخذ العدو طائفة من المسلمين بمثابة الترس – وهو الدرع – يدفع به عن نفسه استهداف المجاهدين له بالقتل، وقد ذهب جماهير العلماء إلى مشروعية رمي الكفار المحاربين في هذه الحالة وإن ترتب على ذلك قتل المتترس بهم من المسلمين يقيناً لضرورة دفع عادية الكفار على المسلمين وعدم تكمن التوصل إلى قتل الكفار المحاربين إلا بذلك، **كما ذهب الأحناف والمالكية بجواز ذلك وإن لم تدع ضرورة إليه.**

ومن فقه الأحناف: جاء في متن البداية - أشهر متون الأحناف- (وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو الأسارى لم يكفوا عن رميهم، ويقصدون بالرمي الكفار)

قال شارح البداية: (ولا بأس برميهم وإن كان فيهم مسلم أسير أو تاجر؛ لأن في الرمي دفع الضرر العام بالذّب عن بيضة الإسلام وقتل الأسير والتاجر ضرر خاص، ولأنه قل ما يخلو حصن من مسلم فلو امتنع بإعتباره لانسد بابه، وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو الأسارى لم يكفوا عن رميهم لما بيّنا ويقصدون بالرمي الكفار؛ لأنه إن تعذر التمييز فعلاً فلقد أمكن قصداً والطاعة، بحسب الطاقة) انتهى كلامه رحمه الله.

وقال الكاساني في بدائع الصنائع: (ولا بأس برميهم بالنبال وإن علموا أن فيهم مسلمين من الأسارى أو التجار لما فيه من الضرورة إذ حصون الكفرة قلما تخلو من مسلم أسير أو تاجر فاعتباره يؤدي إلى انسداد الجهاد ولكن يقصدون بذلك الكفرة دون المسلمين؛ لأنه لا ضرورة في القصد إلى قتل مسلم بغير حق، وكذا إذا تترسوا باطفال المسلمين، فلا بأس بالرمي إليهم لضرورة إقامة الفرض لكنهم بقصدون الكفار دون الأطفال) انتهى كلامه رحمه الله.

ومن فقه المالكية؛ جاء في متن مختصر خليل: (وإن تترسوا بذرية تُركوا إلا لخوف، ولمسلم لم يقصد الترس إن لم يُخف على أكثر المسلمين).

قال في الشرح الكبير: (وإن تترسوا بمسلم قوتلوا ولم يُقصد الترس بالرمي وإن خفنا على أنفسنا لأن دم المسلم لا يُباح بالخوف على النفس إن لم يُخف على أكثر المسلمين، فإن خيف سقطت حرمة الترس وجاز رميهم) انتهى كلامه رحمه الله.

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره: (قد يجوز قتل الترس ولا يكون فيه اختلاف إن شاء الله وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية أنها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس، ومعنى أنها كلية أنها قاطعة لكل الأمة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين، فإن لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الأمة، ومعنى كونها قطعية أن تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعاً)

قال علماؤنا: (وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يُختلف باعتبارها لأن الفرض أن الترس مقتول قطعاً، فإما بأيدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة التي هي استيلاء العدو على كل

المسلمين، وإما بأيدي المسلمين فيهلك العدو و ينجوا المسلمون أجمعون.

ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يُقتل الترس في هذه الصورة بوجه لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين، لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة نفرت منها نفس من لم يمعن النظر فيها؛ فإن تلك المفسدة بالنسبة على ما يحصل منها عدم أو كالعدم والله أعلم) انتهى كلامه رحمه الله.

ومن فقه الشافعية؛ قال النووي رحمه الله في روضة الطالبين: (لو تترس الكفار بمسلمين من الأسارى وغيرهم نُظِرَ: إن لم تدع إلى رميهم واحتمل الإعراض عنهم لم يجز رميهم، وإن دعت ضرورة إلى رميهم بأن تترسوا بهم في حال التحام القتال وكانوا بحيث لو كففنا عنهم ظفروا بنا وكثرت نكايتهم، فوجهان: أحدهما لا يجوز الرمي إذا لم يمكن ضرب الكفار إلا بضرب مسلم؛ لأن غايته أن نخاف على أنفسنا، ودم المسلم لا يُباح بالخوف بدليل صورة الإكراه). انتهى كلامه رحمه الله

فقياس هذه الحالة على صورة الإكراه غير متجه البتة لأن المكره على قتل غيره يهدف إلى دفع الضرر الخاص عن نفسه، وليست نفسه بأولى من نفس غيره، أما هنا فالهدف هو دفع الضرر العام عن الأمة جميعاً في دينها قبل دنياها، وليس للمجاهد الرامي حظ خاص من نفسه من قريب أو بعيد.

وقال النووي أيضاً: والثاني وهو الصحيح المنصوص – وبه قطع العراقيون – جواز الرمي على قصد قتال المشركين؛ (ويتوخى المسلمين بحسب الإمكان لأن مفسدة الإعراض اكثر من مفسدة الإقدام، ولا يبعد احتمال طائفة بالدفع عن بيضة الإسلام ومراعاة للأمور الكليات) انتهى كلامه رحمه الله.

ومن فقه الحنابلة؛ قال ابن قدامة رحمه الله في الكافي: (وإن تترسوا بأسارى المسلمين أو أهل الذمة لم يجز رميهم إلا في حال التحام الحرب والخوف على المسلمين لأنهم معصومون بأنفسهم فلم يبح التعرض بإتلافهم من غير ضرورة، وفي حال الضرورة يُباح رميهم لأن حفظ الجيش أهم) انتهى كلامه رحمه الله.

وقال ابن مفلح في المبدع: (وإن تترسوا بالمسلمين لم يجز رميهم كأن تكون الحرب غير قائمة، أو لإمكان القدرة عليهم بدونه أو من أمن من شرهم إلا أن يُخاف على المسلمين مثل

كون الحرب قائمة أو لم يُقدر عليهم إلا بالرمي فيرميهم، نص عليه بالضرورة) انتهى كلامه رحمه الله.

يتحصل لنا من تلك النصوص السابقة؛ عن فقهاء وأئمة المذاهب المختلفة:

أولاً: أن الجميع متفقون على جواز رمي الكفار المحاربين حال تترسهم بالمسلمين وإن تيقنّا قتل المتترس بهم عند الخوف على المسلمين أن ينزل بهم ضرر من أعدائهم من نكاية أو هزيمة.

ثانياً: أن الأحناف والشافعية في الصحيح عندهم، والحنابلة في أحد القولين على جواز الرمي في تلك الحالة إذا كانت الحرب قائمة، أو لم يُقدر عليهم إلا بذلك وإن لم نخف على المسلمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يُقاتلوا فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار، ولو لم نخف على المسلمين جاز رمي أولئك المسلمين أيضاً في أحد قولي العلماء، ومن قُتل لأجل الجهاد الذي أمر الله به ورسوله وهو في الباطل مظ.... كان شهيدا وبُعث على نيته ولم يكن قتله أعظم فساداً من قتل من يُقتل من المؤمنين المجاهدين) انتهى كلامه رحمه الله.

والكلام الأخير من شيخ الإسلام ظاهره ترجيح القول بجواز الرمي ولو لم نخف على المسلمين.

إذا تقرر كما سبق الجواز في تلك الصورة القديمة بالترس بشرطها؛ فإن الجواز يُقرر من باب أولى في الصورة المعاصرة للترس اليوم –وهو الذي يعمد فيها العدو إلى وضع أماكن تجمعاته ومنشآته المختلفة وسط المسلمين وأحيائهم السكنية ليحتمي بهم–؛ بوجوه عدة:

أولاً: أن كلام الفقهاء والأئمة السابق هو في الأسلحة القديمة المستخدمة بالرمي قبل اكتشاف البارود، ومن البدهي أن هذه الأسلحة القديمة أقرب لإمكان التمييز وتلافي إصابة المسلمين من الأسلحة الحديثة.

ثانياً: أننا مطالبون شرعاً باستخدام أقوى الأسلحة وأشدها فتكاً بأعداء الله إن كان ذلك في قدرتنا واستطاعتنا؛ فكيف مع الفارق الهائل بيننا وبين عدونا.

ثالثاً: أننا مطالبون شرعاً قبل النصر والتمكين لكلمة الله في الأرض بالإثخان في أعداء الله، والاثخان هو التقتيل الذريع في أعداء الله والذي تنكسر معه شوكتهم ولا يكون لهم نهوض بعده، قال تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد:٤]، فليس هناك شد للوثاق قبل الإثخان.

فهذه التنبيهات السابقة تجعل القول بالجواز في الصورة المعاصرة أولى بلا شك لتحقق الضرورة الملجئة في أعلى صورها باستخدام أكثر الأسلحة تطوراً، وأشدها فتكاً في أعداء الله لإرهابهم وتحقيق أعظم نكاية فيهم ولإحداث نوع من التوازن في ميزان القوى المحتل، ومعلوم أن إمكان التمييز بهذه الأسلحة بين المقصودين وبين غيرهم من المحال.

رابعاً: إن كلام الفقهاء السابق إنما هو في جهاد الطلب حيث إن هذه المسألة مفترضة حال غزو المسلمين للكفار في ديارهم لفتح هذه البلاد وإخضاعها لحكم المسلمين، ومن البدهي القول بأن الجواز يُقرر من باب الأولى في جهاد الدفع، أي لدفع الكفار المحاربين عن الاستيلاء لبلاد المسلمين، **فكيف مع تحقق هذا الاستيلاء فعلاً**، بل ومع مرور السنين الطوال على هذا الاستيلاء بما يرسخ حكم الصليبيين وشرعهم فوق البلاد وعلى رؤوس العباد.

خامساً: سبق معنا قول القرطبي: (فإن لم يفعل قتل الكفار الترس)، أما في حالتنا اليوم فإن لم يفعل **فتن الكفار الترس** بفتنة الكفر والردة حتى يتمكن حكم الصليبيين في الأرض، ويترسخ ويصبح له الصولة والدولة ومن ثم يستبيح دين المسلمين وحرماتهم، ثم يسوقهم سوقاً جميعاً نحو الانسلاخ من الدين عبر حكمه وشرعه المضاد لحكم الله وشرعه.

وقد أشار لعين هذا المعنى شيخ الإسلام؛ فقال: (وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون، وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم، وإن لم يُخف على المسلمين ففي جواز القتال المفضي إلى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء، وهؤلاء المسلمون إذا قتلوا كانوا شهداء ولا يترك الجهاد الواجب لأجل من يُقتل شهيداً، فإن المسلمين إذا قاتلوا الكفار فمن قُتل من المسلمين يكون شهيداً، ومن قُتل وهو في الباطل لا يستحق القتل لأجل مصلحة الإسلام كان شهيداً) انتهى كلامه رحمه الله.

وقال أيضاً: (وكذلك مسألة التترس التي ذكرها الفقهاء فإن الجهاد هو دفع فتنة الكفر،

فيحصل فيها من المضرة ما هو دونها؛ ولهذا اتفق الفقهاء على أنه متى لم يمكن دفع الضرر عن المسلمين إلا بما يُفضي إلى قتل أولئك المتترس بهم جاز ذلك وإن لم يُخف الضرر، لكن لم يُمكن الجهاد إلا بما يُفضي إلى قتلهم ففيه قولان، ومن يُسوغ ذلك يقول: قتلهم لأجل مصلحة الجهاد مثل قتل المسلمين المقاتلين يكونون شهداء) انتهى كلامه رحمه الله.

فنص شيخ الإسلام على أن قتل الترس أقل مضرة من شيوع الكفر وظهوره.

ثانياً: وهو ما يُعد نصاً في مسألتنا هذه في مشروعية رمي الكفار المحاربين بكل ما يمكن من السلاح وإن اختلط بهم المسلمون ما جاء؛ من حديث أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله صلى اله عليه وسلم: «يعوذ عائذ بالبيت فيُبعث غليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم» فقلت: يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: «يُخسف به معهم ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته».

وعن أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها– أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ليؤمن هذا البيت جيشٌ يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يُخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبر عنهم»

وعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله– قالت: عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه، فقلنا يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجب؛ إن ناساً من أمتي يؤمون بالبيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانو ا بالبيداء خُسف بهم» فقلنا يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس! قال: «نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم»

فهذا الحديث برواياته المتعددة –وجميعها في صحيح مسلم– نص ظاهر بشمول العذاب لمقصودين به أساساً ولكل من خالطهم عند نزوله، وإن لم يكن منهم أصلاً، وإن كان من الناجين يوم القيامة، مع أن الله تعالى قادر على أن يخص بالعذاب المستحقين به وحدهم.

قال شيخ الإسلام: (فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته المكره فيهم وغير المكره مع قدرته على التمييز بينهم، مع أنه يبعثهم على نياتهم؛ فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك؛ بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضاً، ومن قتل لأجل الجهاد الذي أمر الله به

ورسوله هو في الباطل مظلوم كان شهيداً وبُعث على نيته، ولم يكن قتله أعظم فساداً من قتل من يُقتل من المؤمنين المجاهدين، وإذا كان الجهاد واجباً وإن قُتل من المسلمين ما شاء الله؛ فقتل من يُقتل في صفهم من المسلمين لحاجة الجهاد ليس أعظم من هذا) انتهى كلامه رحمه الله.

ففي هذا الاستعراض للأدلة الخاصة في هذه المسألة (مسألة رمي الكفار المحاربين إذا اختلط بهم مسلمون)؛ يظهر لنا بجلاء:

أن المشروعية مقررة من وجوه عدة، وهنا لابد من التنبيه على مسألة هي غاية في الأهمية؛ فإضافة إلى الفارق الهائل بيننا وبين عدونا في العدة والعتاد فإن الطبيعة الجغرافية لأرض العراق تضطر المجاهدين في كثير من للجوء على مثل هذا النوع من القتال، فلا وجود لغابات يكمنون بها لعدوهم، ولا جبال يتحصنون بها وينطلقون منها لتنفيذ عملياتهم والعدو قد نزل بالعقر من الديار، ونازعنا الأرض التي نقف عليها، واتخذ قواعده المحصنة فيها، وأقام حواجز السيطرة ونقاط التفتيش في كل مكان، يساعده في ذلك أعوانه من الجيش والشُرط، وطوابير العملاء والجواسيس الذين يرقبون كل غادٍ ورائح؛ مما يزيد في صعوبة حركة المجاهدين، ويتضح ذلك جلياً لكل منصف يقارن حالنا مع إخوة لنا في ساحات أخرى من ساحات الجهاد، فالجبال الشاهقة والوعرة في أفغانستان، والغابات الكثيفة في الشيشان، هيأت المجاهدين المكان الناسب لخوض حرب طويلة الأمد يُستنزف فيها العدو، وأتاحت لهم اتخاذ قواعد خلفية آمنة مكنتهم من التفكير والتخطيط بعيداً عن عدوهم والانطلاق في عمليات كر وفر، ثم الرجوع على هذا الملاذ الآمن، وهذا كله مفقود على أرض الرافدين.

لذا والحالة هذه؛ كان الدخول مع العدو في مواجهات ميدانية مباشرة من الصعوبة بمكان، ولا سيما في بغداد التي هي عقر دار العدو، وكثافته فيها منقطعة النظير؛ فكان لابد من تكثيف عملياتنا الاستشهادية لخلخة توازن العدو على هذه المدن، وإرغامه على الخروج منها إلى أماكن يسهل اقتناصه فيها، وهذه العمليات هي سلاحنا الفتاك الذي يُثخن في العدو الجراح، وتنخلع به قلوب افراده، وتعظم فيه النكاية؛ هذا مع سهولته علينا وقلة الخسائر بالنسبة إلينا.

فلو أوقفنا هذه العمليات فلاشك أن جذوة الجهاد ستضعف حتما، إن لم تخبُ في هذه المرحلة، وبضعف الجهاد وتمكن العدو من بسط سيطرته على بغداد تحصل المفسدة الكبرى؛ فيتمكن العدو من تدبير مؤامراته ومخططاته، ويستبيح الأمة بأكملها.

وقد رأى العالم بأسره جرائم عُباد الصليب، وشُذّاذ النصارى، وبغايا الروم في سجن أبي غريب

وبوكا، وما فعله أعوانهم الروافض في سجونهم في الجنوب في الكوت والحلَة والنجف وكربلاء والبصرة وغيرها، وهم لم يُمكنوا التمكن الحقيقي فكيف لو تمكنوا من بسط سيطرتهم على أرض العراق؟

فإن الروافض الحاقدين يحاولون بشتى الوسائل إظهار حرصهم على الدم العراقي لتشويه صورة المجاهدين، وإظهارهم أمام العالم أنهم سفاكوا دماء، ونسي احفاد ابن العلقمي غدراتهم بأبناء هذه الأمة التي حُفرت في جبين التاريخ.

وسنذكر بعضاً من جرائمهم؛ لعله يتبين للأمة الشيء اليسير من حالهم:

أولاً: في عام ١٩٨١؛ أي قبل نحو ربع قرن من الآن، قام انتحاري من قوات فيلق الغدر – فيلق بدر– بتفجير نفسه بشاحنة مفخخة في مبنى الإذاعة والتلفزيون العراقي في الصالحية راح ضحيته العشرات.

ثانياً: شهدت شوارع أبي النواس والسعدون والكرّادة والزعفرانية خلال الحرب الإيرانية عشرات العمليات التفجيرية بالسيارات المفخخة بالشوارع راح ضحيتها العشرات.

ثالثاً: في الرابع من نيسان عام ١٩٨٠؛ أوقع عناصر فيلق بدر قنابل يدوية بين الطلاب في الجامعة المستنصرية في بغداد راح ضحيتها العشرات، وعندما خرجت جنازة تشييع الضحايا في اليوم التاني تم إلقاء القنابل من داخل بناء المدرسة الإيرانية وقُتل العديد ممن كان في الجنازة.

رابعاً: وقعت في الفترة ما بين عامي ١٩٩١؛ إلى الغزو الأمريكي أكثر من ثمانين عملية تفجير سيارات مفخخة في مختلف مناطق العراق على يد قوات فيلق بدر.

خامساً: أطلقت قوات فيلق بدر ٦٥ صاروخاً محلياً موجهاً بواسطة سيارات متحركة من مناطق قريبة من بغداد مثل المحمودية واللطيفية وناحية الرشيد والأمين خلال عامي ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ راح ضحيتها العشرات.

سادساً: عمليات قطع الطرق السريعة بين العمارة والناصرية وقتل المسافرين عبر إقامة سيطرات مزيفة كان يقوم بها ويتباهى في عملها، ويُصدّر البيانات بنسبتها حزب الدعوة إلى الشيطان وقوات فيلق بدر وقوات كريم ماهوت وذلك خلال عام ١٩٩١؛ ولم تنته إلا بدخول الصليبيين

إلى بغداد، وغير ذلك من جرائمهم التي لو ذهبنا نتتبعها لطال بنا المقام.

والله يعلم حرصنا أن لا نوقع خسائر بين المسلمين، وكم من عملية محكمة أُلغيت، وأهداف كبيرة فاتت، لتوقع خسائر كبيرة بين المسلمين.

ونحن على علم أنه قد تحدث بعض الأخطاء، ويقع بعض الضحايا وهذا –والله– مما يدمي قلوبنا، ويقرّح اكبادنا؛ لكن ما حيلتنا والواقع ما ذكرنا من تخلل العدو فينا.

ولو أن العدو مُتميزٌ و متزيغ عن مناطق المسلمين؛ لما اجزنا لأنفسنا بحال من الأحوال التوسع في هذه العمليات؛ فالطريق يجمع الناس، ولا يمكن بحال قتال الكفار إلا بقتل بعض المسلمين، **وكما قال احد إخواننا:**

فلو فُرض على المجاهدين التمييز بين الكفار والمسلمين لتعطل الجهاد في كل مكان، **فقد قام المجاهدون بمثل هذه العمليات في غزوتي نيبورك وواشنطن** وكان هناك بعض المسلمين، وفعلوها في الرياض وبالي، وعلى المعبد اليهودي في تونس، وفعلوها في نيروبي وفعلوها في تنزانيا وومومباسا، وكراتشي وكويتا وكابل، وغروزني وموسكو، فمن أراد تحريم هذه العمليات بسقوط المسلمين فيها تبعاً لا قصداً؛ فعليه أن يمنع الجهاد في كل مكان لأنه لا يمكن أن يسلم عمل جهادي من سقوط المسلمين، ولا يؤمر المرء بمالا يُطيق.

فنحن والله لا نرضى أن تُراق دماء المسلمين بغير وجه حق، ووالله لئن أُقدم فتُضرب عُنقي أحب إلي من تقصد قتل امرئ مسلم بغير حق.

أضف إلى هذا التشويه المتعمد من الإعلام الخبيث لهذه العمليات، وما يحصل من قلب لحجم الخسائر في صفوف الصليبيين وأعوانهم من المرتدين.

ونسمع اليوم – وللأسف –كثيراً من منافقي هذه الأمة من يُشنّع على المجاهدين، ويحتج عليهم بإن العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المجاهدون يترتب عليها سفك لدماء المسلمين، مع أنهم يعلمون علم اليقين بأن المجاهدين لا يتقصدون قتل المسلمين، بل مرادهم قتل الصليبيين وأعوانهم من المرتدين، ولكن هؤلاء في حقيقة أمرهم لا يهمهم أمر المسلمين ولا دمائهم وإنما همهم إرضاء أوليائهم من المرتدين والصليبيين؛ وإلا فهؤلاء المسلمون يُقتّلون في مشارق الأرض ومغاربها وهذه دماؤهم تُراق وهي أرخص الدماء فهل سمعتم يوماً عن احد من هذه الأبواق

العميلة قام يوماً مقام حق لله تعالى فتكلم عن تلكم الجرائم؟؟

وهل تجرأ أحدهم فأبان عن جرائم الفيالق العسكرية الرافضية كفيلق الغدر –فيلق بدر– الذي يتزعمه عبدالعزيز الحكيم الطبطبائي المجوسي؟؟

فلتعلمي يا أمتي بأن هذه الفيالق الخبيثة عندما دخلت إلى العراق أثخنت أيما إثخان في أهل التوحيد، وهجّرت العوائل السنية من الجنوب، وقلت المئات من أهل السنة، واغتصبت المساجد وحولتها إلى معاقل للوثنية والشرك، كل هذا وفق برنامج مدروس لتصفية أهل السنة؛ فقد اغتصبوا (٢٩) مسجداً في بغداد تم تحويلها إلى حُسينيات وثنية مع أنهم لم يقربوا كنيسة واحدة، ولم يُغلقوا محلاً واحداً لبيع الخمور، وعندما ذهب بعضهم إلى الهالك محمد باقر الحكيم يستجديه إعادة المساجد إلى أهل السنة أجابهم بالحرف الواحد: (كم مسجداً أُخذ منكم؟) فلما اخبروه أجابهم بكل لؤم: (تسعة وعشرون مسجداً فقط هذا قليل، أنتم أهل السنة لكم أربعة آلاف مسجد في العراق أفتستكثرون علينا هذه المساجد؟)

كما وقاموا بتصفية معظم كوادر ورموز أهل السنة من الدعاة والأطباء والمدرسين وأصحاب الخبرة والتقنية.

بل وقاموا باختطاف كثير من النساء اللاتي لا يُعرف مصيرهن حتى الآن.

بل إن قوات الشرطة الروافض شاركوا في انتهاك أعراض المسلمات الحرائر مع الصليبيين في سجن أبي غريب.

فلو تعلمون عن سجن الكوت؛ الذي تُديره المخابرات الإيرانية.

وسجن الحلّة؛ الذي يديره الرافضي المسمى بـ (العميد قيس)، الذي كان يُقطّع أعضاء المسلمين بالمنشار الكهربائي، ويستبيح أعراض المسلمات هناك.

ولا تسأل عن السجن في حُسينية البراتة؛ في بغداد معقل فيلق بدر.

فوالله لم نبدأهم بالقتال، ولم نصوب إليهم النبال.

وفي أرض الرافدين طوائف عدة كالصابئة واليزيديين عبدة الشيطان، والكلدانيين والآشوريين، ما مددنا أيدنا بسوء إليهم ولا صوبنا سهامنا عليهم، مع أنها طوائف لا تمت للإسلام بصلة، ولكن لم يظهر لنا أنها شاركت الصليبيين في قتالهم للمجاهدين ولم تلعب الدور الخسيس الذي لعبه الرافضة.

ولكن أخبريني يا أمتي أيسعنا والحالة هذه أن نغمد سيوفنا ونكف أيدينا خشية اتهامنا بإثارة الطائفية!!

وليت شعري عن أي طائفية يتحدثون!!

أمة من الناس، رجال ونساء وصبيان يجأرون إلى الله ليل نهار من ظلم الروافض الحاقدين الذين مكنوا لعُبّاد الصليب المعتدين.

بل وأقسم بالذي أنزل براءة عائشة في الكتاب، ومكن الصديق من مسيلمة الكذاب، واطفأ نار المجوس على يد عمر بن الخطاب، أن ما لاقاه ويلاقيه أهل السنة في العراق من هؤلاء الروافض احفاد ابن العلقمي أشنع وأفضع بكثير مما لاقوه على يد العدو الأمريكي.

ولكن كل هذا مُغيب عن أمتي لأجل التكتيم الإعلامي، وسكوت ومداهنة علماء السوء.

والله إن قلبي ليتقطر حزناً على ما يحل بأهل السنة في بغداد والجنوب، ولو حدثتكم عما يلاقيه إخوانكم وأخواتكم في الجنوب لما تلذذتم بالعيش إن كان عندكم غيرة على حرمات المسلمين.

[هنا يبكي الشيخ] وسأذكر هنا قصة تتقطع منها القلوب والأجساد، وتتقرح لسماعها الأكباد، وهي على سبيل الذكر والاستشهاد، لا على سبيل الحصر والاستطراد، لعلها تُصادف من أبناء هذه الأمة آذاناً واعية، وقلوباً حية:

ففي مدينة الحلة اقتحم قوات الشرطة المرتدين منزل احد إخواننا المجاهدين، فلما شعر بهم لاذ منهم بالفرار فأتى عدو الله الرافضي المدعو بـ (العميد قيس) إلى زوجة أخينا العفيفة الطاهرة وأخذ يجرها من رأسها، ويجذبها من شعرها مهدداً ومتوعداً لها إن لم تخبره بمكان زوجها بسلب عفتها وانتهاك عرضها وهي تصرخ وتستغيث:

ألا من مغيث!!!
ألا من أمتي من يغار على أعراضنا ويدافع عن حُرماتنا!!!

ولم تدر هذه المسكينة أن أبناء الأمة في لهوهم يلعبون وفي سباتهم نائمون. [هنا يبكي الشيخ]

فما كان منا لما بلغنا خبرها إلا المسارعة بإغاثتها، وتلبية ندائها فوالله لا حيينا إن بقي هذا وأمثاله أحياء؛ فقام الإخوة بمراقبة دقيقة لبيته ثم انطلق أحد الأسود الاستشهاديين قاصداً معقل هذا المرتد اللعين فدك عليه حصنه الحصين، وأصابه وأهله من الرعب والجراح مالا ينساه على مر السنين، وقدر الله أن يكون له في عمره بقية باقية ادخاراً منه سبحانه ثواب قتله لعبد اشترى الآخرة بالفانية.

وما زال الليوث يقعدون لهذا الرافضي كل مقعد، ويتربصون به كل مرصد حتى يعلم وأمثاله حرمة أعراض أخواتنا المسلمات فلا تسول لهم أنفسهم الاعتداء عليهن، والنيل من كرامتهن.

وما يزيدني ألماً سكوت هؤلاء الخونة الذين يرغبون في كل شيء إلا في أخذ الدين بقوة عن جرائم الرافضة.

لماذا يُخفى كل هذا عن أمتي؟؟

لماذا تُقلب الحقائق ولا تظهر لأمتي؟؟

لماذا إذا سئلو اعن الرافضة انطلقت ألسنتهم بالثناء عليهم، وإذا سئلوا على المجاهدين تبرأوا منهم وصوبوا سهام التجريح إليهم؟؟

وليتهم إذ تخلفوا مع القاعدين أمسكوا لسانهم عن المجاهدين، فالذي أعلمه من تاريخنا الإسلامي أنه عندما دخل التتار إلى بغداد على يد ابن العلقمي تكلم الأئمة الصادقون ك: ابن تيمية وابن كثير والذهبي بكل صراحة عن خيانة الروافض في تسليم بغداد للتار، ولم نسمع أن أحداً من علماء الأمة قام وأنكر على هؤلاء الأئمة بأن ابن العلقمي رجل واحد ولا شأن للرافضة بذلك.

ولا قال اتقوا الله لا تثيروها فتنة طائفية.

بل كل ما وصلنا عن أئمتنا جيلاً بعد جيل إنكارهم على هؤلاء الروافض وكشف ضلالهم وخيانتهم؛ فهذا الإمام ابن كثير في كتابه العظيم (البداية والنهاية) بعد تفكك الدولة العباسية يفتتح تاريخه بمعظم السنين بذكر الخطوب بين أهل السنة والشيعة، وما حصل من اقتتال بين الفريقين، وفي عام ٤٤١ هـ ذكر فتناً يطول ذكرها من إحراق لدور كثيرة بين السنة والشيعة بسبب سب الصحابة وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر في العام الذي يليه أمراً عجيباً فقال: (وفيها اصطلح الروافض والسنة ببغداد وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ على الصحابة كلهم أو ترحموا عليهم. وهذا عجيب جداً إلا أن يكون من باب التقية) انتهى كلامه رحمه الله

وصدقت فراسة وحدس ابن كثير، ففي العام الذي يليه وقعت حرب بين الروافض والسنة، وقتل من الفريقين الخلق الكثير.

فوالله إن الروافض الحاقدين لأشد علينا من أعدائنا الصليبيين، ولعل من استنفذ وسعه في الطعن فينا، والحل علينا أن يُلبس على السّذج من أبناء هذه الأمة دينهم بكون من يوصف بأنهم من أهل العلم يستنكر منا صنيعنا، ويرد علينا فعلنا، وما علم هؤلاء أن هذه الخدعة —بفضل الله— ما عادت تنطلي على أولي الأبصار وما عادت هذه الألقاب البراقة تؤثر في أولئك الشباب الأخيار.

أو يعترض علينا بمن باعوا صفقة يدهم وثمرة فؤادهم من المرتدين من حكام هذه الأمة وداروا معهم في الفتوى كيفما داروا، وأصبغوا عليهم وعلى حكمهم الصبغة الشرعية، ولبّسوا أمر الدين على الرعية؟؟

أو ليس هؤلاء من أفتوا بوجوب الجهاد وأنه فرض عين إبّان الغزو الشيوعي لأفغانستان؛ وذلك لما كان هذا يوافق أهواء أسيادهم، حتى إذا ما تغير الحال واجتاح عُبّاد الصليب الأمريكان أرض أفغانستان أصبح الجهاد إرهاباً وتهمة، والدفاع عن الدين والعرض تهور وفتنة!!ّ!

هؤلاء الذين تمضي على أحدهم السنون الطوال يرى بلاد المسلمين تُغزى، والمقدسات تُدنس؛

ثم هو لا يُكلف نفسه عناء تغبير قدميه في سبيل الله دفاعاً عن حرمات الدين وكأن سُنة العلماء في عصرنا أن يكونوا في مؤخرة الركب، مكتفين بالأقوال والشعارات والخطب؛ حتى إذا ما هبّ شباب الأمة للذود عن حياض الدين، والدفاع عن أعراض المسلمين سلقوهم بألسنة حداد، ونبذوهم بألقاب شداد، بأنهم حُدثاء الأسنان، وسُفهاء الأحلام!!!

أو ما لهم قدوة في علماء أمتنا الذين كانوا يتسابقون إلى أرض الجهاد والرباط؟؟؟

كأمثال العا لم العابد المجاهد عبدالله بن المبارك، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وأبي اسحاق الفزاري –الذي كان يوصف بأنه مؤدب أهل القبور – وابن قدامة المقدسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأحمد بن اسحاق السرماري الذي قال عنه الإمام الحافظ الدمشقي (كان مع فرط شجاعته من العلماء العابدين) والإمام الحافظ أبي أحمد االكرجي وسمي بالقصاب لكثرة ما قتل في مغازيه.

أو ما لهم أسوة في علماء المغرب حينما قاموا غيرة على هذا الدين وحكموا بكفر العُبيديين من جراء تبديلهم لشرع رب العالمين وحرضوا الأمة على قتالهم، وقادوا الجمع على جهادهم، ولكأني ينطبق عليهم وصف ابن العربي المالكي – رحمه الله – حين قال:

ولقد نزل بنا العدو قصمه الله سنة ٥٢٧ هـ فجاس ديارنا، وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده، وكان كثيراً وإن لم يبلغ ما حددوه؛ فقلت للوالي هذا عدو الله وقد حصل بالشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة دين الله المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع هذه الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له، فغلبت الذنوب، وارتجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل احد من الناس ثعلباً يؤي إلى داره وإن رأى المكروه بجاره.

فإنا لله وإنا إليه راجعون!

وحسبنا الله ونعم الوكيل!

أو يُعترض علينا بمن إذا سمع حرمات الله تُستباح، وأعراض المسلمات تُنتهك لم ينطق له لسان ولم يتحرك له جنان، وما أن يسمع بعزم الطالبان على هدم وثن من الأوثان يُعبد من دون الواحد الديان حتى يُسارع إلى استخدام المراتب الثلاث في الإنكار ويزعم أن هذا ليس

من دين العزيز القهار!!!

أو يُعترض علينا بمن بارك صنيع كلب الروم شيراك حين أمر بنزع حجاب المسلمات في فرنسا؛ فقال هذا شأن داخلي ولا شأن للإسلام والمسلمين في ذلك!!!

أو يُعترض علينا بمن يقول إن الخائن المرتد علاوي ولي أمر المسلمين في العراق لا يجوز الخروج عليه!!!

أو يُعترض علينا بمن هبّوا يوم هلك الصليبي يوحنا بولس الثاني فسارع بالثناء عليه وذكر مناقبه، وما رأيناهم ولا سمعنا أصواتهم يوم أن استشهد العا لم المجاهد أبو أنس الشامي!!! ولكنّ حمزة لا بواكي له.

وأما أهل العلم الصادعون بالحق الجاهرون بالصدق فهؤلاء كممت أفواههم، وأُسكتت أقلامهم، وباتوا في البلاد مطاردين، وعن أهلهم مشردين، وأضحى جُلهم في سجون الطواغيت قابعون!!!

فرحماك ربي رحماك!
فرحماك ربي رحماك!

أين أهل العلم المجاهدون!! بت لا أراهم إلا في كتاب، أو تحت تراب!!

ثم إننا نقول إن القاعدة المستقرة عند أهل العلم:

إعرف الحق تعرف رجاله، ولا يُعرف الحق بالرجال.

فعندما دخل التتار أرض بغداد، وقتلوا من قتلوا من المسلمين، لم نسمع أنه وقف في وجههم إلا ابن تيمية رحمه الله، مع وجود العلماء والدعاة وأصحاب الحكمة المزعومة وفقه الواقع الذين وقفوا في وجه ابن تيمية.

وفتنة خلق القرآن لم يقف في وجه أصحابها إلا الإمام أحمد بن حنبل، مع وجود جهابذة العلماء كابن معين وعلي بن المديني وغيرهما فهل كان أحمد بن حنبل صاحب فتنة!!!

وإن رغمت أنوف من أُناس * فقل يا رب لا تُرغم سواها**

واعلمي يا أمتي؛ أنه لولا الله ثم وقوف هذه الفئة المجاهدة سداً منيعاً بوجه هؤلاء الصليبيين وأعوانهم الروافض الحاقدين لما رأيتي حال أهل السنة في العراق كما ترينه اليوم.

فنحن نعتقد؛ أننا طليعة الأمة، وخط دفاعها الأول، ورأس حربتها أمام هذا الزحف الصليبي؛ فالعمل على وقف هذا الزحف لجيوش التتار المعاصرين على أبواب بغداد هو خير للأمة جمعاء ولو تخلل ذلك حصول بعض المفاسد الصغرى.

فوالله إن خبت جذوة الجهاد فسترى الأمة بأسرها ما سيحل بها من ويلات ونكبات.

كُتب القتل والقتّال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول**

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، مجري السحاب، اهزم الأحزاب وانصرنا عليهم،

اللهم اهزمهم وزلزلهم،
اللهم اهزمهم وزلزلهم،
اللهم اهزمهم وزلزلهم.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الرابع و العشرون

رِسَالَةٌ مِن جُندِيٍّ إِلى أَمِيرِهِ

٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ
٣٠ مايو/أيار ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

من جنديٍ واقفٍ على خط النار؛ من أبي مصعب الزرقاوي،

إلى أميره المفضال؛ أبي عبد الله أسامة أبن لادن، أقرَّ الله عينيه بِنعَمِه وأَسبَغَ عليه جَزيلَ كرمِه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **أمَّا بعد؛**

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

لإن عظم أشتياقٌ منك نحوي * ففي قلبي من الأشواق نار**
لـعل الله يجمـع بعد بين * لنا شملٌ ويقترب المزار**

ويعلم الله يا شيخنا أننا لسنا مختارين للبعد عنكم ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، **فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد إلينا أنس الإجتماع معكم وأن يذيقنا حلاوة اللقاء بكم.**

أميرنا الغالي؛

نحن على يقين أنكم تتطلعون بلهفة وشغف لمعرفة أخبارنا، والإطمئنان على أحوالنا، جرياً منكم على سنة أئمتنا وقادتنا من السلف الصالح؛ فقد كان عمر رضي الله عنه إذا أرسل بعثاً يذهب كل يوم إلى أطراف المدينة يستطلع أخبار الجيش، ينظر خبرهم كصيحة الحبلى، فنؤكد لكم أننا على درب الجهاد سائرون وعلى العهد ماضون، نسترخص فى ذلك الغالي والنفيس حتى يظهر الله دينه ويعلي كلمته أو نهلك دونه.

ولقد عزمنا أمرنا، وحسمنا خيارنا، ورفعنا راية الجهاد، وسللنا سيوفنا الحداد، وأعلينا لواء الكفاح، وإتخذنا الأسنة، ورماح مركب نبحر فيه إلى العز والتمكين، إيمانا منا بأن صهيل الخيول وصليل السيوف هو مفتاح النصر وسبيل الظفر.

أظنه قد تناهى إلى إسماعكم الخبر الذي تتناقله وسائل الإعلام وحارت به العقول والأفهام، والذي مفاده أنني قد أصبت بجراح بليغة عوجلت على إثرها في مستشفى الرمادي؛ فأحب أن أطمئنك وأطمئن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأن هذا كله محض إشاعات، لا أساس لها من الصحة، وإنما هي جراح خفيفة كما ذكر الإخوة في القسم الإعلامي، وإني الآن بحمد لله أتقلب بنعم الله الوافرة، بين أخوتي وأهلي في أرض الرافدين، وأباشر معهم مقارعة الصليبين ومنازلة أعداء الملة والدين.

أميرنا الحبيب؛

يخط لك اليراع هذه الكلمات، وجنودك يسطرون بفضل الله أروع الصور في الفداء والتضحيات، والذود عن حياض هذا الدين، والذب عن أعراض المسلمين في مدينة القائم، أقام الله فيها شريعته.

القائم وما أدراك ما القائم، أرض النزال وساحة الرجال، فقد تهاوت فيها أسطورة المارينز، وسقط قناع الزيف، وأثبت فرسان الإسلام وشباب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم بواسل في الميدان، أسود عند اللقاء، من مهاجرين وأنصار، فها هي أهدافهم الصليبية قد تلاشت على

أسوار القائم، فبعد عشرة أيام من المعارك الشرسة والمتواصلة مكن الله لأبناءك من رد عادية الصليبيين على أسوار المدينة، وتقهقرت جحافلهم خاسئة حسيرة، تلعق جراحها، ولقد كانت هذه المعركة من المعارك العظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

فإن الله أوقع الهزيمة بهم، وجعل الدبرة عليهم، بعد أن صرح كبير حملتهم الجنرال المسمى بشارب الخمر متبجحاً متحدياً الله سبحانه وتعالى بأننا سنهزمهم ولو كان محمد و رب محمد معهم، وانه سوف يشرب الخمر على إثر انتصارهم، حتى يسمع بهم العا لم فلا يزال يهابهم، وأن مقولته هذه لتعيد إلى ذاكرتنا مقولة عدو الله أبي جهل يوم بدر حين قال (والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا آخر الأبد)؛ فورد بدر هو وجنوده فكان فيها هلاكهم بفضل الله سبحانه وتعالى.

والله يعلم يا شيخنا بأننا أستبشرنا بمقولة هذا الجنرال اللعين، وتيقنا بأن الله منجز وعده لنا، وناصرنا عليهم، سنته الله في كل من سولت له نفسه الطعن في هذا الدين والتجرؤ على رب العالمين.

قال شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى في الصارم المسلول: (ونظير هذا ما حدثنا به أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوا مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي في السواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا كنا نحسر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا، حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب الرسول صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين، أو نحو ذلك، كما يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا حتى أن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع إمتلأ القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه) أهـ.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى أحد أبناءك لقتل هذا الجنرال، فأصاب مروحيته التي كان يستقلها ويحتمي ضربات المجاهدين بها، لتهوي به فتحرقه بنار الدنيا قبل نار الأخرة، فالله الحمد والمنة.

فقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى فقطفنا رؤوسهم، ومزقنا أجسادهم، وأرقنا دمائهم، ولـيخرجن بإذن الله من بلاد المسلمين أذلة صاغرين، يلعقون جراحهم ويجرون أذيال هزيمتهم وخيبتهم.

وقد صدق صاحب كتاب الحرب الأهلية الثانية؛ وهو من قدماء المحاربين الأمريكيين في فيتنام حين قال: (**أن أمريكا ولدت في الدماء ورضعت الدماء وأثخنت الدماء وتعملقت على**

الدماء ولسوف تغرق في الدماء).

و لإن كان يا شيخنا قد سرَّ كلب بني الأصفر بوش أسر أخينا أبو فرج الليبي، فلقد ساءه ما حل بجنوده في القائم وباقي أرض الرافدين.

أميرنا الحبيب؛

أن العدو بتوفيق الله يسير كما رسم له، وإننا بفضل الله نوشك أن نحكم الخناق عليه، **وإن سارت الخطة بأمر الله كما أعد لها فأن نتائجها ستظهر لكل ذي عينين بما يسر كل مسلم ويسوء كل كافر ومنافق، وإني لأحسب أن الخطة المرسومة قد وصلتكم أو في طريقها إليكم.**

فالعدو اليوم يعيش أسوأ أيامه في أرض الرافدين، **ولولا ما قدمه ويقدمه الروافض أحفاد أبن العلقمي وعلى رأسهم إمام الكفر والزندقة السيستاني لكان حال بني الأصفر غير ما ترى الأمة اليوم**، وهذا ما نبه عليه توماس فريدمان، الكاتب الأمريكي في جريدة نيورك تايمز، حيث قال:

(يمكن القول أن السيستاني وفي أوجه عدة لعب لصالح الرئيس بوش نفس الدور الذي لعبه مانديلا وغرباتشوف لصالح بوش الأب حينما كان رئيساً إذ بفضل أفكار وقيادة منديلا تحققت لكم السلطة إلى الأغلبية السوداء في جنوب إفريقيا بطريقة سلمية وهذا مما ساعد أدارة الأب وحلفاءها على تحقيق العملية بشكل هادى.

كذلك كان أصرار غرباتشوف على تفكيك الإتحاد السوفيتي وخصوصا ألمانيا الشرقية بطريقة غير عنيفة وهذا مما سهل هبوط الإتحاد السوفيتي هبوطاً ناعماً فوق سطح الأرض ومثلما هو الحال في العلاقات الدولية أو الرياضة فإنه من الأفضل أن تكون محظوظاً على أن تكون جيداً،وأن تكون محظوظاً أن يكون إلى جانبك مثل مانديلا وغرباتشوف والسيستاني بصفتهم شركاء للوصول إلى إتفاق تاريخي عند مفترق تاريخي فاصل).

يضيف فريدمان قائلاً: **(إن الشيء الذي قام به السيستاني والأكثر أهمية هو منحه السياسة العربية تأويلاً شرعياً (وبرا غماتياً) للإسلام وستكون عملية الدمقرطة العالم**

العربي طويلة وتمر فوق مطبات كثيرة ولكن فرص النجاح تتحسن بشكل هائل حينما يكون لدينا شركاء من داخل المنطقة يتمتعون بالشرعية ولديهم حس تقدمي وهذا ما يتوفر في السيستاني لقد ظل الحظ رفيقنا ببقاء آية الله الذي يبلغ من العمر ٧٥سنة حياً والذي يقيم في منزله الصغير بزقاق ضيق في النجف كيف يمكن لرجل بهذا الحس وبهذه الحكمة أن يظهر من وسط حطام العراق الذي سببه صدام وأنا لم أعرف ذلك أبداً ولكن كل ما أستطيع قوله هو أنني آمل أن يعيش حتى سن المائة والعشرين عاما (١٢٠عام) وآمل أن يحصل هذا الرجل على جائزة نوبل) أهـ

ولقد راع هؤلاء العبيد الخونة من الرافضة والبشمركة ما رأوا من حال سيدهم ومعبودهم وكونه أضحى مهاناً حسيراً كسيراً فعزموا عزمة العبيد لأستنقاذه و أخراجه من المستنقع الذي غرق فيه وليس أدل على ذلك من قول رئيس الأركان الأمريكي رتشارد مايرز: (إن الحرب على العراق قد بددت القوة العسكرية الأمريكية وأن أي حرب جديدة سوف تستغرق وقتاً أطول وتحتاج إلى مواد أضافية).

ولقد صرح أحد ضباط الجيش الأمريكي في المنطقة الخضراء لأحد المراسلين قائلاً: (لقد كسر أولئك الصعاليك هيبة الجيش الأمريكي الذي ما تجرأ جيش من جيوش العالم على كسرها..أحمد الرب أننا بالأموال الطائلة نجند الشباب غير الأمريكيين للقتال في العراق وهو سر إستمرارنا في العراق ولكن ما أخشاه أن يأتي يوماً علينا لا نجد من نجنده بالملايين من الدولارات).

ثم يخرج علينا عدو الله الصهيو–أمريكي جلال طالباني يزعم أن الجهاد في العراق أصبح معزولاً وضعيفاً، هذا الدعي صاحب المقولة المشهورة: (لقد جاءنا محمد بالقرآن على الجمال، واليوم لا يوجد عندنا جمال فسنرجع هذه المصاحف إلى مكة على الدواب والحمير).

وإني لأتحدى هذا الأفاك الأثيم أن كان رجلاً أن يخرج من جحره بجولة تفقدية في أحياء بغداد أو الموصل أو الأنبار حتى يعلم القاصي والداني من هو الضعيف المعزول، ولكنه والله زمان الرويبضة زمان التافه الذي يتكلم بأمر العامة.

يسوسون الأمور بغير عقل * فينفذ أمرهم ويقال ساسه**

أميرنا الكريم، فداك أبي وأمي؛

لا أجد خيراً من هذا الحديث أختم به هذه الرسالة صح؛ عند مسلم: أن عتبة بن غزوان رضي الله عنه خطب في الناس فحمد الله وأثنا عليه، ثم قال:

(أما بعد.. فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولت حذاء ولم يبقى منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها.. وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فإنتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا إن الحجر يلقى من شفه جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها عقرا والله لتملأن أفعجبتم.. ولقد ذكر لنا أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ولا يأتينا عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردةً فشقفتها بيني وبين سعد بن مالك فأتزرت بنصفها وأتزر سعد بنصفها فما أصبح منا اليوم أحد إلا أصبح أميراًعلى مصر من الأمصار وأني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً).

وأننا على يقين بأن الله كما هيأ للأمة في محنتها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن إرتدت الأمة بأسرها ولم يبقى إلا مكة والمدينة حتى إستوحش المسلمون وهاب الصالحون ونجم قرن الكافرين والمنافقين وبدأت باللمعان سيوفهم، فهيأ الله لها الجبل الأشم الصديق رضوان الله عليه، فجيش الجيوش لمحاربة المرتدين، وأنفذ بعث أسامة لمحاربة بني الأصفر أعداء الملة والدين، ذلك البعث الذي خرج في أحلك الظروف وأصعبها فكان أعظم الجيوش بركة، وأيمنها نقيبة، فإن الذي بعث ذلك الجيش في ذلك الظرف العصيب قادر على أن ينفذ هذا البعث.

اللهم أنفذ بعث أسامة..

نسأل الله تعالى أن يحفظك ويمد في عمرك ويجعلك شوكة في حلوق أعداءه وأن يختم لك بالشهادة ونحن بإنتظار توجيهاتكم وأوامركم..

وأسلم لأخيك الصغير،

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الخامس و العشرون

بَيَانٌ؛
أَبُو مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ يُبَشِّرُ بِاستِشهَادِ الشَّيخِ عَبدِ اللهِ الرُّشُود رَحِمَهُ اللهُ

١٦ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ
٢٣ يونيو/حزيران ٢٠٠٥ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بسم الله الرحمن الرحيم،

{إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:١٤٠-١٤١].

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد؛

فلتهنئي أمة الإسلام باستشهاد علم من أعلام الخير والجهاد والعلم.

نعم العالِم العامِل؛ شيخنا عبد الله الرشود تقبله الله في الشهداء، هاجر وجهاد بلسانه وسنانه وقاتل وقتل ونصر الحق وأهله.

فلله در هؤلاء الركب؛ ركب دين وورع وعلم وعمل.

خرج من جزيرة العرب فارا من طواغيتها، إلى ساحات الجهاد والوغى في بلاد الرافدين، حيث كتبت منيته على تلك الأرض، فقد دخل العراق مهاجرا قبل شهر ونصف، قاطعا الفيافي والقفار، متجاوزا حدود الطواغيت إلى مدينة القائم، حيث كانت رحى الحرب دائرة وصولات الحق ثائرة.

لبى نداء ربه وسارع لجنان خلده وسابق لنصرة دينه، حيث شارك في ملاحم القائم -أقامها الله بالعز والظفر-.

ولما حاول الصليبيون أن يقوموا بإنزال على المنطقة؛ انبرى المجاهدون، وأقسموا أن لا يعطوا الدنية في دينهم، فاشتاق الإخوان للقاء الرحمن ونيل الرضوان والحور الحسان، وما تمكن أعداء الله تعالى من كتيبة الخير، التي كان فيها **الشيخ عبد الله الرشود** رحمه الله تعالى.

وأي شجاعة وأي إقدام هذا الذي كان من شيخنا الرشود وثلة من إخوانه من مهاجرين وأنصار، فقتلوا من الصليبيين ما قتلوا، حتى انسحب أعداء الله وهربوا، فلما عجز الصليبيون من دخول المنطقة ما استطاعوا إلا أن يقصفوا مواضع المجاهدين بالطائرات المقاتلة، ونال شيخنا ما تمنى، فالسعيد من نال مناه، وآثر أخراه على أولاه.

ويا من سألت عن طيب الشهيد وفرحه؛ فقد فاحت روائح المسك من دمه، فرحمه الله تعالى ورزقه جنته ونعيمه.

أنعم بالعالِم العامِل المتواضع.

ولا عجب فهذا دأب العلماء الربانيين، وهذا هو دورهم لأنهم القدوة للأمة، فنعم القادة من تقدم الركب وحاز العلا.

فقوافل الشهداء قاد ركبها **الشيخ أبو أنس** من قبل، والآن **شيخنا الرشود**، فتقبلهما الله في الشهداء وجزاهما خير الجزاء.

فأين المشمرون للجنة، وأين الراجون رحمة ربهم، وأين أنصار دين الله تعالى.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالكرام فلاح**

ما أفل نجمنا بل أضاء نوره، فكان نارا على أعداء الله تعالى، وهو نور يضيء للمؤمنين سبيلهم.

اللهم تقبل شهدائنا...
اللهم تقبل شهدائنا...
اللهم نصرك الذي وعدت.

والله أكبر... الله أكبر... ولله العزة ولرسوله وللمجاهدين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السادس و العشرون

دَعُوا عَطِيَّةَ اللَّهِ فَهُوَ أَعلمُ بِمَا يَقُولُ

٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ
٥ يوليو/تموز ٢٠٠٥ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرِجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فبين الفَيْنَة والأخرى، يقومُ إخواني في القسم الإعلامي، بتزويدي ببعض أخبار المسلمين المتناقلة في وسائل الإعلام المختلفة؛ المرئية منها والمسموعة، وبالأخصِّ أخبار المنتديات، وساحات الحوار الإسلامي، التي غالبًا ما تنقل أخبار المسلمين عامَّة، والمجاهدين خاصة.

وكثيرًا ما كانت تنقطع عني هذه الأخبار بسبب الظروف الأمنية التي أعيش، والتي تجعلني غالبًا في تَنَقُّل مستمر؛ مما يحرمني الاطلاعَ على كثير من أحوال الإخوة المسلمين.

وبعد انقطاع ليس بالقصير؛ يَسَّرَ اللهُ لي في الآونة الأخيرة، أن أتابع بعض الأخبار والردود في بعض المنتديات؛ سواء ما يتعلق بأرض الرافدين عامَّة، أو ما يتعلق بالإخوة في تنظيم القاعدة خاصة.

ومما وقعت عليه عينايَ: مقالٌ للأخ الكبير الشيخ عطيَّة الله، في منتدى الحدث على شبكة الإخلاص الإسلامية، (جزى الله القائمين عليها خيرَ الجزاء)، وكان المقالُ يتضمن ردًّا من الشيخ عطيَّة الله، على بيانٍ سابق لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، بشأن انسحاب القوات الإيطالية من العراق، على لسان رئيس وزرائها بيرلسكوني.

فكان لي بعضُ الوَقَفات مع هذا المقال:

١. مما يحسُن بيانه ابتداءً أن يعرف الإخوة ــوهذا ليس من باب التواضع –عَلِمَ الله – بل هو حقيقة وواقع؛ بأن الأخ عطيَّة الله هو أخ كبير لأخيكم الصغير، وأنه أيضًا هو الشيخ لا أنا، فما أنا إلا رجل من رجالات المسلمين، وجندي من جنود هذا الدين، زللي وخَطَلِي أكثر من صوابي، نسأل الله أن يُمَسِّكَني بالإسلام حتى ألقاه، وأن يختم لي بالحسنى.

فشتَّان بين من قضى شطرًا من عمره في اللهو والمعاصي، وبين من نبتت لحيته، واشتد عوده في أرض الجهاد.

٢. ما قلته سابقًا متعلق بما سأقوله لاحقًا؛ وهو أن يعلم الإخوة بأن الأخ الكبير عطية الله ممن كانت له تجارب سابقة في عِدَّة ساحات جهادية، مما أَكْسَبَ الرجلَ –نحسبه والله حسيبه، و لا نزكي على الله أحدًا– خبرةً ثريَّة، وتجربة ناضجة، وبُعْدَ نَظَرٍ في مآلات الأمور، تؤهله بأن يُدْلِيَ بدَلْوِه، ويبديَ ما يعتقد في النوازل التي تواجه الجهاد والمجاهدين.

٣. ذكر الأخ الكبير عطيَّة الله: (بأن الإخوة في العراق عندهم نوعٌ من العُجْبِ والفخر...)

ما أريد بيانه بأن اللَّبْسَ الحاصل في هذا الأمر عند الأخ عطية الله؛ إنما هو ناتج من طريقة الإخوة في القسم الإعلامي في صياغة البيانات.

فقد يشعر الأخ القارئ بأن فيها نوعًا من التهويل، ونَفَسًا من التضخيم، فأحيانًا يذكر الإخوة في بياناتهم بعضَ الألفاظ مثل: وقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة.. أو أحالهم أثرًا بعد عين.. وأن الأمريكان نغزوهم ولا يغزوننا.. وغير ذلك من الألفاظ والجمل المحتملة.

نعم؛ الأصل في البيانات –وخاصة المتعلقة بالعمليات التي يقوم بها الإخوة– أن تكون دقيقة،

وغيرَ مُبالغ فيها، ولكن مع تعذُّر إحصاء خسارات العدو وقتلاه، يكون هناك نوع من الاطلاقات والتعميمات في هذه البيانات؛ وإلا –والله يشهد– بأن النتائج الحقيقية لخسائر العدو في أرض المعركة أكبر بكثير مما يتصوره المسلمون.

فإني –ولله الحمد والمنة– أباشر معظمَ الأمور مع إخواني، ومطلع على أغلب العمليات التي يقوم بها الإخوة، ويرى الشاهد ما لا يرى الغائب.

ولو أني أقسمت بالله ثلاثًا: بأن عُبَّاد الصليب قد أثخنتهم الجراحات، وأن خسائرهم بالآلاف لا المئات؛ لرجوت أن لا أكون حانثًا في يميني.

بل دعني أُجَلِّي لك الصورة أكثر من ذلك؛ إنه لولا امتلاك الأمريكان لسلاح الطيران لكنا اليوم في بغداد، ولما استطاعوا أن يدخلوا مدينة واحدة؛ فَضْلاً عن أن يسيطروا عليها، فلو وصفت لك حالة الجندي الأمريكي، ومدى جُبْنِه وخَوَرِه وهَلَعِه؛ لقلتَ: بأن أخي الصغير يبالغ في وصفه، وأنه تجاوز العدل في توصيفه.

٤ . أخذ الأخ الكبير عطيَّة الله على الإخوة التعاطي مع بعض النوازل والمواقف بطريقة جامدة، وأنه لا بد أن يكون هناك نوع من المرونة السياسية (طبعًا يقصد الأخ المرونة التي لا تخالف الشرع)، وذكر مثالاً على هذا الجمود، وهو رد الإخوة على قرار الحكومة الإيطالية بسحب قواتها.

أقول له: نعم، هذا حقٌّ، فالمرونة السياسية؛ أو لنقُل: موازين السياسة الشرعية في التعامل مع النوازل الجهادية أو غيرها، ليس من الحكمة أن تكونَ على وَتيرة واحدة، كالغلظة والشدة دائمًا، أو اللين والرفق دائمًا، ولكن توضع الأمور في موازينها، ونصابها الصحيح، فلا حرج أن نوسِّع في شيء وَسَّعَ الشارع فيه، وكذلك لا ضَيْر أن نُضَيِّق في أمر ضَيَّق الشارع فيه.

وتقدير ذلك مرجعه إلى الإخوة، كونهم هم الذين يعايشون هذه التطورات ويباشرونها، بخلاف غيرهم ممن هو بعيد عن هذه الساحات والميادين، مما يجعل نظرته قاصرة، وغير كافية؛ لإنزال الحكم الصحيح على هذه الواقعة أو تلك، بخلاف الذي يعيش الواقعة نفسها، ويدرك تفاصيلها وأبعادها، ما ظهر منها وبان، وما خفي منها ودق.

نعم؛ قد يكون النَّفَس العام لجهادنا في العراق يميل إلى الشدة والعزيمة، وهذا أمر لا نجهله، بل

نسعى لتدعيم أركانه، ونتواصى به مع إخواننا، ونحاول أن نغرسه في نفوس المسلمين في العراق وخارجه، وما ذاك إلا لميل أكثر الناس في هذه البلاد إلى الدَّعَة والراحة وإيثار السلامة.

فإني أعتقد أيها الأخ الكبير بأن الأمة بحاجة لمن يُسَعِّر لها الحروب، وينفخ فيها روح التضحية والفداء لهذا الدين، ويربطها بماضيها المشرق؛ الذي سطره أجدادنا بدمائهم، وسقوه بعزهم وكرامتهم، والذي تكفلت سنوات الكَبْت والذل الطويلة التي عاشتها الأمة؛ بمحو أثره ودَرْسِ رَسْمِهِ من نفوس أبنائها، فلو استطعنا أن نزيل هذا الركام الهائل من الران الذي جثم على صدر الأمة، فإننا نكون قد بدأنا بوضع أقدامنا على بداية الطريق الصحيح.

فالشدة التي أقصد، والعزيمة التي أنشد، والغلظة التي إليها أدعو وأحشد؛ إنما هي التي تكون في موضعها أصيلة راسخة، أصّلها نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار رضوان الله عليهم، لا الشدة والعزيمة التي سبيلها التهور والاندفاع غير المحسوب.

وأضرب لك مثالين على سبيل الذكر والاستشهاد، لا الحصر والاستطراد، وإلا فالشرح يطول، والحديث متشعب وذو شجون.

المثال الأول: أثناء أحداث المعركة الثانية التي جرت في الفلوجة، قام الإخوة بخطف ابن عم العميل إياد علاوي مع زوجته وزوجة ابنه، في محاولة لردع الخائن علاوي، من خلال الضغط عليه بهؤلاء الرهائن، وإن أَصَرَّت قوات الاحتلال الصليبي وأعوانهم على الاستمرار في قتل الأطفال والنساء في الفلوجة، عاملناهم بالمثل وقتلنا أقاربه، ولكن عندما تبين أنه ليس هناك أدنى علاقة بين الخائن علاوي وابن عمه، ولم يكن له أي مشاركة فعلية مع قوات الاحتلال الصليبي، ما كان من الإخوة إلا أن بالغوا في الإحسان إليهم، ثم قاموا بالإفراج عنهم.

الشاهد من هذه الحادثة: أنه لو كانت المسألة مسألةَ انتقام مجرد وعشوائي، غير مضبوطة بضوابط الشرع؛ لكان باستطاعة الإخوة أن يفعلوا ذلك (فتأمل).

المثال الثاني: في بعض الأحايين يترجح عند الإخوة بعض الأمارات والدلالات أن فلانًا من الناس ممن يتعامل مع الكافر المحتل، ويعين على حرب المجاهدين، فيقوموا بقتله، ثم يتبين لهم بعد ذلك أن المقتول كان بريئًا مما نُسب إليه، وأن القتل كان خطأً، فما يكون من الإخوة إلا استرضاء ولي المقتول، ودفع ديته، والاعتذار عما قاموا به من القتل الخطأ.

والله يعلم؛ بأن الأمثلة كثيرة جداً، وأن حادينا في هذا الجهاد المبارك هو: طاعة الله ورسوله، والتزام الحكم الشرعي، وإن مَدَّ الله في العمر، وبارك في الوقت؛ ويسر لي الظروف، فالعزم مني منعقد على إخراج بعض الإصدارات التي تجلِّي كثيرًا من واقعنا على الساحة العراقية، وتُفَنِّد كثيرًا من الشبهات التي تلصق بالإخوة زورا وبهتانًا.

نسأل الله أن ييسر ذلك قريبا.

٥. أما ما ذكرت من موضوع العجب والفخر، فهذا حقٌّ، فنحن بشر يعترينا النقص والضعف، نسأل الله أن يرزقنا التواضع، وأن يجنبنا الفخر والعجب.

فوالله يا أيها الأخ الكبير، إننا لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، ولا نَصُول ولا نَجُول ولا نقاتل إلا به سبحانه وتعالى، فنسأله بأسمائه الحسنى أن لا يكلنا لأنفسنا طرفة عين، فإياك ثم إياك أيها الحبيب؛ أن تهمل نصح إخوانك، واحرص دومًا على تذكيرهم في هذه الأمور، فوالله إنها من العظائم، وإنها لمن المهلكات.

ولا حرج عليك، انصح بالتي تريد، بالشدة أم باللين، أيهما اخترت فلا تثريب عليك، فَحُقَّ لمثلك أن يكون ناصحًا، فوالله ما علمناك شامتًا ولا معيرًا، ولا بصاحب (حظوظ نفس) بل ناصحًا مشفقًا، حريصًا على إخوانه، ولقد كان شيخ الإسلام -رحمه الله- من أحرص الناس على أمته، وأنصحهم لها، مع شدَّة وحِدَّة تعتريه، لا تقلل من قيمة نصيحته، ولا تضع من قدره رحمه الله، وقد قال رحمه الله:

«فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلاَّ بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين».

هذا ما يسر الله في هذه العجالة، نسأل الله لنا ولكم الثبات وحسن الخاتمة، وسلامي لك ولمن حولك من الأحباب، الذين تتوق النفس للقياهم، وترنو العين لرؤيتهم نسأل الله ان يجمعنا على طاعته.

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي

أَمِيرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

[و فيما يلي تعليق الشيخ عطية الله حفظه الله على ما ذَكَرَ الشيخ أبا مصعب رحمه الله، و قد إرتأينا إدراجه حتى يتعلم الناس كيف يكون التواضع و التراحم بين المسلمين، وكيف تكون المناصحة الصادقة و الهادفة، وليس الطعن المقنع و المغلف باسم النصيحة]

تعليق الشيخ عطية الله (حفظه الله)
على رسالة الشيخ أبي مصعب (رحمه الله)

اللهم اغفر لأخي أبي مصعب وأعلِ قدره وارفع في الآخرين ذكره، وسدده وزده هدى وتوفقيا واختم لنا وله بالحسنى.. آمين.

بل أنا والله أحق بأن أنتصح بكلامكم وفعالكم، فقد سبقتم وتأخرنا، نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم ويجعلنا وإياكم من المفلحين، وجزى الله الإخوة خيرا من بلّغ ومن ظن خيرا وقال خيرا.

وليعلم الإخوة أني لم أصف الإخوة في العراق بأن عندهم نوعا من العجب والفخر كما هي عبارة أخي، فهو حكاها بالمعنى، فتغيرت بعض الشيء عن أصلها، ولا والله ما أصفهم بذلك وما رأيت إلا خيرا إن شاء الله.

وإنما حذرت من الغرور، كما أحذّر نفسي، وقلت إن ما اقترحته من الرأي والبيان في قضية انسحاب الإيطاليين «يعطي انطباعا لأصدقائنا وأحبابنا قبل أعدائنا أننا متواضعون لا مغرورون منتشون، وأننا حقّاً بالله مستعينون وعليه متوكّلون، ومن تقصيرنا خائفون...»

ويعلم الله أني فرحتُ بما ذكره أخي حفظه الله ونصره من التوضيحات حول تحرّي الإخوة (كما في مثال أقارب علاوي وسائر ما ذكره)، وهذا والله شيء يطمئن القلب ويثلج الصدر، وهو والله الظن بكم، ما حالَ ولا زال.. فبارك الله فيكم وقوّاكم ونصركم وتقبل منكم، وجعلنا وإياكم مفاتيح للخير مغاليق للشر.

وما ذكره أخي أبو مصعب حول مسألة الشدة، وما يراه من مدى مطلوبيتها.. فالحكمة وضع كل شيء في محله شدة ولينا ورفقا وعنفاً وغيرها.. والموفق من وفقه الله تعالى، فاستعينوا بالله فإنه مولاكم، نعم المولى ونعم النصير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عطية الله

١ جمادى الثاني ١٤٢٦ هـ الموافق ٧ يوليو/تموز ٢٠٠٥ م

الخطاب السابع و العشرون

أَيَنْقُصُ الدِّينُ وَأَنَا حَيٌّ

١ جمادى الثاني ١٤٢٦ هـ
٧ يوليو/تموز ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فإن الله سبحانه وتعالى خلق العباد وهم في درجات الهمة متفاوتون، فمنهم من ترقى به همته لتبلغ به عنان السماء، ومنهم من تقصر به همته حتى تخلد به إلى الأرض.

فيحل ذلك لأرضه بتسفل * ويحل ذا لسمائه بتصعد**

فعالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته وتحقيق بغيته، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل.

فتى لا يضم القلب همات قلبه * ولو ضمها قلبٌ لما ضمه صدر**

إن عالي الهمة لا يستوحش من قلة السالكين، ولا يأبه بقلة الناجين، ولا يلتفت إلى كثرة المخذلين، ولا يكترث بمخالفة الناكبين، قلبه لا يعرف التثاؤب ولا الراحة ولا السكون ولا الترف.

وخسيس الهمة؛ كلما همَّ ليسموا للعوالي، وليرتقي في درجات المعالي، ختم الشيطان على قلبه، وعقد على ناصيته وقال له؛ "عليك ليل طويل فارقد!"، وكلما سعى للإرتقاء بهمته وإقالة عثرته عاجلته جيوش التشويش والأماني، ونادته نفسه الأمارة بالسوء؛ أأنت أكبر أم الواقع؟!

وحين ينتكس الإنسان يهوي إلى الدرك الذي لا يهوي إليه مخلوق قط، حين تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، حين يرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه، وإذا ماتت فيه الغيرة على نفسه وعلى المحارم يصبح أسفل من البهائم.

ولا يقيم على ضيم يُراد به * إلا الأذلان عير الحي والوتد**
هذا على الحبل مربوط برمته * وذا يُشد فلا يدري به أحد**

ولقد حاز سلفنا الصالح قصب السبق في علو الهمة وسمو المراد، وقد ضربوا لهم في كل باب من أبواب هذا الدين بسهم، وأخذوا من كل فضل بنصيب.

ففي العبادة؛ لا تراهم إلا راكعين ساجدين، خاشعين باكين مخبتين.

وفي سبيل طلب العلم؛ فارقوا الأهل والأولاد، وتنقلوا في البلاد، وهجروا لذيذ الرقاد، وأنفقوا الطارف والتلاد.

وفي الإنفاق؛ أنفقوا إنفاق من لا يخشى الفقر في دنياه، ويبتغي رضى مولاه.

وأما في الجهاد؛ فالحديث ذو شجون، فإنهم لما عاينوا أن له فضلاً لا يضاهى، وخيراً لا يتناهى، سمت نفوسهم إليه، وعلت هممهم لتحصيله، فشمروا للجهاد عن ساق الاجتهاد، ونفروا لمحاربة أهل الكفر والعناد، فجهزوا جيوشهم وسراياهم، وبذلوا في سبيل ذلك أموالهم وعطاياهم، وباعوا نفوسهم لخالقها وباريها، فجازاهم بذلك من الجنان أعاليها.

وقد حفظ لنا تاريخنا كثيراً من تلكم المواقف والقصص التي تدل على علو همة القوم وسمو مطلبهم.

ففي محنة مانعي الزكاة؛ ادلهم الخطب واشتدت المحنة، والتبس الأمر حتى على كبار الصحابة، فوقف الصديق رضي الله عنه لها بالمرصاد وقال: (والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما)، قال عمر رضي الله عنه: (فقاتلنا معه، فرأينا ذلك رشدا).

وعن أبي رجاء العطاردي قال: (دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول؛ أنا فداؤك لولا أنت لهلكنا، فقلت؛ من المقَبِل ومن المقَبّل؟ قالوا؛ عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (توفي النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشرأب النفاق بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبو بكر بحظها وفنائها في الإسلام).

يومها وقف الصديق - فداه أبي وأمي - كالجبل الأشم سداً منيعاً أمام تيار الردة، صارخاً من أعماق قلبه متوكلاً على ربه قائلاً: (قد انقطع الوحي وتم الدين، أينقص الدين وأنا حي؟!).

"**أينقص الدين وأنا حي؟!**"؛ يالها من كلمة فاض بها لسانه، ونطق بها جنانه، كلمة ترسم منهجاً واضحاً لما يجب أن يكون عليه كل فرد من أفراد هذه الأمة؛ علو في الهمة، قوة في التوكل، ثبات على الحق.

"**أينقص الدين وأنا حي؟!**"؛ قالها لسان حال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني، الصديق الثاني، يوم أن وقف وحده كالطود الأشم في محنة خلق القرآن، فكشف الله به الغمة، وأنقذ به الأمة.

"**أينقص الدين وأنا حي؟!**"؛ تمثلها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوم أن قام يحرض الأمة على قتال التتار، وكان رحمه الله لصدق توكله على الله ويقينه بموعوده؛ يقسم بالله - لا يستثني - أن الله ناصرهم على التتار، فيقال له: (قل إن شاء الله!)، فيقول: (تحقيقاً، لا تعليقا)، فرد الله عاديتهم وانقلبوا على أعقابهم خاسرين.

"**أينقص الدين وأنا حي؟!**"؛ صرخ بها قلب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فكان يطوف كالوالدة الثكلى بين البلاد، وعيناه تذرفان بالدموع ينادي؛ يا للإسلام! يا للإسلام!.

إن الأحزان والمصائب تشحذ الهمم وتصنع الرجال، فإن لم تحفزنا المصائب وتعلي هممنا الآلام والأحزان فما الذي يُعلينا؟! وما الذي يوقظنا؟!

ياله من دين... لو أن لهُ رجالاً؟!

ها قد دنس عُبّاد الصليب كتاب ربنا وألقوه في مراحيضهم، وفق مخطط محكم لتحطيم هيبة كل ما هو مقدس في نفوس أبناء هذه الأمة، وها قد تجرأ إخوان القردة والخنازير وعُبّاد البقر الهندوس ففعلوا مثل فعلهم.

واحسرتاه على أمتي، إن لم يقم أبناؤها للثأر لكتاب ربهم فمتى يقومون؟! ومتى يستيقضون؟! إن لم تحركهم أمثال هذه الخطوب والمصائب فما الذي يحركهم؟!

يوشك أن تنزل علينا حجارة من السماء، نستنزل النصر من ربنا، وما غِرْنا على كتابه وحرماته!

إن عُبّاد الصليب قد صالوا على ديارنا، واستباحوا حرماتنا، وهتكوا أعراضنا، ونهبوا ثرواتنا، في أكبر حملة صليبية عرفها تاريخنا المعاصر، فما الذي ينتظره أبناء هذه الأمة؟! ومتى يهبون من سباتهم؟!

واحسرتاه... كيف انحطت بهم هممهم إلا من رحم ربي فرضوا بالقعود عن نصرة هذا الدين والذب عن أعراض المسلمين؟

ياله من حرمان؟ ويالها من خسارة؟... قوم قامت سوق الشهادة بأرضهم، وأناخت ركابها ببابهم، وهم مازالوا في سباتهم نائمين، وفي لهوهم سامدين.

ولكن اقتضت سنة الله أن يكون له عباد يصطفيهم على مر السنين لحمل راية هذا الدين وتبليغها للعالمين.

قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي، ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم

حتى يأتي أمر الله).

فانطلقت صيحات النفير من هاهنا وهاهنا؛ "يا خيل الله اركبي... ويا راية الله ارتفعي... ويا حملة الراية قوموا"...

فاستجاب من استجاب من أبناء هذه الأمة... استجابوا للنداء، وهبوا للنفير ونفضوا عنهم غبار الذل وركام العار، هبّوا مخلفين الدنيا وزينتها وراءهم، نفروا تاركين خلفهم أهلهم وديارهم وأموالهم، ولكل واحد منهم قصة، ولكل فرد منهم مأساة.

شُعثٌ شعورهم، غُبرٌ رؤسهم، قليلة أعدادهم، ضعيفة عُددهم؛

لكن... قلوبهم ممتلئة بمحبة هذا الدين، ونفوسهم تواقة لجوار رب العالمين، صدقوا مع الله فصدقهم، فأذاقوا عُبّاد الصليب ألوان الهزيمة، وأصناف العذاب، وحطموا هيبتهم، وكسروا شوكتهم، وأجرى الله على أيديهم من الكرامات ما لم يعد يخفى على كل ذي عينين.

ولما رأى بنو الأصفر حجم المأزق الذي تورطوا فيه، وعِظم خسائرهم وضحاياهم، سارعوا لتشكيل قوات الجيش والحرس الوثني، لتكون الردء الحامي للصليبيين، واليد الضاربة على المجاهدين، فقامت سوق الابتلاء والتمحيص من جديد، فاستجاب لندائهم من خست به همته وباع دينه بآخرته، فكان حكم المجاهدين فيهم واضحاً بيناً لا لبس فيه، وهو وجوب قتالهم وجهادهم لارتدادهم عن الدين وموالاتهم للصليبيين، والتبس أمر هؤلاء على بعض من يوصفون بـ "العلماء" فضلاً عن غيرهم من العامة الدهماء، فأصدروا فتاويهم بعدم جواز قتال هؤلاء، حفاظاً على حرمة "الدم العراقي" وعصمة أهله!

وهذه والله أزمة حقيقية تعيشها كثيرٌ من الجماعات العاملة للإسلام في هذا الزمان، ألا وهي؛ "أزمة التفريق بين العدو الخارجي والعدو الداخلي".

فالعدو الخارجي تُستنهض الأمة لقتاله، وتُستنفذ الطاقات لجهاده، حتى إذا ما خرج من بلادنا وأناب عنه المرتدين من بني جلدتنا، يأتمرون بأمره، ويحكمون بحكمه، ويضربون بسوطه؛ حرُم على الأمة قتالهم وجهادهم، ولو اشتد بلاؤهم.

فإذا كان العدو ذا بشرة شقراء، وعيون زرقاء؛ وجب قتاله، أما إن كان العدو أسمر البشرة أسود

العينين؛ فهذا لا يحل قتاله.

فهذا لعمر الله قتال ''الوطنيين''، لا قتال الموحدين، وقتال من يريد العاجلة، لا من يروم الآخرة، {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر:43].

هؤلاء المرتدون لم ينشئوا جيوشهم أصلاً إلا لمحاربة دين الله سبحانه وتعالى ولتكون اليد الضاربة التي تبطش بالمخلصين من أبناء هذه الأمة، ولا أدل على ذلك من عملياتهم المتواصلة في إبادة أهل السنة - كعملية ''البرق'' و ''الرمح'' و ''الخنجر'' و ''السيف''... وغيرها.

هذه الجيوش؛ لا نسمع حسيسها إلا في قتال أهل الإيمان وعساكر الرحمن...

فهذه صولاتهم في باكستان؛ على المجاهدين العرب والأفغان.

وفي الأردن؛ على الأخيار من أهل معان.

وفي الرياض والقصيم ومكة؛ على أهل التوحيد الحق.

ثم هم من بعد سلمٌ للكفار مداهنون للفجار.

ونحن نُعلِن:

أن الجيش العراقي؛ هو جيش ردة وعمالة، والى الصليبيين، وجاء لهدم الإسلام وحرب المسلمين، وسنحاربه حرب الأمة للتتار، الذين أجلبوا على الأمة بخيلهم ورجلهم وكانوا مع ذلك يستعلنون بالشهادتين، وكان في جيشهم أئمة ومؤذنون، وفيهم مصلون وصائمون؛ حتى اشتبه أمرهم على الناس، وتحير فيهم العلماء، فكيف يقاتلونهم وهم منتسبون للأمة ناطقون بالشهادتين؟!

حتى قيض الله لهذه المحنة شمساً من شموس هذه الأمة ومنارة من مناراتها؛ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فأفتى بردتهم، ووجوب محاربتهم، لتنكبهم عن تحكيم شريعة الرحمن، وعدولهم عن حكم القرآن، إلى حكم ''الياسق'' الذي وضعه لهم ''جنكيز خان''، والذي

جمعه لهم من أحكام التوراة والإنجيل والقرآن وعادات التتار، تماماً كما هو حال دساتير الأنظمة العربية هذه الأيام.

ومما قاله شيخ الإسلام: (إن هؤلاء القوم المسؤول عنهم؛ عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين، وعلى قوم منتسبين إلى الإسلام، وهم جمهور العسكر، ينطقون بالشهادتين إذا طلبت منهم، ويعظمون الرسول، وليس فيهم من يصلي إلا قليل جداً، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصالحين من المسلمين عندهم قدرهم).

إلى أن قال: (وقتال هذا الضرب واجب بإجماع المسلمين، ولا يشك في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم، فإن هذا السلم الذي هم عليه ودين الإسلام؛ لا يجتمعان أبدا).

وقال: (وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين - مع كونهم يصومون ويصلون - ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلاً للمسلمين؟!)، انتهى كلامه رحمه الله.

ونحن على يقين أننا بقتالنا لجيوش الردة سنواجه باستنكار وامتعاض شديدين من السّذج من أبناء هذه الأمة، إذ في قياسهم القاصر؛ كيف يقاتل المجاهد أخاه وابن عمه وابن عشيرته؟! وما درى هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم؛ إنما بدأ أولاً بقتال من وقف حجر عثرة في طريق هذا الدين من قومه، قبل أن يجالد بني الأصفر، وعلى سنته جرى الصحابة رضي الله عنهم.

فهذا أبو عبيدة ابن الجراح؛ قتل أباه يوم أحد.

ومصعب ابن عمير؛ قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد.

وعمر ابن الخطاب؛ قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر.

وعلي وحمزة وعبيدة بن الحارث؛ قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة، وفيهم نزل قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة:22].

فهذا دربهم وهذه سنتهم لمن أراد اقتفائها.

وخرج بعضهم بتقسيم لم يسبق إليه للجهاد في العراق، فيقول: (إن المقاومة –وهذا مع تحفظنا على هذه الكلمة– تنقسم إلى قسمين؛ مقاومة شريفة، هي التي تقاوم الكافر المحتل، ومقاومة غير شريفة، التي تقاتل العراقيين أياً كانوا).

فنقول لهؤلاء؛

إن الذي نعرفه من ديننا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

إن "المقاومة" الشريفة؛ هي التي تقاتل على أمر الله، {حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال:39]، لا "المقاومة" التي تشترط لوقف قتالها جدولة انسحاب العدو الخارجي، حتى إذا نصّب بعده حكومة عميلة، تحكم بغير شرع الله وتوالي أعداءه وتعادي أولياءه، انطوينا تحت لوائها وكأن شيئاً لم يكن.

إن "المقاومة" الشريفة؛ هي التي تضحي بدماء أبنائها وتبذل الغالي والنفيس وتتعرض لشتى صنوف الابتلاء وحاديها في ذلك؛ "اللهم خُذ من دمائنا اليوم حتى ترضى... اللهم من حواصل الطير وبطون السباع"، لا "المقاومة" التي تؤثر السلامة، وتقاتل على مبدأ تحقيق مصالح ذاتية، وتتخذ من عملياتها أوراق ضغط على العدو المحتل لتحسين أوضاعها، وإتاحة الفرصة لها بشكل أكبر في المشاركة في الحياة السياسية.

إن "المقاومة" الشريفة؛ هي التي خَلُص توحيدها لله، فوالت من والاه الله ورسوله ولو كان من أبعد الناس، وعادت من عاداه الله ورسوله ولو كان من أقرب الناس.

إن يفترق نسبٌ يؤلف بيننا * دينٌ أقمناه مقام الوالد**

قال رجل من المسلمين لخالد بن سعيد رضي الله عنه –وقد كان تهيأ للخروج مع ابي عبيدة–: (لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان كان أمثل من خروجك مع غيره!)، فقال: (ابن عمي أحب إليّ من هذا في قرابته، وهذا أحب إليّ من ابن عمي في دينه، هذا كان أخي في ديني على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ووليي وناصري على ابن عمي قبل اليوم،

فأنا به أشد استئناساً وإليه أشد طمأنينة).

إن "المقاومة" الشريفة؛ هي التي تجعل من جهادها جهاداً عالمياً غير مرتبط بلونٍ أو عرقٍ أو أرض، فالمؤمنون أمةٌ واحدة تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم، {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة:71]، {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال:72]، لا "المقاومة" المزعومة التي تجعل من حدود "سايكس" و "بيكو" منطلقاً لأهدافها وجهادها.

كان أبو الدرداء رضي الله عنه بدمشق، وسلمان رضي الله عنه بالعراق، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: (أن هلُم إلى الأرض المقدسة)، فكتب إليه سلمان: (إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يُقدسُ المرءَ عمله).

إن "المقاومة" الشريفة؛ هي التي إن أصابها قروح وجراحات ونقص في الكوادر والمعدات نهضت وتحاملت على نفسها وتوكلت على ربها، ولم تفزع إلا إليه، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم حمراء الأسد، لا "المقاومة" التي إذا ما أصابها فاجعة أو ابتلاء استوحشت الطريق وفزعت إلى من يمد لها يد العون في طريقها، حتى ولو كان ممن يُحادّ الله ورسوله.

إن "المقاومة" الشريفة؛ هي صاحبة أهداف نبيلة سامية، ومقاصد شرعية عظيمة، ولذلك فإن وسائلها كلها شرعية على هدي الكتاب والسنة، لا "المقاومة" التي عندها الغاية تبرر الوسيلة، فلا حرج عندها في التحالف والتعاون مع من حادّ الله ورسوله في سبيل تحقيق بعض المصالح والأغراض.

إن الذين يُقال عنهم بأنهم من غير "المقاومة" الشريفة هم الذين يجاهدون في سبيل الله منذ ما يزيد على العامين، وقد ضحوا بأغلى ما عندهم من أجل رفعة هذا الدين، فقد قدموا علمائهم وقادتهم وكوادرهم.

فعلى أكتاف من قامت معارك القائم؟
ودماء من سالت في الرمادي والفلوجة وحديثة؟

وأعناق من دُقت في تلعفر والموصل؟

وأرواح من أزهقت في معارك بغداد وديالى وسامراء؟

فهل قام بكل هذا إلا أبناء "**تنظيم القاعدة**" من مهاجرين وأنصار وغيرهم من المجاهدين الصادقين، أصحاب المنهج الصافي، الذين آلوا على أنفسهم ألا يتركوا السلاح وفيهم عينٌ تطرف وعرقٌ ينبض.

ومما يزيد القلب حسرةً وألماً؛ ما آل إليه حال بعض أهل العلم ممن نحسبهم من الصادقين المحبين للجهاد وأهله، فقد بعث إلي بعضهم يشيرون علي بعدم الاستماتة بالقتال في العراق وعدم حشد طاقات الأمة في هذه المعركة.

ويعلم الله كم أصابني من الهم والحزن من مقالتهم، أهذا ما وصلت له أمتنا؟!
أهذا ما جادت به قريحة علمائنا؟!

إلى متى يبقى أهل العلم معرضون عن ساحات الجهاد؟!
يُصدرون أحكامهم ويوجهون نصائحهم بعيدين عن الواقع الذي تعيشه الأمة؟!

فإنه لا بد لصواب الحكم؛ من علم بالشرع وخبرة بالواقع.

يقول سيد رحمه الله: (إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة، والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكاماً فقهية يجددون بها الفقه الإسلامي أو يطورونه وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد وردهم إلى العبودية لله وحده بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت، هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين، ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين)، انتهى كلامه رحمه الله.

فلو أن جهادنا جهاد طلب واستعصت علينا بعض حصون بني الأصفر، مما يلحق الضرر بجيش المجاهدين، لقلنا؛ إن في الأمر لسعة، ولكننا نقاتل لندفع عن أمتنا وعن ديننا أخطر عدو صال على ديار المسلمين في هذه العصور، فانتهكوا الحرمات واستباحوا الديار ونهبوا ثروات والخيرات، وامتلأت سجونهم بالمسلمين والمسلمات، بل وامتلأت أحشاء المسلمات بنطفهم القذرة.

إن الأمة طالما بقيت تجود بفلذات أكبادها وتريق من دماء أبنائها، ذوداً عن هذا الدين؛ فإن الأمة بخير، وإذا ضنت الأمة عن التضحية بدماء أبنائها في سبيل إعلاء كلمة الله؛ تكالبت عليها الأمم وسيمت الذل والهوان، وتسلط عليها أراذل الناس، فبقدر ما يتقدم المجاهدون بقتالهم مع عدوهم ويحققوا انتصارات ملموسة، بقدر ما يرفع الظلم والضيم عن الأمة، والعكس بالعكس.

فمتى نستميت في الدفاع عن أعراض المسلمين والمسلمات؟
أعندما يدخل عُبّاد الصليب إلى أرض الشام؟
أم إلى مكة والمدينة وينتهكوا أعراضنا فعندها تكون الاستماتة في القتال؟!

فما بال أخواتنا نساء العراق من ذوات الخدور العفيفات الطاهرات، اللواتي يجأرن إلى الله في قعر زلازلهن من ظلم أعداء الله؟!

والله يعلم أن ظفر امرأة من أهل السنة في العراق عامة وأهل الفلوجة خاصة؛ أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

فوالله لو أن "**تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين**" يفنى عن بكرة أبيه على أن تحرر النساء من سجون الصليبيين والروافض الحاقدين؛ لما ترددنا في ذلك لحظة واحدة.

كيف والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (فكوا العاني)؟!
فكيف بالعانية الضعيفة؟!
بل فكيف بالعانية التي ينتهك عرضها صباح مساء؟!

يا حسرة على أمتنا... إن لم نستمت في هذه المواطن فقولوا لي بربكم متى وأين نستميت؟!

قوافل تمضي بين أفواج رضع * وأحزان ثكلى أو تباريح أيم**
وبين صبايا يا لذل دموعها * وأفواجُ أطفالٍ وأفواجُ يُتم**

قوافل تمضي وهي تسحب خطوها * ذليلاً على شوك مدم وموضم**
تكاد عيون الطفل تسأل من أنا * إلى أين أمضي يا فيافي تكلمي**

أتحملني دورٌ للنصارى وبيعة * وساحات شرك أو منازل سوّم**
لتُنزع مني فطرةٌ وطهارةٌ * ويُغرس بي شركٌ وفتنة مأثم**

هل يُعقل أن تكون خير أمة أخرجت للناس أقل غيرة وحمية لأسراها من اليهود؟!

فقد قال القرطبي رحمه الله: (قال علماؤنا؛ كان الله قد أخذ عليهم - أي اليهود - أربعة عهود؛ ترك القتال، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وافتداء أسراهم، فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء، فوبخهم الله على ذلك توبيخاً يتلى، فقال؛ {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}، قلت - أي القرطبي -؛ ولعمر الله لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن فتظاهر بعضنا على بعض، ليس بالمسلمين بل بالكافرين، حتى تركنا إخواننا أذلاء صاغرين يجري عليهم حكم المشركين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم)، انتهى كلامه رحمه الله.

وبعضهم يريد منا أن نوقف جهادنا في أرض الرافدين، ويزعم أن الجهاد في العراق إنما هو قتال نكاية لا قتال تمكين، وأنه ثم من سيقطف ثمرة هذا الجهاد المبارك ويعتلي سدة الحكم على حساب دماء المجاهدين.

فنقول؛

إن الله سبحانه وتعالى قد فرض على عباده اتباع أمره وتطبيق شرعه، ولم يتعبدهم بما غاب عنهم وخفي حاله عليهم، وإن الله سبحانه قد أمرنا بقتال الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهذا في جهاد الطلب، فما بالك في مثل حالنا؟ والعدو قد صال علينا، قال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً} [النساء:84].

قال الجصاص في أحكامه: (ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين؛ أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم، أن الفرض على كافة الأمة؛ أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريهم)، انتهى كلامه رحمه الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإذا دخل العدو بلاد الإسلام؛ فلا ريب أنه يجب دفعه على

الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا).

وقال أيضاً: (فالعدو الصائل، الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه)، انتهى كلامه رحمه الله

فنحن مأمورون بدفع هذا العدو الصائل، بل ونعتقد بناء على ما سبق من كلام أئمتنا؛ أن الأمة آثمة في تخلفها وقعودها عن نصرة المجاهدين - علماؤها ودعاتها وعوامها —

فلو أن كل مسلم أخذ بمقتضى هذه الشبهة لما قامت للإسلام قائمة، وما رفعت للمسلمين راية، وهل يعني الأخذ بهذه المقالة سوى التثبيط عن القتال في سبيل الله وتعطيل الجهاد وإيقافه وتسليم البلاد والعباد للصليبيين وأعوانهم من المرتدين ليفعلوا بهم ما يشاءون؟

وهل القول بأن ثم من سيقطف الثمرة غير المجاهدين إلا رجم من الغيب وضرب من التخمين؟ ومتى كان قطف الثمرة دليلاً على صحة الفعل من عدمه؟!

ففي الصحيحين عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يحصد من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير؛ قُتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدى رأسه، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهذبها).

إن الذي نعرفه من دين الله؛ أننا أمرنا بامتثال أمره، والنفير خفافاً وثقالاً في سبيله، ثم النتائج مردها إلى الله سبحانه وتعالى وليس إلينا.

فعليك بذر الحب لا قطف الجنى * والله للساعين خير معين**

لقد تمالأت تحالفات الشر وقوى الكفر على المدينة، تريد استئصال شافة المسلمين يوم الأحزاب، وأصاب المسلمين من الخوف ما أصابهم، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟)، يكررها مراراً ولا يجيبه أحد، وكان

النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك كله يبشر أصحابه بقصور الحيرة ومدائن كسرى، فيقول المنافقون: (ألا تعجبون؟! يحدثكم ويعدكم ويمنيكم الباطل، يخبر أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنكم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا!).

إن الواحد منا لا يمكنه أن يعيش معزولاً عن ماضي أسلافه، فتاريخنا المشرق قد حوى لنا مئات الحوادث الناصعة والصفحات المضيئة، التي نستمد منها - بعد الله تعالى - العون والثبات على ما نحن فيه، كما قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف:111].

وانطلاقاً من هذا؛ أحببت أن أذكر لأمتي قصة من قصص العز والإباء، وصورة من صور الفخر والكبرياء، علها تكون عوناً على نفض غبار الذل الذي تغشانا، وسبيلاً لرفع الضيم والعار الذي نزل بنا، مع مقارنة بسيطة في أحداثها ووقائعها ومواقف أصحابها مع واقع أمتي اليوم ومواقف أبنائها...

(ففي سنة ثلاث وستين وأربعمائة؛ أقبل ملك الروم "أرمانيوس" في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرج والفرنج، وعدد عظيمه، وتجمل هائل، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق ما بين ألفي فارس إلى خمسمائة فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغُزّ الذين يكونون وراء القسطنطينية خمسة عشر ألفاً، ومعه مئة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربع عجلة تحمل النعال والمسامير، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والعرابات والمجانيق، منها منجنيق يمده ألف ومائتا رجل، ومن عزمه - قبحه الله - أن يجتث الإسلام وأهله، وقد اقطع بطارقته البلاد حتى بغداد).

أقول؛ ما أشبه الليلة بالبارحة، أليس هذا هو حال عُباد الصليب اليوم؟ عندما أتوا إلى العراق بكامل عددهم وعدتهم، ببارجاتهم وقاذفاتهم وطائراتهم ودباباتهم ومدرعاتهم، وبما يزيد على مئة وخمسين ألفاً من جنودهم، بمساندة أكثر من ثلاثين دولة من أمم الكفر والإلحاد، في أكبر حملة صليبية تشهدها البلاد، يرومون القضاء على الإسلام وأهله، تحت مسميات "القضاء على الإرهاب والقاعدة"، و "محاربة الأصولية المتشددة"، وغير ذلك مما عاد لا ينطلي إلا على من أعمى الله بصره وختم على قلبه.

(واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له؛ "أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا"، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة فاستعادوه من أيدي المسلمين، واستنقذوه - فيما يزعمون - والقدر يقول: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}

[الحجر:72]).

قلت؛ ألم يكن هذا مخططهم عقب غزوهم لأرض الرافدين؟! أن يميلوا على الشام وأهله، بحجة إيوائها للبعثيين، وعدم منعها لتسلل المقاتلين، لولا أن الله تعالى ردّ كيدهم وأحبط مكرهم عبر ضربات المجاهدين الصادقين، وهم ما زالوا على تنفيذ مخططهم حريصين، وفي سبيل تحقيقه سائرين، للتمكين لدولة إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن يدري فالأيام حبالى وإن غداً لناظره لقريب.

(فالتقاه السلطان ''ألب أرسلان'' في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم، وكان الملك ''ألب أرسلان'' التركي سلطان العراق والعجم يومئذ، قد جمع وجوه مملكته، وقال؛ ''قد علمتم ما نزل بالمسلمين فما رأيكم؟''، قالوا؛ ''رأينا لرأيك تبع، وهذه الجموع لا قبل لأحد بها''، قال؛ ''وأين المفر؟ لم يبق إلا الموت، فموتوا كراماً أحسن''، قالوا؛ ''أمّا إذ سمحت بنفسك، فنفوسنا لك لفداء''، فعزموا على ملاقاتهم، وقال؛ ''نلقاهم في أول بلادي''، فخرج في عشرين ألفاً من الأمجاد الشجعان المنتخبين، فلما ساروا مرحلة عرض على عسكره فوجدهم خمسة عشر ألفاً ورجعت خمسة، فلما سار مرحلة ثانية عرض عسكره فإذ هم اثنى عشر ألفاً، فلما واجههم عند الصباح رأى ما أذهل العقول وحير الألباب، وكان المسلمون كالشامة البيضاء في الثور الأسود، ولما التقى الجمعان، وتراءى الكفر والإيمان، واصطدم الجبلان، طلب السلطان الهدنة، قال ''أرمانوس''؛ ''لا هدنة إلا ببذل الري'' - أي البلاد -).

قلت؛ ألم يكن هذا حال ''أرمانوسهم'' -بوش-! أول غزوه لأفغانستان والعراق، فكان لا يلوي على شيء، لا يقبل هدنة، ولا يرضى مصالحة، حتى إذا ما أذاقه الله وجنوده طعم الذل والهزيمة على أيدي عباده المجاهدين وأوليائه الصادقين راح ينادي بضرورة فتح باب التحاور وحل المسألة عن طريق التفاوض.

(فحمي السلطان وشاط، فقال إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري؛ ''إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره، ولعل هذا الفتح باسمك، فالقهم وقت الزوال''، وكان يوم جمعة، قال؛ ''فإنه يكون الخطباء على المنابر وإنهم يدعون للمجاهدين'').

أقول؛ وهنا يأتي دور الأئمة والعلماء، في تثبيتهم للقادة والأمراء، وحثهم على قتال العدو وحربه، وتذكيرهم بتأييد الله لحزبه، ونصرته لأوليائه وجنده، وكما قيل: ''قوام هذا الدين بكتاب

يهدي وبسيف ينصر، وكفى بربك هادياً ونصيرا''.

وتأمل قوله: (فإنه يكون الخطباء على المنابر، وإنهم يدعون للمجاهدين)، ثم افسح المجال لعينيك لتجودا بالدمع حزناً وألماً على ما آل إليه حال الأمة اليوم، فليت أئمتنا وخطبائنا إذ لم ينفروا بأنفسهم لنصرة المستضعفين، ولم يجاهدوا بألسنتهم أعداء الدين، ولم ينصروا بدعائهم الموحدين، كفوا ألسنتهم عن المجاهدين، ولم يكونوا أعواناً للصليبيين والمرتدين.

والله إن أمة تدعوا وتقنت على خيرة أبنائها المجاهدين لهي أمة سوء، إن أمة تدعو وتقنت على "**يوسف العييري**"، و "**عبد العزيز المقرنط**"، و "**تركي الدندني**"، و"**حمد الحميدي**"، و "**عيسى العوشن**"، و "**عبد الله الرشود**"، و "**صالح العوفي**" و **غيرهم من المجاهدين**؛ لهي أمة سوء.

(فصلوا، وبكى السلطان، ودعا وأمّنوا، وسجد وعفّر وجههن وقال؛ ''يا أمراء من شاء فلينصرف، فما هاهنا سلطان''، وعقد ذنب حصانه بيده، ولبس البياض وتحنّط، وقال؛ ''ليودع كل واحد صاحبه وليوصي''، ففعلوا ذلك، وقال؛ ''إني عازم على أن أحمل فاحملوا معي''، وتواقف الفريقان، وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل ومرّغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره).

أقول؛ وهذه سنة الله سبحانه وتعالى، لا بد من المواجهة مع قوى الشر، ولابد من لحظة الصدام مع تحالفات الكفر، فإنه لن يكون الرفع لهذه المذلة التي تعيشها الأمة اليوم إلا بإعلاء راية الجهاد واستنزال النصر من رب العباد، ولن تضرب شجرة هذا الدين جذورها في أرضنا حتى تسقيها الأمة من دماء أبنائها كما سقاها الأولون، ولن يقوم لنا ما قام للأولين حتى نبذل ما بذلوه.

(فأنزل الله نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأُسر ملكهم ''أرمانوس''، وجلس ''ألبُ أرسلان'' على كرسي الملك في مضربة في سرادقه على فراشه، وأكل من طعامه ولبس من ثيابه، وأُحضر الملك بين يديه وفي عنقه حبل، فقال؛ ''ما كنت صانعاً لوظفرت بي؟''، قال؛ ''أو تشك أنت في قتلك حينئذ؟''، قال ''ألبُ أرسلان''؛ ''وأنت أقل في عيني من أن أقتلك، اذهبوا فبيعوه''، فطافوا به جميع العسكر والحبل في عنقه، يُنادى عليه بالدراهم والفلوس فما يشتريه أحد، حتى انتهوا في آخر العسكر إلى رجل فقال؛ ''إن بعتومونيه بهذا الكلب، اشتريته''، فأخذوه وأخذوا الكلب، وأتوا بهما إلى ''ألب

أرسلان‘‘، وأخبروه بما صنعوا به وبما دُفع فيه، فقال: ’’الكلب خير منه، لأنه ينفع وهذا لا ينفع، خذوا الكلب، وادفعوا له هذا الكلب‘‘، ثم إنه بعد ذلك أمر بإطلاقه وأن يجعل الكلب قرينه مربوطاً في عنقه، ووكل به من يوصله إلى بلاده، فلما وصل عزلوه عن الملك وكحلوه، فلله الحمد والمنة).

وهذه رسالة إلى الحرائر من نساء الرافدين خاصة وإلى نساء الأمة عامة:

أين أنتن من هذا الجهاد المبارك؟
وماذا قدمتن لهذه الأمة؟

ألا تتقين الله في أنفسكن؟
أتُربين أولادكن ليذبحوا على موائد الطواغيت؟

أرضيتن بالخنوع والقعود عن هذا الجهاد؟
ألا ترين أن الرجال قد أذالوا الخيل ووضعوا السلاح وقالوا: ’’لا جهاد‘‘؟

فما لكن لا تلقين أولادكن في أتون المعركة حتى يصطلوا بنارها ويدافعوا عن هذا الدين؟
لماذا لا تحرضن أزواجكن وأولادكن على جهاد الصليبيين وقتال المرتدين، وبذل نفوسهم ودمائهم رخيصة في سبيل هذا الدين؟

لقد كانت المرأة من المشركين في يوم أحد -وهن على الباطل- تحمل معها المكاحل والمراود، فكلما ولّى رجل أو تكعكع ناولته إحداهن مروداً ومكحلة، وقلن له: ’’إنما أنت امرأة‘‘، فما بالكن وأنتن على الحق؟!

الله... الله في أنفسكن، أعتِقنَها من النار، وصية النبي صلى الله عليه وسلم لكنَّ: (يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار).

الله... ألله يا حفيدات أم عمارة...

وما أدراكن ما أم عمارة؟

قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد: (لمقامها اليوم خير من مقام فلان وفلان).

قالت أم عمارة: (لقد رأيتني، وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما بقي معه إلا نفر ما يُتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه، نذب عنه، والناس يمرون منهزمين وراء النبي صلى الله عليه وسلمن ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه ترس، فقال له؛ "ألق ترسك إلى من يقاتل"، فألأقاه، فأخذته، فجعلت أترّس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل لو كانوا رجّالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله، فيقبل رجل على فرس فيضربني، وتترست له، فلم يصنع شيئاً، وولّى، فأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح: "يا ابن أم عمارة! أمك أمك")، قالت: (فعاونني عليه حتى أوردته شعوب) -تريد أنها قتلته-

وكانت رضي الله عنها لا ترى الخطر يدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون سداده وملأ لهوته، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني).

وشهدت رضي الله عنها اليمامة، فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثنا عشر جرحاً.

إن المرأة المجاهدة هي التي تربي وليدها؛ لا ليعيش، بل ليُقاتل، ثم ليُقتل، ثم ليعيش فيكون حراً... ما أعظمها من همة، وما أسماها من نية.

ذكر أهل السير؛ أن خالداً بن الوليد رضي الله عنه بلغه أن جيشاً كبيراً من الروم قد نزلوا بأجنادين من جنوب فلسطين، وأن نصارى العرب وأهل الشام قد سارعوا بالانضمام إليه، فخرج خالد فصفّ قواته، وأقبل يُحرضُ جنده ويُحمسهم، وأقام نساء المسلمين خلف الجيش يبتهلن إلى الله ويدعونه ويستغثنه، وكلما مر بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن وقلن له: (قاتلوا دون أولادكم ونسائكم)، كما أمرهن خالد أن يُحرمن على الرجال ما كان مباحاً لهم معهن، ثم حمل خالد وصحبه على الروم، فما صبر الروم لهم فواقاً، وانهزموا هزيمة شديدة، وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وأصابوا معسكرهم وما حوى.

الله... الله يا حفيدات صفية وأسماء والخنساء.

ألا ترين أن الأمة تُنحر من الوريد إلى الوريد، وتُستباح من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى

غرها؟
ألم يبلغكن ما تلاقيه أخواتكن في سجون القهر الصليبي؟
وهل استشعرت إحداكن أن لو كانت مكانهن كيف سيكون حالها وأنها تتمنى من أبناء الأمة استنقاذها وفك أسرها؟

ولقد بعث لي كثير من الأخوات المجاهدات في أرض الرافدين، يطلبن القيام بعمليات استشهادية، ويلححن في طلب ذلك، وقد كتبت لي إحداهن رسالة سطرتها بمزيج دمعها ودمها، وذلك بعد استشهاد الاخوة في عملية أبي غريب، التي كانوا يرومون منها استنقاذ الأسيرات من سجون القهر الصليبي، كتبت تلح علي فيها بتنفيذ عملية استشهادية، قائلة: (إن الحياة لا تطيب بعد مقتل هؤلاء)، واستحلفتني بالله طويلاً أن أستجيب لها في طلبها، ومنذ ذلك اليوم وإلى هذه الساعة - وذلك قرابة ثمانية أشهر - وهي تواصل الصوم لا تفطر.

ويعلم الله مقدار تأثري بكلماتها وما تمالكت نفسي فبكيت أسفاً على حال هذه الأمة، ألهذا الحد وصلت المهانة بأمتي، هل فني الرجال فاضطررنا لتجنيد النساء؟! أليس من العار على أبناء أمتي أن تطلب أخواتنا الطاهرات العفيفات أن يقمن بالعمليات الاستشهادية ورجال أمتي في سباتهم نائمون وفي لهوهم يلعبون؟!

وهذه رسالة إلى عدو الله "بوش"؛

لقد غرتك من قبل قوتك، وامتلأ بالباطل صدرك، وخضت الحرب على أفغانستان، وزعمت أنك تخوض حرباً مقدسة، وأن إلهك هو من أمرك بهذه الحرب، ثم سولت لك نفسك فثنيت بالحرب على العراق للتمكين لدولة إسرائيل، وظننت أن الأمر سيسير وفق ما خططت له وهويت، وما دار في خلدك أن الله قد ادّخر لك ما يسؤك على يدي فئة قليلة من أبناء العقيدة وجنود التوحيد، من مهاجرين وأنصار، الذين مرغوا أنف جيشك في التراب على مرأى ومسمع من العالم أجمع.

فأين إلهك الذي زعمت؟ فلتدعه فلينقذك وجنودك من هذا المستنقع الذي غرقتم فيه إن كنت من الصادقين!

لقد قلت من قبل: (أن الإله الذي يعبده هؤلاء المجاهدون هو إله وثني فاسد) -كما زعمت- ، وما دريت بأن الإله الذي نعبده ونلوذ به ونتوكل عليه هو الذي قذف الرعب في قلوب

جنودك وربط على قلوب هذه الفئة الصابرة.

وإلا فقل لي؛ من الذي أظهر هؤلاء الشعث الغبر، القليلة أعدادهم، الضعيفة عُددهم، على جيشك العرمرم وآلتك العسكرية الضخمة؟

إنه الله سبحانه وتعالى، الذي أهلك أصحاب الفيل يوم أن أقبلوا بجحافلهم لهدم الكعبة، فأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل.

ودعني أهمس في أذنك الصماء يا "صاحب الفيل"؛

إن الإله الذي تعبده أيها الأحمق، ويعبده أذنابك من الروافض الحاقدين، لهو إله سوء، وإن مسيحك الذي تنتظره و "عسكريهم" الذي ينتظره أذنابك الروافض، لهو إله واحد، إنه المسيح الدجال، فابحثوا عنه في سرداب سامراء، أو في سهل "مجيدو" لعله ينقذكم.

وسننظر أيها الأحمق المطاع من سينتصر في نهاية المعركة؛ أإلهنا أم إلهكم، {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء:43].

أمة الإسلام؛

إننا نعتقد أن الجهاد في العراق فتنة وابتلاء وتمحيص من الله ليميز الصادق من الكاذب، والخبيث من الطيب، ولعله قد بلغكم خطة المكر الصليبي التي لجأ إليها بنو الأصفر، بعد أن أفزعهم وأقضّ مضاجعهم وأرّقت ليلهم ضربات المجاهدين المتتالية، والتي أفقدت الصليبيين توازنهم، وأصبح رموز البيت الأسود يتخبطون في تصريحاتهم، فصرحوا بموافقتهم على التفاوض مع "المقاومة المسلحة" المزعومة في العراق، يرومون من ذلك وقف نزيف الدم المتواصل من قوات الصليبيين وأذنابهم من المرتدين ومحاولة شق صفوف المجاهدين والتشويش على راية الجهاد الصافية، ولنا وقفة مع خطة المكر هذه، فنقول:

لا بد أن يعلم القاصي والداني؛ بأن العدو الصليبي عندما اجتاح العراق وسقط حزب البعث الكافر وتهاوت رموزه وأذنابه وانفرط عقد جيشه، نهض المجاهدون يذودون عن حياض هذا الدين لرد الغزاة المحتلين، وقامت سوق الجهاد، وتسابق الأبطال إلى الجلاد، وتحركت كتائب الاستشهاديين، فأحالوا ليل العدو مجمراً، وانبرت الكتائب والمجاميع، وتقدمت الزحوف،

والتحمت الصفوف، يذيقون العدو كأس الحتوف، وانقضت أسود التوحيد عليهم انقضاض الصقور على بُغاث الطيور، فخرقوهم بددا، وجعلوهم فددا، فقامت سوق الجنان، وتسابق الشجعان، كل يبتغي جوار الرحمن.

فتخلخلت صفوف العدو ودب الرعب في قلوبهم، وتزلزلت قواعدهم وحصونهم، وبدأت بفضل الله تتضح معالم المعركة، وكثرت خسائر العدو في المعدات والأرواح، وأصبح العراق بأكمله جحيماً على عُبّاد الصليب، واتسع الخرق على الراقع، وانكشف ظهر العدو، ولم يعد باستطاعتهم أن يغطوا حقيقة المعركة، فعمدوا كما أسلفنا إلى الإتيان ببعض المرتزقة من أبناء جلدتنا، على أنهم يمثلون "المقاومة"، حتى يكونون الواجهة التي تقطف ثمار الجهاد، وليسعوا إلى إنقاذ السيد الأمريكي من المستنقع الذي غرق فيه.

فأين هذه "المقاومة"؟! وأين هم فرسانها؟ الذين لم نسمع بهم ولم نرهم طوال أكثر من سنتين من الحرب الضروس؟ فأين هم وأين تضحياتهم؟ وأين صولاتهم وجولاتهم على الصليبيين في أرض العراق؟ أين كانت هذه الثعالب يوم أن كانت المعارك تدور رحاها في الفلوجة وفي القائم والموصل وديالى وسامراء وغيرها؟

أفي السلم أعياراً جفاءً وغلظة * وفي الحرب أشباه النساء العوارك**

ونحن -بفضل الله- على علم ودراية بما يُحاك لنا في الخفاء من مؤامرات ينسجها عُبّاد الصليب مع الروافض الحاقدين -وللأسف- مع بعض الأحزاب "الإستسلامية" المحسوبة زوراً وبهتاناً على الإسلام والمجاهدين، كـ "الحزب الإسلامي"، وبعض رموز العشائر الذين ارتضوا بأن يكونوا مطايا للصليبيين لتنفيذ مخططهم في القضاء على الجهاد وأهله.

فنقول لهؤلاء المتآمرين؛

إن جهادنا هو لنصرة هذا الدين وتحكيم شريعة رب العالمين، ورد عادية الصليبيين، وإننا لنقاتل عن دين، هو دينٌ عظيم، هو دين رب العالمين، فالذي كفانا مكر الصليبيين في الأيام السابقة؛ قادرٌ على أن يكفينا مكركم، ويفضح خبيئتكم، ويكشف سوأتكم.

ويْحَكُم أيّها المُجرِمُون؛ لئن تلقوا الله بذنوب كأمثال جبال تهامة خير لكم من أن تلقوه بذنب عظيم، وهو التآمر على الجهاد والمجاهدين، {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور:19]، وهل هناك أعظم فاحشة من تعطيل الجهاد، الذي بتعطيله تُنتهك الأعراض وتُستباح الديار؟

ها قد رضيتم بالمساهمة في كتابة دستور البلاد، والمشاركة في تعبيد الخلق لغير ربّ العباد، مع اليهود والصليبيين والروافض الحاقدين؛ ويالها من جريمة تقشعر منها الجلود وتشمئز منها النفوس، {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران:83].

فليسمع القاصي والداني؛

أننا نعلنها بيضاء صافية؛ بأننا لن نُسلم راية الجهاد والبلاد إلى من لا يؤتمنون على أمور الدنيا فضلاً عن أمور الدين، بل ما صار لهم قيمة وما اضطر العدو للجلوس معهم إلا بدماء المجاهدين.

ووالله! لن نتوقف عن قتال الصليبيين وأعوانهم من المرتدين، إلا أن نكون في باطن الأرض لا على ظاهرها.

وليعلم أصحاب منهج "إمساك العصا من الوسط"؛ أنه قد ولى الزمان الذي يُتاجر به بدماء المجاهدين وتُتخذ جماجمهم جسراً يعبر عليه المنتفعون.

وأمّا أنتم أيها المجاهدون.. يا ليوث الحمى وأسود الوغى؛

إن العدو يعيش أسوأ أيامه على أرض الرافدين، فقد عَظُمت فيه النكاية، وأثخنته الجراح، ومعنويات جنوده في أدنى مستوى لها، ويظهر ذلك جلياً على فلتات تصريحات قادتهم وكبرائهم، حتى صرّح بعض أعضاء "الكونجرس"؛ بأن أمريكا تخسر الحرب في العراق، وما ذلك إلا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل ضرباتكم المركزة والموجعة، والتي جعلتهم يفزعون إلى المشرق والمغرب، ويسعون بكل وسيلة وحيلة للقضاء على الجهاد والمجاهدين.

فكونوا رحمكم الله على حذر، واصبروا على ما أقامكم الله فيه، فإن هذه الأيام وما بعدها محطات حاسمة في تاريخ جهادكم المشرق على أرض الرافدين الحبيبة، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الشدة، وأن مع العسر يسرا.

ولا يهولنّكم عدد أعداءكم ولا عدته، فوالذي نفسي بيده ما انتصر المسلمون في معركة من معارك الإسلام بكثرة عدد ولا عظيم عدة، وإنما بصدق توكلهم على مولاهم وافتقارهم وذلهم بين يديه.

ذكر الطبري وغيره؛ أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه توجه بعد القادسية إلى المدائن -عاصمة كسرى- فوجد عدوه قد اعتصموا منهم بنهر عظيم يقذف بالزبد لشدة جريانه، فرأى سعد في منامه؛ أن خيول المسلمين قد اقتحمت مياه دجلة وعبرت وجاءت بخير عظيم، فلما أصبح قام بهم خطيباً، وقال: (إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليهم معه، وهو يخلصون إليكم إذا شاءوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس ورائكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحفركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم)، فقالوا جميعاً: (عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل)، فعبروا النهر وعامت بهم الخيل، وجعل سعد يقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل... حسبنا الله ونعم الوكيل... والله لينصرن الله وليّه، وليُظهرنّ الله دينه، وليَهزمنّ الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوب تغلب الحسنات)، فخرجوا من النهر وما غرق منهم أحد، فهزموا الفرس، وغنموا ما لا يحصى من الجواهر والكنوز العظيمة.

فهذا نهر دجلة دونكم فاسألوه؛ هل جازه يوماً سعدُ ومن معه بخيولهم؟
ثم سلوه ثانية؛ كيف جازوه؟ وما الذي صنعوه؟

فسيجيبكم بلسان حاله؛ وماذا أصنع برجال جاءوا من تلكم القفار ليقيموا شرع الله، ويطهروا الأرض من رجس الكفار، فما أنا إلا خلقٌ من خلقه، وجندي من جنوده، ولئن أتيتم بالأسباب التي جاءوا بها لتسخرن لكم جنود الأرض والسماوات، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:7]، ألا ترون الحزن بادياً على قسمات وجهي! كيف لا وعُبّاد الصليب قد دنسوا مائي يوم أن تنكبتم عن طريق سعدٍ وأصحابه، إني لأتذكر تلك الأيام فلا أملك إلا البكاء، حنيناً وشوقاً لأولئك الرجال، لقد كانت أسعد أيامي يوم أن جريتُ وهم على ظهري، ألا من عودة يا أحفاد سعدٍ والمثنى؟

أيها المجاهدون؛

لا تستوحشوا من كثرة عدد أعدائكم وقلتكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله

والله مع الصابرين، وقد انتصر نبيكم صلى الله عليه وسلم وأصحابه في بدر وعدده أقل منكم، وكذا في مؤتة والقادسية وغيرها.

واعلموا أنكم لن تؤتوا من قلة، ولكنكم تؤتون من قبل الذنوب والمعاصي، فاحترسوا رحمكم الله منها أشد احتراساً من عدوكم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة، ولم نجد إليهم سبيلا.

احرصوا على الموت توهب لكم الحياة، ضاعفوا حملاتكم ضدهم، وألحوا عليهم ولا تغفلوا عنهم، احرصوا على تلاوة كلام باريكم، أحيوا بالأنفال وبراءة ليلكم، وأكثروا من ذكر مولاكم فإنه والله؛ نعم العون على ما أنتم فيه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال:45].

وقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا: (وذلك ما هو يا رسول الله؟)، قال: (ذِكر الله عز وجل).

ولا يغُرّنّكم ولا يَخدَعنّكم ما يروجونه في وسائل إعلامهم عن الحملات العسكرية التي يقومون بها ذات الاسماء البراقة، كـ "البرق" و "الرمح" و "الخنجر"، وأخيراً "السيف"، وقد قال مولاكم: {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:175]، أتخافون من يُثَلثُ مع الله؟! أتخافون من يعبدُ الصليب؟! أتخافون من جيش المرتزقة؟!

أمْ تخافون جيش ابن العلقمي أتباع آل البيت الأبيض؟! فهؤلاء والله من أجبن الناس، ولقد كان أجدادهم الأوائل يوصمون بالجبن والغدر والخيانة، وتلك لعمر الله سجية الطبع اللئيم.

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يذكرنا بصفات أجدادهم فيقول: (والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، فمن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيّات ولا عزم على أمر، ولا صبر سيف).

وما أشبه الليلة بالبارحة.؛

وإننا في "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين" لنعلن عن تشكيل فيلق عسكري أسميناه بـ "فيلق عمر"، تيمناً بالفاروق ابن الخطاب فداه أبي وأمي، وهذا الفيلق أنشأناه لاستئصال شأفة واجتثاث رموز وكوادر "فيلق الغدر" - فيلق بدر - فيكفينا مؤنة الاشتغال بهذا الفيلق الغادر، حتى نتفرغ لمنازلة الصليبيين وباقي أعوانهم من المرتدين.

يقول سيد رحمه الله في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:69]: (الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه ويتصلوا به، الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينقصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس، وعلى فتنة الناس، الذين حملوا أعباءهم فساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب، أولئك لن يتركهم الله وحدهم، ولن يُضيع إيمانهم ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر على محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء)، انتهى كلامه رحمه الله

يا أهل العراق الحبيب؛

يعلم الله؛ أنا ما أتيناكم إلا نُصرة لكم، ودفاعاً عن حرماتكم وأعراضكم، وردّ عادية الصليبيين عنكم، ولتعيشوا أعزة في دياركم، وإن كنتم تظنون أن غاية جهادنا هو طرد المحتل الصليبي ثم وضع السلاح والاشتغال بالدنيا وملذاتها؛ خبنا والله وخسرنا.

ووالله؛ إن ملك العراق كله لا يساوي عندنا رباط ليلة في سبيل الله، ولا يساوي شراك نعل مجاهد من إخواننا، وكل ما نرجوه أن يفتح الله علينا في العراق ثم نتوجه إلى بيت المقدس، قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، تلك والله اللحظات التي ننتظرها بأشد الشوق، {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً} [الإسراء:51].

يا إخوة التوحيد.. يا إخوة الدرب؛

الثبات... الثبات، فهذا "سيّاف" و "رباني" وغيرهما عندما كانوا في بداية قتالهم للشيوعيين، ظاهرهم لنصرة الدين، وقد أجرى الله على أيديهم العديد من الكرامات، وقد صرحوا أن جهادهم إنما هو لتحكيم شرع الله في أفغانستان، ولكن لما كان في منهجهم خلل عظيم، وغلبت عليهم الذنوب والمعاصي؛ أضلهم الله على علم، فأخذوا يمدون حبال الود بينهم وبين أعداء الأمس، وتسابقوا ليقطفوا ثمرة الجهاد، ويكون لهم نصيب في الملك، وتأولوا المصالح،

ولووا أعناق النصوص، وتنكبوا عن أحكام الدين، وأصبح عدو الأمس؛ صديق اليوم، ورفيق الجهاد أمس؛ عدو اليوم، حتى آل بهم الأمر أن جاءوا على الدبابات الأمريكية يطاعنون المسلمين في أفغانستان، وصدق الله سبحانه وتعالى حينما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور:21]، وقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:63].

قال الإمام أحمد: (أتدري ما الفتنة؟ الفتنة؛ الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك)، انتهى كلامه رحمه الله.

أيها المجاهدون؛

إن سنة الله جرت؛ أنه ليس هناك من هو فوق الحكم الشرعي، بل إن الله خاطب نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بخطاب تنخلع له القلوب، فقال تعالى: {وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً} [الإسراء:75-74]، فهذا في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لو ركن إلى الأعداء - وحاشاه - فكيف بمن دونه؟

فالنجاة النجاة... والصبر الصبر... والثبات الثبات... على ما كان عليه السلف الذين قال الله فيهم: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً} [الأحزاب:23].

فلا تبدلوا إخوة التوحيد.. لا تبدلوا يا إخوة التوحيد.

وإياكم أن تكونوا ممن يخون الله ورسوله؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال:27]، فإن الجهاد أمانة في أعناقكم، وإن الله سائلكم عن هذه الأمانة، فليس الخائن الذي مدّ يد العون وتنكب الطريق إلى أعداء الله فحسب، بل الخائن؛ من سكت وألقى سلاحه ورضي بأن تُسلم الحريم إلى أعداء الله.

فوالله يوم من حياة الأسود خير من ألف يوم من حياة ابن آوى، إن عزكم وشرفكم وحياتكم

هو الجهاد في سبيل الله، فإياكم... إياكم أن تلقوا السلاح، فإنه والله الاستبدال والطرد والإبعاد.

واحرصوا أن تكونوا من ذلك الركب الكريم؛ ركب محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، وافتحوا بيوتكم وصدوركم لإخوانكم المهاجرين، الذين هجروا الملذات، ونفروا ليدافعوا عن دينكم وأعراضكم، وكونوا خير أنصار لخير مهاجرين، فلا تشبعوا وهم جائعون، ولا تناموا وهم خائفون، واحرصوا أن تظفروا بهذه البشارة العظيمة؛ بأن تكونوا ممن يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيكم: (أنا منكم وأنتم مني، أنا منكم وأنتم مني).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم).

وما عقم زماننا أن يجود بامثال هؤلاء الأشعريين، فلكل زمان أهله ورجاله.

وهذه صورة من صور التضحية والفداء في سبيل هذا الدين؛

يفخر بها كل مسلم، صاحبها أسد من عشيرة "زوبع" الأصيلة، وهو الأخ المجاهد **أبو عبد الله الزوبعي**، فعندما انطلق الإخوة في معركة أبي غريب الأولى، كان أبو عبد الله ممن يؤوي الإخوة في بيته، وقدر الله سبحانه لحكمة يعلمها أن يُكتشف أمر الإخوة قبل العملية، فبدأ الطيران بقصف البيوت، فقُتل من عائلته قُرابة العشرين شخصاً -منهم أبواه وإخوانه وأخواته- وضرب أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب، ولما أردت تعزيته والشدّ من أزره خاطبني قائلاً: (يا فلان! طالما أنت وإخوانك المهاجرون بخير فكل شيء بعد ذلك يهون)، وقالها بلهجته العراقية اللطيفة: (أنا والأهل والأولاد فدوة للمجاهدين).

فإياكم أن يحول الأعداء بينكم وبينهم، فأقسم بالذي إليه أعود؛ أنه ليس هناك جهاد حقيقي في العراق إلا بوجود المهاجرين، أبناء الأمة المعطاء، النزاع من القبائل، الذين ينصرون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإياكم أن تفقدوهم، فبذهابهم؛ ذهاب ريحكم، وبذهابهم؛ ذهاب بركة الجهاد ولذته، فلا غنى لكم عنهم، ولا غنى لهم عنكم.

ولا تسمعوا للمخذلين؛ الذين يزينون تخاذلهم وإرجافهم بصبغة دينية، فمن جاءكم منهم

لمحاولة إقناعكم بجدوى التفاوض، أو الدخول في سلك الجيش و الشرطة بحجة المصلحة؛ فصموا آذانكم عن سماع كلامه، واكنسوا عتبة بابكم من آثاره، وقولوا؛ يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، فإنهم والله وإن هملجت بهم البراذين، وصفقت بهم البغال، فإن ذل المعصية لا يُفارقهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه، وإن عظمت ألقابهم، وكثرت شهاداتهم، وارتفعت أسمائهم، فقد أبى الله إلا أن يذل من عصاه، أبعد الله من أبعد... أبعد الله من أبعد.

يا أيها المجاهدون؛

إن الله سبحانه وتعالى قال: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف:143]، فهذا حال الجبل الأصم الذي لم يعص الله يوماً، فكيف بحالي وحالكم؟

وقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (كلكم يكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر إلى أيمنه فيرى ما قدم، وإلى أشأمه فينظر ما قدم، و إلى أمامه فإذا هو بالنار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة).

وتخيل –يا أخا الجهاد– وقوفك بين يدي خالقك وباريك؛ وأنه سائلك عن هذه الأمانة العظيمة؛ ماذا صنعت بها؟ وأعدّ لهذا جواباً، فوالله لئن تفنوا عن بكرة أبيكم وتضحوا بكل شيء لهو أعظم لكم عند الله من أن تلقوه وقد رضيتم بحكم الصليبيين والروافض الحاقدين.

إنها أيام وستنقضي بحلوها ومرها، وحسنها وقبيحها، ثم هي جنة أو نار.

روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال؛ يا بن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول؛ لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له؛ يا بن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول؛ لا والله يا رب ما مرّ بي بؤسٌ قط، ولا رأيت شدة قط).

فهذه النار وهذا حالها، فهل منا من يصبر على طعامها وشرابها وزقومها وزمهريرها؟

إن ميكائيل عليه السلام لم يعص الله يوماً، وهو من الملائكة المقربين، ما ضحك منذ خلقت النار.

وفي "لطائف المعارف" لابن رجب الحنبلي: (جاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز وقصّت أنها رأت في المنام كأن الصراط قد نصبت على جهنم وهي تزفر على أهلها، وذكرت أنها رأت رجالاً مروا على الصراط فأخذتهم النار، قالت؛ ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك -فوقع مغشياً عليه وبقي زماناً يضطرب وهي تصيح في أذنه- رأيتك والله قد نجوت، رأيتك والله قد نجوت).

إن هذه الأمة لتقذف بفلذات أكبادها إلى أرض الرافدين، وإن أبناءها ليتسابقون ليبذلوا نفوسهم رخيصة فداءً لهذا الدين، والدفاع عن أعراض المسلمين، وليسطروا بدمائهم أروع صور التضحية والفداء، والفخر والإباء.

ومن آخر هؤلاء الليوث الأبطال -وليس آخرهم العالم- المجاهد **عبد الله بن محمد الرشود** الذي كان شوكة في حلوق طواغيت الجزيرة، فنجاه الله من بين أيديهم بمنه وكرمه، ونفر إلى ساحات النزال وميادين القتال، ليكون على موعد مع الشهادة التي كان يسألها ويتطلع إليها، وليضرب أروع الأمثلة في بيان ما يجب أن يكون عليه أهل العلم، فلا نامت أعين الجبناء، ولئن سرّ استشهاده الطواغيت من "آل سلول" فإني لأرجو أن يُحيي الله بدمه نفوس أهل العلم، فينفروا بأنفسهم إلى ساحات الجهاد، فيتأسى بهم من خلفهم من أبناء هذه الأمة، فيقوموا فيموتوا على ما مات عليه.

لا ألفينك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي**

أيها النائمون الغافلون؛

عارٌ عليكم أيّها المستسلمون، دينُ يُهان، وأمة تنساق قطعان، وأنتم نائمون؟!
كيف أرتضيتم أن ينام الذئب في وسط القطيع وتأمنون؟!
بغداد تسألكم أليس لعرضها حقٌ عليكم؟!
أين فر الراكبون؟! وأين غاب البائعون؟!
وأين راح الهاربون؟!

فمن لزحوف اليوم والناس جلهموا * طوائف شتى بين لاهين نوم**
تلاقت على الآفاق أدمع أمة * غابت عن الآفاق وثبات ضيغم**

فصارت شعوب المسلمين * قوافل تيه أو تباريح هوّم**
أطلت وراء الأفق منها مآذنٌ * تنادي وتدعو كل قرن معظم**

وتدعو شعوب المسلمين وقد غفوا * على جهلهم في حيرة وتبرّم**
تقول لهم هذي ميادين عزة * فصبوا هنا يا قوم ما عز من دم**

ستمضي عليكم إن ركنتم مذلة * تذوقون من صعب عليها وعلقم**
أتعنوا رقاب المسلمين لكافر * وتخضع دار للعدو المصلم**

إن أبناء هذه الأمة بحاجة إلى منارات حية تضيء لهم الطريق وتنير لهم السبيل.

فهاهو إمام لأحد المساجد في العراق، وكان أعمى البصر، مستنير البصيرة، يأتي إلى الأمير العسكري لل "قاعدة" في بغداد -وذلك بعد استشهاد الشيخ أبي أنس رحمه الله تعالى- يطلب أن يقوم بعملية استشهادية، فقيل له: (يا فلان! إن الله قد عذرك)، فقال: (إني اطلب الشهادة، لعل الله أن يدخلني الفردوس الأعلى، فاجتمع بالشيخ أبي أنس).

فو الله إن دم الشهيد نورٌ ونار، وإن صدق دعوتنا باستشهاد علمائنا وقادتنا.

قوافل تمضي؛ فالشيخ يوسف العييري، والشيخ أبو أنس الشامي، والمجاهد عمر حديد، وأسد الشام؛ أبو الغادية، وليث الجزيرة؛ سليمان أبو الليث النجدي، وأسد بعقوبة؛ أبو سفيان الزبيدي... وغيرهم وغيرهم، ممن "لا يعرفهم عمر، ولكن يعرفهم رب عمر".

نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عيناً لغيرك دمعها مدرار**
من ذا يُعيرك عينه تبكي بها * أرأيت عيناً للدموع تُعار**

ونحن على علم أنه سيخرج من هذه الأمة من يردد كلام أسلافه المنافقين، ويقول لمن نفر للجهاد، وأكرمه الله بالشهادة: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل

عمران:168]، فنجيبهم بجواب الله لهم: {قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران:168].

اللهم إني لأحسب أن الشيخ **عبد الله بن محمد الرشود**؛ قد فاز بجوارك، وأنت حسيبه، وإنك تعلم يا رب أني بفقده قد خسرت عالماً عاملا، لا تلين له قناة، سيفاً مسلطاً على أعدائك من الكافرين والمرتدين.

اللهم أجرنا في مصيبتنا وعوضنا خيراً منها، اللهم هيء لنا من أهل العلم من هو خيرٌ منه تحي بدمائهم ومدادهم علم الجهاد.

اللهم إنك تعلم أننا نقاتل عن دين عظيم، هو دينك وشرعك يا رب العالمين، اللهم فكن لنا العون والنصير، ودبر لنا فإنا لا نُحسن التدبير.

اللهم إنك ترى ما حلّ ويحل بنساء المسلمين في العراق، وتعلم أنه لا مغيث لهن سواك، اللهم رحماك بهؤلاء المساكين.

أقسمت عليك باسمك الأعظم... أقسمت عليك باسمك الأعظم... إلا جعلت لنا مخرجا، وعجّلت بهلاك عُبّاد الصليب، وفتحت لنا أبواب رحمتك.

اللهم من تآمر على هذا الجهاد بالسر والإعلان، وأعان على هدمه متعمداً ومتأولاً ومفاوضاً، اللهم فخذه أخذ عزيز مقتدر، وافضحه على رؤوس الأشهاد.

اللهم من قام من هؤلاء وقام رياءً وسمعة ليصُدّ عن دينك، ويحول بين المجاهدين وبين المسلمين، اللهم فأطل عمرهن وأطل فقره، وعرضه للفتن.

اللهم دعوة سعدٍ فلا تردها...
اللهم دعوة سعدٍ فلا تردها...
اللهم دعوة سعدٍ فلا تردها.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثامن و العشرون

بَيَانٌ وَتَوضِيحٌ لمَا أَثَارَهُ الشَّيخُ المَقدِسِيُّ فِي لِقَائِهِ مَعَ قَنَاةِ الجَزِيرَةِ

٦ جمادى الثاني ١٤٢٦ هـ
١٢ يوليو/تموز ٢٠٠٥ م

بِقَلَمِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فإن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده على مر الأيام والليالي بأنواع المحن والابتلاءات، فتنة لهم واختبارًا، وتمحيصًا لهم وامتحانًا، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم} [محمد:٣١]، وفي (صحيح مسلم) قال الله –سبحانه وتعالى– للنبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّما بعثتُك لأبتليَك، وأبتليَ بك).

وها هي صورة من صور الابتلاء تتجدد على أرض الرافدين، بعد أن غزاها عباد الصليب، يرومون فتنة العباد، والسيطرة على البلاد، في أكبر حملة صليبية عرفها التاريخ المعاصر.

وقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى فسلكنا طريق الجهاد في سبيله، نصرة لدينه، وإعلاء لكلمته،

فرمانا الناس عن قوس واحدة، فصوَّبوا تجاهنا سهامهم، وسلَّطوا علينا ألسنتهم، تشويهًا لدعوتنا وجهادنا، وتنفيرًا للخلق مِنَّا.

فمضينا وحادينا قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم).

وكان مما يؤنس وحشتنا في دربنا، ويخفف عنا غربتنا في طريقنا، أن منتقدينا هم من أولي المناهج الفاسدة، والمذاهب الباطلة.

وقد أكرم الله عباده المجاهدين، وأوليائه الصادقين، ففتح عليهم في معركة الأحزاب معركةِ الفلوجة الأولى، فأَذَلَّ عدوهم، وردَّهم على أعقابهم خاسرين.

وبينما هم يتفيؤون ظلال هذا الفتح المبين، ويعيشون أيامه؛ إذا بهم بما يعكر عليهم صَفْوَه، ويذهب حلاوته، إنَّه سهم جديد مُصَوَّب إلى نحورهم، ولكنه هذه المرة ليس من كنانة من وصفتُ حالهم من قبْلُ، بل هو من رجل محسوب على هذا المنهج، ومن أهل العلم، ذلكم كان مقالاً للشيخ أبي محمد المقدسي حفظه الله بعنوان: (الزرقاوي آمال وآلام، مناصرة ومناصحة)

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند**

وإن أنسى، فلا أنسى بكاء الشيخ أبي أنس -رحمه الله- عندما رأى الحزن باديًا على قسمات وجهي بعد قراءتي لهذه المناصحة لما فيها من تجنٍّ، وعدم تثبت، وقلب للحقائق!

فواساني وقال: يا فلان، إن الله يدافع عن الذين آمنوا.

ولا أبيح سرًّا إن قلت؛ إني كنت أظن أن الأمر لا يعدو أن يكون كبوة من فارس، يوشك أن يقوم منها، وأن المسألة ستقف عند هذا الحد؛ لكن الشيخ المقدسي حفظه الله شفعها بـ(وقفات مع ثمرات الجهاد)، ثم أَكَّد ذلك كُلَّه في مقابلته مع (قناة الجزيرة) مع تصريحه بأنه يتكلم بمحض إرادته، وليس ثَمَّ من يجبره على مقاله.

فرأيت أن الأمر بدأ يتعدى حدود النصح والمناصرة، وأن هذا النصح فقد طريقه ومسالكه الشرعية، وبدأت له أبعاد أخرى، لا سيما في هذا الوقت الخطير، الذي أصبح انكسار شوكة

جيش عباد الصليب واضحًا لكل ذي عينين، فرأيت لزامًا عليَّ أن أوضح بعض الحقائق، وأصحح بعض المغالطات، التي وردت في المناصحة، واللقاء مع (قناة الجزيرة)، دون استيعاب مني لكل ما ورد فيهما، فذاك يحتاج إلى تسويد صفحات وصفحات، (**وما لا يدرك كُلُّه لا يترك جُلُّه**)، أسأل الله أن يسددني، وأن يقيني حظوظ نفسي.

فأقول وبالله توفيقي وعليه اعتمادي؛

أولاً: سيكون كلامي منصبًّا على توضيح بعض الحقائق مما له علاقة بمنهج جهادنا في العراق وما يَمُتُّ إليه بصلة، وسأعرض عما ورد في مناصحة الشيخ حفظه الله فيما يتعلق بعلاقتي معه وما جرى بيني وبينه في غابر الأيام، مما أراه لا يخدم ما نحن بصدده، ولما فيه من منفعة لأعداء الدين.

ثانياً: ذكر الشيخُ حفظه الله في مطلع مناصحته أنه حاول جاهداً قبل نشرها إيصال أشياء كثيرة من محتواها إليَّ، فلم يتمكَّن من ذلك –على حدِّ قوله– فاضطر لنشرها، ولو سلَّمنا له بذلك، فما المبرر لإعادة ذكر هذا الكلام مرة أخرى في المقابلة مع الجزيرة، إذا كان مقصوده إبلاغ النصيحة، وقد تَمَّ له ذلك من قبْلُ في رسالته، ولماذا في هذا الوقت بالذات، مما لا يصب إلا في مصلحة الصليبين، وأذنابهم من المرتدين.

ثالثاً: ذكر الشيخُ حفظه الله أني كنت ممن استفاد منه، واستظل بمشيخته، وأني كنت لا أصدر إلا عن رأيه، ولا أقول إلا بقوله واختياره؛ فأقول:

لا شك أنَّ الشيخَ أبا محمد حفظه الله له فضل كبير وعظيم على العبد الفقير، فهو أحد من تلقيت عنه التوحيد وتفاصيله، وكنت أعتقد كثيرًا مما كان يعتقده أبو محمد، ولكن لا بد أن يُعلم أن متابعتي له إنما هو لاعتقادي بأن ما يطرحه ويكتبه في رسائله هو موافق للكتاب والسنة، وليس هو مجرد تقليد أعمى، ولو كان الأمر كذلك لكان تقليدنا لمن هو أكبر منه قدرًا، وأرفع منه علمًا أولى بنا، فأصل دعوتنا اتباع الكتاب والسنة، ومن ثَمَّ الأخذ بقول من وافقهما، وطرح ونبذ قول كل من خالفهما.

فكما أني استفدت من الشيخ أبي محمد –جزاه الله خيرًا– فقد استفدت من علماء آخرين؛ وهذا لا يعني أن ألتزم بكل ما يقوله المقدسي، والعلم ليس حكرًا عليه وحده، وما كل ما يقوله المقدسي صحيح ويجب اتباعه؛ ولا سيما في الأمور الاجتهادية والنوازل الحادثة.

وأنا في سيري في طريق الجهاد لا أقدم على أي مسألة إلا وضوابط الشرع أمام ناظري، ولا أتجرأ في مسألة حتى أستشير فيها أهل العلم الصادقين المجاهدين، والله يعلم أن الاتصالات لم تنقطع بيني وبين بعض أهل العلم، ممن يفوق أبا محمد علمًا أستفتيهم في غالب ما يواجهني، وهم الآن مبتلون معتقلون في سجون الطواغيت، ولولا خشية تضررهم بذكر أسمائهم لصرحت بذلك.

وكل من يعرف العبد الفقير، ويعرف الشيخ داخل السجن وخارجه، يعلم علم اليقين أنني كنت أخالفه في كثير من المسائل، وخصوصًا المسائل المتعلقة بالجهاد والعمل الجماعي، وعندما خرجت من السجن وقررت أن أذهب إلى أرض الجهاد لم أستشر أبا محمد حفظه الله؛ بل كنت أرى طريقة أخرى لنصرة هذا الدين تختلف عن الطريقة التي يراها الشيخ المقدسي حفظه الله.

هذا مع حزني وأسفي أن تصدر مثل هذه المقالة من أبي محمد، الذي من أصول دعوته تعبيد الناس إلى الله؛ لا إلى ذواتهم وأشخاصهم... (مشيختي، وظلي، واستفادوا من اسمي، ...) [هذه كلمات إستخدمها المقدسي خلال مقابلته مع الجزيرة] والله المستعان.

وهل مَرَّ بكم في الكتاب والسنة، أو في تاريخ سلفنا؛ أن المرء إذا استفاد من شيخ في علم ما؛ أنه يصبح عبدًا له، لا يجوز له أن يخالفه في اجتهاده، أو أن يقول بقول غيره من أهل العلم.
رابعاً: ذكر الشيخُ حفظه الله بأنني اشترطت على الشيخ أسامة بن لادن –حفظه الله– تدريس منهج أبي محمد كشرط للعمل معه.

أقول: هذا الكلام عارٍ عن الصحة تمامًا، فأنا لم أجلس يومًا مع الشيخ أسامة –حفظه الله– بخصوص هذا الشأن.

وأنا أسأل الشيخَ حفظه الله عن قوله: (منهج أبي محمد) أهو منهج تفرد به لم يسبق إليه، أو أنه متبع فيه لغيره من أئمة سلفنا الصالح؟ فإن أجاب بالأول؛ فلا حاجة لنا بمنهجه، فديننا دين اتباع لا دين ابتداع، وفي منهج أسلافنا غُنْيَة عن منهج فلان وفلان، وإن أجاب بالثاني –وهو حَرِيٌّ به– فَعَلام ينسبه إلى نفسه، وهؤلاء مشايخ الجهاد في عصرنا قد دَعَوْا إلى مثل ما كان يدعو إليه أبو محمد، وما سمعنا أحدهم يومًا أنه قال: هذا منهجي!!

ولا ينقضي عجبي كيف يطرح الشيخ مثل هذا الأمر؛ وهو لم يتبين مني، وثَمَّ تساؤلات تؤرقني، لماذا هذا الكلام في هذا الوقت بالغ الحساسية، **ولا سيما أني الآن جندي من جنود الشيخ أسامة –حفظه الله–**، وما المصلحة، ومن المستفيد من ذكره الآن؟

خامساً: ذكر الشيخُ حفظه الله أني كنت أقلده في عدم جواز العمليات الاستشهادية، وأني قد توسعت فيها الآن في العراق.

أقول: ليس الأمر كما ذكر الشيخ، فأنا كنت أرى عدم جوازها عندما كنت في أفغانستان إبان الغزو الشيوعي لها، إتباعا مني لبعض الفضلاء من هذا العصر، ولم أكن قد لقيت المقدسي بعد، وعندما التقيت به، وافق اعتقادي قوله، ثم عندما خرجنا من السجن، وذهبت إلى أفغانستان مرَّة أخرى، التقيت بالشيخ أبي عبد الله المهاجر، وجرى حديث بيننا في حكم العمليات الاستشهادية، وكان الشيخ يذهب إلى جوازها، وقرأت له بحثًا نفيسًا في هذه المسألة، وسمعت له أشرطة مسجلة في ذلك، فشرح الله صدري لما ذهب إليه، ولم أتبنَّ جوازها فقط؛ بل بتُّ أرى استحبابها، وهذا والله من بركة العلم ولقاء أهله، ورتبت للشيخ المهاجر في معسكر هيرات دورة شرعية مصغرة لمدة عشرة أيام، قام خلالها ببيان حكم هذه العمليات للإخوة، مما كان له أعظم الأثر في نفوسهم.

ثم لماذا ينكر علي الشيخ تغير اجتهادي في حكم هذه العمليات، مع أنه كان يرى أولاً حرمتها، ثم هو الآن يرى جوازها بشروط وضعها، أليس من الإنصاف أنه إذا ذكر ذلك أن يذكر هذا.

روى البخاري تعليقًا، ووصله ابن أبي شيبة عن عمار، قال: (ثلاث من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، والإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالم).

سادساً: ذكر الشيخُ حفظه الله بأنني سميت (جماعة التوحيد والجهاد) نسبة لموقعه المسمَّى بمنبر التوحيد والجهاد.

أقول: إن كَلِمَتَي: (التوحيد) و(الجهاد) مصطلحان شرعيان، كنا نرددهما ونتغنى بهما دائمًا في سجننا، فعلام ينكر علينا تسمية جماعتنا بهما، وهل هما حكر على أحد بعينه؟

وما ينقضي عجبي كيف يصدر هذا الكلام من مثل أبي محمد حفظه الله، وإن الذاكرة لتعود بي إلى تلك الأيام التي كنا نتذاكر فيها هموم الدعوة وما كنا نلاقيه من بعض أفراخ المرجئة والجهمية؛

كعلي الحلبي وغيره، الذين كانت مهمتهم تصنيف الناس على أساس الموافقة والمخالفة لهم، فمن وافقهم كان سلفيًّا، ومن خالفهم كان بدعيًّا، فكان الشيخ المقدسي -حفظه الله- يردِّد بأن السلفية ليست وكالة خاصة، ولا شركة مساهمة يحتكرها إنسان بعينه، ويحرمها على الآخرين، فما بال الشيخ حفظه الله اليوم يقع فيما كان ينكره بالأمس على الآخرين.

ولو أني شكلت جماعة باسم: (الجماعة السلفية للدعوة والقتال في العراق)، فهل يلزم من ذلك الانتساب للإخوة في الجزائر حفظهم الله؟

إن كثيرًا من علمائنا كانوا يصنفون التصانيف، مع تماثل مسمياتها، وما سمعنا إنكار أحدهم على الآخر، كـ(الزهد) لابن المبارك، وابن أبي عاصم، وأحمد بن حنبل، والبيهقي، و(أحكام القرآن) للجصاص، وابن العربي، و(فتح الباري) لابن رجب الحنبلي، وابن حجر العسقلاني، وغير ذلك كثير.

نعم، يمكن أن تكون محقًّا لو كنا سمَّينا جماعتنا بـ (جماعة التوحيد والجهاد المنبثقة عن منبر التوحيد والجهاد) أو التابعة لمنبر التوحيد والجهاد، أو التابعة للشيخ المقدسي، أو اتخاذ شعار المنبر نفسه، أو نحو ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح لدى كل من يسمع هذا الكلام: ما المراد في ذكر هذه المسألة وتكرارها في كل محفل، وما الذي ستسفيده الأمة منها، مع أن جماعة التوحيد والجهاد أصبحت جزءًا من الماضي، وهي الآن منطوية تحت لواء تنظيم القاعدة؟

سابعاً: قال الشيخُ حفظه الله: إنه لا يرى تفجير الكنائس، وقتل المدنيين.

أقول: لا أدري من أين يأخذ الشيخ حفظه الله أخباره، ومن أين يتلقى معلوماته؟ مع العلم أنا قد صرحنا في شريط (وعاد أحفاد ابن العلقمي) بأننا لم نستهدف النصارى وغيرهم من المدنيين، ومما قلناه هناك: (وفي أَرض الرَّافدين طوائفُ عدة، كالصَّابئة، واليزيديِّين عبدة الشَّيطان، والكَلْدانيين، والآشوريين، ما مددنا أَيدينا بسوء إليهم، ولا صوبنا سهامنا نحوهم، مع أنَّها طوائف لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة، ولكن لَمْ يظهر لنا أَنَّها شاركت الصَّليبيين في قتالهم للمجاهدين، ولَمْ تلعب الدَّور الخَسيس الذي لعبه الرَّافضة).

ثامناً: تحفظ الشيخُ على قتالنا للروافض، وذهب إلى أن عوَّام الرافضة كعوَّام أهل السنة.

أقول: أما قتالنا للروافض فقد صرَّحنا مرارًا –ولا سيَّما في الشريط الآنف الذكر– أننا لم نبدأهم بقتال، ولا صوَّبنا إليهم النبال، وإنما هم بدؤوا بتصفية كوادر أهل السنة، وتشريدهم، واغتصاب مساجدهم ودورهم، وما جرائم فيلق بدر عنا ببعيد، ناهيك عن تسترهم بلبوس الشرطة والحرس الوثني، ثم من قبل هذا كلِّه ولاؤهم للصليبين، أفيسعنا بعد هذا كله أن نعرض عن قتالهم.

وأما القول بأن عوام الرافضة كعوام أهل السنة، فهذا –والله– من الظلم لعوام أهل السنة، أيستوي من الأصل فيهم التوحيد، مع من الأصل فيهم الاستغاثة بالحسين وبآل البيت، وصنيعهم في كربلاء وغيرها ما عاد يخفى على كل ذي عينين، هذا مع اعتقادهم العصمة في أئمتهم، ونسبة علم الغيب والتصرف في الكون إليهم، وغير ذلك من الشركيات التي لا يعذر أحد بجهلها.

أيستوي من الأصل فيهم الترضي على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مع من الأصل فيهم بغض الصحابة؛ بل لعنهم وعلى رأسهم صاحباه: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واتهام الصديقة عائشة _رضي الله عنها_ بالفاحشة، فلا وربي لا يستويان.

والله ما استويا ولن يتلاقيا * حتى تشيب مفارق الغربان**

ثم إن المطلع على أحوالهم في العراق يعلم علم اليقين أنهم ما عادوا عوامًّا بالمفهوم الذي تريد؛ فقد أضحوا جنودًا للكافر المحتل، وعيونًا على المجاهدين الصادقين، وهل وصل الجعفري والحكيم وغيرهما من الرافضة إلى سدة الحكم إلا بأصوات هؤلاء؟! ومن الظلم أن يؤتى بفتوى ابن تيميه في عصره ثم تنّزل على واقع الرافضة اليوم (من دون النظر إلى الفوارق بين العصرين)، ثم هناك من العلماء من تكلم في كفر الرافضة بأعيانهم كالشيخ حمود العقلاء رحمه الله والشيخ سليمان العلوان والشيخ علي الخضير (فك الله أسرهما) والشيخ أبي عبد الله المهاجر والشيخ الرشود رحمه الله وغيرهم.

تاسعاً: ذكر الشيخُ حفظه الله في لقائه أنه لا يُحَبِّذُ ذهاب الشباب المجاهد إلى العراق؛ لأنها ستكون محرقة لهم، على حدِّ وصفه.

وهذه والله المصيبة الكبرى، أيعقل أن تصدر مثل هذه الفتوى عن مثل أبي محمد.

عن أي محرقة تتكلم أيها الشيخ الفاضل؟

إن المحرقة كل المحرقة في الإعراض عن تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى في النفير إلى ساحات الجهاد، قال تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة:٤١]

إن المحرقة في التنكب عن القيام بما أجمعت عليه الأمة من وجوب نصرة المسلمين المستضعفين؛ الذين صال عليهم عدوهم، فاستباح ديارهم، وانتهك أعراضهم، قال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال:٧٢].

إن المحرقة في التقاعس عن استنقاذ أسرى المسلمين من أبي غريب وغوانتناموا وغيرها.

إن المحرقة في التخاذل عن تحرير أخواتنا العفيفات الطاهرات اللاتي ينتهك عرضهن صباح مساء على أيدي الصليبين والروافض الحاقدين، على مرأى ومسمع من العالم.

إن الحجاج بن يوسف الثقفي -وهو من هو في ظلمه وبطشه- بلغه أن امرأة من المسلمين سُبيت بالهند فنادت: يا حجاجاه، فجعل يقول: لبيك لبيك، وأنفق سبعة آلاف ألفِ درهم، حتى افتتح الهند واستنقذ المرأة، وأحسن إليها.

أليس لازم الأخذ بهذا القول هو ترك الجهاد والقعود عنه، وتسليم بلاد المسلمين لعباد الصليب، ليفعلوا بهم ما يشاؤون.

إن النفير إلى ساحات الجهاد لا يقرب أجلاً ولا يباعد رزقًا، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس نفخ في روعي: إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها).

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه شهد ما يربو على مئة غزوة، ثم هو -رضي الله عنه- يموت على فراشه.

ولهذا فإني أنصح المسلمين بالإعراض عن هذه الفتوى التي يرى فيها الشيخ أن نفير شباب الأمة للدفاع عن دينهم، والذود عن حرماتهم وأعراضهم محرقة، مخالفًا بذلك إجماع الأمة في

دفع العدو الصائل، وعليكم بعلماء المجاهدين وقادتهم، **فهذا الشيخ أسامة بن لادن يرى أنكم على ثغر عظيم**، ويقسم أنه لو وجد طريقًا إلى العراق لما تردد في النفير، **والشيخ أيمن الظواهري يرى قتالكم فريضة وواجبًا، والشيخ سليمان العلوان**، وكذا **الشيخ أبو عبدالله المهاجر، والشيخ أبو الليث الليبي، والشيخ عبد الله الرشود رحمه الله، والشيخ يوسف العييري رحمه الله، والشيخ حمد الحميدي وغيرهم**، يرون أن الجهاد في العراق من أوجب الواجبات، فمرجعيتنا الكتاب والسنة، فما وافقها اتبعناه وما خالفها رددناه، وإن كان المخالف من أعلم الناس مع حفظنا لقدره وعلمه.

فوالله يا أبا محمد لو وقفت الأمة بأكملها، وقالت: إن الجهاد في العراق محرقة، لما أطعتهم في ذلك إلاّ أن يأتوني بدليل بين، كيف وكتاب الله ينطق بيننا بالحق، قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء:٧٥]

فلسنا -بحمد الله- رافضة، حتى نَصُمَّ آذاننا، ونعميَ أبصارنا، ونتبعَ مرجعيتنا على غير هدى وبصيرة وهل هذه الفتوى؛ ولا سيما في هذا الوقت الذي غدا انكسار الجيش الأمريكي واضحا للعيان؛ إلا وسيلة لإنقاذ بوش ومرتزقته، شعرنا أم لم نشعر، قصدنا أو لم نقصد؟

ولا أجد لرد شبهة الشيخ حفظه الله خيرًا من نقل كلام الشيخ حفظه الله نفسه في مقدمته لكتاب (جؤنة المطيبين) للشيخ أبي قتادة حفظه الله، حيث قال: (فلا يجوز أن نقف حجر عثرة بفتاوى أو أحكام قصيرة النظر، كليلة عن إدراك مقاصد الشريعة ومعرفة واقع المسلمين: فنصد عن كل قتال أو جهاد يقوم في الأرض يدفع فيه الصائل عن المسلمين المستضعفين أو مقدساتهم، بدعوى ما يتخلله من أخطاء أو انحرافات.. فإن كنت يا عبد الله تروم جهادا ربانيا خاليا من تلك الشوائب والشبهات، وتشحّ بنفسك أن تبذلها إلا بمثل هذا الجهاد، فلك هذا، ولا يحل لأحد إنكاره عليك، فما هي إلا نفس واحدة، وليس ثم غيرها لتجرب بذلها هاهنا، ثم هاهنا.. ثم ها هناك..

لكن حذار أن تصدّن غيرك عن جهاد يجيزه بل يوجبه الشرع أحيانا: لمجرد ما فيه من هنات أو أخطاء أو تشوهات.. بل سأذهب بحديثي أبعد من ذلك فأقول: حذار أن تصدّن عن قتال لأعداء الله، ولو كان المقاتلون ممن لا خلاق لهم وليسوا على سبيل المؤمنين..

أوليس الوعي بسبيل المجرمين والنضوج في معرفة واقع المسلمين يقتضي إن لم نشارك؛ أن لا

نقف في وجه مثل هذه المواجهات، وأن لا نقف حجر عثرة في مثل هذه الميادين؟؟

ثم ما الدافع الذي يدفع مثل هؤلاء الشباب الأغرار إلى التخذيل والصد عن مثل هذه المواجهات والمدافعات؟ أهو حقا النصح لأهلها؟؟ فإن هذا متأت دون التخذيل عنها، والتهوين من شأنها وشأن الدماء النازفة فيها) انتهى كلامه.

وأخيرًا، عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، أقول للشيخ حفظه الله:

إن ما كتبته من المناصرة والمناصحة، هو في الحقيقة ليس من المناصرة في شيء، فقد ذكرتَ أمورًا لا تَمُتُّ إلى المناصحة بشيء؛ من سرد لوقائع ومحطات في تاريخنا الدعوي، بل للأسف لم تكن منصفًا فيها، ولم تتحر الدقة في سردها، واعلم يا أبا محمد أنني قادر على تفنيد كثير من المغالطات التي ذكرتها وبكل قوة، ولكن هذه القوة والشدة والغلظة أدخرها لأعداء هذا الدين لا لإخواني ، وهذا ما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُم} [الفتح:٢٩]

وأحب أن أبشرك يا أبا محمد بأن عباد الصليب، والعلمانيين، والروافض، والحزب الإسلامي، والجهمية والمرجئة في العراق، يقومون بتوزيع هذه المناصرة على الناس؛ حتى يصدوهم عن اللحوق بركب المجاهدين.

وأعلم يا شيخنا الفاضل أنه بُعيد لقائك مع قناة الجزيرة بات أعداء الله بخير ليلة من العلمانيين وغيرهم من منافقي هذه الأمة، فهذا ذنب آل سلول(العواجي) يصرح مأموراً من أسياده بأن المقدسي قد تراجع وأن المجاهدين سيحصل بينهم انشقاق.

هذا الذي خرج على القنوات يوم مقتل (المقرن رحمه الله ورفع درجته) مناصراً للطواغيت مخاطباً المقرن والشيخ العييري رحمهما الله: بأنكما الآن في دار الحق، فماذا ستقولان لله عندما يسألكما عن النفوس المعصومة التي أُزهقت على أيديكما.

وإذا سُئِلت عن ذلك قلت بأن هؤلاء زوّروا كلامي ولم أكن اقصد ما ذهبوا إليه (كما ذكرت في بيانك الأخير وما حصل من شأن الصحف)

فأقول سامحك الله يا أبا محمد ومتى كانت هذه الصحف والقنوات ممن يروم نصرة الحق وأهله

وأنت الذي ممن كان يبصرنا بسبيلها.

فهلاّ انتظرت حتى يأتيك من أخبارنا ما يجلّي لك واقعنا الذي نعيش، ثم بعد ذلك اختر ما شئت من الطرق الشرعية للنصح، فما كان حقا أخذناه وعملنا به، وما كان غير ذلك بيّنّا لك وجهة نظرنا الشرعية واجتهادنا (حسب واقعنا الذي نعيش) والذي تجهله لبعدك عنه.

واعلم يا شيخنا الفاضل: أن هذا الأمر لا يضرني؛ بقدر ما يضر هذا الجهاد، فإنما أنا رجل من رجالات المسلمين، يوشك أن ينادى عليَّ فألبي، ولكن الحزن كل الحزن على جهاد قائم؛ بادية بركاته لكل ذي عينين، يراد له أن يقوض بنيانه؛ فإن تمَّ لهم ما أرادوا _عياذًا بالله_ كان لك نصيب الأسد من ذلك.

أعيذك بالله أن تتبع خطوات الشيطان فتهلك؛ فاحذر يا شيخنا الفاضل من مكر أعداء الله، واحذر أن يستدرجوك لشق صف المجاهدين.

أما شعرت أيها الشيخ الجليل الاهتمام الملفت للأنظار من الإعلام بشتى وسائله بهذا اللقاء الغير موفق (توقيتا ومضمونا).

ألم يدر بخلدك بان هذه الأبواق المستأجرة لم تسعى يوما لإحقاق حق أو لإزهاق باطل وإنما لتفريق كلمة المسلمين ودس السم بالعسل، لقد خرج علينا المراسل . الذي أجرى معك اللقاء . في برنامج (ما وراء الخبر) يقول إن الأجهزة الأمنية اتصلت بالشيخ وأنا عنده تطلب منه إجراء مقابلة مع إحدى القنوات الفضائية.

أتدري ما معنى هذا الكلام يا شيخنا الفاضل؟
أما علمت ماذا ستترك هذه المقولة في أذهان المسلمين؟

إعلم أيها الشيخ الجليل؛ أنني قد أشك في نفسي ولكن لست ممن يشك لحظه في دينك، ولكن يا أبا محمد لماذا غفلت عن حديث (صفية).

فعن عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ فَرُحْنَ فَقَالَ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ لَا تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكِ وَكَانَ بَيْتُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَجَازَا

وَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَالَيَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ قَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا.

لماذا جعلت للأعداء سبيلا على إخوانك (حسبنا الله ونعم الوكيل).

وقبل الختام لا بد من القول؛ بأن الشيخ المقدسي حفظه الله ممن يحفظ لهم حقهم وبلاؤهم، وهو ممن يحسن الظن به، وهو أولى الناس بالمعذرة وإقالة العثرة، ولا أظن موحدا في هذا الزمان إلا وللشيخ عليه فضل، فلا يعني إن جانب الصواب في مسألة ما أن يحط من قدره وعلمه وحفظ سابقته وبلائه، ولولا خطورة ما تكلّم به الشيخ، وما سيترتب عليه من آثار سيئة على الجهاد والمجاهدين لم يكن هذا الرد.

أسال الله أن يعفو عنا وعنه، وأن يغفر لنا وله، وأن يختم لنا وله بالحسنى، وألا يجعل لأعدائه علينا وعليه سبيلاً.

وصلى اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَبُوْ مُصْعَبِ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْنْ
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْنْ

الخطاب التاسع و العشرون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
لا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ

المُحاضَرَةُ الأوُلى، وَ هِيَ بِعُنوان:

(القِتَالُ؛ قَدَرُ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ)

٣ شعبان ١٤٢٦ هـ
٦ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفه، أمَّا بعد:

فإنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى خلقَ الخلق لعبادته واتّباع شريعته، ولم يتركهم هملاً؛ بل أرسل إليهم رُسُلاً يدعونهم إليه، ويدلونهم عليه، فانقسم العبادُ إلى فريقين؛ فريقٍ هداهُ الله بفضله ورحمته، وفريقٍ أضلّهُ اللهُ بعلمه وعدله، ومضى قدرُ الله وجرت سنته أن يقع التدافع والصراع بين هاتين الفريقين؛ الحقِّ وأنصاره، والباطلِ وأعوانه، وذلك على مر العصور، وكرِّ الدهور، وإلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها، {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}

[الأحزاب:٦٢].

وذلك أن الحقَّ والباطل ضدان لا يجتمعان أبدًا، فوجودُ أحدِهما على أرض الواقع يستلزم –ولا بد– محوَ الآخر أو إضعافه، بتجريده من الأسس التي يرتكزُ عليها، والمبادئِ التي قيامه بها، فلا يتصور في ميدان الواقع أن يتعايشَ الحق والباطل معًا على أرضٍ واحدة من دون غلبة لأحدهما على الآخر، أو سعيٍ لتحقيق هذه الغلبة، ولو فُرِضَ أن الحق استكان حقبة من الزمن، وأحجَمَ عن مزاحمة الباطل ومدافعته؛ فإن الباطل لن يقابل هذه الاستكانةَ إلا بصولةٍ يستعلي بها على الحق وأهله، يروم من خلالها النيلَ منهم والقضاءَ عليهم، أو على الأقل تجريدهم من أهم ما يميزهم عن الباطل وأهله، عبر سلسلةٍ من التنازلات والتي لا تبقي لهم من الحق غير اسمه، ومن منهجه غير رسمه؛ ليغدو في نهاية المطاف جزءًا من مملكة الباطل، وذيلاً من أذياله، و بئست النهاية.

والقرآنُ الكريم يزخر بالآيات التي تُقررُ هذه الحقيقة وتأصِّلها، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [إبراهيم:١٣] إنها حقيقةُ المعركة بين الحق والباطل، حقيقةٌ ثابتة مستقرة، لا تتغير بتغير الزمان، ولا تتبدل بتبدلِ المكان، فليس لأهل الأيمان من الرسل وأتباعهم عند ملل الكفر قاطبة إلا أحدُ سبيلين؛ إمّا أن يُخْلُوا لهم الأرض بالقتلِ والتصفية والتشريدِ والطرد والإبعاد؛ ليعيثوا فيها كفرًا وفسادًا، وإما أن يتنازلوا عن الحقِّ الذي معهم، ويستسلموا للباطل وحزبه، ويذوبوا في مجتمعهم، وهذا ما تأباه طبيعة هذا الدينِ لأتباعه.

وقال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [البقرة:٦١].

وقال تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} [الأنبياء:٦٨].

وقال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} [العنكبوت:٢٤].

وقال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال:٣٠].

يقول سيِّد رحمه الله: (وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على

الشر، وعلى فتنة المسلمين عن دينِهم، بوصفها الهدفَ الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض، وفي كل جيل.

إن وجود الإسلام بذاته هو غيظٌ ورعب لأعداء هذا الدين، وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواتُه، ولكن الهدفَ يضل ثابتًا؛ أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينِهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحًا غيره، والخبر الصادق من العليم الخبير قائمٌ يحذرُ الجماعة المسلمة من الاستسلام وينبهها إلى الخطر، ويدعوها إلى الصبر على الكيد، والصبر على الحرب، وإلا فهي خسارةُ الدنيا والآخرة، والعذابُ الذي لا يدفعه عذرٌ ولا مبرر) ا.هـ.

وتأمَّل قوله تعالى: {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود:٩١]، فرغم إقرار الباطل بضعف أهلِ الحق المادي، وخلوِّهم من أسباب القوة؛ فليس غير القوة الغاشمة التي لا تعرف أي معنى للرحمة، ولا تأبه بأي رابطة {وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود:٩١]، بل عندما طلب منهم نبيهم شعيب –عليه الصلاة والسلام– أن يتركوهُ والطائفةَ التي آمنت معه، ويصبروا إلى أن يكون الله وحده هو الذي يحكم بين الطائفتين بأمر قدري من عنده سبحانه، أبوا إلا خيار الطاغوت في كل زمان ومكان، مع الحق وأهله؛ إما الطرد والإبعاد والقتلُ والنكال والعذاب، أو الفتنة عن الدين.

وقال الله تعالى حكايةً عن شعيبٍ عليه السلام: {وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف:٨٧–٨٨]، فالباطل لا يطيق وجود فئة تؤمن بالله وبرسالتِه في ديارِهم، وإن كانت هذه الفئة فئةً ضعيفة، مجردةً من كلِّ أسبابِ القوَّةِ الماديّة، بل ولو كانت هذه الفئةُ تدعو الباطلَ إلى الصبرِ إلى أن يكون الله هو الحكَمُ بما يقدره بينهما.

وقد اقتضت حكمةُ الله –سبحانه– ابتلاءً لعباده وتمحيصًا لهم؛ أن يتسلط الباطلُ وحزبُه على الحقّ وأهله تسلطًا قدريًّا.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام:١١٢].

وهذا قضاءٌ كوني واقعٌ لا محيص عنه، ولا دافع له، فكل من استمسك بغرز هذا الدين، وأخذ على عاتقه تطبيقَ حكمه بين العالمين؛ فلا بد أن ينالهُ قسطٌ من ذلك التسليط، ونصيبٌ من تلكم العداوة؛ ويتضحُ ذلك جليًّا في قول ورقة بن نوفل للنبي –صلى الله عليه وسلم– (لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي).

فكل من سار على درب النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابِهِ رضوان الله عليهم، ودعا إلى مثل ما كانوا عليه؛ فلا بدَّ أن يناله نصيب من العداوة، ويصيبَه شيء من الأذى من الباطل وأهله بحسب حاله والتزامه بمنهجهم، ومنشأ هذه العداوة وسببُها؛ أن مجرد رؤيةِ أهل الباطل للحق، وإن كان الحق في أضعف حالاته وأعجزها –تذكر أهل الباطل بباطلهم، فتقطع عليهم نشوتهم، وتُنغصُ عليهم تمتعهم بشهواتِهم، وتوقفهم مع أنفسهم لتفضح هذه الأنفس، وتبينَ ضعفها، وزيف قوتها وذلتها، حيث غدت عبدة ذليلة مهانة لشهواتها وأهوائها.

وقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة:٥٩]، فنقمتهم على المؤمنين، كما هو صريحُ الآية، لا سببَ لها غيرَ قيامِ المؤمنين بدينهم، وتمسُّكِهم به، مع عدم قدرتهم على فعل الشيء نفسه؛ لفسقهم المانع لهم من ذلك، وهذا مما يملأُ قلوبَ أهل الباطل حقدًا وغيظًا تتقطع معه قلوبهم، وتتحرق معه نفوسهم، حيثُ هذا العلو والسمو والذي لا يستطيعونه يذكرهم ويشهد عليهم بانحطاطهم وسفلهم، فيودون أن لو فتن أهل الحق عن حقهم وشاركوهم في باطلهم. كما قال العليم بمكنون صدورهم: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء} [النساء:٨٩]، ولذا فإن أهل الباطلِ لا يجدون أمامهم فرارًا مما يجدون غير التمادي في سياسة البطش والتنكيل والتشريد والتقتيل، غير مراعين لحرمة ولا حافظين لعهدٍ ولا ذمة تشفيا من الحق وأهله وإرضاءً لأنفسهم المهزومة، وانتصارًا لها.

وإذا كان قد سبق في قضاء الله معاداةُ الباطل للحق وأهله وتسلطهم عليهم بأنواع الأذى وألوان العذاب؛ فقد أمر سبحانه أولياءه بإشهار سيف العداوة والبغضاء في وجه الباطل وأهله، ورفعِ لواء البراءَةِ من الكفر وحزبه.

قال سبحانه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:٤].

قال الشيخ حمد بن عتيق -رحمه الله- (وهاهنا نكتةٌ بديعة في قوله تعالى {إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} [الممتحنة:٤] وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله؛ لأن الأول أهم من الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان، ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتيًا بالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم)

إلى أن قال: (فعليك بهذه النُكت؛ فإنها تفتح بابًا إلى عداوة أعداء الله، فكم إنسان لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يعادي أهله، فلا يكون مسلمًا بذلك إذ ترك دين جميع المسلمين، ثم قال تعالى: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:٤]، فقولُه «بدا» أي ظهر وبان، وتأمل تقديمَ العداوة على البغضاء لأن الأولى أهمُّ من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم، فلا يكون آتيًا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولا بد أيضًا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين) ا.هـ.

وقد اتخذ جهادُ أهل الحق للباطل أشكالاً متنوعة، وصورًا متعددة، فتارة يكونُ بالقلم والبيان، وهو جهاد أهل الحق للمنافقين وأهل الزيغ والمبتدعين؛ بكشف خبيئتهم، وتبيين باطلهم، وزيفِ مذهبهم، قال تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} [الفرقان:٥٢].

وتارةً يكون بالسيف والسنان، وهو جهادُ أهل الحق للكفرة والمرتدين؛ حتى يدخلوا في الإسلام، أو يخضعوا ويُذعنوا لحكمه، قال تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة:٢٩]، وقال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ} [الأنفال:٣٩].

وأهلُ الحق يمارسون الجهاد بنوعيه؛ جهادَ البنان، وجهادَ السنان، ولكنهم يوقنون أن هذا الحق الذي يحملونه لا بد له من درع يحميه، وقوة تنصره وتسانده، وإلا فَقَدَ محله من العقول وتأثيره في القلوب مهما كانت حججه قاطعة وبراهينه ساطعة، ولهذا أمر اللهُ سبحانه أهلَ الحقِّ بإعداد القوة لإرهاب أهل الباطل ومنعهم من التحرش بأهل الحق والتعدي عليهم، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال:٦٠].

ولهذا كان دينُ الله الحق يقومُ على الكتابِ و السيف، فالإسلامُ دين الحق لا يقوم إلا على ساقين؛ علمٍ وجهاد، فإذا اختل أحدهما؛ اضطرب حبله وفسد نظامه وتمكن منه أعداؤه يفعلون به ما يشاءون، فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديد الناصر، كما قال الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: ٢٥].

ولقد أحسن من قال في مثل هذا:

وَما هُوَ إِلّا الوَحيُ أَو حَدُّ مُرهَفٍ * تُزيلُ ظُباهُ أَخدَعَي كُلِّ مائِلِ**
فَهَذا دَواءُ الداءِ مِن كُلِّ جاهِلٍ * وَهَذا دَواءُ الداءِ مِن كُلِّ عاذِلِ**

فالعاقِلُ ذو الفطرة السليمة ينتفع بالبينة، ويقبل الحق بدليله، أما الظالم التابع لهواه فلا يردَعُه إلا السيف، فالحقُّ الذي لا يملكُ القوّةَ ليطبقَ في واقع الحياة، ودنيا الناس؛ حقٌّ ضائع مهما بلغت براهينُه، وقوَّةُ حججه، وسطوعُ أدلته، بل وكونُه البيانَ الذي لا يقهر، والحقَّ الضائع لا معنى له ولا قيمة حيث يظل حبيسًا مقهورًا لا يجد الناسُ له أثرًا، ولا يسمعون له صوتًا إلا همهماتٍ ضعيفة مشوهة بفعل الباطل وعلوه.

متى تملك القلب الزكيّ وصارمًا * وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم**

وقد قال الفاروق المحدثُ الملهم -رضي الله عنه-: (لا ينفعُ كلمة حقٍّ لا نفاذ لها)، وأولى الناس وأحقهم بالعلم هم أهل الجهاد، وأولى الناس وأحقهم بالجهاد هم أهل العلم، وهذا ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء في الأثر (صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس، العلماءُ والأمراء).

وما أدق قول الغزالي رحمه الله: (إن الدنيا مزرعةُ الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين توأمان، فالدينُ أصلٌ والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهزوم، وما لا حارس له فضائع) ا.هـ.

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجب * وقد لان منه جانب وخطاب**
فلما دعا والسيفُ صلتٌ بكفه * له أسلموا واستسلموا وأنابوا**

والنبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالكتاب والسنة والدعوة إليهما هو كذلك صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالسّيف وأمر به وحرض عليه قولاً وفعلاً؛ قال صلى الله عليه وسلم: (بُعثتُ بين يدي الساعةِ بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم).

وقد قال صلى الله عليه وسلم أيضًا: (إن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت: رب! إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغْزِك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك).

وهو صلى الله عليه وسلم القائل: (والذي نفس محمد بيده لوددتُ أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

إن حياته صلى الله عليه وسلم كانت تمازُجًا لا يقبلُ الانفكاك بين التعليم والدعوة وبين القتال في سبيل الله، حتى أنه صلى الله عليه وسلم خرج بنفسه للغزو سبعًا وعشرينَ مرة، مدةَ العشر سنوات التي قضاها عليه الصلاة والسلام في المدينة، أي بمعدل ثلاثِ مراتٍ في السنة الواحدة، فضلاً عن السرايا التي أمر بإرسالها ولم يخرج معها، وهذا يوضح بجلاءٍ أنّ القتالَ في سبيلِ الله هو المحور الذي كانت تدور عليه حياةُ الصدرِ الأول.

ومن أسمائه التي سُمي بها صلى الله عليه وسلم؛ الضَّحوكُ القتَّال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (اسمه في التوراة أحمد، الضحوك القتال، يركبُ البعير، ويلبسُ الشملة، ويجتزئ بالكِسرة، سيفه على عاتقه).

قال الماوردي -رحمه الله- وهو يتحدث عن فضائله صلى الله عليه وسلم: (منها؛ انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته، وأحدقوا بجنباته، وهو في قطر مهجور، وعدد محكور، فزاد به من قل، وعز به من ذل، وصار بإثخانه بالأعداء محبورًا، وبالرعب منه منصورًا، فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر، وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر، والجمعُ بينهما مُعوزٌ إلا لمن أمدَّهُ اللهُ بمعونته، وأيدَّهُ بلُطفِه). ا.هـ.

وهذا التمازج الذي لا يقبل الانفكاك بين الكتاب والسيف، الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم، هو ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم من طبيعةِ هذا الدين وما جاء به، وقد قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:١٤٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وسيوفُ المسلمين تنصر هذا الشرع وهو الكتاب والسنة، كما قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نضرب بهذا - يعني السيف - من خرج عن هذا - يعني المصحف -) ا.هـ.

ومن ثم فالإسلام يُسجل تاريخ عزِّهِ، ويسطر صفحات مجده أهلُ العلم المجاهدون، ولقد كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وهم من سجلوا المجد صدر هذه الأمة علماءً دعاةً مجاهدين لم يُقْعِدهم العلمُ عن الدعوةِ والجهاد، بل كان علمهم وجهادهم متلاحمين متمازجين أعظمَ ما يكون التلاحم والتمازج، فكان المجد في أعقابهم، والعزُّ في إثرهم، وكان علمُهم حجة لهم لا عليهم.

وهكذا كان دور أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كان أملهم هداية الخلق إلى الحق مع تقويم من أعرض وتعدى، لا عملَ لهم في حقيقةِ الأمر إلا هذا، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت جموع الصحابةِ لقتال من ارتدّ من العرب عن الإسلام، ثم ما لبثوا أن انتشروا في الآفاق دعاةً مجاهدين يبلغون الإسلام بسيوفهم وبيانهم.

ولقد حضَرَ حجَّةَ الوداع مع الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من مئة ألف من الصحابة رضي الله عنهم، بينما المدفونون في البقيع منهم لا يجاوز عددهم المئتين وخمسين صحابيًّا، أما الكثرة الكاثرة فقد قضوا نحبهم في بلاد الله البعيدة جهادًا في سبيل هذا الدين وتمكينًا له في الأرض...!

قال الإمامُ الأوزاعي رحمه الله: (كان يقال؛ خمسٌ كان عليها أصحابُ محمد والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله) ا.هـ.

ولقد سار على نهج الصحابة واقتفى أثرهم بين العلم والدعوة والجهاد أئمة الطائفة المنصورة التابعونَ لهُم بإحسانٍ ليبرهنوا على عظمة هذا الدين في صنعِ الرِّجال، وأنها عظمة تتجاوز حدودَ الزمانِ والمكان، فما أروعَ أن يُسَجِّل العالِمُ مجدَ الإسلام وعزَّهُ بمداده ودمه، والنماذج هنا

كثيرةٌ جدا يضيق المقام بذكرها.

فهذا الإمام العلم سيد التابعين سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى- أحد فقهاءِ المدينة السبعة خرج إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له: إنَّك عليل! فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثَّرتُ السواد، وحفظتُ المتاع.

وقال العزي في ترجمة المحدث الكبير أبي إسحاق الفزاري -رحمه الله- قال: (كان ثقةً صاحبَ سنة، صالحًا، هو الذي أدَّب أهل الثغر وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغرَ رجلٌ مبتدعٌ أخرجه).

وقال الذهبي في ترجمة عبد الله بن المبارك: (الإمامُ الحافظ العلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي، والله إني لأحبه في الله، وأرجو الخير بحبه، بما منحه الله من التقوى، والعبادةِ والإخلاص والجهاد، وسعةِ العلم والأتقال والمواساة والفتوة والصفات الحميدة).

وعن محمد بن فضيل قال: (رأيت عبد الله بن المبارك في المنام، فقلت: أي الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: الأمر الذي كنتُ فيه، قلتُ: الرباط والجهاد؟ قال: نعم)

وقال الذهبي في ترجمةِ أسد بن الفرات رحمه الله تعالى: (الإمامُ العلامة القاضي الأمير مقدَّمُ المجاهدين، وكان مع توسُّعِهِ في العلم فارسًا بطلاً شجاعًا مقدامًا، زحف إليه صاحب صقلية في مئةِ ألفٍ وخمسين ألفًا، قال رجل: فلقد رأيتُ أَسدًا وبيده اللواء يقرأ سورة يس، ثم حمل بالجيش فهزم العدو، ورأيتُ الدم وقد سال على قناة اللواء، وعلى ذراعه، ومرض وهو محاصِرٌ شركُسية)

وقال الذهبي في ترجمة أبي العرب: (محمد بن أحمد بن تميم، العلامة المفتي، ذو الفنون، كان أحد من أخذ الخروج على بني عبيد في ثورة أبي يزيد عليهم، ولما حاصروا المهدية، سمع الناس على أبي العرب هناك كتابين إمامه لمحمد بن السحنون، فقال أبو العرب: كتبت بيدي ثلاثة آلاف وخمسمئة كتاب، فو الله لقراءة هذين الكتابين هنا أفضلُ عندي من جميع ما كتبت).

وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى أنه في هذا الخروج على الدولة العبيدية لم يتخلّف من فقهاء المدنيين المشهورين إلا أبو ميسرةَ لعماه، ولكنه مشى شاهرًا للسلاح في القيروان مع

الناس لاجتماع المشيخة على الخروج.

وذكر الذهبي رحمه الله أنه في موقعة واحدة مع العبيديين استَشْهَد خمسة وثمانون نفسًا من العلماء والزهاد، ويوم أن نهضت الأمة لجهاد الصليبيين إعلاءً لكلمة الله، ثم ردًّا لأراضيها السليبة، وحقوقِها المضاعة، كانَ العلماءُ العاملون في مقدمةِ ركب الجهاد، وأُسر منهم من أُسر، وقتل منهم من قتل.

قال ابن خلكان: حتى وافى -أي السلطان- الفرنج على الرملة، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وسبعين، وكانت الكثرةُ على المسلمين في ذلك اليوم، فلما انهزموا لم يكن لهم حصنٌ قريبٌ يأوون إليه، فطلبوا جهةَ الديارِ المصرية، وضلّوا في الطريق وتبددوا، وأُسر منهم جماعة، منهم الفقيهُ عيسى الهكّاري، وكان ذلك وهنًا عظيمًا جبرهُ الله تعالى بوقعة حطينَ المشهورة.

وقال ابن كثير عن هذه الوقعة: (وأُسر الفقيهان الأخوان؛ ضياءُ الدين عيسى وظهير الدين، فافتداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار) ا.هـ.

ولما توجَّهَ المسلمونَ لفتح بيت المقدس شارك العلماء بقوّة، حتى قيل بأنّه لم يتخلف أحدٌ من أهلِ العلم عن الحضور والمشاركةِ في الفتح، قال ابن كثير: (وطار في الناس أن السلطان عزم على فتحِ بيت المقدس، فقصده العلماء والصالحون تطوعًا، وجاءوا إليه، وكان على رأسِ هؤلاء العلماء المجاهدين للصليبيين المشاركين في فتح بيت المقدس وغيره من الغزوات -المقادسة الحنابلة خصوصًا عمدائهم الكبار رحمهم الله تعالى، كالشيخ العالم العامل الزاهد القدوة أبي عمر المقدسي، وأخيه الإمام الموفق صاحب المغني، وابن خالهم الحافظِ الكبير عبد الغني، وأخيه العماد) ا.هـ.

وأما جهادُ شيخ الإسلام ابن تيمية للتتار فهو علمٌ في رأسه نار، قال ابن كثير -رحمه الله- في كلامه على هجوم التتار على دمشق: (وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آياتِ الجهاد والرِّباط).

وقال عنهُ الذهبي: (نصرَ السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذي في ذات الله من المخالفين، وأُخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته، والدعاءِ له، وكبس أعدائه، وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك

والأمراء على الانقياد له غالبًا، وعلى طاعته، وأحيي به الشام، بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم، خصوصًا في كائنة التتار، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفتُ بين الركنِ والمقام؛ لحلفت أني ما رأيت بعينيَّ مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه) ا.هـ.

أما الفصلُ بين العلمِ والجهاد، والدعوةِ باللسان والدعوة بالسنان، فحاشا أن يكون منهجَ الطائفةِ المنصورة، إذ هو فصامٌ نكد، وطامّةٌ كبرى، وبدعةٌ منكرة، ودخنٌ في الدين، أورث ما يُدمِي القلب، ويُدمِع العين، ويملأ النفوس حسرة وأسى.

وإن المتأمِّلَ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليَلحَظُ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنذ مطلع فجر هذه الدعوة يسعى لامتلاك أسباب القوة، ويتجلى ذلك واضحًا في عرضه –صلى الله عليه وسلم– نفسَهُ في تلك المرحلة المكية على القبائل بُغيَةَ أن يجدَ قبيلةً تقومُ دونَه بسيوفِها، وتقاتلُ عنه ليتمكنَ من المضي في أمر ربه.

قال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–:

(لما أمرَ الله نبيَّهُ أن يعرضَ نفسه على قبائل العرب؛ خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، وتقدَّمَ أبو بكر، وكان نسّابة، فقال: من القوم؟

فقالوا: من ربيعة، قال علي ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينةُ والوقار، فتقدّم أبو بكر، وكان مقدَّمًا في كل خير وقال: ممن القوم؟

فقالوا: من شيبان بن ثعلبه، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ما وراء هذا القوم غر هؤلاء غرر الناس! وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمانُ بن شريك، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟

فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن يغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جَد؛ قال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟

فقال مفروق: إنا لأشدُّ ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنّا لأشدُّ ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنا لنؤثرُ الجيادَ على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصرُ من عند الله، يديلنا مرة، ويديلُ علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟

قال أبو بكر: وقد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فها هو ذا، قال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، قال: فإلام تدعو يا أخا قريش؟

قال: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسولُ الله، وأن تؤووني وتنصروني، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله، فكذبت رسله، واستغنت بالباطل عن الحق، فقال المثنّى: قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعو إليه مما تكرهه الملوك، فإن أحببتَ أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالضد، وإن دين الله لن ينصرَهُ إلا من أحاطه من جميع جوانبه).

والحديثُ ظاهر الدلالة بأنه صلى الله عليه وسلم كان ينشد السيف الذي ينصر به دعوته، بل لما أعلن القوم استعدادهم أن ينصروه صلى الله عليه وسلم من العرب دون الفرس؛ رفض صلى الله عليه وسلم مبايعتهم مصرًّا أن تكونَ النصرة بالسيف مطلقة على كل من قد يقف أمام الدعوة من عرب أو عجم.

ألا فليتأمل الذين يريدون نصرة الدين بقتال الصليبيين دون قتال أعوانهم من بني جلدتنا من المرتدين، ألهم في هذه النصرة حظٌّ أو نصيب؟.

إنما أمر الله سبحانه وتعالى من البراءةِ من المشركين والعداوةِ للكافرين له صور متنوعة، وأشكال متعددة، لكن أعظم مظاهره وأبرزَ معالمه على الإطلاق هو القتالُ والجهادُ في سبيلِ الله، ولكنه شاقٌ عسير على النفوس، ولذلك لم يتصدّ لهُ إلا طائفةٌ من أهل الحقّ اصطفاها الله سبحانه وتعالى.

هذه الطائفة خطت لنفسها المضي في طريقٍ تقاعسَ عنه الجمُّ الغفير، وأحْجَمَ عن سلوكِ دربه الكثير، طريقٍ مكروهٍ لقلوب البريات، محبوبٍ لخالق الأرض والسماوات، طريقٍ قامت أرضهُ على الجماجم والأشلاء، ورُويت تربته بطاهر الدماء، طريقٍ بدايته آلام ومشاق وأحزان، وخاتمته نعيمٌ وراحةٌ وغُفران، طريقِ السير فيه عظيمُ التكاليف؛ مفارقةٌ للأهل والأوطان، هجر للأحباب والخلان، هجرة للواحد الديان، طريقٍ كَثُرَ عنه المخذلون، وعَظُم فيه المخالفون، طريقٍ مُمحِّصٍ للقلوب، وفاضحٍ للنُّفوس.

إنّه طريقُ القتال، وسبيلُ النِّزال، يا لَهُ من طريق موفّقٌ من هُدِي لسلوكه، محرومٌ والله من ضلَّ عن سبيله.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة).

وعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لن يبرح هذا الدين قائمًا يقاتلُ عليه عصابة من المسلمين حتى تقومَ الساعة).

ومن حديث عقبةَ بن عامر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزال عصابةٌ من أمتي يقاتلون على أمرِ الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزالُ طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوئهم، حتى يقاتل آخرُهم المسيحَ الدجال).

كلماتٌ من نور الوحي ومعين الرسالة ترسم بريشة الحقيقة سبيل هذه الطائفة المصطفاة، وتحددُ معالم طريقها، وعنوانَ منهجِها، ودامغةً في الوقت نفسه كل متخاذل من أهل فقه الذل والصغار، وتقعيد الخنوع للواقع وضغطه، فالقتال في سبيل الله شرطُ الطائفةِ المنصورة، وأساس صحة الانتسابِ إليها، وإن رغمت أنوف!.

إنه القتال قدرُ كل من أراد الانتساب لهذه الطائفة المنصورة، وقولهُ صلى الله عليه وسلم (لا تزال) و (يقاتلون) و (حتى يقاتل آخرهم الدجال) يدلُّ على أن هذه الطائفةَ المقاتلة طائفةٌ ممتدة كحبَّاتِ العقد يأخذ خلفُها عن سلفِها، ويفضي سابقها للاحقها في تتابع واتصالٍ تامين ليس بينهما فراغ؛ لتظل الرايةُ مرفوعة دائمًا وأبدًا، فهي وحدةٌ واحدة لها أول ولها آخر عبر عمر الأمة كله.

وقد ترجم كثيرٌ من الأئمة لأحاديث الطائفة المنصورة بما يدل على ما ذكرناه من كون القتال قدر الطائفة المنصورة، قال الإمام أبو داود في سننه (باب في دوام الجهاد)، وقال ابنُ الجارود رحمه الله في المنتقى (باب دوام الجهاد إلى يوم القيامة).

هذا القتال هو أخص أوصافِ أهل هذه الطائفة المنصورة، وألصقُها بهم، فهو شعارهم ودثارهم، وهو دنياهم وآخرتهم، وهو فراغهم وشغلهم، وهو حلهم وترحالهم، عكفوا عليه، وتنادوا إليه، فكان التسابق زرافاتٍ ووحدانًا.

قال تعالى: {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:٥].

وقال تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة:٢٩].

وقد جاء التعبير عن هذه الصفة الحَدِّية من صفات الطائفة المنصورة بلفظ القتال، ولم يأت بلفظ الجهاد، قاطعًا الطريق على من أُشربوا في قلوبهم حبَّ التأويل -والذي حقيقته التحريف- ليمنعهم من تحريف هذه الصفة عن حقيقتها إرضاءً لشهواتِهم وخضوعًا لشبهاتهم، وليضعَهم في مواجهَةِ أنفسهم مواجهةً يتبعُها إما القيام بأمر الله وتحقيق شرط صحة النسبة للطائفة المنصورة وأهلها، وإما التخاذل والتقهقر وبطلان النسبة وانكشاف الادعاء.

بل وقع في بعض روايات الحديث أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم للقتال إنما هو لزعم بعضهم ألاَّ جهاد وأن الحرب قد وضعت أوزارها؛ فعن سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه قال: (كنتُ جالسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: يا رسول الله أزال الناسُ الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا لا جهاد، قد وضعتِ الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال: «كذبوا، الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعدُ الله، والخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

إنه قدرُ القتال، وسبيلُ المواجهة مع الباطل حقيقةٌ كان النبي صلى الله عليه وسلم يصدع بها في وجه أعدائه والدعوة في أصعب ظروفها، وأحلك مراحلها، من قلةٍ في العدد وضعفٍ في العُدة.

قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما أكثرُ ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر، فذكروا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا،

وشتمَ آبائنا، وعابَ ديننا، وفرّقَ جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، فقد صبرنا منه على أمر عظيم، قال فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، فمر بهم الثانية، فغمزوه بمثلها فعرفتُ ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسُ محمد بيده لقد جئتُكم بالذبح» فأخذتِ القوم كلمته حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع، حتى إن أشدَّهم فيه قبلَ ذلك ليرفؤه في أحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدًا فو الله ما كنت جهولاً).

قال البيهقي رحمه الله: (وفي هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أوعدهم بالذبح وهو القتل في مثل تلك الحال، ثم صدّق الله تعالى قوله بعد ذلك بزمان فقطع دابرهم، وكفى المسلمين شرهم) ا.هـ

تلكم الحقيقة كان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس بذورها في نفوس أصحابه ولا سيما في تلك المرحلة التي لم يؤذن لهم فيها بالقتال، وأمروا فيها بالعفو والصفح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأثمر ذلك الغراس وأينعت ثمرته في نفوس الصحابة رضوانُ الله عليهم، فأدركوا حقيقةَ الصراعِ بينهم وبين الكفر، وأن هذه المرحلة مرحلةٌ مؤقتة ما تلبثُ أن تزول، وأن القتال بينهم وبين معسكر الباطل وحزبه أمرٌ كائنٌ لا محالة، ذلكم هو قدر هذه الدعوة منذ يومها الأول، وأن السيف هو الفيصلُ بينهم وبين أعدائهم، وهو من سيزيحُ هذه الرؤوسَ عن طريق الحق وأهله.

لما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم البيعة من الأوس والخزرج يوم العقبة، قالوا: يا رسول الله علام نبايعك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمتُ عليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة) قال جابر رضي الله عنه: فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقةُ العرب كافة، وقتلُ خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذرُ لكم عند الله، فقالوا يا أسعد: أمط عنا يدك فو الله لا نذرُ هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلاً رجلاً، فأخذ علينا وشرط يعطينا بذلك الجنة.

لله درك يا ابن زرارة على هذه المقالة! يا لها من كلمات تنبئُ عن معرفة بحقيقة الصراع بين الحق والباطل، ومنذ اللحظةِ الأولى قبل البيعة، كلماتٌ خرجت من فِيِّ من سلمت فطرتُه، ولم تلوثها تلكم المتاهات النظرية، والسفسطات الكلامية، والفلسفاتِ العقيمة.

كلماتٌ نسوقها إلى أولئك الذين ما عقلوا طبيعة هذا الدين، ولم يعوا بعدُ حقيقته، وليتهم اكتفوا بتخاذلهم وقعودهم عن الجهاد؛ لهان المصابُ إذن، ولما انشغلنا بتوجيه اللوم لهم، ولكنهم أبوا إلا أن يضفوا على هذا القعود والتخاذل الصبغة الشرعية، فخرجوا على الأمة بمناهج دخيلة على ما كان عليه سلف الأمة وعلماؤها، كانت بمنزلة معول الهدم في بنيان هذا الدين شعروا أو لم يشعروا، حقنوا أجساد أبناء هذه الأمة بجرعات من التخدير والتثبيط، وعقدوا على ناصية رؤوسهم ثلاثًا، وكلما هم أبناء الأمة لينفضوا غبار الذل الذي تغشاهم، ويهبوا نصرة لدينهم، ودفاعًا عن حرماتهم؛ نادوا عليهم أن ارقدوا عليكم ليلٌ طويل، إن الدواء لما ترونه في جسد أمتكم من جراح وما تحسون فيه من آلام إنما هو بأن تُغمدوا سيوفكم، وتكسروا رماحكم وتلزموا دوركم...

هكذا يُخدّرُ أبناءُ هذه الأمة! وهكذا توأد فيهم روح الجهاد، وبماذا!

إنه بالسلاح الذي يستنهض به أبنائها ليحاربوا أعدائهم، يُخَدَّرون بحقن شعار التصفية، ويثبطون تحت دعاوى التربية، كلماتُ حق أريد بها باطل، عن أي تصفية يتكلمون! وهل التصفية لما التصق بهذا الدين مما ليس منه إلا بالجهاد؟

قلِّب بصرك أينما شئتَ في بلاد المسلمين، هل ترى تربَّعَ على عروشها من يحكمُ بشريعة رب العالمين؟! أو أخذ على نفسه نُصرة هذا الدين والذود عن حياضه والدفاع عن حرماته؟!

لا أظن إلا وسيرتد إليك بصرك كليلا حسيرًا، ولن ترى إلا حربًا ضروسًا لتقويض بنيان هذا الدين، وسعيًا حثيثًا لاستئصال شأفة المجاهدين الصادقين، وموالاة للكافرين، وبراءةً من الموحدين، و والله ما رأينا ولا سمعنا أحدًا من هؤلاء الأدعياء قام مقام صدقٍ فكشف لأبناء هذه الأمة عوار هؤلاء الطواغيت، ولا حرض على قتالهم و وجوب جهادهم، بل ما رأينا منهم إلا إضفاء الشرعية على حكمهم، وتحريمَ الخروجِ عليهم، ونبزَ كل من يحاول جهادهم بأبشع الألقاب وأشنع الصفات.

ها قد هلك متقلد الصليب، طاغية آل سلول خائن الأمة والدين، وحامل راية لواء الحرب

على المجاهدين والذي مكن للصليبيين وجودهم على جزيرة محمد –صلى الله عليه وسلم– لينهبوا خيراتها، ويعيثوا فيها فسادًا، فما سمعنا أحدًا من هؤلاء الأدعياء كشف جرائم عدو الله، ولا ذكر مخازيه في حق الأمة وأبنائها، و والله إن ما قام به هذا الطاغية في حرب الإسلام والمسلمين لا يقل عن فعل إي طاغية من طواغيت العرب، ولكن لكل أرض حكمها، ولكل بلاد طبيعتها، بل ما رأينا منهم إلا المسارعة في مبايعة أخيه الذي تلطخت يداه بدماء إخواننا المجاهدين، ومن آخرهم الأخ المجاهد صالح العوفي وإخوانه تقبلهم الله في الشهداء.

أما بلغكم قول سفيان الثوري رحمه الله: (من دعا لظالم بالبقاء؛ فقد أحب أن يعصى اللهُ في الأرض)؛ فكيف بمن بايع طاغيةً مرتدًّا، وبارك صنيعه؟

يا حسرة على أمة تبارك لطواغيتها قتل خيار أبنائها، لكُم الله أيها المجاهدون.

إن المجاهدين لو كانوا في أمة تعرف لأبنائها حقهم، وتقدرهم حق قدرهم، لما تركوهم يمشون على الأرض ولغسّلوا عن أقدامهم، فيا أسود جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم اصبروا على ما أقامكم الله فيه، واعلموا أن الله ما ابتلاكم إلا وهو يريد بكم خيرًا، وأُقسم بالذي لا إله غيره أن دماء إخواننا لن تذهب سدى بإذن الله، ألا فارتقبوا يا طواغيت آل سلول، وإن غدًا لناظره لقريب.

أم أن التصفية التي يقصدون والتنقية التي ينشدون طباعة كتاب من ها هنا، وإخراج جزء من هناك يتكسبون الرزق من خلالها حتى أضحوا بهذه المهنة يعرفون، وبها يُسكرون ثم لتنحر الأمة بعد ذلك، ولتغتصب أراضيها، وليعتدي على مقدساتها، فبئست التصفيةُ والله!

إن الأمة اليوم لا تحتاجُ إلى مزيدٍ من المصنفات والمؤلفات، فمكتباتُها تزخر بعشرات الآلاف من المجلدات، وإنما هي في حاجة إلى مناراتٍ تضيء لها الطريق وتنير لها السبيل، بحاجة إلى قُدُوات يروون بدمائهم ترابَ أرضها؛ فتدب روح الحياة في صفوف أبنائها من جديد.

وعن أي تربية يتحدثون؟ وهل التربيةُ على التوحيد الصافي والكفر بالطاغوت والولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، وبذل النفوس والمهج رخيصة فداءً لهذا الدين إلا في ساحات الجهاد وميادين القتال؟! وهل كان جل تربية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه إلا في ساحات الجهاد؟

روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: أَتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ مقنعٌ بالحديد، فقال يا رسول الله: أقاتل وأسلم؟ فقال: «أسلم ثم قاتل»، فأسلَمَ ثم قاتل فقُتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمل قليلاً وأُجر كثيرًا».

فتأمل كيف أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام ومن ثم أمره بالقتال تربية له على التضحية والفداء لهذا الدين، ولم يأمره بالرجوع إلى المدينة حتى يتربى كما يزعم هؤلاء، وهذا في فرض الكفاية وجهاد الطلب، فكيف بالعدو الصائل وجهاد الدفع؟.

إن العلم الشريف عند أهل الطائفة المنصورة ليس بحفظ المتون، وجمع الفنون، وكثرة التصنيف، ومجالس الوعظ والتدريس والإفتاء مع ترك القيام لله بالأمر الذي يحبه ويرضاه من صدع بحق، وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، وغضبٍ صادق إذا انتُهكتْ محارم الله، وإعلاءٍ لكلمةِ الله دعوة وجهادًا، فمن كان حظه من العلم ما ذكر، مع تضييعه لواجبات الدين الكبار إيثارًا للسلامة أو إخلادًا للراحة والدعة، أو حبًّا للدنيا وتثاقلاً للأرض، أو ركونًا للذين ظلموا؛ فقد خان الرسالةَ، وضيع الأمانة، ومن ثمّ خرج عن حد العلم الشريف ورسمه، وفارق تلك القافلة المباركة؛ قافلة العلم الشريف التي يقف على رأسها الأنبياءُ والمرسلون، فأما أن ينتظمه رسمهم أو يشمله حدهم أو أن يجمعه وإياهم وصفٌ واحد، ولمثل هذا يقال: لست والله عالمًا أو حكيمًا، إنما أنت تاجرٌ في العلوم، فبغير القتال تبقى الفتنة، وهيهات أن يكون الدين كله لله، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون.

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: (وليس بعد الإيمان بالله ورسوله فرضٌ آكد ولا أولى بالإيجاب من الجهاد، وذلك أنه بالجهاد يمكن إظهار الإسلام، وأداء الفرائض، وفي ترك الجهاد غلبة العدو، ودُروسُ الدين وذهابُ الإسلام) ا.هـ.

فإذا قعد أهلُ الحقِّ عن نصرة الحق، ودفعِ الباطل، وإزالتِهِ بسيوفهم، جهلاً منهم بمعاني الحق ومقتضياته ولوازمه، أو غفلة منهم عن حقيقةِ الصراع، وعن طبيعة الباطل وصفته، أو استسلامًا لقراءَةٍ فاسدةٍ في نواميس الكون وسننه الإلهية، أو خداعًا بأوهام وأمانيَّ باطلة، أو خضوعًا لمتاهاتٍ نظرية، وفلسفاتٍ جدلية، وأطروحاتٍ إنشائية، تدورُ في حَلَقة مفرغة تبدأ من حيث انتهت، وتنتهي من حيث بدأت، أو خوَرًا وضعفًا، وعجزًا عن القيامِ بالقتال وتحمُّلِ أعبائِه –فإن سننَ الله لا تُحابي أحدًا أيًّا كان، ومن ثم فليس غير الذل والهوان وفتنة المسلمين عن

دينهم مع تبدُّل أحكام الدين وطمس معالمه، وتغيير حقائقه والتلاعب بها، وغير ذلك من العقوبات القدرية التي تنزل بمن خذل الحقّ وأسلمه، وهذا فضلاً عن وعيدِ الآخرة.

قال تعالى: {إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة:٣٩].

قال ابن العربي رحمه الله: (هذا تهديدٌ شديد، و وعيدٌ مؤكد في ترك النفير، فوجب بمقتضاها النفيرُ للجهاد، والخروجُ إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا، فالعذاب الأليم هو الذي في الدنيا لاستيلاء العدو على من لم يستول عليه، وبالنارِ في الآخرة، وزيادة على ذلك استبدال غيركم، كما قال تعالى: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد:٣٨]) ا.هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما ترك قومٌ الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب» والعذاب؛ كما هو ظاهرٌ من النصوص، هو عذابُ الدنيا بالذل والهوان والصغار الذي يُضرب على البلاد والعباد، وهو بعدُ عذابُ الآخرة الذي لا يقارن، به ولا يدانيه عذاب الدنيا و بئس المصير.

فإذا لم يكن لأهل الكفر مع أهل الإيمان غيرُ خيارين اثنينِ لا ثالث لهما: إما الفتنةُ عن الدين، وإما السيف، فإنه كذلك ليس لشرع الله مع المؤمنين غير خيارين اثنين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لأمره بقتال الكفر ودفعه بحد السيف، وإما التعرض لعذاب الله وغضبه وسخطه في الدنيا والآخرة، مع استبدالهم بمن يكون أولى منهم وأجدر وأحقُّ بفضل الله، فتعيَّنَ شرعًا وعقلاً وواقعًا كونُ القتالِ قدر الطائفةِ المنصورة.

إن أصحاب الطائفة المنصورة من أكثر الناس مراعاةً لفقه مراتب الأعمال، فهم إذا ثبت في حقهم من الفروض العينيات؛ فإنهم لا يقدمون بين يديه شيئًا من الفروض الكفايات فضلاً عن غيره من المستحبات والمباحات، وبيان ذلك فيما يتعلق بشأن الجهاد والقتال؛ أن الجهاد في أصله فرضٌ كفائِي، فإذا قام به من تتحقّقُ بهم الكفاية سقط الوجوب عن الآخرين، والفضل فيه لمن قام به دون غيره، ولذا كان الاشتغال به حال كونه فرض كفاية مشروطًا بأن لا يضيِّع العبد فرضَ عين أو فرض كفاية أهمَّ منه في حقه إن وجد.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– (قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مؤمن يجاهد

بنفسه وماله») قال ابن حجر: «وكأن المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه ثم حصل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية، وحينئذٍ يظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي» ا.هـ

ويتعين الجهادُ عند أهل الطائفة المنصورة في مواضع ثلاث:

أولاً: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.

ثانيًا: إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير

ثالثًا: إذا نزل العدو ببلدٍ من بلدان المسلمين تعين على أهل هذه البلدة الجهاد، ويتعين على غيرهم من المسلمين عند عدم قيام أهل هذه البلدة بواجبهم في دفع هذا العدو أو عدم كفاية من قام بذلك الأقرب فالأقرب.

والحالةُ الثالثة من حالات تعين الجهاد هي أشد الحالات الثلاث، وألزمُها، كما أنها متضمنةٌ للحالتين الأوليين وزيادة؛ وتعرف بالنفير العام.

قال أبو بكرٍ الجصاص رحمه الله: (معلومٌ في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكُفّ عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة) ا.هـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلادُ الإسلام بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليها بلا إذن والدٍ ولا غريم) ا.هـ.

ونصوصُ العلماء في تقرير الفرضية العينية للجهاد في حالة نزول العدو ببلد من بلدان المسلمين كثيرةٌ جدا يصدق بعضها بعضًا، لا يختلف علماء الإسلام المحققون في هذا.

فإذا تعين الجهاد فهو مقدمٌ عند أهل الطائفة المنصورة على غيره من النوافل، كما أنه مقدمٌ على غيره من الواجبات الكفائية أيًّا كانت بلا أدنى نزاع، بل ومقدم على غيره من الواجبات العينية عند عدم إمكان الجمع بينه وبينها؛ وهذا مقررٌ من الوجوه الآتية:

الوجه الأول: أن الجهاد إذا تعين فتاركه فاسقٌ مرتكبٌ كبيرة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة:٣٨-٣٩].

فقوله تعالى {إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ} [التوبة:٣٩] دالٌ على توجه الوعيد الشديد في حق القادر على الجهاد التارك له عند تعينه.

قال القرطبي رحمه الله: (وهذا تهديد شديد، ووعيد مؤكد في ترك النفير).

قال ابن العربي: (ومن محققات الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثرَ من اقتضاء الفعل، فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر، ولا يقتضيه الاقتضاء، وإنما يكون العقاب بالخبر عنه؛ كقوله: إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا، كما ورد في هذه الآية، فوجب بمقتضاها النفيرُ إلى الجهاد، والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم، على أن تكون كلمةُ الله هي العليا) ا.هـ.

وقد وردت هذه الآيات في حق من استنفرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لقتال الروم في غزوة تبوك بعيدًا عن بلاد المسلمين وبيضتهم، فكيف بمن قعد عن الجهاد عند نزول العدو بلاد المسلمين ذاتها، وحلولهم بالعُقر من الديار، واستباحتهم للبيضة، والاستيلاء عليها.

ومن علامات الكبائر التي نص عليها الأئمة أن يرد فيها وعيد في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب)، قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى: (الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمئة؛ ترك الجهاد عند تعينه بأن دخل الحربين دار الإسلام أو أخذوا مسلما وأمكن تخليصه منهم، وأيضًا ترك الناس الجهاد من أصله، وأيضًا ترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين)

ثم قال: (عدُّ هذه الثلاثة ظاهر -أي من الكبائر- لأن كل واحد منها يحصل به من الفساد العائد على الإسلام وأهله ما لا يتدارك صرفه، وعليها يحمل ما في هذه الآية والأحاديث من

الوعيد الشديد، فتأمل ذلك فإني لم أر أحدًا تعرض لعدِّ ذلك مع ظهوره) ا.هـ.

إذا تبين ذلك، فإذا تعين الجهاد؛ فتاركه القادر عليه مرتكب كبيرة، فاسق أشد فسقًا من الزاني والسارق والشارب، حيث خذل الدين، وأسلم البلاد والعباد لأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، مع ما يترتب على ذلك من الفساد المتعدي.

وبناءً على ذلك؛ فغير مقبول ممن تعلق به هذا الحكم أن ينشغل بغير الجهاد من الأعمال، إذ انشغاله بهذه الأعمال -أيًّا كانت- لا يرفع عنه وصف الفسق المتعلق به من جراء تخلفه عن الجهاد المتعين.

الوجه الثاني: أن الفرائض مقدمة على النوافل.

فالفرائض التي فرضها الله على عباده، عند أهل الطائفة المنصورة، هي الأصل والأساس في تعبد المكلف لربه ومولا، وهي من ثم أحب إلى الله وأقوم في نيل رضاه، وتارك الفرائض اشتغالاً عنها بالنوافل عاص لله لم يخرج بعد من دائرة العصيان أيا كانت تلك النوافل التي اشتغل بها عن الفرائض، وأيا كان مبلغ اجتهاده فيها.

وفي الحديثِ القدسي الصحيح، يقول الله تعالى: (من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...) الحديث، فنص الحديث على أن الفرائض، ومنها الجهاد، أحب ما تقرب به العبد إلى الله سبحانه وتعالى، وقد اتفق أهل العلم بلا خلاف على أن الفرائض مقدمة على غيرها من النوافل، وأن الانشغال بالنوافل مع تضييع الفرائض عملٌ معكوس وجهد ضائع، ولا شك أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها، كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

بل مجرد التسوية بين جنس الفرائض وجنس النوافل ممنوعة بيقين، فلا يجوز أن يسوى بين الواجب والمندوب لا في القول ولا في الفعل ولا في الاعتقاد، كما لا يُسَوَّى بين الحرام والمكروه، بل ولا بين المباح وبين المندوب والمكروه، قال الشاطبي رحمه الله: (المندوب من حقيقة استقراره مندوبًا أن لا يسوّى بينه وبين الواجب، لا في القول ولا في الفعل، كما لا يسوى بينهما في الاعتقاد) ا.هـ.

والخلاصة؛ أن أعلى رتب مصالح الندب دون أدنى رتب مصالح الواجب.

وقد بعث الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك إلى من كان يوصف بعابد الحرمين؛ الإمام الفضيل بن عياض بأبيات يقول فيها:

يا عابدَ الحرمَين لو أبصَرتَنا
لعَلِمتَ أنّك بالعبادَةِ تلعَبُ
***
من كان يخضِبُ خدّه بدموعِه
فنُحورُنا بدمائِنا تَتَخَضَّبُ
***
أو كانَ يتعِبُ خيلهُ في باطل
فخيولُنا يومَ الصبيحَةِ تتعبُ
***
ريحُ العبيرِ لكُم ونحنُ عبيرُنا
وهَجُ السنابكِ والغبارُ الأطيَبُ
***
ولقد أتانا من مقالِ نبيّنا
قول صحيحٌ صادقٌ لا يكذبُ
***
لا يستوي وغبارُ خيل اللَه في
أنف امرئ و دخانُ نارٍ تلهبُ
***
هذا كتابُ اللَه ينطق بيننَا
ليس الشهيدُ بمَيّتٍ لا يكذب

فتأمل كيف وصف انشغال الإمام الفضيل بن عياض بالعبادة ومجاورة الحرم باللعب والباطل مقارنةً بتركه للقتال في سبيل الله، هذا مع كون الجهاد المتحدث عنه فرض كفاية لا فرض عين، فكيف لو رأى الإمام ابن المبارك -رحمه الله- حال القاعدين عن الجهاد المتعين انشغالاً بنوافل وتطوعات، بماذا يا ترى سيصف أعمالهم التي قعدوا بها عن هذا الجهاد..؟

الوجه الثالث: أن الواجبات العينية تقدَّمُ على الواجبات الكفائية.

وهو الوجه الثالث الذي يتقرر به أن الجهاد إذا تعين فإنه يقدم على غيره من الأعمال، وتقديمُ الواجبات العينية على الواجبات الكفائية أصلٌ مقررٌ عند أهلِ الطائفة المنصورة، وهو من العدل الذي أُمروا به في أمرهم كله، ومن ثم يضعون كل شيءٍ موضعه بلا شطط، فينالون رضوان الله بالمسارعة إلى محابِّه واجتناب مساخطه.

قال الغزالي رحمه الله وهو يتكلم عن شروط الاشتغال بالمناظرة الفقهية، وهي من فروض الكفاية، قال: (الأول؛ أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان، ومن عليه فرضُ عينٍ فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق؛ فهو كذاب، ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها، ويقول غرضي أستر عورة من يصلي عريانًا ولا يجد ثوبًا)

إلى أن قال رحمه الله: (فلا يكفي في كون الشخص مطيعًا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب) ا.هـ.

فنصَّ رحمه الله على أن من اشتغل بفرص كفاية، مع عدم تفرغه من فرض العين أنه كذاب، وإن زعم أن قصده الحق.

الوجه الرابع: الذي يتقرر به تقديم الجهاد عند تعينه على غيره.

أن الواجب المضيَّق يقدم على الواجب الموسَّع، والفوري يقدم على المتراخي، وما يخشى فواته على ما لا يخشى فواته.

وقد ذكر القراسي رحمه الله وهو يتحدث عن مسألة تعارض الواجبات وما يقدم منها وما يؤخر؛ (أن هذا مبني على معرفة قاعدة في الترجيحات، وضابط ما قدمه الله تعالى على غيره من المطلوبات، وهي أنه إذا تعارضت الحقوق قدم منها المضيق على الموسع؛ لأن التضييق يُشعر بكثرة اهتمام صاحب الشرع بما جعله مضيَّقًا وأن ما جوز له تأخيره وجعله موسَّعًا عليه دون ذلك، و يقدم الفوري على المتراخي؛ لأن الأمر بالتعجيل يقتضي الأرجحية على ما جعل له تأخيرا، ويقدم فرض الأعيان على الكفاية؛ لأن طلب الفعل من جميع المكلفين يقتضي أرجحية على ما طُلِب من البعض فقط، ولأن فرض الكفاية يعتمد عدمَ تكرر المصلحة بتكرر

الفعل، والفعلُ الذي تتكرر مصلحتُه في جميع صوره أقوى في استلزام المصلحة من الذي لا توجد المصلحة معه إلا في بعض صوره، ولذلك يقدم ما يخشى فواته على ما لا يخشى فواته، وإن كان أعلى رتبة منه) ا.هـ.

وبهذه الوجوه الأربعة المتقدمة؛ يتقرر أن الجهاد إذا تعين فهو مقدم عند أهل الطائفة المنصورة على غيره من النوافل، كما أنه مقدم على غيره من الواجبات الكفائية أيًّا كانت بلا أدنى نزاع، بل ومقدمٌ على غيره من الواجبات العينية عند عدم إمكان الجمع بينه وبينها؛ كالصلاة والصيام والحج وغيرِها.

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقهَ مراتب الأعمال بأنها حقيقة الدين، وحقيقة العمل بما جاءَت به الرسل، وبأنه خاصةُ العلماءِ بهذا الدين فقال رحمه الله: (فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر حتى تقدم أهمها عند المزاحمة، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرُسُل، فإن التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر وجنس الدليل وغير الدليل يتيسر كثيرًا، فأمّا مراتب المنكر ومراتب الدليل بحيث تُقَدّم عند التزاحم أعرف المعروفين، فتدعو إليه، وتنكر أنكر المنكرين، وتُرجح أقوى الدليلين فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين) ا.هـ.

يتبين مما سبق أن المجاهدين، أهل الطائفة المنصورة، فيما ذهبوا إليه لم يأتوا ببدع من القول أو مستحدث من الفعل كيف ودربهم دربٌ مسلوك، وسبيلٌ مطروق، أسلافهم فيه خير من وطئ الحصى من الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان، وهم بهم يقتدون، ولآثارهم يقتفون، أقدامُهم في الثرى، وهاماتهم في الثريا، ونفوسهم ترى إراقة دماء الحياة دون إراقة ماء المحيّا.

ساروا وحاديهم قولُ الزبير رضي الله عنه: «نحنُ أمةٌ لا نموتُ إلا قتلاً، فمالي أرى الفُرُش قد كثر عليها الأموات».

يردد السالك لدربهم قولَ الأول:

ولستُ أُبالي حين أقتلُ مُسلماً
على أي جنبٍ كانَ في اللهِ مصرعي

***

وذلكَ في ذاتِ الإله وإن يشأ

يبارِك على أوصالِ شِلوٍ مُمَزع

أو قولَ الآخر:

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً
وضربةً ذاتَ فَرغٍ تقذفُ الزَبَدا
***
أو طعنَةً بيدي حَرّان مُجْهِزةً
بحربةٍ تُنفِذُ الأحشاءَ و الكَبِدَا
***
حتى يقالَ إِذا مَرُّوا على جثتي
أرشدكَ اللهُ مِن غازٍ وقد رَشَدا

أو قولَ الجمع المبارك:

نحن الذين بايعوا محمدا
على الجهاد ما بقينا أبدًا.

فأئمتهم قد أوضحوا لهم الحجة، ورسموا لهم المحجة، وعبّدوا لهم دربهم، وحذَّرُوهم مِن بُنيّاته، وخطّوا لهم خطة الهدى والرشاد، تقدَّمُوهُم في المسير، وسَبَقُوهُم في الوصول، وقد ضَرَبُوا لهم موعِدَ اللقاء مع من وفى دون من نكص.

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [التوبة:١٠٠]، فهم يخافون أشدَّ الخوف من أن يتخلّفوا عن هذا الموعد ويفوتَهم الوفاء؛ فيُحرموا اللقاء، فهاجسهم أبدًا: **غدًا ألقى الأحبة، محمّدًا وصحبه.**

فأرواحهم تهيم هناك لا هنا.

جسمي معي غير أنَّ الروحَ عندكمُ
فالجسمُ في غربةٍ والروح في وطنِ

***

فليعجبِ الناسُ مني أنَّ لي بدناً
لا روحَ فيه، ولي روحٌ بلا بدنِ

وأنّى لمن هذا شأنهم أن يقعدهم ابتلاءٌ عن النفير، أو تثني عزائمهم محنةٌ عن الجهاد؛ بل يبادرون ويساقبون ويرددون وهم يُنحرون تقديمًا لبرهان المحبة الصادق: [هنا يبكي الشيخ]

فَلَيتَكَ تَحلو وَالحَياةُ مَريرَةٌ
وَلَيتَكَ تَرضى وَالأَنامُ غِضاب

***

وَلَيتَ الَّذي بَيني وَبَينَكَ عامِرٌ
وَبَيني وَبَينَ العالَمينَ خَرابُ

***

إِذا صَحّ مِنكَ الوُدَّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ
وَكُلُّ الَّذي فَوقَ التُرابِ تُرابِ

إنَّ المجاهدين، أهل الطائفة المنصورة، ليسوا بقومٍ ضاقت عليهم أنفسهم فتبرموا بها وأرادوا لها خلاصًا، أو قومٍ سُدَّت عليهم سبلُ العيش ومنافذُ الرزق، أو أسرى عاهاتٍ نفسية تعشقُ الموت لذاته، وتسعى له بكل سبيل، وقد رأت الدنيا سوداء مظلمة، كلا وربي!

وإنما هم قومٌ عرفوا واجبهم، [هنا يبكي الشيخ] وحقيقةَ المراد منهم؛ فشمروا عن ساق الاجتهاد، وسلكوا سبيلَ الجهاد، ولم يتعللوا بواهي العلل، وساقط الحُجج، ليعذروا في ترك هذا الواجب، بل هانت عليهم أنفُسهم في ذاتِ الله، وعايَنُوا العاقبة وأيقنوا بها، فآثروا الباقية على الفانية، والآجلة على العاجلة، فكان منهم المسارعة لبذل الغالي والرخيص، والنفسِ والنفيس، محبة لمولاهم وتقرّبًا لخالقهم، وقد رأوا أن الدنيا بما فيها أحقرُ مِن أن تُقعِدَهم عن نيلِ محبة الله ورضاه، فمضوا وحاديهم {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:٥٤]، فجادوا بنفوسهم يوم أن ضنَّ بها الكثيرون، وبذلوا دماءهم رخيصة [هنا يبكي الشيخ] يوم أن بخل بها المدعون.

وهذا والله [هنا يبكي الشيخ] إنما هو محض فضل من الله عليهم، {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة:٥٤]، وفضل الله هذا لا يوفق له كلُّ أحد؛ فأهلُه هم المصطفون الأخيار، المفضلون على غيرهم من العالمين، والله أعلم حيث يضع فضله ومنته،

فالمجاهدون هم خيرة الله من خلقه، لبّوا نداء خالقهم لإمضاء العقد وتسليم المبيع: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١١١].

وهم المتأسون المقتدون بسيِّد الخلق –صلى الله عليه وسلم– القائل: (والذي نفسُ محمَّدٍ بِيَده لولا أن أشق على المسلمين؛ ما قعدتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

ورحم الله القائل؛ (إنما هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل في الترهات).

إن أول قدم في الطريق بذلُ الروح... هذه الجادة فأين السالك..؟

ورحم الله الشيخَ أبا أنس الشامي يوم أن قال لي يومًا مثبتًا ومسليًّا: (يا فلان! سنبقى نحفرُ بالصخر حتى نصنع مجدًا لأمتنا). [هنا يبكي الشيخ]

قال لي صاحبي والبينُ قد حلا
ودمعي مرافقٌ لشهيقي
***
ما تُرى تصنع في الطريق بعدي؟
قلتُ أبكي عليك طول الطريق

{وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمدُ لله ربِّ العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثلاثون

كَلِمَةٌ لِلشَّيخِ المُجَاهِدِ أَبِي مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ حَولَ أَحدَاثِ تَلعفر

٨ شعبان ١٤٢٦ هـ
١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمة الإسلام؛

حديثي إليكِ اليوم يتجدد، وأبنائك الأبطال يسطرون بدمائهم أجمل صور الملحمات، وأروع معاني التضحيات على أرض مدينتي القائم وتلعفر؛ حيث جمع عباد الصليب لمعركتهم الجموع، وحشدوا لها الحشود، مستخدمين من الأسلحة أشدها فتكاً وتدميرا، ومن الغازات السامة أعظمها أذية وتقتيلا، مستصحبين خيلائهم، مستعلين بكبريائهم، فأذاقهم الله على أيدي أوليائه المجاهدين من كؤوس الموت ألوانا، وأراهم من الأهوال ما لا ينسونه دهوراً وأزمانا، فخرجوا من مدينة القائم لا يلوون على شيء يجرون أذيال هزيمتهم، ويلعقون جراحاتهم فـ لله الحمد أولاً وأخرا.

وها هم يعاودون الكرة على مدينة تلعفر بعد أن إستعصت عليهم مرات ومرات، وأذاقهم أسودها طعم الذل، ومرارة الهزيمة، تحزبوا على هذه المدينة الأبية، يرومون القضاء على المجاهدين، متذرعين برد الحقوق إلى أهلها، كما صرح بذلك (حفيد أبن العلقمي وخادم الصليب إبراهيم الجعفري) قاصداً بذلك أعضاء فيلق الغدر، الذين ما أخرجوا من تلعفر إلا لكونهم عيون للصليبيين، وجلهم من الحرس الوثني والشرطة المرتدين، الذين بلغ فسادهم وإفسادهم مداه في تلعفر، وإلا فأين هذا الدعي عن حقوق أهل السنة، في المدائن والحرية والشعب، والجنوب وغيرها، الذين قتلوا وشرد منهم الآلاف، لا لذنب سوى أنهم من أهل السنة!

بل أين حقوق المسلمين الفلسطينيين الذين استبيحت أعراضهم وهجّروا من بيوتهم قسرا في بغداد في البلديات وحيفا وغيرها؟!

هل تم هذا إلا على أيدي بني صهيون؟ وأذنابهم من الروافض الحاقدين ؟!

ألا صبراً ياأسود تلعفر، فالنصر لهذا الدين مهما طال ليل الظالمين، ويوشك الليل أن ينجلي بفجراً تُرفع فيه راية التوحيد، وتُذل فيه راية الشِرك والتنديد.

وأما أنتم ياأسود التوحيد على أرض الرافدين؛

يا من رفعتم جبين الأمة عاليا، إن عدوكم اليوم يعيش أسوء أيامه على أرض الرافدين، يبغي الخلاص؛ ولا يجد له طريقا، ويروم النجاة؛ ولا يهتدي لها سبيلا، وها هو يستل من سهامه آخرها، علّه ينقذه من المستنقع الذي غرق فيه، ويحفظ له ماتبقى من ماء وجهه، ذلكم هو طاغوت الدستور، ولكن هيهات هيهات.

هيهات لنفوس دبت فيها روح الجهاد، وسرت في عروقها دماء التوحيد، أن تنطلي عليها أمثال هذه الحيل أو تستهويها أمثال هذه الخدع.

أيها المجاهدون؛

ألا فخذوا حذركم وتأهبوا، وانتظوا سلاحكم واستعدوا، ولا ترفعوا أصابعكم عن الزناد، وارتقبوا لحظة البدء، فالمعركة الفاصلة قد أقترب أوانها، وأزف ختام فصولها، وإننا عازمون بعون الله عما قريب على استئصال شأفتهم، وإشعال الأرض من تحت أقدامهم، ولينسينهم ما يجدونه في

هذه المعركة –إن شاء الله تعالى – أهوال ما ذاقوه في المعارك السابقة، وإن غداً لناظرة لقريب.

واعلموا أنكم لا تحاربون رجال أشداء، بل جبناء يفرون عند اللقاء، فأحملوا عليهم حملة صادقة، تطير بما بقي من ألبابهم، فلا يجدون لبنادقهم كفا، ولا لأسيافهم ساعدا، ولا تلحقكم في عدوكم رقة، ولا تأخذكم بهم رأفة، ولا تأطركم بهم شفقة، شتتوا جموعهم، وفرقوا صفوفهم، ونكسوا صليبهم، نغصوا عليهم طعامهم وشرابهم، ويقضتهم ومنامهم، فما أعذب الموت في سبيل تنغيص عيش الظالمين.

وهذا نداء؛ إلى أبناء الأمة الغراء:

لإن حبستكم الأعذار، وناءت بكم الديار، وباعدت بينكم وبين المجاهدين القفار، وعجزتم عن نصرة إخوانكم بأنفسكم، ألا فأنصروهم بسلاحكم الذي تحملونه بين أضلعكم، والذي هو أشد على عباد الصليب، من حد السيف وضربة الحسام؛

إنه سلاح الدعاء..

وما أدراك ما الدعاء، وهل تنصرون إلا بضعفائكم، بدعائهم وإخلاصهم.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه،، وما تدري بما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطيء ولكن،، لها أمد وللأمد انقضاء

ألا وجدوا واجتهدوا بالدعاء، وألحوا فيه، وتحروا أوقات السحر وأزمنة الإجابة، وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم، واقنتوا على الصليبيين في صلواتكم، فلعل الله يأذن برفع الذل عن هذه الأمة، وبزوغ فجر العز من جديد.

وهذه علامات النصر بادية، وأمارات الفتح ظاهرة، ومخائن الظفر لائحة، وتباشير الخير ساطعة، وإني لأحسب أن ما أصاب أمريكا في عقر دارها من الإعصار المدمر، إنما هو بدعوة أب أو أم ثكلى بابن لهما، أو ولد تيتم، أو امرأة أنتهك عرضها على أرض أفغانستان أو العراق وغيرها، ففتحت لها أبواب السماء، وجاء النداء الإلهي (لأنصرنكِ ولو بعد حين).

اللهم إن السماء سماءك، والأرض أرضك، والبحر بحرك،
اللهم عليك بالصليبيين،
اللهم أسقط طائراتهم، ودمر آلياتهم، وأغرق بارجاتهم،

اللهم إن عبادك المجاهدين، قد جادوا بحرب أعدائك بنفوسهم، وبذلوا في سبيل ذلك مهجهم، نصرة لدينك، وإعلاء لكلمتك،

اللهم أنزل عليهم نصرك المؤزر، وعجل لهم بالفتح المبين، وأنزل بعدوهم عذابك ورجزك، الذي لا يرد عن القوم الظالمين،

اللهم أرسل على أمريكا عذابك،
اللهم أشدد وطأتك عليها، اللهم دمرها تدميرا،
اللهم أرسل عليها الأعاصير والزلازل والمحن،

اللهم أشغلهم بأنفسهم عن المسلمين،
اللهم لا تقم لهم راية، وأجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية،

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلاَدِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلاَدُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الحادي الثلاثون

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَ لِيُنذَرُوا بِهِ

١١ شعبان ١٤٢٦ هـ
١٤ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِيِ (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

تمضي الأيام وتتوالى الأحداث، وتتعدد المعارك، وتتنوع المسميات، والهدف واحد: (**حرب صليبية رافضية ضد أهل السنة**)

لقد تلاقت مصالح الصليبيين، مع أهواء إخوانهم الروافض الحاقدين، فكانت هذه الجرائم والمجازر في حق أهل السنة؛ فمن الفلوجة إلى المدائن، وديالا وسامراء والموصل، ومرور بالرمادي، وهيت وحديثة وراوة، والقائم وغيرها، وأخيراً وليس آخراً في تلعفر.

هذه المعركة التي جاءت في توقيتها لتغطي على فضيحة عدو الله بوش في تعامله مع ما خلفه جندي واحد من جنود الله؛ وهو (**إعصار كاترينا المدمر**)، الذي كشف للعالم أجمع مقدار العجز الكبير في مواجهة الدمار الذي أحدثه هذا الإعصار، بسبب الاستنزاف الهائل لطاقات الجيش الأمريكي في العراق وأفغانستان، وليعيد إلى الأذهان مظاهر التفريق العنصري بين أفراد الشعب الأمريكي، وليكشف هشاشة الأسس التي يقوم عليها بنيانه، فانتشرت عمليات

الصقل والقتل، وتفشت عمليات السلب والنهب، والآتي أدهي وأمر –بإذن الله تعالى-.

جاءت هذه المعركة لتكشف النقاب عن ذلك الوجه القبيح لحكومة أحفاد أبن العلقمي، ولتهتك الستر الذي يتوارون خلفه، حيث تم عزل الأحياء الرافضية في المدينة لتجنيبها القصف والدمار، ثم ليتم من بعدها شن حرب إبادة شاملة على أحياء أهل السنة، في خطوة للقضاء على كل مظاهر الحياة في هذه الأحياء، وقد ثبت لنا ثبوت لا مرية فيه **استخدام الصليبيين للغازات السامة في معاركهم ضد المجاهدين.**

وإن أنكر ذلك أرباب البيت الأسود وأتباعهم، وهذه مشافي تلعفر دونكم فاستنطقوها؛ عن حالات الاختناق والتسمم الكبيرة في صفوف من ضمتهم جدرانها، ومن استطاع من أهل السنة النزوح والفرار من جحيم القصف الصليبي تلقفته يد الغدر من أعضاء فيلق الغدر وغيره، لتعيث في الرجال تعذيباً وتنكيلاً وتقتيلا، وفي النساء انتهاكً لأعراضهن، وسلب وسرقة لحليهن وزينتهن.

إنها حرب طائفية منظمة؛

أعدت فصولها بإحكام، وإن رغمت أنوف من أعمى الله أبصارهم، وختم على قلوبهم.

ويحكم يا علماء أهل السنة أرخصت عليكم دماء أبنائكم، فبعتموها بثمن بخس؟!
أهانت عليكم أعراض نسائكم؟!
ويلكم؛ أما بلغكم أن كثير من أخواتكم العفيفات الطاهرات من أهل السنة في تلعفر قد أنتهك عرضهن، وذبح عفافهن، وامتلأت أرحامهن بنطف الصليبيين، واخوانهم الروافض الحاقدين!

أين دينكم؟؟
بل أين نخوتكم وغيرتكم ومروءتكم؟

دخلت على المروءة وهي تبكي * فقلت علام تنتحب الفتاة**
فقالت كيف لا أبكي وأهلي * جميعاً دون خلق الله ماتوا**

هذا ومازال المجاهدون، يصاولون العدو ويقاتلونه، فكيف إذا ما أستقر الأمر لحكومة أحفاد

أبن العلقمي وأشتد ساعدهم!، وترسخت قواعدهم وأركانهم!

ماذا تنتظرون في أنفسكم؟!
أتحسبون أنكم بكتابتكم بيان تنديد واستنكار قد نجوتم من مساءلة العزيز الجبار؟!

والله إن الموقف شديد، والحساب عسير!

ها هو ذنب الروافض سعدون الدليمي لا أسعده الله، يتبجح بذكر انتصاراتهم في تلعفر، وليت شعري عن أي نصر يتكلم هؤلاء الجبناء؟

الذين لا يجرؤ أحدهم على الخروج من جحره إلا وهو محكم بظهور نساء المارينز.

أو يظن هذا الخائن أن قصف الدور على من فيها من النساء والأطفال يعد نصرا؟ بئس النصر والله!!

لقد حشدوا في معركتهم هذه مع الفئة القليلة المؤمنة التي لا يتجاوز تعدادها المئات، أكثر من عشرة آلاف من الجنود؟!

منهم أربعة آلاف من الصليبيين، وهذا إن دل فإنما يدل على مقدار الخوف والهلع الذي أصاب نفوسهم، وتراهم يزعمون قتل العشرات وأسر المئات من العرب والأفغان، وهذا كله محض كذب وافتراء، فالمدينة خالية من وجود أي من المجاهدين العرب، وليعرضوا هؤلاء الأسرى إن كانوا صادقين.

ثم يتوعد هذا الذنب، الذي خان دينه وأمته، ورضي بأن يكون مطية للصليبيين والصفويين، بأنه قادم هو وزبانيته نحو الأنبار والقائم، وراوة وسامراء، ونحن نقول له:

إن المجاهدين بفضل الله قد أعدوا لك ولجنودك سيف قاطعاً، وسم ناقعا، ولتسقوّن بإذن الله من كؤوس الموت ألوانا، ولتكونن أراضي أهل السنة بجيفكم النتنة وعاء، فتقدموا إن شئتم أو تأخروا.

وهذا نداء لأهل السنة عامة في العراق؛

ألا هبوا من سباتكم، واستيقضوا من غفلتكم، فقد طال رقادكم، وإن رحى الحرب للقضاء على أهل السنة لم ولن تتوقف وهي آتية دار كل منكم إلا أن يشاء الله، وإن لم تبادروا، باللحاق بركب المجاهدين للدفاع عن دينكم الذب عن أعراضكم، فإنها والله الحسرة والندامة ولكن ولا ساعة ندم.

وإياكم وما يروج له من خدعة الدستور الدعوات للمشاركة في الاستفتاء عليه من قبل أدعياء أهل السنة الذين خانوا الله ورسوله، وباعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، ف في الوقت الذي تنحر فيه رقاب أهل السنة في تلعفر والقائم وغيرهما، نجد هؤلاء الخونة في أربيل يستجدون أذناب اليهود (البرزاني والطالباني) لتحصيل مكاسب لهم في هذا الدستور الشركي، هؤلاء الذين خانوا الأمة من قبل، فكانوا أحد أركان المؤامرة لاستنقاذ الصليبيين في معركة الفلوجة الأولى.

وبناء على كل ماسبق ذكره، وبعد أن تبين للعالم أجمع حقيقة هذه المعركة، ومن المستهدف الحقيقي منها فإن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين قرر مايلي :

أولاً: بما أن حكومة حفيد أبن العلقمي وخادم الصليب إبراهيم الجعفري قد أعلنت حربها الشاملة على أهل السنة في تلعفر ومن بعدها الرمادي والقائم وسامراء وراوة تحت ذرائع إعادة الحقوق والقضاء على الإرهابيين فقد قرر التنظيم؛ إعلان حرب شاملة على الشيعة الروافض في جميع أنحاء العراق، أين ما وجدوا وحيث ما حلوا جزاء وفاقا، فمنكم كان الابتداء وأنتم من بادر بالاعتداء فخذوا حذركم فوالله لن تأخذنا بكم رأفة، ولن تنالكم منا رحمة وأي طائفة تريد أن تنأى بنفسها عن ضربات المجاهدين فلتبادر وعلى جناح السرعة بالبراءة من حكومة الجعفري وجرائمها، وإلا فهم في الحكم سواء؛ وقد أعذر من أنذر.

ثانياً: من الآن فصاعدا كل من يثبت انتسابه إلى الحرس الوثني أو الشرطة والجيش أو يثبت أنه عميل أو جاسوس للصليبيين؛ فحكمه القتل، وليس فحسب بل وهدم منزله أو تحريقه، بعد إخراج النساء والذرية منه، جزاء على خيانته لدينه وأمته وليكون لغيره عبرة ظاهرة وعظة زاجرة.

ثالثاً: حاول أبو رغال الدليمي بث الفرقة والشقاق بين المجاهدين والعشائر زاعماً أن شيوخ العشائر هم من طلب منه المجيء لاستنقاذهم، وهذا محض كذب واختلاق، فأبناء العشائر هم أحد أهم ركائز الجهاد، وهذه العشائر كان لها الأيادي البيضاء في نصرة الجهاد وأهله؛ ومع هذا فنحن نحذر العشائر؛ بأن كل عشيرة أو حزب أو جمعية يثبت تورطها وعمالتها للصليبيين

وأذنابهم من المرتدين فوالذي بعث محمد بالحق لنقصدنهم كما نقصد الصليبيين ولنستأصلن شأفتهم، ولنفرقن جمعهم، فما هو إلا معسكران:

معسكر الحق وأتباعه،
ومعسكر الباطل وأشياعه.

فاختاروا في أي الخندقين تكونون، وما حل في بعض الخونة في القائم خير دليل على ذلك.

وفي الختام؛

فنقول للصليبيين والروافض الصفويين بأن جريمتكم وفعلكم الجبان، في تلعفر لن يمر دون عقاب قاس بإذن الله.

وأني لأتحدى حكومة أحفاد أبن العلقمي وعلى رأسها الجعفري المجوسي وأبو رغال الدليمي أن يخرجوا من جحورهم من المنطقة الخضراء ليواجهوا كتائب المجاهدين.

ألا بئس في الحياة حياتكم يانساء!
ألا بئس المروءة مروءتكم ياجبناء!
يا أشباه الرجال ولا رجال!

أو تسمعون أيها الأعداء؛ أما والذي نفسي بيده أني لأخاطبكم بصوت يقطر دماً، والأيام بيننا.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

والحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثاني و الثلاثون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ

المُحاضَرَةُ الثانِيةَ، وَ هِيَ بِعُنوان:

(وَ طَوَاعِيَةُ اللهِ وَ رَسُولِهِ أَنفَعُ لَنَا)

١٦ شعبان ١٤٢٦ هـ
١٩ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فإنّ المتأمِّلَ لحالِ الأمّةِ الإسلامية اليومَ ليتملكُ قلبَهُ شعورٌ بالحزنِ والأسى على ما آلَ إليه حالُها؛ من تكالُبِ أعدائِها عليها، والذلّةِ والمهانةِ التي وصلت إليها، بعد أن كانت أعزّ الأمم!.. أمةٌ بعثها اللهُ سبحانَه وتعالى لتكونَ خيرَ أمة أخرجت للناس.. أمةٌ وُجِدتْ لتعلو ولا

يعلى عليها.. لتكونَ في مقدمة ركبِ الأمم، لا في مؤخرها..!

إني تذكرتُ والذِّكرى مؤرقة
مجدًا تليدًا بأيدينَا أضعنَاهُ
***
أنَّى اتجهْتَ إلى الإسلامِ في بلدٍ
تجدهُ كالطَّيرِ مقصُوصًا جناحاهُ

هذه الأمة إنما اكتسبت عزَّها وسموَّهَا ورفعتَها بقيامِها بأمْرِ ربها، وتطبيقِها لحُكمِه.

قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩]

وقال تعالى: {وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} [النساء:١٤١].

وهذا الوعدُ لا يتخلّفُ في أيِّ زمانٍ أو مكان ما أتى العباد بسببه وشرطِه؛ ألا وهو الإيمانُ بالله سبحانهُ وتعالى، والذي يتحقق بامتثال شرعِ الله وإعلاءِ كلمتِه، والجهادِ في سبيلِه.

ولكن، لما غفلَ أبناءُ هذه الأمّة عن وصية الله في قوله: {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً} [النور:٥٥].

وتغاضَوا عن التخويفِ والتهديد في قوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣].

وتهاونوا بالأمر الذي وُكِلَ إليهم في قوله: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} [الزخرف:٤٣].

وتنكّبوا عن جادّةِ العزِّ في قوله: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} [التوبة:١٤-١٥].

حينها؛ ألبسَهم عدوُّهم رداءَ الذُل، وأشعرَهم شعَارَ الهوان، وسامَهم سوء العذاب، وضامَهم بأليمِ العقاب، وخيّمَ ظلامُ الغفلة على هذه الأمة، وطال ليل رقادِها.

ولكنَّ هذه الأمة؛ أمةٌ عصيّةٌ أبية تأنَفُ الذلَّ وتأبى الضيم، فهي وإن أصاب جسدَها الآلامُ وأثخنتهُ الجراح، إلا أنه لا يلبث أن يستجمعَ قواه، ويستعدّ للنهوض إيذانًا ببزوغ فجرِ الإسلام وطلوعِ شمسِ التوحيد من جديد.

وها نحنُ اليومَ أمام صفحةٍ جديدة من صفحاتِ الصحوةِ في هذه الأمة، بعد أن أدركت حقيقةَ معركتِها و وعتْ مخططاتِ أعدائها بها، ولكنّ هذه الصحوة صاحَبَ مسيرَها الكثيرُ من الدخل، وعكَّرَ صفوَها الكثيرُ مِن الدّغَل، وهذا مصداقُ حديث الصادِقِ المصدُوق -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين من حديثِ حُذيفة قال: (كان النّاسُ يسألونَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنتُ أسألُه عنِ الشرِّ مخافةَ أن يدركني؛ فقلتُ يا رسولَ الله إنا كنّا في جاهليةٍ وشر فجاءَنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال «نعم»، قلتُ وهل بعد ذلكَ الشرّ من خير؟ قال «نعم، وفيه دخن» قلتُ وما دخنه؟ قال «قومٌ يهدونَ بغيرِ هديي، تعرفُ منهم وتنكر»، قلتُ فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال «نعم، دعاةٌ على أبوابِ جهنّم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت يا رسول الله صفهم لنا، فقال «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»).

نعم هذا الدَخَلُ والزغل إنما هو من أناسٍ آلمهم حال أمتهم؛ فأرادوا النهوض بها، ولكنّهم بغير هدي نبيهم -صلى الله عليه وسلم- اهتدوا، وغيرِ سبيله سلكوا؛ فبتنا نرى مناهجَ أجنبية غريبة دخيلة على ديننا، فتارة نراهم في البرلمانات الشركية، والمجالس التشريعية، وتارة ينادون بالديموقراطية، وأخرى يدعونَ إلى الانخراط في الجيوش الطاغوتية وضرورة المشاركة في العملية السياسية وكتابة دستور البلاد المحادّ لدين ربِّ العباد، وأخرى يمدُّون حبالِ الود بينهم وبين الصليبيين وأذنابِهم من الحكام المرتدين، وأخرى وأخرى في سلسلة يطولُ ذكرها وسردها.

وإذا ما جُوبِه أصحابُها بضلالِ هذه المناهج وفسادها؛ أشهروا في وجهِ خصومِهم سلاحَ شُبهتهم: إنّ في ذلك مصلحةَ الدعوة! هذه المصلحة التي أضحت متّكئًا يتكئون عليه لتبرير مواقفهم وتنازلاتهم، وإن كان في هذه المواقف وتلكم التنازلات الانسلاخَ من دين ربِّ الأرض والسماوات؛ هذه المصلحة التي غدت بحقّ طاغوتًا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، وترى أصحابَ هذه المصلحة المزعومة لا يتورعون عن نبزِ مخالفيهم ومنتقديهم بأشنع الألقاب، ونعتِهم بأبشع الصفات، ورميِهم بعدم فقههم للواقع، وعدمِ إلمامهم بمقاصد الشرع.

وقد قضى اللهُ سبحانه وتعالى قضاءً مُبرَمًا؛ أنه لا تزال طائفة من هذه الأمّة ظاهرينَ على الحقِّ لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خَذَلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك.

وانطلاقًا من هذا، أحببتُ أن أذكرَ مفهوم مصلحةِ الدعوةِ عندَ هذه الطائفة، وكيفية تطبيق أفرادِها لهذا المفهوم مُسترشِدًا بأقوالِ أئمةِ الهُدى ومصابيحِ الدجى؛ لعله يكونُ نبراسًا تنيرُ درب الهدايةِ لمن زلّت به قدمُه، وحاد به عقلُه عن طريقِ الله القويم وصراطِه المستقيم.

إنّ أهلَ الطائفةِ المنصورة يحرصونَ غايةَ الحرصِ على تحقيقِ مصلحةِ الدعوة؛ إذ همْ لم ينطلقوا دعاةً إلى الله إلا ابتغاء تحقيق هذه المصلحة، ومصلحةُ الدعوةِ عندَهم تكمنُ في الحفاظِ على هذه الدعوة بيضاءَ نقية من أن يشوبَها دخلٌ أو دغل فيؤدونها كما أُنزلت لم يُسلب عرضُها، ولم يشوّه وجهها، وذلك بالتقول على الله بغير علم، أو الإحداث والابتداعِ في دينه، أو الترخُّصِ بالباطل، أو الركونِ للذين ظلموا، فضلاً عن التلطخ والتدنس بأرجاسِ الشرك وأوحاله، فإن فعل ذلك بزعم تحقيق مصلحة الدعوة هو جهلٌ مدقع، وهوى متبع، وشبهةٌ راسخة، وشهوةٌ غالبة، فضلاً عن كونه خِدعَةَ إبليس، وهو مسلكُ من لم يرد مصلحةَ الدعوة طرفة عين، وإنما أراد تدميرَ الدعوةِ من أساسِها، وخلعَها من جذورها، واستبدالَها بأوهامٍ وظنون، وإن ظن أنه يحسن صنعا...!

وأهلُ الطائفة المنصورة لا يخدعون أنفُسهم تحت زعم تحقيق مصلحة الدعوة توصلاً لتحقيق مصالحَ خاصة، وحظوظٍ ذاتية، تصبغ ويخلع عليها رداءُ الشرعية، تلبيسًا وتمويهًا.

كما لا يتخذ أهلُ الطائفة المنصورة من مصلحة الدعوة تكأة للتنصل والتفلت من القيام بأمر الله والقوامَة عليه علمًا وعملاً دعوةً وجهادًا إيثارًا للسلامة وحبًّا للدعة، ورغبة عن التعرض للبلاء في ذات الله، كما يودُّ أحدُهم أن لو كان باديا في الأعراب يسألُ عن أخبار المسلمين.

بل غايةُ مصلحةِ الدعوة عند أهلِ الطائفةِ المنصورة؛ القيامُ بأمرِ الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، وإن تلفت في سبيل ذلك الأجساد وأُزهقت لتحقيقه الأنفسُ والأرواح.

إن الطائفةَ المنصورة غاياتها ربانية، ووسائلُها شرعية، وعندما تنحرف طائفةٌ عن هذه الجادة، وتتخذُ لنفسِها طرقًا ووسائلَ غير منضبطةٍ بالشرع بحجة مصلحة الدعوة؛ فإنها تخرجُ عن حدِّ ورسم و وصف الطائفةِ المنصورة حيث فارقتها في سيرِها ومسيرها فلا لقاء.

سارت مشرقة وسرت مغربًا
شتان بين مشرق ومغرب

والكلامُ على مصلحة الدعوة يتمثل في عدةِ محاور:

المحور الأول: تحديدُ حقيقةِ مصلحَةِ الدّعوة.

قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٦-٥٨]؛ فهذا نصٌّ من العليمِ الخبير بمنتهى الحصر والقصر على أنّه لم يخلقِ الخلق إلا لتحقيق غاية واحدة وهدفٍ محدد؛ وهو القيام بعبادته وحده، وأنه سبحانه قد فرَّغهم لذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادةُ لله هي الغايةُ المحبوبة له، والمرضيَّة له، التي خلق الخلقَ لها، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]، وبها أرسلَ جميع الرّسل كما قال نوح لقومه: {اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ} [النحل:٣٦]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٩٢]) اهـ.

فعلم مما سبق أن مصلحة الدعوة هي في تحقيق العبودية لله رب العالمين وفق ما جاء به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، **وبذلك تتحددُ مصلحة الدعوة بصورةٍ قاطِعة بعد مبعثه -صلى الله عليه وسلم- في تحقيق أصلين:**

- إفرادِ الله وحده بالعبادة،
- وإفرادِ رسوله -صلى الله عليه وسلم- بالمُتابعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وجماعُ الدينِ شيئآن أحدهما: ألا نعبدَ إلا اللهَ تعالى، والثاني: أن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع؛ كما قال تعالى {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} [هود:٧]، قال الفضيلُ بن عياض: أخلصُه وأصوبُه، قيل له ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكونَ خالصًا صوابًا، والخالصُ أن يكون خالصًا لله، والصوابُ أن يكونَ على السنّة، وكان

عمر بن الخطاب يقول في دعائه؛ اللهم اجعل عملي كله صالحا، و اجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا، وهذا هو دينُ الإسلام الذي أرسل الله به رسلَه، وأنزل به كتبَهُ) اهـ.

ولذلك؛ كان تحقيق هذين الأصلين هو المقصودُ الأصيل للولاية في الإسلام على التحقيق، وليس للولاية من مقصد آخرَ غيره، ومن روائع ما يدل على هذا قوله تعالى: {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام:٥٢].

روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: كنّا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ستة نفر، فقال المشركون للنبي -صلى الله عليه وسلم- اطرد هؤلاءِ عنك لا يجترئون علينا، قال: وكنتُ أنا وابن مسعودٍ ورجلٍ من هذيل وبلال ورجلان لستُ أسميهما، فوقع في نفس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما شاءُ الله أن يقع، فحدّث نفسه؛ فأنزل الله عز وجل {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام:٥٢].

قال القرطبي رحمه الله: (وكانَ النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما مال إلى ذلك طمعًا في إسلامهم وإسلامِ قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوّتُ أصحابَه شيئًا، ولا يُنقِصُ لهم قدرًا؛ فمالَ إليه، فأنزلَ الله الآية، فنهاه عما همَّ بهِ من الطرد لا أنّه أوقع الطرد) اهـ.

فرغم أن إسلامَ زعماءِ الكفرِ وقادته مما لا يختلف في كونه مصلحة عظيمة للدعوة؛ بل هو نصرٌ وفتح كبير لها، ورغم أن مفسدةَ طردِ وإبعادِ هؤلاءِ النفر المستضعفين من المسلمين عن مجلس أولئك الزعماء والقادة -مما يظهر لأكثر العقول أنها أقل بكثير من مصلحة زعماءِ الكفر وقادته، لا سيما مع استرضاءِ هؤلاء المستضعفين، وإعلامهم بأن هذا الإجراء إنما هو إجراء مؤقت لمصلحة الدعوة، إلا أن الله سبحانه وتعالى بيَّن أن تلكَ المصلحةَ مُلغاة لا اعتبار لها إذ جاءت من هذا الطريق، كما بين تعالى أن حفظَ دينِ هؤلاءِ النفر المستضعفين هو المصلحة الحقيقية التي يجب الاهتمامُ بها، والتعويلُ عليها.

وبتأمل الوصف الذي علّق عليه المولى سبحانه هذا الحكم، وهو قولُهُ: {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام:٥٢]، ندرك أن عبادتَهُ سبحانه على النحو الذي يحبُّه ويرضاه هي مصلحة الدعوة التي يريدها الله سبحانه، والتي من أجلها أنزلَ هذا الدين، وأرسلَ عبادَهُ المرسلين.

وهذه الآيات السابقة نصوص ظاهرة في أن مسألة مصلحةِ الدعوة ليست مسألةَ تنازلات يسارعُ أهل الدعوة لتقديمها للباطل وأهله استرضاء لهم واستجذابًا، وإنما هي مسألة التزام بتبليغ تلك الدعوة على الصفة التي يحبُّها الله ويرضاها، وإن كانت النتيجة إعراضَ ذوي القوة والجاه والسلطان في مقابلِ الحفاظِ على نفرٍ قليلٍ من المستضعفين.

قال سيد -رحمه الله تعالى- عند تفسير لقوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج:٥٢]:

(ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحابَ الدعواتِ - بعد الرسل - والرغبَةِ الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها.. تدفعُهم إلى استمالةِ بعضِ الأشخاص أو بعضِ العناصر بالإغضاء في أوّل الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلاً فيها، و مجاراة في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة و يخاصموها.

ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذِ وسائلَ وأساليب لا تستقيمُ مع موازينِ الدعوةِ الدقيقة، ولا مع منهجِ الدعوة المستقيم، وذلك حرصًا على سرعةِ انتصارِ الدعوةِ وانتشارها، واجتهادًا في تحقيقِ «مصلحة الدعوة» ومصلحةُ الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيبٌ لا يعلمُه إلا الله، فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج؛ إنما يجب أن يمضُوا على نهجِ الدعوة الواضحِ الصريحِ الدقيق، وأن يدعوا نتائِجَ هذه الاستقامة لله، ولن تكونَ إلا خيرًا في نهاية المطاف.

وها هو القرآن الكريم ينبههم إلى أن الشيطانَ يتربّصُ بأمانيهم تلك لينفذَ منها إلى صميم الدعوة، وإذا كان الله قد عصم أنبياءَهُ ورسلَه فلم يمكن للشيطان أن ينفذ من خلال رغباتِهم الفطرية إلى دعوتهم، فغيرُ المعصومينَ في حاجةٍ إلى الحذرِ الشديد من هذه الناحية، والتحرج البالغ، خيفة أن يدخل عليهم الشيطان من ثغرة الرغبة في نصرة الدعوة والحرص على ما يسمُّونَه «مصلحة الدعوة»..

إن كلمة «مصلحة الدعوة» يجبُ أن ترتفع من قاموسِ أصحاب الدعوات، لأنها مزلةٌ، ومدخلٌ للشيطان يأتيهم منه، حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص!

وقد تتحولُ «مصلحة الدعوة» إلى صنمٍ يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهجَ الدعوةِ الأصيل!.. إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحروا هذا النهج دون التفاتٍ

إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوحُ لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابِها!

فالخطرُ الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلا، والله تعالى أعرف منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمرٍ واحد، ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق..) اهـ.

إنَّ محاولاتِ كفار قريش لم تتوقف لصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الحق الذي جاء به ليلتقي معهم ولو في شيء قليل، وذلك بالترغيبِ تارة، وبالترهيبِ أُخرى.

يقولُ الله سبحانه: {فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم:٨-٩].

وقال تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً} [الإسراء:٧٣-٧٤].

قال الشاطبي رحمه الله: (فكذلك كانوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنكروا ما توقعوا معَهُ زوالَ ما بأيديهم؛ لأنه خرج عن معتادهم وأتى بخلاف ما كانُوا عليه من كفرهم وضلالِهم حتى أرادوا أن يستنزلوه على وجه السياسة في زعمهم ليوقعوا بينهم وبينه المآلفة والموافقة ولو في بعض الأوقات، أو في بعضِ الأحوال، أو على بعض الوجوه، ويقنعوا منه بذلك ليقفَ لهم بتلك الموافقة واهي بنائهم، فأبى -عليه الصلاة والسلام- إلا الثباتَ على محض الحق، والمحافظةَ على خالِصِ الصواب وأنزل الله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون:١-٦]، فنصبوا له عند ذلك حربَ العداوة ورموهُ بسهام القطيعة، وصار أهل السلم كلهم حربًا عليه وعاد الولي الحميمُ عليه كالعذابِ الأليم) اهـ.

المحور الثاني: العمل بالشرعِ والتمسكُ به هو عينُ تحقيق المصلحة.

وهذا مقررٌ إجمالا من وجهين:

الوجهُ الأول: أنّ اللهَ لم يشرع هذا الدينَ إلا للعمل به، وابتلاء العباد بالتكاليف، والمكلفُ عبدٌ مربوب، فكانت مصلحة الاستجابة للتكاليف، والتمسكُ بالشرع؛ هي أسُّ و رأس المصالح التي يريدها الله -سبحانه وتعالى- من المكلفين، وهي كذلك أس و رأسُ المصالح التي يحققها العبد،

والنصوصُ المقررةُ لهذا الأصلِ كثيرةٌ جدًّا إذ هو أصلُ الإسلام ومبناه وغايةُ التعبد ومنتهاه.

وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} [الأحزاب:٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: (فهذهِ الآية عامّةٌ في جميعِ الأمور، وذلكَ أنه إذا حكمَ اللهُ ورسولُه بشيءٍ فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} [النساء:٦٥]، ولهذا شدَّدَ في خلافِ ذلك فقال {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} [الأحزاب:٣٦]، وقوله تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣]) اهـ.

قال ابن القيم رحمه الله: (فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمنٍ أن يختارَ بعد قضائِه وقضاءِ رسوله، ومن تخيّر بعد ذلك؛ فقد ضل ضلالا مبينا) اهـ.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النور:٦٣]، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: (لا تقولوا خلاف الكتابَ والسنة).

وبنحو الآية السابقة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوطِ أعمالهم؛ فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاءَ به ورفعِهَا عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم..؟) اهـ.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خطّ لنا رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– خطًّا، ثم خطَّ خطوطًا يمينا وشمالا، ثم قال هذه سبلٌ على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} [الأنعام:١٥٣]).

وقد أخرج ابن حبان رحمه الله هذا الحديثَ في صحيحه ثم ترجم له بقوله: (ذكرُ الإخبارِ عمّا

يجبُ على المرء من لزوم سنته صلى الله عليه وسلم، وحفظِهِ نفسَهُ عن كلّ من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك في عينه وزينوه).

الوجهُ الثاني: أن الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد على خير وجهٍ وأكملِ صورة في الدنيا والآخرة، فحيثما كان الشرع؛ كانت المصلحة، بل لا مصلحة بخلاف الشرع أبدًا؛ ولذا كان التمسك بالشرع هو عين الحرص على تحقيق المصلحة لمن أراد المصلحة.

وقد وصف اللهُ -سبحانه وتعالى- كتابَه بأنه هدى وشفاء ورحمة وبشرى وضياء ونور وغير ذلك من الأوصاف الدالة على أن المصلحة -كل المصلحة- محصورة في اتباعه والتمسك بما فيه؛ قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٢]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:٥٧]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: (.. فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)؛ قال ابن رجب رحمه الله: (قولُه (عضوا عليها بالنواجذ) كناية عن شدة التمسك بها، بالنواجذُ والأضراس) اهـ.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنّه ليس شيءٌ يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وليس شيءٌ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه).

فهذه النصوص السابقة كلُّها قاطعة الدلالة في أن هذه الشرعَةِ المطهرة لم تأتِ أصلاً إلا لتحقيقِ مصالحِ العباد في الدارين في أجلِّ صورها وأرفعها، كما تدل تلك النصوص على أن المصلحة كل المصلحة هي في اتباع الشرع والتمسك به.

قال العز بن عبدالسلام: (الشريعةُ كلها مصالح، إما تدرأ مفاسدا أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًّا يزجرك عنه أو جمعًا بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثًّا على اجتناب المفاسد، وما في بعضِ الأحكام من المصالح حثًّا على أتيانِ المصالح) اهـ.

ومن ثمّ كان أهل الطائفة المنصورة لا يتألّونَ على اللهِ سبحانه وتعالى بحجة مصلحة الدعوة، ولا يقولونَ عليه بغير علم، وذلك أنهم يوقنون أن الذي أنزلَ هذه الدعوة وأمر بتبليغها والمحافظة

عليها كما أنزلت هو الأعلم بالدعوة ومصلحتها، وأنه سبحانه لم يأمر بما أمر به إلا تحقيقًا لمصلحةِ الدعوة ومصلحة الداعين والمدعوين على السواء، فحيثما كان الشرع كانت المصلحة، وهذا من لوازم اليقين في صحة هذا الشرع وأحقيته، فالشريعة كلها مصالح من رب الأرباب لعباده، فيا خيبة من لم يقبل نصحه في الدنيا والآخرة.

فعن رافعِ بن خديج رضي الله عنه، قال: (كنا نحاقِلُ الأرضَ على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنكريها بالثلث والربع والطعام المسمى، فجاءَنا ذاتَ يومٍ رجلٌ من عمومتي فقال نهانا رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- عن **أمر كان لنا نافعا، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا**، نهانا أن نحاقل بالأرض فنكريها على الثلث والربع والطعام المسمى وأمر ربَّ الأرض أن يزرعها أو يُزرِعَها وكره كراءها وما سوى ذلك)

فتأمل قول الصحابي رضي الله عنه (**عن أمر كان لنا نافعا وطواعية الله ورسوله أنفع لنا**)، فالصحابي يصرح بأنهم كانوا يرون ما نهاهم عنه صلى الله عليه وسلم نافعا إلا أنهم رغم ذلك تركوه يقينًا منهم -رضي الله عنهم- أن المصلحة هي طاعته -صلى الله عليه وسلم- والامتثال لما جاء به مع القطع بأن أمره -صلى الله عليه وسلم- هو عين المصلحة في الدنيا والآخرة فما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو حق؛ وإن أدى ذلك إلى تعطيلِ وإلغاءِ ما قد تستحسنه العقول وتستصلحه.

قال الشاطبي رحمه الله: (إن كتابَ الله وسنة نبيه لم يتركا في سبيل الهداية لقائل ما يقول، ولا أبقيا لغيرِهما مجالاً يُعتد فيه وأن الدين قد كمل والسعادة الكبرى فيما وضع والطرِبَةُ فيما شرع، وما سوى ذلك؛ فضلال وبهتان وإفكٌ وخسران، وأن العاقِدَ عليهما بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى، محصلٌ لكلمتي الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلام وخيالات وأوهام) اهـ.

أما السعيُ لالتماس المصلحة بمخالفة الكتاب والسنة؛ فهو فعلُ أهل الشكِّ والارتياب الذين ابتلوا بضعفِ اليقين وهم لا يشعرون.

وحالهم مع هذه الشريعة كما يقول ابن القيم رحمه الله: (جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها وسدوا على نفوسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق) اهـ.

فكأنّ الذي أنزل هذه الشريعة لا يعلم أحوال الناس وما يصلح لهم وما لا يصلح، وأن العبد الظلومَ الجهول قد أدرك المصلحة التي فاتت المولى -سبحانه وتعالى- الذي يعلم السر وأخفى

-تعالى الله عما يفتريه الظالمون أهل الجهل والهوى والارتياب- ولذا كان التماس المصلحة بمخالفة الكتاب والسنة مجاوزة من العبد لقدره، وتطاولا لما لا يصلح له مع كونه تعديًا على مقام الألوهية، ومنازعةً سمجةً للرب الجليل -سبحانه وتعالى- إذ الله هو الذي خلق الخلق وهو الأعلم بمصالحهم وما يصلحهم في كل زمان ومكان؛ فهو سبحانه العليم بهم وبما يصلح لهم.

قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك:١٤]، وكم من أمر تظنه العقول المصلحة وهو عينُ المفسدة، وكم من أمر تظنه العقول المفسدة ويكون هو عين المصلحة، والنسبةُ بين علم الله سبحانه وتعالى بالمصلحة وعلم العبد بها هي النسبة بين الخالق والمخلوق، والعبدُ عبدٌ مربوب ليس له من الأمر شيء، وواجبُه هو الخضوعُ والطاعة والامتثال، لا الاعتراض والمعارضة مع تيقنه بأن ما شرعَهُ اللهُ له هو عين المصلحة، فقد قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف:٥٣]، وقال سبحانه {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} [القصص:٥٠].

قال ابن حزم رحمه الله: (في هذه الآي إبطالُ أن يتبع أحد ما استحسن بغير برهان من نصٍّ أو إجماع، ولا يكونُ أحدٌ أحرص على العباد المؤمنين من الله خالقِهم ورازقِهم وباعثِ الرسل إليهم، والاحتياط كله إتباع ما أمر الله به، والشناعة كلها مخالفته) اهـ.

وقال تعالى: {قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ} [البقرة:١٤٠]، وقال كذلك: {وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦] فهيهات للمصلحَة أن تكون في خلاف النص، بل خلافُ النص هو عينُ المفسدة، وإنما المصلحة ما قرره النص من فعلٍ أو ترك.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كذلك: (والعملُ إذا اشتملَ على مصلحةٍ ومفسدة فإن الشارع حكيم؛ فإذا غلبت مصلحتُه على مفسدتِه شَرعَه، وإن غلبت مفسدتُه على مصلحتِه لم يشرعه؛ بل نهى عنه، كما قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦]...).

إلى أن قال: (وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فإنه لا بد أن يكون ضررُه أعظمَ من نفعه، وإلا فلو كان نفعُه أعظم غالبًا على ضرره لم يهمله الشارع؛ فإنه تعالى حكيمٌ لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين) اهـ.

ولذا فإن مجرّد تصوُّر هذا القول بتقديم المصلحة على النص كافٍ في إبطاله، إذ يفتحُ بابَ المروقِ من الدين والانسلاخ من أحكام الشرع على مصراعيه، هذا فضلاً عن فتح باب الإحداث والابتداع والتحكم بالشرع بنحاسة الآراء وزبالة الأفكار والأهواء؛ إذ لا يعجزُ كلُّ مبطلٍ عن القول بأنه ينشد المصلحة من باطله الذي جاء به وأحدثه، وقدمه على النص، وقد قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [البقرة:١١-١٢].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعًا: (في الآية دليل على وجوب اطراح الرأي مع السنة، وإن ادعى صاحبه أنه مصلح، وأن دعوى الإصلاح ليس بعذر في ترك ما أنزل الله) اهـ.

وتأمّل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً} [النساء:٦٠-٦٢]، فإرادتُهُم الإحسان والتوفيق لم تُغنِ عنهم فيما وقعوا فيه من الكفر؛ بل كانت هي من أسبابِ ذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك، ولم يستجيبوا للداعي ورضوا بحكم غيره، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول وتحكيم غيره والتحاكم إليه كما قال تعالى {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} [المائدة:٤٩] -اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق، إي بفعل ما يُرضِي الفريقين ويوفق بينهما كما يفعله من يروم التوفيقَ بين ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبين ما خالفه، ويزعم بذلك أنه محسن قاصد الإصلاح والتوفيق، والإيمان إنما يقتضي إلقاءَ الحرب بين ما جاء به الرسول وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسةٍ و رأي، فمحض الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق، وبالله التوفيق) اهـ.

وما أعجبَ قول الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي -رحمه الله تعالى- قال: (الواجبُ على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للإتباع، وأن يجعلوا الأصول التي نزل بها القرءان وأتت بها السنن من الرسول -صلى الله عليه وسلم- غاياتٍ للعقول، ولا يجعلوا

العقول غاياتٍ للأصول) اهـ.

وهنا لا بدّ من التنبيهِ على أمرٍ هو غاية في الأهمية –وهو أنّ الموازنةَ عند إنزال الأحكام الشرعية على أرضِ الواقع مما جاء به الشرع وحث عليه وندب إليه، وهذا من الفقه الواجب حال تعاطي الأحكام الشرعية والتعامل معها، إلا أنّ أهل الطائفة المنصورة عندما يتقيدون بقاعدة الموازنة هذه فإنهم يجعلون الشرع هو المرجعُ في تقدير المصالِح والمفاسد، فالمصلحةُ عندهم هي ما ثبت كونُه مصلحةً في شرع الله ودينه، والمفسدةُ هي ما ثبتَ كونه مفسدة في شرع الله ودينه لا غير.

ومن ثم فلا يتخذ أهل الطائفة المنصورة من شعار فقه الموازنات تكأة لهم للإحداث والابتداعِ، والقولِ على الله بغير علم، والركونِ إلى الذين ظلموا، وتحليلِ الحرام وتحريم الحلال، والتلاعبِ بالأحكام الشرعية فعل الكثيرين ممن قد جعلوا المرجع في تقدير المصالح والمفاسد إلى عقولهم وأهوائهم فأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل؛ حيث استحسنوا ما استقبحه الشرع، واستقبحوا ما استحسنه الشرع، ثم جعلوا القول بالموازنات حصنًا يلوذونَ بهِ وملجئا يلجئون إليه، و وسيلة لنيل أغراضهم ودرعًا يدرءونَ به عن أنفسهم وسيفًا يُشهرونَه في وجه مخالفهم.

وهذا ما دل عليه قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:٦٧].

جاء في سبب نزول هذه الآيات أنهم لما أسروا الأسارى يوم بدر؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأسارى)؟ فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله، هم بنو العمِّ والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ترى يا ابن الخطاب)؟ قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، قال عمر رضي الله عنه: فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة)... وأنزل الله عز وجل {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي

الْأَرْضِ} [الأنفال:٦٧].

فدلت هذه الآياتُ وما ثبتَ في سببِ نُزولها على أن تقدير المصلحة إنما مرده لما يشرعه الله ويرتضيه لخلقه، خلافًا لما قد تستحسنه العقول وإن كانت هذه العقول هي عقول كبارِ رجالات هذا الدين علمًا وعملاً، فكيف بمن دونهم ممن لا نسبة بينه وبينهم علمًا أو عملاً.

ولا بدّ هنا من الإشارَةِ إلى مسلكٍ يتخذ منه الكثيرون تكأة لتبرير وتمرير ما يهوون، وهو مسلكُ الاستدلال بالقواعد العامة؛ والجوابُ عليه: أن الذي قرره أهلُ العلم أن إعمال القواعدِ العامة مقيدٌ بالإجماع بعدم مخالفة النصوص، فالاجتهاد وفقًا لتلك القواعد اجتهادٌ باطل بيقين متى خالف ما دل عليه النص، بل هو على التحقيق اجتهاد لم يصادف محلاً فلا محل له، ولذا قرر أهل العلم في قواعدهم المتفق عليها أنه لا مساغ للاجتهاد في مورد النص.

ومن صُوَرِ الخلط في قاعدةِ الموازنة والترجيح بين المصلحة والمفسدة وفقًا لمعيارِ الشّرع؛ أنّ الكثيرين ربما لاموا غيرهم على فعل الأحسن والأكمل، وحمدوه على فعل الأقل؛ لضعف نظرهم أو لإيثارهم ما يظنونه السلامة والورع لضعف فقههم، وإلا فالورعُ ليس في ترك المشتَبِهِ بالمحرم أو المكروه فقط؛ بل من الورع فعلُ المشتَبِه بالمستحب أو بالواجب أيضًا، ومن ذلك ما فعله غلامُ أصحابِ الأخدود حيثُ بذل الغلام نفسَه مؤثرًا القتلَ على الحياة؛ لإظهار الدينِ ونشرِ الدعوة فكان اختياره رضي الله عنه للقتل وحرصه عليه هو عينُ مصلحَةِ الدعوة.

المحور الثالث: المصلحة كمصدرٍ من مصادر الأحكام الشرعية.

اتفق أهلُ العلمِ قاطبةً على أنَّ المصلحة ليست مصدرًا أو دليلاً من أدلة الأحكام الشرعية -وأن تعليل الأحكام بمجرد المصلحة ضلالٌ مبين وقولٌ على الله بغير علم، واتباع للهوى، قد يفضي بصاحبه للكفر.

قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة:٣].

وقال أيضًا: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} [الأنعام:٣٨].

وقالَ جلَّ وعلا: {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} [الأعراف:٣].

إلا أنّ هناك دائرة ضيقة جدًّا اختلف أهلُ العلم في جوازِ تعميل الأحكام بالمصلحة فيها، وهي دائرة بالأوصاف التي لم يشهد لها الشرع بالاعتبار أو الإلغاء، وهي ما اصطلح عليه بالمصالح المرسلة أو الاستصلاح.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (لا يجوز إثبات الأحكامِ بمجرَّد الاستحسان والاستصلاح، فإن ذلك شرعٌ للدين بالرأي وذلك حرام لقوله تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١]) اهـ.

وقال الشنقيطيُّ رحمه الله: (قرَّر أهلُ المذاهب أن المصلحة المرسلة ليست حجة في دين الله، كما أوضحه القراسي في التنقيح) اهـ.

وقولُ البعض بأن الشريعة راعت مصالح العباد، ولكنها لم تنص على جميع جزئيات المصالح إلى يوم الدين وإنما نصت على بعضها؛ هو خلطٌ بينَ الوقائع والمصالح، فالوقائعُ أو النوازل أو الحوادث هي الجزئيات المستجدة إلى يوم الدين، والتي نسلم بأن الشريعة لم تأتِ بالنص على كل مفردة منها، أما المصالح التي تعلل الأحكام بناءً عليها فمن شأنها أن تكون أوصافًا عامة كلية تنتظم تحتها ما شاء الله من مفردات أو جزئيات الوقائع أو النوازلِ أو الحوادِثِ ما وقع منها أو ما يستجد إلى يوم الدين.

وما من مصلحةٍ حقيقية هنا إلا وقد شهد لها الشرع بالاعتبار، فالحق الذي يجبُ اعتقاده هنا؛ أنه لا وجود لمثل هذا النوع من المصالح التي لم يشهد لها الشرع، وإلا لزم من ذلك اتهام الشرع بالنقصان، وعدم الكمال والحاجة إلى غيره، **ولا يخلو الأمر هنا من أحد احتمالين:**

الأول؛ أن تكون هذه المصلحة التي ذهب العبد إلى تقريرها مصلحة حقيقية فعلاً شهد الشرع لها بالاعتبار وقررها، غير أن العبد لعدم تمام وكمال خبرته بالشرع وطرق الدلالة والاستنباط خُيِّل إليه أن الشرع لم يعتبرها، في حين أنه قد اعتبرها وقرّرها.

الثاني؛ أن تكون هذه المصلحة التي ذهب العبد إلى تقريرها مصلحة موهومة، وليست مصلحة شرعية حقيقية وإن استحسنتها العقول واستصلحتها.

المحور الرابع: تحقيقُ التوحيد أعظم المصالح بإطلاق.

إن تحقيق التوحيد غايةُ الغايات التي خلقَ اللهُ الخلق وأنشأهم من العدم من أجلها، وهو من ثم أعظم المصالح التي يحبها الله ويرضاها من خلقه، كيف وهو سبحانه وتعالى لم يخلقهم إلا لتحقيقه والقيام به.

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات:٥٦-٥٨].

قال ابن كثير رحمه الله: (ومعنى الآية أنّه تباركَ وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم؛ بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم) اهـ.

قال تعالى: {وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة:٣١].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦].

ومما يبين أن تحقيقَ التوحيدِ أعظمُ المصالح التي بُعثَ الأنبياء والمرسلون لتحقيقها والحفاظِ عليها -أنّ الله سبحانه وتعالى قد بين أن جميع الأعمال غير المبنية على التوحيد محبطة باطلة فاسدة كاسدة لا وجود لها، فهي كعدمها بل أسوأ.

قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر:٦٥].

كما بين تعالى أن هذه الأعمال غير المبنية على التوحيد هي كالسراب الذي ينخدع به الرائي فيحسبه ماءً فإذا جد في طلبه وجد بين يديه سرابًا تتقطع معه النفس حسرة وندمًا.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور:٣٩].

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قلتُ يارسولَ الله ابن جدعانَ كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحِم، ويطعمُ المسكين، فهل ذاك نافعُه؟ قال: (لا ينفعُه، إنه لم يقل يومًا ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين)؛ والمراد أنّه لم يكن موحدًا، ولذا لم ينفعه ما جاء به من عملٍ صالح، ولو كثر وعظم.

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطُكَ وينصرك فهل نفعه ذلك قال (نعم، وجدتُه في غَمَراتٍ من النار فأخرجته إلى ضحضاح).

ورغم أن نصرةَ النبي –صلى الله عليه وسلم– والغضب له والذود عنه من أعظم الأعمال الصالحة وأجلها عند الله إلا أنها لما لم تكن مبنية هنا على التوحيد لم تنفع صاحبها شيئًا، ولم تصرف عنه دخول النار والخلود فيها.

فتحقيق التوحيد وإقامَتُه عند أهل الطائفة المنصورة أصلحُ المصالح وأعلاها، والتفريطُ فيه وتضييعُه بالتلبس بضده وهو الشرك أفسد المفاسد وأشدها وأعظمها، ولذا كانت مصلحة تحقيقِ التوحيد خارجةً تمامًا عن نطاقِ قاعدة الموازنات التي تكلمنا عليها، إذ ليس هناك على الإطلاق مصلحة أعظم من مصلحة تحقيق التوحيد لتُقَدَّمَ عليه، بل ليس هناك مصلحة تدانيه او تقترب منه فضلاً عن أن تكون هناك مصلحة تجاوزه وتتقدم عليه، كما أنّه ليس هناك مفسدة أعظم وأشد من مفسدة تضييع التوحيد، والتفريط فيه بالتلبس بضده من الشرك، فتحقيقُ التوحيد أعظم مصالح الدعوة بإطلاق كما أن تضييعه والتفريط فيه أفسد المفاسد بإطلاق.

ما لم يك التوحيدُ أصلاً راسخا
للعابدين فكل فرع فاسد
***
أرأيت بنيانًا تطاول أهله
في رفعه والأس هار هامد

وصحَّ أنّ قريشًا أرسلَتْ عتبة بن ربيعة، وهو من ساداتها، إلى رسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– فأتاهُ فقال له: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطَة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومَكَ بأمرٍ عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل يا أبا الوليد أسمع)، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفًا سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك

طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: (أفرغت يا أبا الوليد ؟) قال: نعم، قال (فاستمع مني) قال: أفعل، قال: {بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [فصلت:١-٤]، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرأها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد؛ ثم قال (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك).

ولا شكّ أن عشر معشار هذه العروض، فضلاً عن ذات العروض نفسها؛ هي مما يسيل له لعابُ الكثيرين اليوم من الحريصين على مصلحةِ الدعوة، لا سيما وقد يقال إن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان بإمكانه بعد أن يستجيب له سادات قريش وزعماؤها، وبعد أن يُذعنوا له بالسيادة والُملك وبعد أن يُسلموا له زمام وقياد أمرهم، وبعد أن يتأكدّ هو –صلى الله عليه وسلم– من استحكام الأمر في يديه –أن يستخدم هذا كله ويوظفه لتحقيق مصلحة الدعوة، وهذا بلا شك أسهل وأهون من البداية بالدعوة من حيث لا شيء، غير أن هذا هو فهم من لم يفهم حقيقة الدعوة، رغم حرصه الشديد على مصلحتها.

فما كان للدعوة أن تسير ولو لحظة واحدة تحت شعار آخر غير «لا إله إلا الله» لفظًا ومعنى، فتُنْفَى العبادة في أي صورة من صورها عن كلِّ المعبوداتِ الباطلة التي تُنازِعُ اللهَ سلطانه، ويُفرَدُ اللهُ وحدَهُ بالعبادة في كل صورها ومعانيها الظاهرة والباطنة، مع البراءة من الشرك وأهله، ولذا كان رده –صلى الله عليه وسلم– قويًّا حاسمًا قاطعًا كلَّ أمل المشركين في صرف الدعوة وحرفها عن جوهرها.

وتأمل بعين البصيرة وعين البصر حديثَ أمِّ سلمة –رضي الله عنها– حين قالت:

(لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جارٍ النجاشي أمِنَّا على ديننا، وعبدنا اللهَ لا نؤذى، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأُدُم فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثُوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما؛ ادفعوا إلى كلِّ بطريق هديتَه قبل أن تكلموا النجاشيَّ فيهم، ثم قدموا للنجاشي

هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار، وعند خيرِ جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديَّته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنَا إلى الملك فيهم أشرافُ قومِهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملكَ فيهم فتشيروا عليه بأن يُسلّمهم إلينا ولا يكلمهم؛ فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما نعم، ثمّ إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ مبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنَا إليك فيهم أشرافُ قومِهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينًا وأعلمُ بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت ولم يكن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومُهُم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم؛ فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قال فغضب النجاشي ثم قال لا والله لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني، قالت ثمّ أرسل إلى أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا نقول والله ما علِمنا وما أمرنا به نبينا –صلى الله عليه وسلم– كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك! كنا قومًا أهلَ جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيءُ الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت

فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت فقال له جعفر نعم، فقال له النجاشي فاقرأه علي فقرأ عليه صدرا من كهيعص، قالت فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي إن هذا والله والذي جاء به موسى لَيَخرُجُ من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد، قالت أم سلمة فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لأنبئنهم غدًا عيبهم عندهم ثم أستأصل به خضراءهم، قالت فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا، قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت ثم غدا عليه من الغد، فقال له أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت فأرسل إليهم يسألهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثله فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كائنا في ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى ابن مريم فقال له جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت فقال النجاشي ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي من سبكُم غرم ثم من سبكُم غرم، فما أحب أن لي جبلاً ذهب وأني آذيت رجلا منكم، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناسَ فيَّ فأطيعُهم فيه، قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جار).

فهذا الحديث حديثٌ عظيم القدر كبير الشأن مليء بالفوائد الجليلة، والتي من أبينها؛ أنّ قضية التوحيد لدى الصحابة الكرام وإن اشتدّ ضعفهم وعظم تكالب الجاهلية عليهم وقهرها لهم لم تكن يومًا ما موضع مساومة أو موازنة بغيرها من جلب مصلحة وإن عظمت، أو دفع مفسدة وإن اشتدت.

ومما يدل أيضًا على أن مصلحة تحقيق التوحيد لا توزن بغيرها من المصالح من جلب نفع أو دفع ضر؛ ما جاء في قصة إسلام ثقيف، وقد كانوا سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يدع لهم الطاغية -وهي اللات- لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمًّى، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يّسْلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم

الإسلام؛ فأبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها.

فلم يعتبر النبي -صلى الله عليه وسلم- تلك المصالح التي أشار بها وفد ثقيف ليترك لهم بها طاغيتهم اللات من خوفهم من سفهاء قومهم وإرادتهم تأليف قومهم وعدم ترويعهم حتى يدخلوا الإسلام، هذا بالإضافة لكونهم حدثاء عهد بإسلام فيحتاجون إلى التأليف حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم فلا يرتدوا.

ولم يستثن الله تعالى من ذلك غير حالة الإكراه الملجئ؛ فهي الحالة الوحيدة التي رخَّص فيها الشارع في إظهار الشرك والكفر عند تحقق شروطها، وحتى في حالة الإكراه الملجئ فإن الإجماعَ منعقدٌ بغير تردد على أن الأخذ بالعزيمة هنا أفضل وأحب إلى الله، وكل هذا تعظيمًا لهذا الأمر، وتنويهًا بخصوصيته.

قال ابن بطال رحمه الله: (وكلهم أجمعوا على أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله ممن اختار الرخصة) اهـ.

ونختم الكلامَ في بيان أن تحقيق التوحيد نفيًا وإثباتًا أعظمُ المصالحِ بإطلاق، وأن دعوى تحقيق مصلحة الدعوة بالاستهانة بأمر التوحيد والتلبس بضده من الشرك هو عينُ الفسادِ في الأرض، بل هو أساس كل شر وفساد؛ بكلامٍ نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦].

قال رحمه الله: (قالَ أكثرُ المفسِّرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والداعي إلى غيرِ طاعة الله بعد إصلاح الله إيّاها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله مفسدٌ؛ فإن عبادة غير الله والدعوةَ إلى غيره والشركَ به هو أعظم الفساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحيقة إنما هو الشرك بالله ومخالفة أمره، قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم:٤١] ومن تدبَّرَ أحوالَ العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادتُه، وطاعةُ رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكلُّ شرٍّ في العالم وفتنةٍ وبلاءٍ وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببُه مخالفةُ الرسولِ -صلى الله عليه وسلم- والدعوة إلى غير الله) اهـ.

نسألُ الله -سُبحانه وتعالى- أن يجعل فيما سقناه من نور الوحيين، وأقوالِ أهل العلم حياةً

لنفوسٍ أولئكَ الذين مادَتْ بهم الأهواء، وماجت بهم الفتن؛ فأفرزوا للأمة مناهجَ دخيلةً عليها، وسلكوا بها سبلاً نأت بها عن طريق العبودية وجادةِ التوحيد بحجة مصلحة الدعوة تارة، وضغط الواقع أخرى.

فدعوا إلى المشاركة في جريمة كتابة الدستور الشركي، وجوزوا الانتساب إلى الجيش والحرس الوثني؛ لتُضجَعَ دعوة التوحيدِ والحق وتنحرَ بسلاح الشرك والباطل.

لكن هيهات؛ هيهات لأمةٍ بزغ فجرُ توحيدها، وسطعَ ضياءُ مجدِها، وأشرقَ شمسُ عزِّها أن يُثنِيَها عن السير في طريقها أمثالُ هذه المواقف، أو يصدها عن المضيِّ في دربها أمثالُ هذه الدعوات.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثالث و الثلاثون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
لا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ

المُحاضَرَةُ الثالِثَة، وَ هِيَ بِعُنوان:

(القَابِضُونَ عَلى الجَمْرِ)

٢٧ شعبان ١٤٢٦ هـ
٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فمِمَا لا شك فيه أن الواقع هو الوعاء الذي تتجمع فيه الفتن و المحن المتعددة من شبهات و شهوات و ابتلاءات على اختلاف صنوفها و أشكالها، في مواجهة أهل الطائفة المنصورة، لفتنتهم عن القيام بأمر الله، علمًا و عملاً، دعوة و جهادًا.

و لا شك أن هذه الفتن و المحن لا تُدفع بغير الصبر و اليقين، و من المسَلَّمِ به أن للواقع الجاهلي؛ القائم على غير قاعدة العبودية لله وحده، ضغطًا شديدا على كاهل كل من يريد القيام بأمر الله، حيث المسافة الشاسعة و الهوة الواسعة بين أمر الله و الواقع، و هذا مع الحرب الضروس التي تُشن لكل من نصب نفسه لهذه المهمة العظيمة من قِبل أركان هذه الجاهلية و العناصر المتعددة المشاركة فيها بوجهٍ أو بآخر، و هم:

أولاً: طواغيت الأرض؛ أهل الحكم، و ما في أيديهم من إمكانات و قدرات فائقة للفتنة رغبًا و رهبًا.

ثانيًا: علماء السوء؛ الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، و رضوا بالحظ الخسيس، و لقيمات الذل و العار التي يلقيها إليهم الطاغوت من فتات موائده لإضلال العباد و فتنتهم عن أمر الله.

و هل أفسد الدين إلا الملوك * و أحبار سوء و رهبانها**

ثالثاً: أهل الأهواء و طوائف البدعة؛ على اختلاف بدعهم و تعدد أهوائهم، و ذلك أن الإتباع الصادق يكشف زيف ما هم عليه، و يفضح ضلالهم و إضلالهم، و من ثم يعلنونها حربًا على كل من أراد رد الناس إلى الأمر الأول، و هم في هذا السبيل لا يستحيون من التحالف مع الطواغيت و علماء السوء، لتكوين جبهة واحدة مشتركة، لصد الناس وفتنتهم عن دينهم.

رابعاً: العوام من الهمج الرعاع؛ أتبلع كل ناعق، و وقود كل فتنة، ممن لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يركنوا إلى ركن وثيق، فهمهم الأكبر إشباع غرائزهم و قضاء شهواتهم و نيل لذائذهم، لا يعرفون للحياة معنىً غير هذا، و بئست الحياة.

و من الطبيعي أن يكون هؤلاء في خندق الطاغوت و حلفه، وأن يكونوا هم قطيعه الذي يقوده حيث شاء، و عصاته التي يبطش بها بكل من أراد القيام بأمر الله و الثبات عليه.

و هؤلاء أصناف شتى جمعهم حب الدنيا، و ألّف بينهم التعلق بزينتها و شهواتها من جاه و

منصب و نساء و مطعم و مشرب و غيرها من حظوظها الفانية، و رحم الله الإمام ابن بطة، حيث قال: (و الناس في زماننا هذا أسراب كالطير، يتبع بعضهم بعضًا، لو ظهر لهم من يدعي النبوة مع علمهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء، أو من يدّعي الربوبية لوجد على ذلك أتباعًا و أشياعًا). انتهى كلامه.

و إذا كان كلامه رحمه الله عن زمانه، فهل يستغرب على أهل عصرنا إلا من رحم الله الوقوف في صف الباطل و أشياعه لمحاربة الحق و أتباعه.

و يساهم في هذا الواقع و يكرسه فتنة هي أشد على الكثيرين مما سبق، و هي ممن عرف الحق أو قام بشيء منه، و لكنه عجز عن القيام به كاملاً، و على الوجه الذي يحبه الله و يرضاه، لسببٍ أو لآخر، فراح ينشر الشبهات و الأراجيف، لتثبيط كل من أراد القيام بأمر الله على الوجه الذي يرضيه سبحانه، ليسلم له حاله، و تبقى له مكتسباته، و إنما كانت هذه الفتنة أشد و ضررها أعظم، لما يمثله التلبيس و التدليس من خصوصية في إخفاء الحق و صد الناس عنه، و رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (و لا ينفق الباطل في الوجود إلا بشوب من الحق) و بهذا الترتيب العجيب و التمازج الشديد، أضحى الأمر كما قال القائل:

و لتشهدن بكل أرض فتنة * فيها يباع الدين بيع سماح**
يُفتى على ذهب المعز و سيفه * و هوى النفوس و حقدها الْمذحاحِ**

و هكذا يضغط الواقع على الكثيرين ممن يسعون للقيام بأمر الله، حيث يشعر هؤلاء أن كل من حولهم يخالفهم في ما هم عليه، بل و ينابذهم على ذلك بكل ما يستطيع، فهم يسيرون في طريق موحشة، لا معين فيها و لا أنيس، و الجميع حولهم يدعوهم ليسالموا أو يداهنوا أو يقفوا موقفاً و سطاً و يلتقوا مع الجاهلية في منتصف الطريق، بدعاوى و شعارات معلومة مشهورة.

و تزداد الفتنة و تعظم البلية، عند صبغ هذه الدعاوى بصبغةٍ شرعية، و تخريجها تخريجاً فقهياً، يعتمد الوسطية و ينبذ و يحارب التشدد، فتنهال الاتهامات من مختلف المستويات على من يريد القيام بأمر الله متهمين إياه بالتطرف و الغلو بل بالإرهاب فضلاً عن الخارجية، ليجد العبد نفسه محاصرًا بدائرة محكمة من الاتهامات و الإدانات، و التي لا ينقصها التدليل الشرعي، تصمُّ مسامعه صيحاتها، من كل حدب و صوب منادية عليه ببطلان ما هو عليه، و مروقه عن الطريق القويم، و حيدته عن الصراط المستقيم، و بعده عن الدين، و مخالفته للعالمين أجمعين، و الهدف هو الضغط على العبد ليتجنب الانتساب للحق في خاصة نفسه، فضلا عن دعوة

الآخرين إليه، و من ثم التنازل و التراجع و النكول و النكوص عن أمر الله، و مسايرة الواقع القائم.

و قد جاء عن الإمام الفضيل بن عياض - رحمه الله – أنه قال: (كيف بك إذا بقيت إلى زمان شاهدت فيه أناسًا لا يفرقون بين الحق و الباطل و لا بين المؤمن و الكافر و لا بين الأمين و الخائن و لا بين الجاهل و العالم و لا يعرفون معروفًا و لا ينكرون منكرًا) انتهى كلامه.

قال الإمام ابن بطة – معلقًا على قول الفضيل -: (فإنا لله و إنا إليه راجعون، فإنا قد بلغنا ذلك و سمعناه و علمنا أكثره و شاهدناه، و لو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحًا، و بصرًا نافذًا، فأمعن نظره و ردد فكره، وتأمل أمر الإسلام و أهله، و سلك بأهله الطريق الأقصد و السبيل الأرشد، لتبين له أن الأكثر و الأعم و الأشهر من الناس قد نكصوا على أعقابهم، و ارتدوا على أدبارهم، فحادوا عن المحجة و انقلبوا عن صحيح الحجة، و لقد أضحى كثير من الناس يستحسنون ما كانوا يستقبحون، و يستحلون ما كانوا يحرّمون، و يعرفون ما كانوا يُنكرون). انتهى كلامه.

و الجملة الأخيرة من كلام ابن بطة، هي إشارة جليّة إلى فتنة ضغط الواقع، حيث ينضغط الكثيرون بضغط الواقع و من خلال طوق الجاهلية المحكم و الذي يحيط بالعبد من كل مكان إحاطة السوار بالمعصم، فيسعون و قد انكسرت قلوبهم و هُزمت نفوسهم و ناحت كواهلهم، تحت مطارق هذا الضغط العنيف لنفي تلك الاتهامات عن أنفسهم، بل و التبرؤ منها و من أصحابها و إظهار أنهم أصحاب منهج مغاير، يقوم على الاعتدال و الواقعية و الوسطية و ينبذ التشدد و المثالية الخيالية، و يلتقي مع الواقع القائم، فلا يحاربه أو يسعى إلى استبداله و إنما هو الإصلاح الرقيق و التغيير السلمي الذي ينطلق من هذا الواقع و يسايره، و يرجع إليه لا غير، و هم في سبيل ذلك يتكيفون في كل قالب، و يتطاوعون لكل ضاغط.

و لهذا المنهج الانهزامي التلفيقي سلسلة أليمة من المفردات و المظاهر المتعددات و التي يجمعها كلها كونها إفرازات ضغط الواقع الجاهلي، فمحاولة الالتقاء و الانسجام مع هذا الواقع و مسايرته و عدم الظهور بمظهر الخارج عليه هو مصدر هذه السلسلة من المفردات و مرجعيتها، و إن كان ذلك على حساب تطويع المحَكَّمات و القطعيات الثابتة بالكتاب و السنة و الإجماع لهذا الواقع بل و التجاسر على إدعاء النسخ فيها.

و من ذلك ما قرره بعضهم في تجاسر و جرأة على دين الله، يحار فيها العقل السليم، من أن

أحكام أهل الذمة قد نُسخت كليًا و جزئيًا، بما يعرف اليوم بأحكام المواطنة، و مهما قيل حول هذه السلسلة الأليمة من المفردات و المظاهر تبريرًا أو تفسيرًا، فليس لأصحابها من موقع في صفوف الطائفة المنصورة أبدًا.

و من أخطر نتائج الوقوع في هذه الفتنة، هو استمراء المنكر و اعتياده، حتى قد يزول إنكاره بالكلية من القلب نتيجة هذه المسايرة المنهجية للواقع و التي تؤدي إلى استمراء المنكر و الرضا به، بل قد يستقر في القلب استحسانه و الإنكار على من أنكره، إذ كل ما انضغط العبد و تراجع للوراء خطوة بفعل ضغط الواقع، ازداد استعداده للانضغاط و التراجع خطوات، و ما يزال به هذا النهج، حتى يصبح الانضغاط للواقع و التراجع و التنازل له خلقًا و دينا للعبد، و تضعف لديه إرادة الثبات بصورة مستمرة حتى تتلاشى تمامًا، و تصير لديه القابلية التامة للتنازل و التراجع عن كل شيء و أي شيء بسهولة و يسر.

قال سيد – رحمه الله –: (الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، و صاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزءٍ منها و لو يسيرًا، لا يملك أن يقف عند ما سلّم به أول مرة، لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء). انتهى كلامه [في ظلال القرآن / الإسراء / آية ٧٣-٧٥].

و قد تتعاظم فتنة ضغط الواقع، و تستفحل في نفوس البعض، حتى تكون سببًا في الوقوع في الكفر و الشرك الصراح، و قد أعلمنا الله سبحانه و تعالى أن هذه الفتنة كانت السبب الرئيس في وقوع الكثيرين في الكفر و الشرك، رغم ما قام لديهم من العلم بل و اليقين في صحة و صدق ما جاء به الأنبياء و الرسل.

قال تعالى حكاية عن قوم نوح – عليه السلام – أنهم قالوا ردّا عليه: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون:٢٤].

وحكى الله تعالى عن قول هود قولهم له: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [الأعراف:٧٠].

و قال تعالى عن قوم صالح: {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود:٦٢].

فنظائر هذه الآيات في القرآن كثيرة معلومة وكلها مصرحة أن العبد قد يخرج من الحق إلى الباطل خضوعًا لضغط الواقع و مسايرة للناس و لما هم عليه، حيث للجموع و الحشود الغفيرة و العادة المتأصلة و الإرث المتداول المحفوظ سطوة قوية و هيبة في نفوس الكثيرين؛ تدفعهم لمخالفة الحق و موافقة الباطل و الإذعان له.

و كأن حذيفة صاحب السر و خبير الفتن –رضي الله عنه– كان يشير إلى فتنة ضغط الواقع تلك، حين قال: (أخوف ما أخاف على الناس اثنتان: أن يُؤْثروا ما يرون على ما يعلمون، و أن يضلوا و هم لا يشعرون) .

أما أهل الطائفة المنصورة فهم يدفعون ضغط الواقع و لا ينضغطون له أو به، إذ عملهم هو في الأساس و المقام الأول: إخضاع الواقع لأمر الله و أطره عليه أطرًا و هم يقومون بذلك بفضل الله أولاً ثم بيقينهم و صبرهم ثانيًا، إذ فتنة ضغط الواقع هي فتنة الغربة بجوانبها المتعددة و مظاهرها المختلفة التي يعيشها أهل الطائفة المنصورة في سعيهم نحو إقامة أمر الله.

و قد كان الحسن –رحمه الله– يقول: (صدق الله و رسوله، باليقين طلبت الجنة، و باليقين هُرب من النار، و باليقين أُدّيَت الفرائض، و باليقين صبر على الحق، و في معافاة الله خير كثير، قد و الله رأيناهم يتقربون في العافية فإذا نزل البلاء تفارقوا) انتهى كلامه [الزهد لابن المبارك بنحوه].

فأهل الطائفة المنصورة يصبرون على غربة الطريق و لا يوحشهم قلة السالكين، و لهم في ذلك الأسوة التامة بخير خلق الله و صفوتهم من الأنبياء و الرسل –عليهم السلام–.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه و سلم يومًا فقال: (عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، و النبي معه الرجلان، و النبي معه الرهط، و النبي ليس معه أحد) [متفق عليه، البخاري ٥٤٢٠].

فقلة السائرين و غربة الطريق وتفرد السير من نهج الأنبياء و المرسلين في القيام بأمر الله، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (بدأ الإسلام غريباً و سيعود كما بدأ فطوبى للغرباء) [صحيح مسلم ١٤٥].

فنص النبي صلى الله عليه و سلم على أن الغربة هي أصل هذا الأمر، و أساسه و إليه يرجع.

و قال الطرطوشي – رحمه الله –: (و معنى هذا الحديث: أنه لما جاء الله بالإسلام، فكان الرجل إذا أسلم في قبيلته و حيّه غريبًا فيهم، مستخفيًا بإسلامه، قد جفاه الأهل و العشيرة، فهو بينهم ذليل حقير خائف، يتغصص بجرع الجفاء و الأذى، ثم يعود غريبًا لكثرة الأهواء المضلة و المذاهب المختلفة، حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس، لقلتهم و خوفهم على أنفسهم) انتهى كلامه.

و قال القرطبي – رحمه الله –: (إن قرنه صلى الله عليه و سلم إنما فضل لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم، لكثرة الكفار و صبرهم على أذاهم و تمسكهم بدينهم، و إن أواخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين و تمسّكوا به و صبروا على طاعة ربهم، في حين ظهور الشر و الفسق و الهرَج و المعاصي و الكبائر، كانوا عند ذلك أيضًا غرباء و زكت أعمالهم في ذلك الوقت، كما زكت أعمال أوائلهم، و مما يشهد لهذا قوله –عليه الصلاة و السلام–: (بدأ الإسلام غريباً و سيعود كما بدأ فطوبى للغرباء)) انتهى كلامه [تفسير القرطبي].

و أعظم ما تكون غربة الإسلام و أهله القائمين به علمًا و عملاً، دعوة و جهادًا، إذا ارتد الداخلون فيه عنه، و قد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة:٥٤].

فهولاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد تكون الغربة في بعض شرائعه، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة. ففي كثير من الأمكنة يخفي عليهم من شرائعه ما يصير به غريبًا بينهم، لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد.

ومع هذا، فطوبي لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله، فإن إظهاره، والأمر به، والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان.) انتهى كلامه [مجموع فتاوى شيخ الإسلام /فصل: حديث بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ].

و قال شمس الحق آبادي – رحمه الله –: (فطوبى للغرباء من أمتي، يريد المنفردين عن أهل زمانهم) [عون المعبود ٤٣٤١].

و قد وصف الشارع هؤلاء الغرباء بجملة من الأوصاف، منها: أنهم نزاع الناس، أو النزاع من

القبائل، و النزاع جمع نزيع و نازع، و هو الغريب الذي نزع عن أهله و عشيرته، و النزائع من الإبل الغِراب.

قال الهروي – رحمه الله –: (أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى.) انتهى كلامه [شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٥].

و جاء في وصف الغرباء:

أنهم الفرارون بدينهم، أو الذين يفرون بدينهم من الفتن، و أنهم أناسٌ صالحون قليل في أناس سوء كثير، و من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، و أنهم الذين يُصلِحونَ إذا فسد الناس، و أنهم الذين يتمسكونَ بكتاب الله حين يترك و يعملون بالسنة حين تُطفى، و أنهم الذين يحييون ما أمات الناس من سنة النبي صلى الله عليه و سلم، و هذه الأوصاف المختلفة من النبي صلى الله عليه و سلم للغرباء، و إن كانت تظهر من جهة عظم الدور الذي يقوم به هؤلاء الغرباء في أزمنة الغربة في القيام بأمر الله و الثبات عليه، فإنها من جهة أخرى تظهر عِظم غربة هؤلاء و شدّتها، و عظم صبرهم عليها، و قد نُقل عن سيد العباد بعد الصحابة (أويس القرني)، أنه قال: (إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقًا، نأمرُهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا، و يجدون في ذلك أعوانًا من الفاسقين، حتى و الله لقد رموني بالعظائم، و أيم الله لا أدعُ أن أقوم فيهم بحقه) [سنن أبي داوود ٤٣٤١].

فمن هذا الباب يرجع الإسلام غريبًا كما بدأ، لأن المؤالف فيه على وصفه الأوّل قليل، فصار المخالف هو الكثير، فاندرست رسوم السنة حتى مدّت البدع أعناقها فأشكل مرماها على الجمهور فظهر مصداق الحديث الصحيح كما بيّن ذلك الشاطبي، رحمه الله.

فقد ذكر الصادق المصدوق صلى الله عليه و سلم أن غربة القائمين بأمر الله، الثابتين عليه، قد تشتد و تستحكم إلى أن يصبح حال هؤلاء الغرباء كحال القابض على الجمر.

فعن أبي ثعلبة الخشني أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل القبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)، قالوا يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟ فقال صلى الله عليه و سلم: (**أجر خمسين منكم**) [نحوه في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي].

و في تشبيهه صلى الله عليه و سلم المتمسك بدينه الصابر عليه، بالقابض على الجمر، **دلالات هامة، منها**:

أولاً: شدة غربة الدين و شدة غربة أهله القائمين به.

ثانياً: شدة و عظم و هول ضغط الواقع على هؤلاء القائمين بأمر الله لصرفهم و فتنتهم عنه.

ثالثاً: عظيم صبر هؤلاء القائمين بأمر الله، و عظيم ثباتهم في هذه الغربة الحالكة.

رابعاً: أن اشتداد الغربة في الدين و أهله القائمين به إلى الدرجة التي تجعل العبد كالقابض على الجمر، ليس مبررًا للنكول و النكوص عن أمر الله و الحيدة عنه، و التفريط فيه، و أنّه ليس هناك غير الاستمرار في القبض على الجمر.

و لما قيل للإمام أحمد أيّام المحنة: (يا أبا عبد الله أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل، قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلال، و قلوبنا بعدُ لازمةٌ للحق).

خامساً: أن ضغط الواقع الشديد من هذه الغربة المستحكمة، لا يدفع بغير الصبر، لا بالأخذ في بُنيّات الطريق و العدول عن الجادّة، و لذلك كلّه نسب النبي صلى الله عليه و سلم هذه الأيام للصبر، و إنما نُسبت كذلك لأن العبد بدون الصبر، بل و الصبر العظيم الذي يضارع صبر القابض على الجمر، هيهات هيهات أن يسلَمَ له دينه، مع هذه المحن و الأهوال التي تحيط به من كل جانب، و قد جاء عن حذيفة – رضي الله عنه – أنه أخذ حجرين، فوضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: (هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا: يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً، قال: و الذي نفسي بيده، لتظهرن البدع حتى لا يُرى من الحق، إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور، و الله لتفَشُونَّ البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا: تُرِكت السنة).

و قال سهل بن عبد الله: (عليكم بالأثر و السنة، فإني أخاف أنه سيأتي عن قريب زمان، إذا ذكر إنسان النبي صلى الله عليه و سلم و الاقتداء به في جميع أحواله ذمّوه و نفروا عنه و تبرّأوا منه و أذلوه و أهانوه).

و ما أعجب كلمة هشام بن حسان حين قال: (ليأتينّ على الناس زمان يشتبِهُ فيه الحق و الباطل، فإذا كان ذلك لم ينفع فيه دعاء إلا كدُعاء الغرِق).

قال ابن القيم: (فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه و فقهًا في سنة رسوله و فهمًا في كتابه و أراه مالناس فيه من الأهواء و البدع و الضلالات، و تنكّبِهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجُهّال و أهل البدع فيه و طعنهم عليه، و إزرائهم به، و تنفير الناس عنه، و تحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه و إمامه صلى الله عليه و سلم، فأما إن دعاهم إلى ذلك، و قدح في ما هم عليه، فهنالك تقوم قيامتهم، و يبغون له الغوائل، و ينصبون له الحبائل، و يجلبون عيه بخيل كبيرهم و رجله) انتهى كلامه.

و من ثم؛ فمن رغب أن يكون من أهل الطائفة المنصورة، وسط هذه الغربة الحالكة بحيث يكون كما قال ابن القيم – رحمه الله –، رأسًا في ذلك، يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيّله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، و الطرق القواطع عنه، مقدام الهمّة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، و لا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائلٍ مع لذة المدح و لا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزّه المعارضات، شعاره الصبر و راحته التعب.

و مما يدفع به أهلُ الطائفة المنصورة فتنة ضغط الواقع أو فتنة الغربة: استعلاء الإيمان، حيث تمتلئ صدورهم و نفوسهم بالعزة التي جعلها الله لأهل دينه دون غيرهم، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء:١٣٩]، و قال تعالى: {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يونس:٦٥]، فالعزة كُلها لله وحده وليس لمن حادّ الله و رسوله و دينه فيها أدنى نصيب، و إن ملكوا أسباب السماء و الأرض، و قد قال تعالى في صفة أوليائه القائمين بدينه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة:٥٤].

فهم ينضحون بالعزة في وجه أعداء الدين و إن كانت لهم الغلَبة، و و إن كان لهم السلطان المادي، إذ العزة بالإسلام لا بغيره، و في مقابل وصف أهل الإيمان بالعزة، قال تعالى في حق

المحادّين له و لرسوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} [المجادلة:٢٠].

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (الإسلام يعلو و لا يُعلى) [حسن، صحيح و ضعيف الجامع الصغير].

و للحديث قصة ذات دلالة هامّة، فعن عائذ بن عمرو أنه جاء يوم الفتح مع أبي سفيان بن حرب، و رسول الله صلى الله عليه و سلم حوله أصحابه، فقالوا هذا أبو سفيان و عائذ بن عمرو، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (هذا عائذ بن عمرو و أبو سفيان، الإسلامُ أعز من ذلك، الإسلامُ يعلو و لا يُعلى)؛ فمجرّد تقديم اسم الكافر على اسم المسلم منافٍ لعلو الإسلام، بل مجرد العلو المكاني لا ينبغي أن يكون لغير أهل الإسلام، و إن كانت الدولة و الجولة لأعدائهم، ففي غزوة أحد و بعد أن دارت الدائرة على المسلمين، علت عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (اللهم إنهم لا ينبغي لهم أن يعلونا)، فقاتل عمر بن الخطاب و رهطُ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل.

و من اللطائف ما جاء في تفسير قوله تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} [آل عمران:١٥٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الغم الأول بسبب الهزيمة وحين قيل قتل محمد صلى اللّه عليه وسلم، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (اللهم ليس لهم أن يعلونا))؛ فمجرد علو الكفار المكاني على المسلمين، رغم كون الهزيمة من نصيبهم، و الدائرة عليهم مما يصيبهم بالهم و الغم، فالمسلم الحق تمتلئ نفسه و تفيض بكل معاني العلو المطلق، بما خصه الله تعالى و شرّفه به دون سائر خلقه، و إن كان في أبعد حالاته عن النصر و التمكين، و هذا ما ترسخ في نفوس الصحابة رضي الله عنهم.

فعن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام و معنا أبا عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة و عمر على ناقة له، فنزل عنها، و خلع خفيه، فوضعهما على عاتقه، و أخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: (يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا!! تخلع خفيك، و تضعهما على عاتقك، و تأخذ بزمام ناقتك و تخوض بها المخاضة، ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك)، فقال عمر – رضي الله عنه -: (أوّه، لو يقل ذا غيرك يا أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد صلى الله عليه و سلم؛ إنّا كنّا أذلّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) [المستدرك ٢٠٧].

و قد خاطب الله تعالى المؤمنين، عند الحديث عن ما نزل بهم من البلاء، و ما جرى لهم من

إدالة عدوهم منهم، فقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:١٣٩-١٤٢].

فنهى الله عباده المؤمنين عن الوهن و الحزن، رغم ما نزل بهم من البلاء و المحنة، و رغم أن الدائرة كانت عليهم و ذلك لكونهم هم أهل العلو و العزة ما كانوا متمسكين بدينهم و إيمانهم.

فأساس العلو العزة هذا الدين الذي أكرمهم الله به، و لا عبرة بعد ذلك بضعفهم المادي، و كون الصولة و الجولة لأعدائهم عليهم.

قال السعدي – رحمه الله -: (يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين ومقويا لعزائمهم ومنهضا لهممهم: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [آل عمران:١٣٩]، أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم ولا تحزنوا في قلوبكم عندما أصابتكم المصيبة وابتليتم بهذه البلوى فإن الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليكم وأعون لعدوكم عليكم بل شجعوا قلوبكم وصبروها وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم و قد ذكر تعالى أنه لا يليق بهم الوهن والحزن وهم الأعلون في الإيمان ورجاء نصر الله وثوابه فالمؤمن المبتغي ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي له ذلك ولهذا قال تعالى: {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩]) انتهى كلامه [تفسير السعدي].

فمن مقتضيات و لوازم كون أهل الإيمان هم الأعلون، عدم الوهن و الحزن و الانكسار في طلب الأعداء و مواجهتهم و إن اشتد ضغط الواقع على المؤمنين بكون الصولة و الجولة و الدولة لأعدائهم، فكيف بالتنازل و التراجع استجابةً لهذا الضغط.

و ذلك أن ترسخ هذه الحقيقة في قلب و نفس العبد المؤمن يورثه ثباتًا عظيمًا في مواجهة ضغط الواقع و إن اشتد و عظم، حيث يدرك المؤمن أنه الأعز و الأعلى، من كل ما حوله، رغم ضعفه المادي و تجرده من أسباب القوة المادية، كما يدرك أن ما يبوح للواقع الجاهلي من مظاهر العزة و العلو، و التي لها سطوة و هيبة على كثير من النفوس إنما هي مظاهر كاذبة خادعة، و إنما هذا العلو و العزة وهم و سراب لا حقيقة له.

و ختامًا نقول؛

إن من يعيش الواقع من خلال كتاب أو مطالعة لوسائل إعلام أو غيرها، فلا يمكن أن يحكم على الواقع الذي يعيشه المجاهدون بطريقةٍ صحيحة، فلا بد أن يعيش بينهم و يعرف همومهم و أفراحهم و أحزانهم، و هذا هو شأن النبي صلى اللّه عليه وسلم، فقد كان الأعرابي يدخل إلى المجلس فيسأل: أيكم محمد؟ لأنه صلى اللّه عليه وسلم كانت حياته بين أصحابه.

و لما فزع أهل المدينة ليلاً، انطلقوا قِبل الصوت، فتلقاهم النبي صلى اللّه عليه وسلم، و قد سبقهم إلى الصوت و هو على فرسٍ لأبي طلحة، ما عليه سرج، و في عنقه السيف، و هو يقول: (يا أيها الناس، لن تُراعوا).

فالذي يعايش الواقع عن بُعد، و لا يعيش تفاصيله، و لا يواجه نوازله و ابتلاءاته، فلا شك أنه سيبقى بمنأىً عن سهام أهل الكفر و انتقاداتهم، حسن السيرة نقي الصورة، و أما المجاهدون فإنهم يخوضون مع أعدائهم غمار الحروب، فطريقهم واضح المعالم و الأهداف، و هم في سيرهم إلى ربهم يوالون فيه و يعادون فيه، و يحبون فيه و يُبغضون فيه و حاديهم؛ اللهم لك العتبى حتى ترضى.

و هم في سيرهم غير مبرئين عن الأخطاء و المعائب، فإذا أصابتهم قروحٌ و ابتلاءات أو هزائم و جراحات، سلقهم القاعدون بألسنةٍ حداد، و نظّروا سبب هزيمتهم بما يرونه على طريقتهم، فليتهم كانوا في أوائل الصفوف، و خاضوا معهم غمار الحروب، و عاشوا الجهاد بحلوه و مرّه، و ما يتعرض له المجاهدون من ضغوطات تنوء بحملها الجبال، إذًا لو نَصَحوا و نظّروا لقبل منهم.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، و يذل فيه أهل معصيتك، و يؤمر فيه بالمعروف، و ينهى فيه عن المنكر،

اللهم ارفع الضيم و الذل عن هذه الأمة، و ارفع راية الجهاد في كل واد و باد،

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الرابع و الثلاثون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
لا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ

المُحاضَرَةُ الرابِعَة، وَ هِيَ بِعُنوان:

﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾

٤ رمضان ١٤٢٦ هـ
٧ أوكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فإن أي جماعة تنشد تغيير واقع الأمة وذلها وإعادة مجدها السالف وعزها، لا بد أن تمتلك في نفسها مجموعة من العوامل التي تؤهلها وتمكّنها من تحقيق بغيتها والوصول إلى غايتها وأُسُّ هذه العوامل وأصلها أن يكون لها خطاب دعوي ديني واضح المعالم، ثابت الأركان، يقوم على

أسس محكمة متينة تستمد منه الجماعة أسباب حياتها ومقومات استمرارها فإذا ما ترافق هذا الخطاب مع عمل جهادي منظّم التزم أفراده مقتضيات هذا الخطاب تأتّى للجماعة الحصول على ما تطلبه وتحقيق ما تنشده.

وإن المتتبع لسير العديد من الحركات الإسلامية المعاصرة ليتبيّن له بجلاء أن خطابها الديني مشوه في معالمه، غامض في مصطلحاته، فضفاض في عباراته وشعاراته وما ذاك إلا لابتعادهم عن استخدام المصطلح الشرعي في خطابهم واستبدالهم إياه بمصطلحات عصرية حادثة، يقطر منها منهج الانهزامية ويرشح منها سبيل التبعية الفكرية، فبتنا نسمع لفظ المقاومة وصراع الحضارات بدل الجهاد في سبيل الله، ولفظ المدنيين والأبرياء بدل الكفار والمحاربين، ولفظ الطرف الأخر بدل اليهود والنصارى، إلى غير ذلك من الألفاظ التي يطول ذكرها، والتي هي في حقيقتها سبيل إلى تفريغ المصطلحات الشرعية من مضمونها ودلالاتها التي أرادها الشارع الحكيم من وضعها.

إن حدود الشرع مبنية على فهم هذه المصطلحات، وإن الخلل في فهم هذه المصطلحات التي خاطبنا الشارع بها يؤدي إلى إفساد فهم المخاطبين بهذا الدين، ومن ثمّ إفساد عبادتهم لله رب العالمين، ويتضح ذلك بتأمل مصطلح الإيمان، فقد رتب الله سبحانه وتعالى على الإتيان به أمورًا وعلّق عليه وعودا، فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج:٣٨]

وقال سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} [النور:٥٥].

فالخلل والجهل في فهم معنى الإيمان عن شرع الله قد يؤدي بالمرء إلى تكذيب القرآن أو الشك في موعوده حيث لم يتحقق هذا الوعد.

ولذا كان الخطاب الدعوي للمجاهدين أهل الطائفة المنصورة يقوم على المصطلح الشرعي في مخاطبة المدعوّين لا غيره ما أمكن ذلك، وذلك أن المصطلح الشرعي هو الأقوم والأهدى لما وضع له.

أما غيره من المصطلحات المخترعة الموّلدة فلا يؤمن معها الزلل والخلل لكونها من نِتاج العقول غير المعصومة فضلا عما فيها من إعراض عن هدي الكتاب والسنة وما ورد عن سلف هذه الأمة، فكان التمسك بهذه المصطلحات المبتدعة والشغف بها والتنافس فيها ليس له من مبرر

غير اتباع الهوى مع التسليم بأنه استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأهل الطائفة المنصورة يعتصمون بالكتاب والسنة لفظًا ومعنى، فكما يعتصمون بمعاني الكتاب والسنة خوف الزيغ والضلال كذلك يعتصمون بألفاظهما خوف الزيغ والضلال.

إذ الزيغ والضلال كما يعرض من جهة المعاني فإنه يعرض كذلك من جهة الألفاظ والمباني، بل الألفاظ بوابة المعاني ومدخلها وقوالبها التي تصب فيها، فما لم تكن تلك الألفاظ محكمة للحق جامعة وللباطل مانعة فستكون مدخلا للزيغ والضلال.

إذ الألفاظ للمعاني أئمّة، وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، ولذا فأهل الطائفة المنصورة يقصدون الألفاظ الشرعية ليضبطوا بها تلك المعاني فلا يشذّ عنهم منها شيء.

قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣].

فنص تعالى على أنه قد أكمل لنا الدين وأحكمه، وهذا الكمال شامل للمعاني والمباني، فالإعراض عن استعمال المصطلح الشرعي فيه انتقاص لهذه الشريعة الغراء.

ويقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء:٩].

وهذه الهداية هداية مطلقة، فهو يهدي للتي هي أقوم معنًى ومبنًى، وذلك في كل زمن من الأزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد نفى سبحانه وتعالى العِوج عن كتابه فقال سبحانه: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر:٢٧-٢٨].

قال ابن كثير: (وقوله جلَّ وعلا: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر:٢٨] أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه، ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله اللّه تعالى كذلك، وأنزله بذلك {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر:٢٨] أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد) انتهى كلامه رحمه الله.

فكان الخطاب الدعوي المبني على المصطلح الشرعي خطابًا دعويًا غير ذي عوج، وبالمقابل يكون الخطاب الدعوي المبني على غير المصطلح الشرعي خطابًا دعويًا ذا عوج وإن ظن أصحابه أنهم قد اعتلوا ذروة سنام الفصاحة وامتلكوا ناصية البيان.

إن أهل الطائفة المنصورة يدركون بأن الشرع في استخدامه لمصطلحات دون غيرها قد أعطى هذه المصطلحات معاني ودلالات خاصة، وما ذاك إلا رغبة في ربط هذه المعاني والدلالات بتلك المصطلحات، بحيث إذا تم التعبير عن هذه المعاني والدلالات بغير تلك المصطلحات واستبدالها بمصطلحات محدثة لم يفد ذلك قطعًا أين ما أراده الشرع من معاني ودلالات نفيًا وإثباتًا.

ومن اليقين عند أهل الطائفة المنصورة أن ربط الشرع لمعنى من المعاني بمصطلح ما يعني أن هذا المصطلح هو وحده الأجدر والأصلح في التعبير عن هذا المعنى مهما تبدلت الأحوال وتغيرت الأزمان، إذ هذا الدين تنزيل رب العالمين.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه فإنه يتضمن الحكم و الدليل مع البيان التام وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحري حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص واشتقوا لهم ألفاظا غير ألفاظ النصوص فأوجب ذلك هجر النصوص، ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان فتوّلد من هجران ألفاظ النصوص والإقبال على الألفاظ الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب ولما كانت هي عصمة عهدة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك، ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُئِلوا عن مسألة يقولون قال الله كذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، أو فعل رسول الله كذا، ولا يعدلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلا قط، فمن تأمل أجوبتهم وجدها شفاء لما في الصدور). انتهى كلامه رحمه الله [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

وكلام ابن القيم هذا، وإن كان نصا في حق المفتي فإنه شامل كذلك للداعية بجامع التبليغ عن الله لدينه وشرعه، مع ما في كلامه رحمه الله من عموم ضرر هجر ألفاظ النصوص.

وقال ابن القيم: (فلما طال العهد وبعُد الناس من نور النبوة، صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه قال الله وقال رسول الله). انتهى كلامه رحمه الله [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

وقد قال الغزالي وهو يتحدث عن بيان ما بدل من ألفاظ العلوم قال: (اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معانٍ غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول). انتهى كلامه رحمه الله. [إحياء علوم الدين/ كتاب العلم]

وقال ابن حزم في حديثه عن الألفاظ الدائرة بين أهل النظر: (هذا باب خلّط فيه كثير ممن تكلم في معانيه وشبك بين المعاني وأوقع الأسماء على غير مسمياتها ومزج بين الحق والباطل فكثر لذلك الشغب والإلتباس وعظمت المضرة وخفيت الحقائق) انتهى كلامه رحمه الله.

وهذه الصورة التي أشار إليها كل من الغزالي وابن حزم رحمهم الله تعالى لا شك أنها من أخطر صور تحريف حقائق الدين وتغيير مفاهيمه، حيث يتم تجريد المصطلح الشرعي من معناه الحق وإسقاطه على معنى آخر غير ما وضع له، ثم ترويجه بهذا الآخر الجديد بغية التحريف والتبديل، فإذا انضاف إلى ذلك الاستعاضة بالكلية عن المصطلح الشرعي بمصطلح آخر محدث تأكدت الخسارة؛ لانقطاع الصلة بالأصل الذي من خلاله وحده يكون تصحيح المعنى أو تقويم اللفظ، وقد يكون هذا المصطلح الجديد مما زخرفه أصحابه وحسّنوه، ببهرج القول وزخرفه، تمويهًا وتمريرًا لما في باطنه من باطل، فينخدع به أسرى الظاهر ممن يعميهم الشكل عن المضمون فيروج عليهم باطله فيهلكون.

قال ابن القيم رحمه الله: (بل من تأمل المقالات الباطلة والبدع كلها وجدها قد أخرجها أصحابها في قوالب مستحسنة وكسوها ألفاظًا يقبلها بها من لم يعرف حقيقتها، فلا إله إلا الله كم ها هنا من مزلة أقدام ومحل أوهام؟ وما دعى محق إلى حق إلا أخرجه الشيطان على لسان أخيه ووليه من الإنس في قالب تنفر عنه خفافيش البصائر وضعفاء العقول وهم أكثر الناس، وما حذر أحد من باطل إلا أخرجه الشيطان على لسان وليه من الإنس في قالب مزخرف يستخف به عقول ذلك الضرب من الناس فيستجيبون له، وأكثر الناس نظرهم قاصر على الصور لا يتجاوزونها إلى الحقائق فهم محبوسون في سجن الألفاظ مقيدون بقيود العبارات كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام:١١٢-١١٣]. انتهى كلامه رحمه الله [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

ولعل خير مثال لما ذكره هؤلاء الأئمة ما يروّج له في هذه الأزمان، وهو ما اصطلح عليه الناس من تسمية الكفار والمشركين غير العسكريين بالمدنيين، وعليه فلا يجوز عندهم استهدافهم بالقتل أو التعرض لهم، وهذا المصطلح وما ترتب عليه من أحكام باطل منقطع النسبة والنسب لشرع الله ودينه لفظا ومعنى؛ لأن ميزان التفريق في الإسلام لا يقوم بين مدني و عسكري، وإنما يقوم على أساس التفريق بين المسلم والكافر.

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن:٢].

فالمسلم معصوم الدم أيًّا كان عمله ومحله، والكافر مباح الدم أيًّا كان عمله ومحله، ما لم يكن له عهد أو أمان.

وقد قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:٣٩].

قال ابن العربي: (سَبَبَ الْقَتْلِ هُوَ الْكُفْرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [الأنفال:٣٩]؛ فَجَعَلَ الْغَايَةَ عَدَمَ الْكُفْرِ نَصًّا، وَأَبَانَ فِيهَا أَنَّ سَبَبَ الْقَتْلِ الْمُبِيحَ لِلْقِتَالِ [هو] الْكُفْرُ). انتهى كلامه رحمه الله [أحكام القرآن لابن العربي].

قال ابن كثير رحمه الله: (وقد حكى ابن جرير الإجماع على أن المشرك يجوز قتله إذا لم يكن له أمان، وإن أمّ البيت الحرام أو بيت المقدس). انتهى كلامه رحمه الله [تفسير ابن كثير].

قال الشوكاني: (فالمشرك سواء حارب أولم يحارب مباح الدم مادام مشركا). انتهى كلامه.

فكل أهل الأرض مع الإسلام ثلاثة أقسام لا رابع لها:

القسم الأول: أهل الإسلام المنتسبون له.

والقسم الثاني: المسالمون للإسلام، المهادنون لأهله بذمة أو هدنة أو أمان.

وهذان القسمان دماؤهم وأموالهم معصومة إلا أن يأتي أحدهم بما يباح به دمه، أو ماله بحكم الشرع.

والقسم الثالث: وهم كل ما عدا ذلك من أهل الأرض فكل كافر على وجه الأرض لم يسا لم الإسلام ولم يهادن أهله بذمة أو هدنة أو أمان فهو كافر محارب لا عصمة له مطلقا ما لم يكن ممن نهي عن قتله ابتداءً كالصبيان والنساء.

فالكفر و إباحة الدم والمال قرينان لا ينفكان في دين الله وشرعه، ولا يعصم من ذلك إلا من عصمه الإسلام بذمة أو هدنة أو أمان.

وكذلك مفهوم الجهاد في الإسلام، الذي يتعرض لأعتى هجمات التشويه، من قبل أعداء الدين من مستشرقين ومستغربين وعلمانيين وغيرهم، بدعوى أنه مفهوم يتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان التي شرعوها، وأنه إنما يعني: سفك الدماء ونشر القتل وإحداث الدمار.

وقد تأثر بهذه الحملة التغريبية كثير من المسلمين حتى باتوا يستحيون من ذكر هذا المصطلح العظيم، خشية اتهامهم بالإرهاب واستبدلوه بمصطلحات فضفاضة لا تؤدي ما أراده الشارع من هذه الكلمة العظيمة، استبدلوه بلفظ المقاومة وحق الدفاع عن النفس، وغير ذلك من الألفاظ التي شرعتها وأقرتها دساتير الأمم المتحدة وغيرها.

مجاراةً منهم للتيار الجارف من العلمانيين والليبراليين الجدد رموزًا وكتّابًا وأدباء و صحفيين وباحثين وغيرهم، مما رجع سلبًا على الجهاد وأهله، حيث أدى ذلك إلى إدخال جماعات و أحزابٍ وفصائل لا تمت إلى الجهاد بصلة في مدلول هذا المصطلح العظيم، كحزب الله الرافضي وحركة فتح العلمانية وغيرهما بل إنه يدخل في هذه الألفاظ من ليس من هذه لملة الغراء، كالجيش الإيرلندي، والحركة الشعبية الصليبية، والجبهة الشعبية الشيوعية و غيرها.

وذلك بجامع أن كل من يدفع عن بلاده العدو الصائل يسمى مقاومًا، وكل من يقاتل محتلاً يسمى مقاومًا، أما لفظ الجهاد ومصطلحه فهو أعمق وأوضح وله مدلولاته وأبعاده العظيمة في نفوس أبناء الأمة.

فعندما يطلق لفظ الجهاد يخرج منه كل من لم يقاتل في سبيل الله، سواء قاتل لعصبية أو قومية

أو وطنية أو لمال أو منصب أو جاه أو أرض أو غيرها، وإن صُبغ ذلك ببعض الشعارات الإسلامية زورًا وبهتانًا.

فإن قيل: يا فلان لقد حجرت واسعًا، قلت: لعمر الله ليس كذلك، بل هو دين الله وشرعه، ولكن أنتم ممن ميع دين الله وجعله كثوب السابري.

روى البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأي ذلك في سبيل الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). [متفق عليه، صحيح مسلم ١٩٠٤]

ومثل هذا المصطلح ما فتن به كثير من رجالات الدعوة اليوم وظنّوه طريقا للتمكين لدين الله وشرعه، ورموا كل من لا يوافقهم عليه بكل نقيصة، وهو ما يعرف اليوم بعلم السياسة، المأخوذ عن كفرة الغرب والشرق، و فتنته اليوم كفتنة علم الكلام، يوم أن ظهر للصد عن دين الله الحق، والإعراض عن هدي الكتاب والسنة وكلاهما مما جاءنا من كفرة الغرب أساسًا مع فسادهما في أنفسهما.

قال ابن القيم: (وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة، كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى عقل ونقل، وكل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة والعقل؛ **كل ذلك ينقسم إلى قسمين:**

صحيح وفاسد.

فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسيم لها، والباطل ضدها ومنافيها وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها، وهو مبني على حرف واحد، وهو عموم رسالته صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده). انتهى كلامه رحمه الله [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

وقال طاشقبردانه في مفتاح دار السعادة: (وأما الذين يقولون لا بد للشرع من انضمام السياسة فهذا خطأ الجهلة والعوام، إذ الشرع لا يحتاج إلى غيره ومضمون قولهم هذا أن الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة فاحتجنا إلى تتمة من أرائنا وكيف يحتاج الشرع إلى السياسة والأنبياء تكمل

بهم أمور الدارين، وما يصلح به البشر كلية علميا وعمليا و ذوقيًا وكشفيًا وشهودًا سيما ولا أكمل ولا أفضل من ما نطق به خير البشر وأشار إليه سيد الأنبياء حتى لو اجتمع عقول العقلاء وفهوم الحكماء والأصفياء لم يقدروا المزيد عليها ولو بجزء من ألف ألف جزء من ذرة صغيرة).انتهى كلامه رحمه الله.

وإنما أعرض من أعرض عن الكتاب والسنة هنا فتنة بهذه الجهالات أولاً ثم جهلا بالكتاب والسنة وما فيهما من خير وهدى ورشاد ثانيًا، ومن جهل شيئا عاداه.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل، أو عجز، أو غرض فاسد) . انتهى كلامه رحمه الله [إعلام الموقعين عن رب العالمين].

ولا والله ما كان المسلمون في حاجة لما يسوسون به دنياهم بما يحقق لهم خير الدين والدنيا بشيء خارج عن الكتاب والسنة وهم من أقام أعظم مملكة عرفها تاريخ البشر قاطبة سياسة ونظامًا وحكما وعدلا،وكيف للمسلمين أن يستبدلوا بالكتاب والسنة غيرهما وهما ما أنزلا أصلاً إلا لسياسة الدنيا بشرع الله المطهر.

وقد قيل:

جميع العلم في القرآن لكن * تقاصر عنه أفهام الرجال**

وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من أراد العلم فليقرأ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين).

وقد أحسن القائل:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة * إلا الحديث وإلا الفقه في الدين**
العلم ما كان فيه قال حدثنا * وما سواه فوسواس الشياطين**

قال شيخ الإسلام: (العلماء إذا أقاموا كتاب الله وفقهوا ما فيه من البينات التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح،وأقاموا حكمة الله التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم وهي سنته، لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط

بعلم عامة الناس وليميزوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة، حيث يقول عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة:١٤٣]، وليستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون من الحجج الفاسدة التي يزعم الكلاميون أنهم ينصرون بها أصل الدين ومن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يتمّون به فروع الدين).انتهى كلامه رحمه الله.

وقال رحمه الله: (المقصود أن يُعرف أن الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء، فما ظهر فيمن بعدهم مما يظن أنها فضيلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فإنها من الشيطان، وهي نقيصة لا فضيلة، سواء كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات، أو من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السياسة والملك، بل خير الناس بعدهم أتبعهم لهم). انتهى كلامه رحمه الله [مجموع الفتاوى / الزيارة وشد الرحال إليها].

بل إن القرآن الكريم قرر لنا قاعدة هامة وهي عدم جواز استخدام المصطلح الذي قد يوهم معنى باطلاً وإن كان هذا المعنى الباطل غير مرادف لهذا المصطلح أصلا بل ولم يخطر ببال المتكلم فكيف بما هو فوق ذلك من المصطلحات المتضمنة للمعاني الباطلة في أصل وضعها.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:١٠٤].

قال السعدي رحمه الله: (كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: (**راعِنا**)؛ أي: راع أحوالنا فيقصدون بها معنى صحيحا وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول بذلك ويقصدون المعنى الفاسد فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سدًا لهذا الباب). انتهى كلامه رحمه الله [تفسير السعدي].

ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يقولن أحدكم للعنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم). [قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٧١٠ في صحيح الجامع]

قال الخطابي رحمه الله: (إنما نهاهم عليه السلام عن تسمية هذه الشجرة كرمًا لأن هذا الاسم مشتق عندهم من الكرم، والعرب تقول رجل كرم بمعنى كريم وقوم كرم أي كرام، فأشفق صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم حسن أسمائها إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها. فسلبها هذا الاسم وجعله صفة للمسلم الذي يتوقى شربها ويمنع نفسه الشهوة فيها عزّة وتكرّمًا). انتهى

كلامه رحمه الله.

وقال ابن القيم: (ومن عرف سر تأثير الأسماء في مسمياتها نصرةً وميلاً عرف هذا، فسلبها النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاسم الحسن وأعطاه ما هو أحق به منها وهو قلب المؤمن). انتهى كلامه رحمه الله.

والناظر في تاريخ الإحداث في دين الله يجد أن المصطلحات المجملة التي قد يُفهم منها معان بعضها حق وبعضها باطل، كانت هي من أهم طرائق المبتدعة لإبطال الحق وإحقاق الباطل تسترًا خلفها ولوذًا بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب و لا في السنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليست على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنكره.

ثم التعبير عن تلك المعاني، إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها؛ بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛ فإن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة). انتهى كلامه رحمه الله [مجموع الفتاوى / فصل في المراد بلفظ الحروف].

فالنجاة هي في التمسك بما جاء به الشرع وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فنطلق ما أطلقوا من الألفاظ والمصطلحات ونسكت عما عنه سكتوا.

قال أبو حامد الغزالي: (ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر).انتهى كلامه رحمه الله [إحياء علوم الدين / كتاب قواعد العقائد].

إن قضية المصطلح في الخطاب الدعوي قضية عظيمة الأهمية جدًا، إذ المصطلح يتجاوز صورته الظاهرة كمجموعة حروف أو كلمات بما هو أكثر أبعادًا وأعظم غورًا ذلك أن المصطلح في خطاب الداعية هو المعبر الأول عن الهوية، كما أنه المعبر عن درجة الانتماء لهذه الهوية فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله و اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلُق والدين تأثيرا قويًا بينًا ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخُلُق). انتهى كلامه رحمه الله.

ومن ثم كان التمسك بالمصطلح الشرعي علامة على زيادة العقل والدين والخُلُق مع كونه في الوقت نفسه علامة على الاستعلاء والاعتزاز بالموروث الأصيل، وعدم التبعية الممقوتة والضعف والانهزامية للوافد الدخيل.

وهذه الأمور كلها من أظهر مقومات صحة الأمة وعافيتها، ودلائل قوتها وثقتها بنفسها فضلاً عن كونها صفات ذاتية للطائفة المنصورة.

ثم إن أهل الطائفة المنصورة في دعوتهم الخلقة للحق لا يخاطبونهم بلغة مجملة مضطربة هروبًا من التصريح بما يجب التصريح به كما لا يخاطبونهم بتكلفٍ وتقعرٍ مذموم، أو بمصطلحات مولّدة غريبة، قد تحمل من الباطل أكثر مما تحمله من حق فضلا عما فيها من هجر للمصطلحات الشرعية، وهم في ذلك كله ينطلقون من القرآن الكريم ذلك الكتاب المعجز فخطابهم الدعوي خطاب قرآني في لغته كما أنه قرآني في مضمونه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فأمرنا الله تعالى بأن نقول قولاً سديدًا والقول السديد هو ما كان سديدًا في معناه سديدًا في مبناه تبعًا للمخاطب به وأسدُّ القول وأحسنه قول الله سبحانه وتعالى الذي أنزل للناس كافة.

إن الخطاب الدعوي لأهل الطائفة المنصورة يتميز عن غيرهم بميّزات منها:

أولاً: عدم التكلف في العبارة؛ فالتكلف مذموم مطلقا وقد جاءت الشريعة بالنهي عنه، ومن أسوأ التكلف التكلف في الخطاب الدعوي بتشديق الكلام والتقعر به والتفاصح فيه والولع بالتراتيب اللغوية المتكلفة والتفنن فيها والاهتمام الزائد بها، والذي يصل في أحيان كثيرة إلى التفريط في المضمون لصالح الشكل مع ترك الاسترسال السلس في العبارة، والكلمات قريبة التداول سريعة الوصول للعقول والقلوب شغفًا بهذه التراكيب لدعم البلاغة والرصانة في العرض والعمق والجدية في الطرح وليس هذا من ذاك في شيء.

فالقرآن الكريم وهو مقياس الفصاحة والبلاغة سهل المأخذ، داني القطاف ينساب في عذوبة واسترسال إلى القلوب والعقول بغير تكلف.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه مُ بين فقال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة:١٥].

وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

قال ابن كثير: (وقوله تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء:١٩٥] أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، (أنزلناه) باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة). انتهى كلامه رحمه الله [تفسير ابن كثير].

فسهولة الخطاب ويسره مع وضوح المقصود وظهوره لا تعني الركاكة، كما أن التكلف وليّ الألفاظ لا يعني البلاغة والبيان، والنبي صلى الله عليه وسلم هو أفصح من نطق بالضاد وقد أوتي جوامع الكلم وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالبلاغ المبين.

فقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [التغابن:١٢].

فبلغ صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين مع امتلاكه ناصية الفصاحة، واعتلائه صهوة البلاغة والبيان ومع هذا كله فأحاديثه وأقواله صلى الله عليه وسلم أبعد ما تكون عن التكلف والتعمق في لفظها ونظمها وتراكيبها.

قالت عائشة رضي الله عنها: (كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً، يفهمه كل من سمعه).

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني الثرثارون المتفيقهون المتشدقون).

قال المناوي: (**الثرثارون**: الذين يكثرون الكلام تكلفا وتشدقا والثرثرة: كثرة الكلام وترديده، **والمتفيقهون**: أي الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ويتفصحون فيه، **والمتشدقون**: الذين يتكلمون بأشداقهم ويتقعرون في مخاطبتهم).انتهى كلامه رحمه الله [فيض القدير].

فَهمُّ أهل الطائفة المنصورة الأكبر في دعوتهم الخلق إلى الحق هو إيصال هذا الحق إلى القلوب والعقول لتعقل عن الله دينه وشرعه لا لإبراز القدرات اللغوية والمهارات الأدبية والتصرف في فنون القول مما يخرج بالدعوة عن هدفها ومقصودها الأساس، والمتأمل في كتبه ورسائله صلى الله عليه وسلم، التي كان يرسلها للدعوة، يجد فيها التركيز على إيصال الدعوة للغير والإفصاح عن مقصودها دون تكلف لفظ أو ترتيب وإنما هو وضوح المقصد وسلاسة العبارة وقوة المنطق ونفاذ المعنى، و على هذا جرى خير من حمل هذا الدين في دعوة الناس إليه.

قال الشاطبي رحمه الله: (وعلى هذا النحو مر السلف الصالح في بث الشريعة للمؤالف والمخالف ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكام التكليفية علم أنهم قصدوا أيسر الطرق وأقربها إلى عقول المخاطبين و الطالبين لكن من غير ترتيب متكلف ولا نظم مؤلف بل كانوا يرمون بالكلام على عواهنه، ولا يبالون كيف وقع الكلام في ترتيبه إذا كان سهل المأخذ قريب الملتمس).انتهى كلامه رحمه الله [الموافقات].

ثانيًا: البعد عن الإجمال الملبس؛ الذي يوقع المدعو في الحيرة والتخبط، فلا يدري معه ما الذي يريده الله منه، فقد أنزل الله تعالى كتابه مفصلا خاصة فيما يتعلق بأصل الدين من الإيمان والتوحيد وما يتعلق بما يجب فعله وما يجب تركه من الواجبات والمحرمات، فكان الإجمال في هذه المواضع عند العلم بالتفصيل من الكتمان الذي حرمه الله وتوعد صاحبه.

قال تعالى: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [الأنعام:١٢٦]

قال السعدي رحمه الله: (أي: معتدلا، موصلا إلى الله، وإلى دار كرامته، قد بينت أحكامه، وفصلت شرائعه، وميز الخير من الشر). انتهى كلامه رحمه الله.

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} [التوبة:١١٥].

فالتفصيل لمسائل الدين الكبار ومسائله الأصلية مانع من الضلال ووقاية من الإنحراف.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (الحلال بيِّن و الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا و إن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) [متفق عليه: صحيح البخاري / باب فضل من استبرأ لدينه / ٥٢].

وهذا الإجمال غالبًا ما يكون دافعه الجهل أو إيثار السلامة وكلاهما مما لا يتحقق معه وضوح وبيان الخطاب الدعوي، وإن المتأمل لحال أهل العلم في عصرنا ليلمس أن إيثار السلامة هو السمة العامة لكثير منهم إلا من رحم ربي، فكثر الإجمال في مقالهم وعمّ التلبيس في كتاباتهم، وسكتوا عن ظلم الطواغيت وتنكيلهم بأهل الحق الصادعين بالصدق، وليتهم إذ جبنوا عن الصدع بالحق كفوا ألسنتهم وأمسكوا أقلامهم عن الطعن في أهل الحق المجاهدين الذين عقدوا على عاتقهم نصرة هذا الدين وتبليغه للعالمين.

وقد نص العلماء على أن الإجمال فيما حقُّه التفصيل والبيان هو من زلة العالم التي تُحذر ويحذّر منها والتي يتولد منها شر مستطير وفساد عظيم.

قال المناوي: (احذروا زلة العالم اي احذروا الإقتداء فيه فيها ومتابعته عليها، ثم ذكر أمثلة لذلك ومنها: تسارعه إلى الجواب من رأس القلم أو اللسان و إجماله في محل التفصيل والبيان، فهذه ذنوب يتبع العالم فيها العالم، فيموت العالِم ويبقى شره مستطيرًا في العالم) انتهى كلامه رحمه الله [فيض القدير / شرح حديث ٢٤٤].

اللهم ارزقنا أن نكون بكتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم من المتمسكين وبحقهما من القائمين وإليهما من الداعين وعنهما من المنافحين.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الخامس و الثلاثون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
لا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ

المُحاضَرَةُ الخامِسَة، وَ هِيَ بِعُنوان:

(وَ اللّٰهُ أحقُّ أنْ تَخشَوْهُ)

١١ رمضان ١٤٢٦ هـ
١٤ أوكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ اللّه)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فإنَّ المتأمِّلَ في أحوالِ أُولي الأمر من العُلماءِ والأمراء ليجدُ أنَّ مراتبهم في نفوسِ الخلقِ تتفاوت، سُموًّا ورفعة، وخفضًا وضعَة، بحسب اقتران فعالهم بأقوالهم، فإن النفوس فطرت على تعظيم وتقدير من أتبع قوله فعله، والعكس بالعكس.

ولذا كان اقتضاءُ القول العمل أحد الأسس التي تقوم عليه الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة، إذ هو دليل صدق الدعوة، ودليل صدق أصحابها، وعلامة يقينهم في ما يدعون الناس إليه، بل هو ذاته دعوةٌ أبلغ من دعوة القول، إذا قد فطر الله النفوس على أن تستجيب للسان الحال أعظمَ من استجابتِها للسان المقال، ولذا فكل ما اتسعت مسافة الخُلفِ بين القول والعمل كلما قل تأثير القول في المدعوين، فكان عي الفعال كعي المقال، بل هو أشد.

وقد نهى الله تعالى عن مخالفة العمل للقول، فقال سبحانه: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة:٤٤].

قالَ القُرطبي: (هَذَا اِسْتِفْهَام معناه التَّوْبِيخ، وَالْمُرَاد فِي قَوْل أَهْل التَّأْوِيل عُلَمَاء الْيَهُود، قَالَ اِبْن عَبَّاس (كَانَ يَهُود الْمَدِينَة يَقُول الرَّجُل مِنْهُمْ لِصِهْرِهِ وَلِذِي قَرَابَته وَلِمَنْ بَيْنه وَبَيْنه رَضَاع مِنْ الْمُسْلِمِينَ اُثْبُتْ عَلَى الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَمَا يَأْمُرك بِهِ هَذَا الرَّجُل يُرِيدُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ أَمْره حَقّ فَكَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاس بِذَلِكَ، وَلَا يَفْعَلُونَهُ))

و قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف:٢-٣]

قال السعدي: (أي: لم تقولون الخير، وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه. وتنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به. فهل تليقُ بالمؤمنين، هذه الحالة الذميمة؟. أم مِن أكبرِ المقت عند الله، أن يقول العبد ما لا يفعل؟. ولهذا ينبغي للآمر بالخير، أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر، أن يكون أبعد الناس عنه) اهـ. [تفسير السعدي على سورة الصف]

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (فمن وافق قولُه فعلَه فذاك الذي أصابَ حظه، ومن خالف قولُه فعله فذاك إنما يوبخ نفسه).

ومن حديث أسامةَ بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: (كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه). [البخاري ٣٠٢٧، أحمد

٢٠٧٨٥]

وعن أنس رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت ليلة أسري بي رجالا تُقرض شفاههم بمقارض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون) [ابن حبان]

وقد ترجم ابن حبان رحمه الله لهذا الحديث بقوله: (ذكر وصف الخطباء الذين يتكلون على القول دون العمل حيث رآهم صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به، فكان مَثَل من خالف عمله قوله كحامل لثياب الناس يغسلها وثوبه غارقٌ في الرجس والدنسِ).

ولقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام يدعون الناس بأفعالهم قبل دعوتهم إيَّاهم بأقوالهم، فكانوا عليهم السلام أولَ مبادر لما يأمرون به، وأوّلَ منتهٍ عما ينهون عنه.

قال تعالى عن شعيبٍ عليه السلام أنه قال لقومه: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود:٨٨]

قال ابن جرير: (يَقُول: وَمَا أُرِيد أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْ أَمْر ثُمَّ أَفْعَل خِلَافه، بَلْ لَا أَفْعَل إِلَّا مَا آمُرُكُمْ بِهِ وَلَا أَنْتَهِي إِلَّا عَمَّا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) [تفسير الطبري]

وتأمّل مليًّا قوله تعالى في قصة نبيه الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسُفَ عليه السلام: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف:٣٦] فرؤيتهما له عليه السلام من المحسنين هي التي دعتهما للركون إليه والثقةِ في قوله، فكان حاله عليه السلام أسبق وأسرع وأشد في التأثير في نفسهما من مقاله، بل كان هذا الحال هو الأساس الذي قامت عليه دعوة المقال بعد ذلك.

إن للفعل تأثيرًا في النفوس يفوق تأثير القول المجرد مما يجعل استجابتها للفعل أكثر من استجابتها للقول، وقد قامت الدلائل الكثيرة على ذلك، منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني اتخذتُ خاتمًا من ذهب فنبذه، وقال إني لن ألبسه أبدا فنبذ الناس خواتيمهم) [البخاري ٦٧٥٤].

وقد استنبط أهل العلم من هذا الحديث؛ أن الفعل أبلغ من القول.

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء في قصة صُلح الحديبية، وفيها: (فلما فُرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالِقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالِقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلِقُ بعضا). [البخاري ٢٥٢٩]

وقد انتزع أهلُ العلم من هذا الحديث أن البيان بالفعل أقوى من البيان بالقول، وقال الإمام مالك: بلغني أن القاسمَ بن محمد كان يقول (أدركت الناس وما يُعجبون بالقول)، قال مالك: (يريد بذلك العمل، إنما يُنظر إلى عمله ولا ينظر إلى قوله). أ.هـ.

ومن المعلوم أن مخالفة العملِ للقول مما يؤدي إلى أعظم ما يكون من الفساد والفتنة في الدين، حيث يختلط عند الناس الحق بالباطل بل ويكون الدين في أعينهم في صورة شديدة، من جراء ما يرونه من مفارقة العمل للقول في واقع حَمَلة الدين ورجاله المتحدثين باسمه.

وما أفقه قول بوهيفٍ حيث قال؛ ضرب مثل لعلماء السوء فقيل: (إنما مثل عالم السوء كمثل الحجر بالساقية، فلا هو يشرب الماء، ولا هو يُخلِ الماء الى الشجر فتحيا به). أ.هـ

قال ابن القيم (علماء السوء جلسوا على أبواب الجنة يدعون إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلمّوا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا؛ كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدِلاَّء، وفي الحقيقة قطاع طرق) اهـ. [الفوائد]

ولذا فإنَّ أبصارَ المدعوين شاخصةً نحو الدعاة تحصي عليهم كل شيء وإن دق، إذ لما نصَّبوا أنفسهم لدعوة الناس؛ نصَّب الناسُ إليهم وجوههم.

وقد قال تعالى في حقِّ أُمَّهات المؤمنين رضي الله عنهن: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب:٣٠]

وما ذاك إلا لأنهن قُدوات، مع ما فيه من صيانةٍ لجنابهن وجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم- فلما كانت مكانتهنّ رفيعة ناسَبَ أن يجعل الله الذنب الواقع منهم عقوبتُهُ مغلظة، فأفاد ذلك أن من عظُمت منزلته وشخصت الأبصارُ إليه ليس كغيره من الخاملين الذين لا يأبه لهم، إذ الأول محل النظر والاقتداء دون الثاني.

قال ابن القيم: (فقواعد الشرع تقتضي أن يسامح الجاهل بما لا يسامح به العا لم، وأنه يغفر له ما لا يغفر للعا لم، فإن حجة الله عليه أقوم منها على الجاهل، وعلمه بقبح المعصية وبغض الله لها وعقوبته عليه أعظمُ من علم الجاهل، ونعمة الله عليه بما أودعه من العلم أعظم من نعمته على الجاهل، وقد دلت الشريعة على أن من حبي بالإنعام وخصَّ بالفضلِ والإكرام ثمَّ أسام نفسه مع ميل الشهوات فأرتعها في مراتع الهلكات، وتجرأ على انتهاك المحرمات، واستخفَّ بالتبعات والسيئات أنه يقابل بالانتقام والعتب بما لا يقابل به من ليس في مرتبته). اهـ.

فالقاعدة هنا؛ أنه كلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم لخصوصية المنزلة والمحل.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال إني نهيتُ الناس عن كذا وكذا، وإن الناسَ ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسمُ بالله لا أجد أحدًا فيكم فعله إلا أضعفت فيه العقوبة.

بل إن الداعية قد لا يسعه ما يسع الناس لخصوص منزلته، وخصوص ما نصَّب نفسه له، وعلى هذا جرى الدعاة الهداة.

قال الإمام الأوزاعي: (كنا نضحك ونمزح، فلما صرنا يُقتدى بنا خشيتُ أن لا يسعنا التبسم) أ.هـ.

وقال القاضي عياض: (لا ينبغي لمن يُقتدى به إذا ترخّصَ في أمرٍ لضرورة أو تشدّد فيه بوسوسة، أو لاعتقاده في ذلك مذهبًا شذّ به عن الناس أن يفعله بحضرة العامة الجهلة؛ لئلا يترخّصوا برخصته لغير ضرورة أو يعتقدوا أن ما تشدد فيه هو الفرض اللازم). أ.هـ.

فكيف بما هو فوق ذلك من المخالفات الظاهرة المنادى عليها، وقد قيل: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال؛ صار العوام أكلة الشُبهة.. وإذا صار العلماء أكلة الشبهة؛ صار العوام أكلة

الحرام.. وإذا صار العلماء أكلة الحرام صار العوام كفَّارًا.

ومن ثمَّ فالظا لم لنفسه بمخالفة عمله لقوله لا يكون إمامًا يقتدى به أبدًا، وهو ما يدل عليه عموم قوله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة:١٢٤]

عن مجاهدٍ أنه قال في الآية السابقة: (لا أجعل إمامًا ظالمًا يُقتدى به)

وإنما لا يكون من خالف عملُه قولَه إمامًا؛ لأن النفوس مجبولةٌ على عدم الانقياد على من يخالف قوله فعله، فاقتدائهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

وقد قيل:

يا واعظ الناس قد أصبحتَ متهمًا * إذ عبتَ منهُم أمورًا أنت تأتيها**

ومن هذا القبيل، قولُ الإمام عبدالله بن المبارك في إسماعيل بن علية -رحمهما الله جميعًا- لما تولى ولاية للصدقة عند الرشيد حيث كتب له يقول:

يا جاعل العلم له بازيا
يصطاد أموال المساكين
***
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهبُ بالدين
***
فصرت مجنونا بها
بعدما كنت دواءً للمجانين
***
أين رواياتك فيما مضى
عن ابن عونٍ وابن سيرين
***
ودرسُك العلم بآثاره

في ترك أبواب السلاطين

***

تقـولُ أكـرهت فماذا

كذا زل حمار العلم في الطين

***

لا تبـع الـدين بالدنيـا

كمـا يفعل ضـلال الرهابين

هذا وابن علية ابن علية، والرشيد الرشيد.

وعن سفيان الثوري قال: (المال داء هذه الأمة، والعالم طبيب هذه الأمة، فاذا جر العالم الداء الى نفسه فمتى يبرؤ الناس).

قال المناوي: (فانظر إذا كنتَ إمامًا أي إمام تكون، فربما نجت الأمة بالإمامِ الواحد، وربما هلكت بالإمام الواحد؛ وإنما هما إمامان:

إمام هدى: قال الله عز وجل {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} [السجدة:٢٤] يعني على الدنيا، وإنما صاروا أئمة حين صبروا عن الدنيا، ولا يكون إمامُ هُدىً حُجةً لأهل الباطل فإنه قال: {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [السجدة:٢٤] لا بأمر أنفسهم، ولا بأمور الناس.

وإمام آخر: قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} [القصص: ٤١] ولا تجد أحدًا يدعو إلى النار، ولكن الدعاةَ إلى معصية الله.

فهذان إمامان هما مثلٌ من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين» اهـ.

ومتى خالف العمل القول؛ فقد القول مصداقيته، وشك المدعوون في يقين قائله فيه، إذ لو كان القائل على يقين من صحة وصدق ما يدعوا إليه لكان أول مبادر إليه مستمسك به.

قال المناوي: (منزلة الواعظ من الموعوظ كالمداوي من المداوى فكما أن الطبيب إذا قال للناس لا تأكلوا كذا فإنه سم ثم رأوه يأكله عد سخرية وهزؤا، كذا الواعظ إذا أمر بما لم يعمله ومن

ثم قيل يا طبيب طبب نفسك، فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل انطباع الطين من الطابع بما ليس منتقشا فيه فمحال أن يحصُل في نفس الموعوظ ما ليس في نفس الواعظ) انتهى كلامه.

لا تنهى عن خلق وتأتي مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
***
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإن انتهت عنه فأنت حكيم
***
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى
بالقول منك وينفع التعليم

إن أهل الطائفة المنصورة؛ وإن كانوا يحفظون لأهل العلم، الذين اتبعوا أفعالهم أقوالهم قدرهم ومكانتهم، إلا أنه ليس في ميزان أهل الطائفة المنصورة أن يعرفوا الحق بهم، وإنما هم يعرفون الرجال بالحق.

فالرجال ماهم إلا وسيلة لمعرفة الحق ببيان دليله، وما يقوم عليه، لا أن الحق يعرف بهم، فيدار معهم في جميع أقوالهم وأفعالهم، إذ اتباع الرجال أيا كان شأنهم من الدين علماً وعملا بغير حجة قائمة من أوسع أودية الباطل، ومن أعظم أسباب الضلال، فضلا عن كونه سبيل ضعاف العقول.

وقد اتفق أهل العلم كافة على أن معرفة الحق بالرجال و هو التقليد؛ خارج عن طرق العلم وسبله ممن هو دال على كون من عرف الحق بالرجال يسير على غير بصيرة من أمره، وإنما لم يزل بعد في ظلمات الجهل يتخبط.

قال إبن القيم: (لا خلاف بين الناس أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد لا يطلق عليه اسم عالم) انتهى كلامه.

ولما كان العلم هو ما قام عليه الدليل، وكانت معرفة الحق بالرجال خارجةً عن طُرق العلم

وسبله؛ كان من عَدَل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه إلى التقليد، كمن عدل إلى الميتة مع تمكنه إلى المذكاة.

فإن الأصل أن لا يقبل قول الغير إلا بدليل إلا عند الضرورة كما قال إبن القيم عليه رحمة الله: (وقد ذم أتباع الرجال بغير حجة قائمة غاية الذم بل وجعل ذلك من أعظم أسباب الإعراض عن دينه الذي أنزله وارتضاه).

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} [البقرة:١٧٠-١٧١]

قال القرطبي: قال علمائنا وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد ونظيرها: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} [المائدة:١٠٤].

قال الشوكاني في قولهم: {حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} [المائدة:١٠٤]: (وقد صارت هذه المقالة التي قالتها الجاهلية نصب أعيُن المقلدة، وعصاهم التي يتوكؤون عليها إن دعاهم داعي الحق، وصرخ لهم صارخ الكتاب والسنة، فاحتجاجُهم بمن قلدوه ممن هو مثلهم في التعبد بشرع الله، مع مخالفة قوله لكتاب الله أو لسنة رسوله، هو كقول هؤلاء وليس الفرق إلا في مجرد العبارة اللفظية، لا في المعنى الذي عليه تدور الإفادة والإستفادة).

وقال الشوكاني في قوله: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان:٢١]

ما أقبح التقليد وأكثر ضرره على صاحبه وأوخم عاقبته وأشئم عائدته على من وقع فيه، فإن الداعي له إلى ما أنزل الله على رسوله كمن يريد أن يذود الفراش عن لهب النار لئلا تحترق فتأبى ذلك وتتهافت في نار الحريق وعذاب السعير) انتهى كلامه.

وهذه الآيات السابقة؛ إن كانت قد نزلت أساسا في الكفار إلا أنها تشمل بعمومها كل من عرف الحق بالرجال موافقة لهم وتقليدا بغير حجة من الله وبرهان، أيا كان محل التقليد وموضعه، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع اختلاف الحكم تبعا لمحل التقليد وموضعه.

قال بن عبد البر: (ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء، وقد احتج العلماء

بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الإحتجاج بها، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان لآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجةٍ للمقلد؛ كما لو قلد رجل فكفر، وقلد آخر فأذنب، فقلد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة، لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضا، وإن اختلفت الآثام فيه) اهـ.

ومعرفة الحق بالرجال موافقة لهم وتقليدا بغير حجة هو دين أهل الكتاب، الذي حذرنا الله تعالى من الوقوع فيه، وهو مما كان سبب خروجهم عن الملة التي انزل الله إليهم.

قال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة: ٣١]

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١]

قال فقلت يارسول الله: إنا لسنا نعبدهم قال صلى الله عليه وسلم: أليس يُحرِمون ما أحل الله فتُحرمونه، ويُحِلون ما حرم فتُحلونه قال قلت: بلا فقال صلى الله عليه وسلم: فتلك عبادتهم.

قال الربيع بن أنس: (قلت لأبي العارية: كيف كانت الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا لن نسبق أحبارنا بشئ، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم).

ومن لطيف ما ينشد هنا في بيان حال أمثال هؤلاء ممن يعرف الحق بالرجال وقوفا عندهم وإعراضا عن الكتاب والسنة، قول المنذر بن سعيد البلوطي حيث قال:

عبيري من قوم يقولون كلما
طلبت دليلا هكذا قال مالك

***

فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب
وقد كان لا تخفى عليه المسالك

***

فإن زدت قالوا قال سحنون قبله
ومن لم يقل مقاله فهو آفك

***

فإن قلت قال الله ضجوا وعكروا
وقالوا جميعا أنت قرن مماحك

***

وإن قلت قد قال الرسول فقولهم
أتت مالك في ذلك المسالك

وهذا لسان حال، بل ولسان مقال كل من عرف الحق بالرجال، (أتت فلان في ذلك المسالك)، وهي شبهة لرد الحق واهية ومفادها تعطيل الدين بالكلية وتفريغ النصوص من محتواها.

ومن المقطوع به عند الجميع أن الحق لا يدور مع معين؛ إلا النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لو كان كذلك لوجب اتباعه في كل ما قال، فحال المقلد في الباطل:

وهل أنا من غزية إن غوت * غويت وإن ترشُد غزية أرشُدِ**

وقد رسم أئمة الطائفة المنصورة عبر تاريخها المتصل هذا المعلم الهام من معالم الحق، وأمروا به ونهوا عن ضده.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حين قال له الحارث بن عبد الله الأعور: أتظن أن طلحة والزبير رضي الله عنهما كانا على الباطل؟ قال علي رضي الله عنه: ياحارث إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله).

وعن أبي مليكة رحمه الله: (أن عروة بن الزبير رحمه الله قال لابن عباس: أضللت الناس قال وما ذاك يا عرية قال: تأمر بالعمرة في هؤلاء العشر وليست فيهم عمرة فقال: أولا تسأل أمك في ذلك، فقال عروة: فإن أبو بكر وعمر لم يفعلا ذلك!، فقال بن عباس رضي الله عنهما: هذا الذي أهلككم، والله مـاأرى إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن النبي صلى الله عليه وسلم وتجيؤني بأبي بكر وعمر).

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه لله إلى الناس: (إنه لا رأي لأحد مع سُنة سنَها رسول الله صلى الله عليه وسلم).

ودخل القعنبي رحمه الله على مالك فرآه يبكي، فسأله: ما الذي يبكيك؟ فقال الإمام مالك: (يا بن قعنب، وما لي لا أبكي؟! ومن الأحق بالبكاء مني؟! لوددت أني ضُربت سوطا وقد كانت لي السعة فيما سبقت إليه، وليتني لم أفتي بالرأي).

وما أحسن كلمة الشافعي رحمه الله لتلميذه المزري، حيث قال له: (يا أبا إبراهيم لاتقلدني في كل ما أقول، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين).

وقيل للإمام أحمد رحمه الله: (إن قوما يدّعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان) فقال رحمه الله: (أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته ويدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣]، **وتدري ما الفتنة: الكفر**؛ قال الله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة:٢١٧]، فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتغلبهم أهوائهم إلى الرأي). اهـ.

فأهل الطائفة المنصورة يتلمسون الحق من مظانه، فما أعياهم من حكم، أو نزل بهم من نازلة، طلبوا الحق من أصوله المستقرة لغير نظر منهم لما عليه الرجال من ذلك، أحياءاً كانوا أو أمواتا.

وأهل الطائفة المنصورة أول ما يحاكِمون إلى هذا الأصل أنفسهم، قبل أن يحاكموا غيرهم، فحاشاهم أن يكونوا أصحاب دعوة هم أول من يخالفها، وهم لذلك يضعون على هذا المحك أقوال وأفعال أقرب الناس وأحبه إليهم من شيخ أو عالم أو أمير و زعيم أو غيره أو غير ذلك من كل مطاع لهم ومتبع.

قال بن رجب: (وها هنا أمر خفي ينبغي التفطن له، وهو أن كثيرا من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحا، ويكون مجتهدا فيه، مأجورا على اجتهاده فيه، موضوعا عنه خطأه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر في هذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث أنه لو قاله غيره من أئمة الدين لما قبله، ولا انتصر له، ولا والى من يوافقه، ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك فإن متبوعه إنما كان قصده الإنتصار للحق، وإن أخطأ في اجتهاده وأما هذا التابع فقد

شاع انتصاره لما يظنه الحق؛ إرادة علو متبوعه، وظهور كلمته، وأنه لا يُنسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصد الإنتصار للحق، فافهم هذا فإنه مهم عظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم). اهـ.

إن أهل الطائفة المنصورة وإن كانوا يحيطون أهل العلم العاملين بهالة من الإجلال والتقدير، إلا أنهم مع ذلك يوقنون بأن العصمة منتفية عن غير الأنبياء عليهم السلام.

ولذا فإذا بدا من أحد هؤلاء العلماء زلة، أو ظهر منه خطأ، فإنهم يدعون إلى اجتناب زلته، وعدم متابعته على خطائه، وإن كان صاحبها قد يكون معذورا بل مأجورا إن كان مجتهدا.

قال بن عبد البر : (وإذا صح وثبت أن العالم يزل ويخطئ، لم يجز لأحد أن يفتي ويدين بقول لا يعرف وجهه). اهـ.

وقد حذر أئمة الطائفة المنصورة من زلة العالم، وبينوا خطرها، ووجوب اجتنابها وطرحها، وعدم متابعته فيها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ثلاث تهدم الدين زلة عالم وجدال منافق وأئمة مضلون).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (وأحذركم زيغة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، قيل له: وكيف زيغة الحكيم؟ قال رضي الله عنه: هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه! فاحذروا زيغته).

وقد قيل زلة العالم يضرب بها الطبل، وزلة الجاهل يخفيها الجهل؛ وذلك لأن الجاهل غير محتج به، غير متبع في أمره.

ولله ذر القائل:

العيب في الجاهل المغمور مغمور
وعيب ذي الشرف المذكور مذكور

***

ككوفة الظفر تخفى من حقارتها
ومثلها في سواد العين مشهور

فالعالم منظور إليه، محتج به، متبع في أمره، ولذا كانت زلة العالم زلة له ولمن يقتدي به، فأثرها متعد لا لازم.

فأمر العلماء خطر، وعليهم وظيفتان؛ ترك الذنب، ثم إخفاءه إن وقع، وكما يتضاعف ثوابهم على الحسنات، فيضاعف عقابهم على الذنوب والسيئات إذا اتبعوا، فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها، إما بربح أو خسران.

وقد روي عن عيسى عليه السلام: (أنه سئل من أشد الناس فتنة فقال: زلة عالِم إذا زل؛ زل بزلته عالَم).

وأهل العلم بعد أن حذروا من زلة العالم، وأمروا بطرحها واجتنابها، بينوا موقعها من دين الله، فنصوا على كونها خارجة عن موارد الإجتهاد المعتبرة، منقطعة الصلة بمدارك الحق ومسالكه، ولذا كانت باطلة النسبة لدين الله وشرعه.

ولكأن أبناء الأمة في هذه الأزمان أحوج ما يكونون للإستفادة من كلام هؤلاء الأئمة في تحذيرهم من زلة العالم، ودعوتهم إلى اجتنابها، ولا سيم في هذه الأزمان حيث كثرت فيه زلات أهل العلم، ولا سيما في موقفهم من الجهاد وأهله.

وفي الآونة الأخيرة، بدت من بعض إخواننا أهل العلم؛ الذين كانت لهم سابقة في الدعوة إلى الله؛ هلاك وأخطاء، كان سببها بُعدهم عن ساحات الجهاد وعدم ممارستهم الفعلية للجهاد، فضربت بزلاتهم الطبول، وطارت بها وسائل الإعلام المسيرة كل مطار، كل ذلك بغية شق الصفوف، وتفريق الكلمة، وصد الناس عن الجهاد، وتنفيرهم من المجاهدين، فكان لزاما علينا التنبيه على زلات إخواننا، حتى لا يقتدي بهم فيها، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)

إن مصطلح (منظري التيار الجهادي) مصطلح دخيل، كثر ذكره وامتهانه في الآونة الأخيرة، ولاسيما من قبل وسائل الإعلام ليصدوا أبناء الأمة عن الجهاد، وهذا المصطلح في حقيقته هو فصام نكد بين القول والفعل.

فإن أهل العلم على مر العصور، وكر الدهور، كانوا في مقدمة ركب الجهاد، كما سبق ذكره بشواهده غير مرة، ولم نسمع أن أحدا منهم نظّر للأمة أحكام الجهاد ثم هو قعد وتخلف عن الجهاد الواجب المتعين عليه، وكأنه ليس معنيا بهذا الخطاب.

وإن المتأمل اللبيب ليلحظ أن هذا المصطلح في حقيقته؛ ذمٌّ وطعنٌ في أصحابه، حيث يدخلهم في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف:٢-٣]

إن المقرر عند أهل العلم أن الذي يفتي في مسألة ما لابد أن يكون عنده علم بالحكم الشرعي، وعلم بالواقع الذي يطبق عليه هذا الحكم، وإلا كانت فتواه مجانبة للصواب.

قال إبن القيم: (ولا يتمكن المفتي الفتوى ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق، إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: **فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع** بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علما.

والنوع الثاني: **فهم الواجب في الواقع** وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أوعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر). انتهى كلامه.

ولذا كان المجاهدون هم أسعد الناس بالدليل، لجمعهم بين الأمرين، حيث جمعوا بين الحكم الشرعي المبني على الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف، وعلمهم بالواقع الذي هم في الأصل يعايشونه.

قال سفيان بن عيينة لابن المبارك عليهما رحمة الله: (**إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور، فإن الله تعالى يقول: {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:٦٩]**).

وقال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل، عليهما رحمة الله: (**إذا اختلف الناس في شئ فانظروا ماذا عليه أهل الثغور، فإن الحق معهم لأن الله يقول: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:٦٩]**)

فمنظروا التيار الجهادي هم الذين حملوا الكتاب والسيف بأيديهم، وتقدموا الصفوف، وقادوا الجموع، وهجروا لذائذ الدنيا الفانية، وآثروا ثواب الآخرة الباقية، وتركوا القصور والدور لهم مأوى، واختاروا الكهوف والجبال لهم سكنى، حفاظاً على دينهم، وتصديقا لأقوالهم بفعالهم.

أما أن يبقى العالم بعيدا عن ساحات الجهاد والواقع الذي يعيشه المجاهدين، مقيما في بلاد الكفار، ثم يفتي الأمة في مسائل، أدنى ما يقال فيها إنها مسائل اجتهادية قابلة للنظر يريد إلزام المجاهدين بها، فهذا لا يقبل ولا كرامة، بل إن أهل العلم قرروا أنه لا إنكار في مسائل الجهاد التي لا تُخالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا.

ذكر القاضي أبو الحسن الماوردي في الأحكام السلطانية خلافا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء، إذا كان المحتسب من أهل الإجتهاد، أم لا يغير ما كان على مذهب غيره، فقرر أن الأصح أنه لا يغير، وأنه لم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين، ولا ينكر محتسب ولا غيره، وكذلك قالوا: (ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا، والله أعلم).

وقد سئل شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: عن حكم إلزام ولي الأمر الناس بمذهبه في مسائل الإجتهاد التي اختلف فيها العلماء فأجاب: (ليس له منع الناس من مثل ذلك، ولا من مظاهره مما يسوغ فيه الإجتهاد، وليس معه بالمنع نص من الكتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا ما هو في معنى ذلك، لا سيما وأكثر العلماء على جواز مثل ذلك، وهو مما يعمل به عامة المسلمين في عامة الأمصار، وهذا كما أن الحاكم ليس له أن ينقض حكم غيره في مثل هذه المسائل، ولا للعالم والمفتي أن يلزم الناس باتباعه في مثل هذه المسائل).

ولهذا لما استشار الرشيد مالكا في أن يحمل الناس على موطّئِه في مثل هذه المسائل؛ منعه من ذلك، قال: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في الأمصار وقد أخذ كل قوم من العلم ما بلغهم.

وصنف رجل كتابا في الإختلاف فقال أحمد: لا تسميه كتاب الإختلاف، ولكن سمه كتاب السعة.

ولهذا كان بعض العلماء يقول إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: (ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة).

وكذلك قال غير مالك من الأئمة: (ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه).

ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي رحمه الله، وغيره: (إن مثل هذه المسائل الإجتهادية لا تنكر باليد وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه). انتهى كلامه.

كما بين شيخ الإسلام أن المسائل التي لم يعلم قطعا مخالفتها للكتاب والسنة بل هي من موارد الإجتهاد التي تنازع فيها أهل العلم والإيمان، فهذه الأمور قد تكون قطعية عند بعض من بين الله له الحق فيها، لكنه لا يمكنه أن يلزم الناس بما بان له، ولم يبن لهم.

وعليه؛ فما ذهب المجاهدون إليه في بعض المسائل الإجتهادية كالعمليات الإستشهادية، وضرب الكفار وتبييتهم في عقر دارهم، ردعا لهم، وكفا لشرهم عن المسلمين، وإن أدى تبعا إلى قتل من لا يجوز قتله استقلالا كالنساء والأطفال، لا يجوز الإنكار عليهم في ذلك، فضلا عن الطعن والتشهير، وإصدار الأحكام الجائرة بالتبديع والتفسيق والتضليل، فقد أمرنا الله تعالى بالعدل مطلقاً ولو مع أبغض الناس إلينا.

قال تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: ٨].

قال إبن القيم رحمه الله: (فإن كان قد نهى عباده أن يحملهم بغضهم لأعدائهم أن لا يعدلوا عليهم، مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله، فكيف يسوغ لمن يدعي الإيمان أن يحمله بغضه لطائفة منتسبة إلى الرسول تصيب وتخطئ على أن لا يعدل فيهم، بل يجرد لهم العداوة وأنواع الأذى ولعله لا يدري أنهم أولى بالله ورسوله، وما جاء به منه علما وعملا،

ودعوة إلى على بصيرة، وصبرا من قومهم على الأذى في الله، وإقامة لحجة الله ومعذرة لمن خالفهم بالجهل). اهـ.

والمجاهدين وإن خالفهم مخالف، فلهم من حقوق الإسلام بحسب ما هم عليه من الإيمان علما وعملا، فكيف والقوم ما قاموا إلا بما أوجبه الشرع عليهم، وهم أسعد بالدليل وأشد اتباعا له من المتكلم فيهم، كما أنهم ما خرجوا إلا لإعلاء كلمة الله والتمكين لدينه، وقد علم القاصي والداني صدق نواياهم وخلوص قصدهم، ولنا ظاهرهم وحسابهم على الله.

وهذا مع ما شهد به العدو قبل الصديق من بذلهم أنفسهم وأموالهم نصرة لهذا الدين، وإعزازا وتحملهم في سبيل ذلك من الإبتلاء ما الله وحده به عليم.

كما أن المتكلم في هؤلاء القوم وإن خالفهم فيما ذهبوا إليه، يعلم يقينا أنه يغيظون أعداء الله، وهم شجى في حلوقهم فكان الكلام فيهم إعانة عليهم لمن لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة من أعداء الملة والأمة.

وإن أراد المتكلم وجه الله بكلامه؛ فسبيله النصح لا الطعن والتشهير والنبز والرمي بكل سوء وقبيح، والنصح قد علم طريقه كل عاقل فضلا عن أهل العلم.

فكان الكلام في هؤلاء القوم بالطعن والنقص و الذم و نحوه ليس له من معنى؛ إلا أن يكون دخنا في الدين، أو غلا للمؤمنين، أو دهنا بالشرع، أو انتصارا للنفس وأهوائها.

ومن ذلك اتخادهم مطية لإظهار الإعتدال والوسطية المزعومة، والله يعلم المفسد من المصلح.

وقد قال تعالى: {سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُون} [الزخرف:١٩]

وليحذر العبد أن يأتي يوم القيامة وخصمائه المجاهدون في سبيل الله، المدافعون عن دينه، الباذلون مهجهم حبا فيه وإرضاءا له.

ولله ذر القائل:

إلى ديان يوم الدين نمضي

وعند الله تجتمع الخصوم

***

ستعلم في الحساب إذا التقينا
غدا عند الإله من الملوم

غير أن الطعن والتشهير والتجريح في هؤلاء القوم؛ هو المركب الأرغد، والفراش الممهد، والطريق المعبد، أما الدفاع عنهم، وإنصافهم وإعطائهم حقهم من الموالاة، فذاك درب لا تؤمن غوائله، ولا تحمد عواقبه.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السادس و الثلاثون

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ

١٧ شوال ١٤٢٦ هـ
١٨ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٥ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فقد تناهى إلى أسماع العالم الصخب والضجيج الذى أثارته الحكومة الأردنية المرتدة، من خلال وسائل إعلامها المسير من قبل أجهزتها الأمنية، التى راحت تصور فيه لأهل الإسلام فى الأردن بأنهم باتوا ضحية مستهدفة للإرهاب، وأن هؤلاء الإرهابيين لا يحسنون إلا سفك الدماء، وقد عرضت هذه الإِفْك بطريقة تستثير العواطف، وكان مبدء ذلك بعد انطلاق ثلاثةٍ من أسود الرافدين من عرينهم فى بغداد، إلى قلب عمان، ليدكّوا ثلاثة أوكار طالما ضمت بين جدرانها اليهود والصليبيين، وغيرهم لحرب الله ورسوله.

وقد اقدم تنظيم القاعدة على اتخاذ هذه الخطوة المباركة للأسباب الأتية:

أولاً: لقد استعلنت الحكومة الأردنية بالكفر، وجاهرت بالحَرَابة لله ورسوله، وعطلت الشريعة وحكمت القوانين الوضعية.

ثانياً: أصبح جيش هذا النظام الحارس الأمين لجناب دولة بني صهيون، فكم من مجاهد كان يروم الدخول إلى الأرض المباركة، لِقتال اخوة القردة والخنازير قُتِل برصاصةٍ غادرةٍ جائته من وراء ظهره على أيدي جنود هذا النظام الخائن.

ثالثاً: بثّها للخنا والفجور، ونشرها للفساد، فقد أصبحت هذه البلاد مستنقعات للرذيلة، والإباحيةِ المطلقةِ، فمن رأى الفنادق والملاهي والمراقص وحانات الخمور والمنتجعات السياحية في العقبة والبحر الميت وغيره؛ تَقطّع قلبه أسناً وحزنا علّى ما آلت إليه الأمور فى هذا البلد الطيب أهله، على أيدى أفراد هذه العائلة الماجنة؛ رجالا ونساءا على السواء.

رابعاً: أطلقت هذه الدولة الكافرة يد العدو الصهيوني، وسمحت له بالتغلغل داخل المجتمع الأردني أقتصادياً وسياسياً وأجتماعياً، فقد سيطر أرباب الأقتصاد اليهودي على معظم الشركات والبنوك والمصانع والمعامل وغيرها، وباتوا يتحكمون فى مصادر أرزاق مئات الآلاف من أبناء هذا البلد، وخير شاهد على ذالك مدينة الحسن الصناعية فى محافظة إربد.

خامساً: وجود السجون السرّية للأمريكان فى الأردن، بإشراف مباشر من أجهزة المخابرات الأردنية، والتي يوجد فى قعر زنازينها عشرات المجاهدين، من مختلف البلدان، والتى يذيقون فيها من العذاب ألواناً، ومن الهوان أصنافا على ايدي الجلادين من زنابية المخابرات الأردنية، نيابة عن المخابرات الأمريكية.

ذكرت صحيفة (لوس انجلوستايمز)؛ أن جهاز المخابرات الأردنية أصبح الحليف الأقوى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والأكثر فعالية، على مستوى منطقة الشرق الأوسط بأكملها فيما يتعلق فى الحرب على الإرهاب، وهى نفس المنزلة التى كان يحتلها جهاز المخابرات الإسرائيلي فى السابق.

وأشارت الصحيفة الأمريكية إلى أن الأردن والولايات المتحدة قد حدث بينهما تعاونٌ وثيقٌ فى مجال استجواب العناصر المشتبه فى صلتها بالإرهاب، وهو الأمر الذى تعرض لانتقاداتٍ واسعة النطاق من قبل وسائل الإعلام العالمية ومنظمات حقوق الإنسان نظراً لاتهامات التعذيب الذى مورسَ خلال تلك الأستجوابات.

وكشفت الصحيفة عن أن المخابرات المركزية الامريكية خصّصت جزءاً من ميزانيتها لتدريب

المخابرات الأردنية وكوادرها فى مقرهم في عمان.

سادساً: أما فى الحالة العراقية؛ فقد كانت الأردن ولا تزال قاعدة إمدادٍ خلفية للجيش الأمريكي؛ فقد قام هذا النظام بفتح أبواب البلاد على مصراعيها للعدو الصليبي؛ يفعل فيها ما يشاء، فقد اتخذ من هذه البلاد قاعدة خلفية تنطلق منها الطائرات الأمريكية بصبِّ جام حممها على أهل الإسلام فى العراق، ولا ننسى جيش المترجمين من العملاء الأردنيين فى العراق، وكذا للأسف اسطول ناقلاتٍ محملة بالزاد والعتاد الذي ينقل بوساطة الشاحنات الأردنية للجيش الأمريكي في العراق، حتى يستعينوا بها على حرب الإسلام وقتل المجاهدين.

وهذه رسالة إلى أهل الإسلام فى الأردن؛ إنا نحب ان نطمنكم بأننا من أحرص الناس على دمائكم كيف لا وأنتم أحبُّ إلينا من أنفسنا وأبنائنا.

وإننا لنعلم بأنكم ضحية هذا النظام الإجرامي، الذى ذبح أبنائكم كما فعل فى المسلمين فى مدينة (معان)، واستحيا نسائكم وسامكم الذل والهوان.

و أما ما صوره هذه النظام الخائن من أنكم بتم ضحية للمجاهدين؛ فهذا كله محض افتراءات وتزوير، ومعاذ الله أن نجترىء على إراقةِ دمائكم، فلو أردنا قتل الأبرياء من الناس كما زعم هذا النظام المرتد، لما تكلفنا عناءَ المخاطرة بهؤلاء الأسود فى تجاوز الحواجز الأمنية المحيطة بفنادق الظرار تلك؛ بل لو أردنا سفك دمائكم والعياذ بالله، لكان أسهل علينا أن يفجر هؤلاء الإستشاهديون أنفسهم فى الأماكن العامة؛ التى يجتمع فيها المئات من الناس، والتى هي من الأهداف السهلة (كالساحة الهاشمية) أو (مجمع العبدلي) أو المجمعات التجارية (كالسيفوي- Safeway) وغيرها.

ألم يكن بإستطاعة أسود تنظيم القاعدة؛ ممن أطلقوا الصواريخ على البارجات الامريكية فى (إيلات)، أن يقوموا بإطلاقها على التجمعات السكنية للأبرياء فى عمان، بدل تعريض أنفسهم للمخاطر فى الوصول إلى العقبة، المحاطة بسياج أمني والتي أضحت منطقة امنية مغلقة.

ولكن علم الله أننا ما أقدمنا على اختيار هذه الفنادق إلا بعد ان ترجح لدينا من خلال التحري والاستطلاع المتأني بهذه الفنادق لمدة تزيد عن الشهرين، ومن خلال المعلومات التى زودتنا بها مصادرنا الموثوقة من داخل هذه الفنادق وخارجها، تفيد بأن هذه الفنادق باتت مقرات لأجهزة المخابرات اليهودية والأمريكية والعراقية، فأما فندق (الرادسون) فيقطنه معظم

موظفي السفارة الإسرائيلية، وهو مقصد السياح الإسرائيليين وكذالك فندق (الدايز إن).

أما فندق (حياة عمان)، وما أدراك ما فندق (حياة عمان)؛ وكر الأستخبارات الصهيونية والأمريكية والعراقية، ولك أن تعرف حقيقة هذا الفندق، أن الجاسوس الإسرائيلي (عزّام عزّام) كان يلتقى بالموساد الإسرائيلي فى هذا الفندق.

والذي يعرف هذه الفنادق، يعلم علم اليقين من الذى يرتادها، بل إن فندق (حياة عمان) فيه جناح خاص لطاغية الأردن (عبد الله الصغير) يقضى فيه الليالي ذوات العدد.

فيا أهلنا فى الاردن؛ مالنا وللتفجير وسط حفلات الأعراس، فإن كان مرادنا التفجير فى أماكن كهذه؛ فصالات الأعراس منتشرة فى طول البلاد وعرضها، مفتوحة الأبواب، لا حسيب عليها ولا رقيب.

و أما ما أُشيع أن الأخ الأستشهادي قام بتفجير نفسه فى صالة للأعراس وسط الحضور، فهذا كله كذب وتلفيق من أجهزة الشر الأردنية، فالذى خدع الناس طيلة هذه السنين الطوال بأنه عدو لبني صهيون؛ قادر على أن يقلب الحقائق ويلبّس على السذج من الناس.

وأما من قتل من المسلمين فى هذه العملية؛

فنسأل الله أن يرحمهم وأن يغفر لهم، فوالله لم يكن هم المستهدفين، ولم ولن نفكر لحظةً واحدة فى استهدافهم، حتى وإن كانوا أصحاب فسقٍ وفجور، هذا على فرض أن الانفجار وقع بالقرب منهم، لأن الاخوة الإستشهاديين كانوا قد استهدفوا الصالات التي ضمت اجتماعاً لضباط المخابرات لبعض دول الكفر الصليبي وأوليائه، وما نال المقتولين من أذى، بفعل سقوط جزء من السقف الثانوي عليهم بفعل قوة الانفجار، ولا يخفى ان هذا الامر وقع تبعاً لا قصدا ولم يكن بالحسبان.

وقد ذكر شقيق العريس كما أوردت القدس برس، أنه يستبعد أن يكون الانفجار سببه عملية انتحارية؛ لأن الوضع كما وصفه كان طبيعياً من البداية، فلم تكن هناك أيُ دلائل او اشارات بوجود شئ ما، وأضاف أن السقف سقط بكامله؛ الديكور والأسمنت مع الحديد، كما أن الغبار والأتربة كانت تغطي المكان، مما يشيرُ إلى أن العملية سببها كما يعتقد قنبلة مزروعة بالسقف فلم يكن هناك نار او حريق.

وأما الفندقان الآخران فقد كان فيهما عدد من الشخصيات الأمريكية واليهودية، وقد تمكن الأخوة بفضل الله تعالى من تحديد مكان وزمان تواجدهم بعد الأستطلاع المتكرر لموقع العملية، وبالتالي؛ فإن الاخوة كانوا يعرفون هدفهم وحدوده بدقةٍ كبيرة.

وفي ذات المقام أقول إنى لأتحدى هذه الحكومة المرتدة ان تظهر حقيقة الخسائر فى صفوف اليهود و الصليبيين، وعملائهم من المرتدين، أو أن تسمح بعرض فلم لحظة التفجير!

فمن المعلوم أن مثل هذه الفنادق تصور وتراقب على مدار الساعة جموع المتواجدين فيها، فلماذا أخفتها حكومة الردة، بل لو كان فيها ما يؤيدها لسارعت إلى ذلك، ولكن علمت أن ذلك سيُدينها فامتنعت عن عرضه.

وما هذا التكتيم الإعلامي إلا دليل على عِظم الخسائر في أسياد هذا النظام الخائن من اليهود والصليبيين، وإلا فقد حصلت عمليات مباركة مماثلة لهذه العملية في (شرم الشيخ) و (ممباسا) و في (تركيا) وفى (الرياض) وغيرها وحتى فى (تل أبيب)، ولم تفتعل مثل هذه الضجة الإعلامية.

فهل يعقل أن تسارع ملة الكفر وتتنادى فيما بينها إلى عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لأجل مناصرة المقتولين في حفلة عرس؟! وهم الذين سكتوا بالأمس القريب عن مقتل أكثر من ٤٠ مسلم فى حفلة عرس في القائم.

وهل إرسال الخبراء من المخابرات الامريكية والبريطانية، ومجيء (كوفي عنان) ومطالبة مجلس الأمن بالتحقيق السريع فى هذه العمليات، واستعداد الكيان الصهيوني لتقديم المساعدة الأمنية والطبية، وزيارة (بل كلينتون) إلى فندق (الرادسون)، لحرص هؤلاء الصليبيين على دماء المسلمين فى الأردن؟!

فأين هم من دماء أهل فلسطين التى تُراق صباح مساء على يدِ أحفاد القردة والخنازير؟!

بل اين هم، من دماء المسلمين فى العراق التى تدفقت انهارا على يدِ الامريكان واحفاد ابن العلقمي؟!

وأين هم من مدن مسلمة هدمت على رؤوس أهلها كالقائم وتلعفر وحديثة و الرمادي

والفلوجة وسامراء؟!

بل أين كان هؤلاء يوم كانت طائراتها هذا النظام تدك مدينة «معانٍ» الأبية؟!

ثم ألا تسألون أنفسكم أيها العقلاء؛ هل يعقل أن يكون ضباط الإستخبارات الذين نفقوا في العملية من المدعومين للعرس؟!

أليس هنالك ما يثير الاستغراب من غضّ وسائل الإعلام الطرف عن انفجارين الفندقين الآخرين؟! ولا سيما الفندق الذى زاره (كلينتون) وزوجته؟!

فهل كان هنالك عرسٌ آخر؟!

ومع كل هذا التكتيم الإعلامي غير المسبوق، بدأت تتكشف حقيقة الخسائر وحجمها في صفوف اليهود والصليبيين من خلال أجهزة الإعلام المختلفة، فبتنا نسمع عن وجود ٣ ضباط صينيين برتبة عميد، و٦ قتلى من السلطة الفلسطينية المرتدة على رأسهم رئيس جهاز الإستخبارت العسكرية في الضفة الغربية، وخبراء نفط عراقيين من الحكومة العراقية ويهود وكوريين وبريطانيين وأمريكيين وما خفي أكبر وأعظم.

يا أهل الأردن؛

أفي كل موطن تقبلون لأنفسكم قسط الأستغفال؟!

إلى متى تبقون مستعبدين لهذا النظام المرتد؛ ينزع دينكم من أعناقكم، ويلوث فطركم السليمة، ويعبث بأعراضكم وأموالكم، ويتخذ من أبنائكم درعاً و مجنة، يحول بهم بين المجاهدين الصادقين وبين بني صهيون.

ففي الوقت التي تقصف فيه طائرات عدو الله (شارون) المسلمين في غزة، يُدعى طاغية الأردن لافتتاح حديقة في تل أبيب بمناسبة ذكرى هلاك والده!

وفي الوقت الذى كانت طائرات بني الأصفر تقصف فيه بيوت المسلمين في تلعفر، كان هذا الولد المطاع يعقد الصفقات ويُحيك المؤامرات مع حكومة ابن العلقمي.

ونحن نقول لهذا النظام المرتد؛

ها نحن اليوم بفضل الله وحده نذيقك شيئاً يسيراً مما أذقته لأهل الإسلام، منذ عشرات السنيين، فقد ولّى الزمان الذى تقبل فيه الأمة الذل والهوان، ونبشرك بأنه قد دقت ساعة الصفر، وحانت ساعة الحساب، ولن نوقف الغارات عن اليهود والصليبيين في بلادٍ سالت عليها دماء رجالاً من اطهر دين عرفه التاريخ؛ كأبي عبيدة وجعفر وأبن رواحة وزيد ابن حارثة و معاذ ابن جبل وشرحبيل وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

إلا بالشروط الاتية:

أولاً: إخراج القوات الأمريكية والبريطانية المتواجدة على الأراضي الأردنية، والتي يستخدمها الصليبيين قاعدة خلفية لحرب المجاهدين فى العراق.

ثانياً: إغلاق السفارة الأمريكية والإسرائيلية فى عمان، والتى تدار منها خطط المكر والحرب على أهل الإسلام، لأنجاز ما بات يعرف بـ(الشرق الاوسط الكبير).

ثالثاً: الامتناع عن تدريب وتخريج القوات الرافضية من الشرطة والجيش العراقي العميل.

رابعاً: إغلاق السجون السرية للمجاهدين.

خامساً: سحب التمثيل الدبلوماسي من بغداد وعدم إرسال أي بعثة دبلوماسية أخرى، أياً كان كان مستوى تمثيلها.

ولا ننسى أن ننبه اخواننا المسلمين فى الأردن؛ إلى ان يبتعدوا وينأوا بأنفسهم عن التواجد فى الاماكن الآتية حفاظاً على أرواحهم وأنفسهم:

اولاً: القواعد والمطارات العسكرية التي تتواجد فيها القوات الأمريكية والبريطانية سواء تلك التى داخل المدن أو خارجها.

ثانياً: الفنادق السياحية التي يتواجد فيها اليهود و الصليبيون في عمان والبحر الميت والعقبة

والبـتراء وجـرش وغيرهـا.

ثالثاً: جميع السفارات والقنصليات التي شاركت حكوماتها فى الحرب على العراق.

وهذه رسالة أخرى إلى طاغية الأردن الصغير؛

أخاطبـك بعـد ان أزبـت وأرعبـت وتوعـدت بالعـذاب الأليـم، لمـن كان وراء هـذه التفجـيرات المباركـة، فاسمـع مـني هـذه الكلمـات، لعلهـا تلاقـي منـك أذنـاً مصغيـة، وقلبـاً واعيـا.

ذكر أهل السّير عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، انه قال:

(بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي، فإذا انا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلعٍ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل. قال قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن اخي؟

قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده لإن رأيته لا يفارق سوادي سوادَه حتى يموت الأعجل منا، قال تعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها.

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول فى الناس فقلت ألا تريا، هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، قال فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه.

فقال صلى الله عليه و سلم: أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما، قالا: لا، فنظر فى السيفين فقال: كلاكما قتله.

وفى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعا فقلت: أَيْ عدو الله قد أخزاك الله، قال: وبما أخزاني من رجل قتلتموه، ومعي سيفٌ لي فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء ومعه سيفاً له جيد، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: الله الذى لا إله إلا هو، قلت: الله الذى لا إله إلا هو، قال: فانطلق فإستثبِت، فإنطلقت وانا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: إنطلق، فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه صلى الله عليه وسلم قال: هذا فرعون هذه الأمة.

فهذا عدو الله أبو جهل فرعون هذه الأمة، لطالما سعى سعياً حثيثاً في حرب الله ورسوله، وكم لاقى المستضعفون من المسلمين في مكة على يديه من العذاب والهوان، كابن مسعود وغيره، ثم انظر كيف دارت الدائرة عليه بعد أن خذل الله جيشه وجنوده واعتلى ابن مسعود صدر هذا الطاغية.

هي ذا مصائر أجدادك من طواغيت قريش، فتفكر جيداً فيما آلو إليه من خزي في الدنيا والآخرة، ثم تذكر أنك قد حذوت حذوهم واقتفيت اثرهم، بل قد فُقْتهم عمالةً وخيانة لله ورسوله، بل إن اجدادك هؤلاء مع كفرهم وحربهم للإسلام والمسلمين كانوا أكثر منك مروءةً ورجولة؛ فمع كفرهم وضلالهم كانوا إذا مروا بقبر أبي رغال يسبونه ويلعنونه، لأنه هو من دل أبرهة الحبشي وجيشه لهدم الكعبة.

فكيف بك وأنت الذي فتحت البلاد، وقيّدت العباد لليهود والصليبيين، ومن ديارك انطلقت جحافل جيوشهم الجرارة لغزو العراق، فإن اول طليعة للجيش الصليبي دخلت العراق كانت من بوابة الأردن الشرقية، قبل أن تدخل قوات الصليب من الخليج و كردستان، فاسألوا صحراء الأنبار تُجِبْكم عن ذلك.

فيا سليل الخيانة؛

تذكر أن الذي مكّن ابن مسعود أن يعتلي صدر أبي جهل و يَحُزّ رأسه، قادرٌ على أن يصنع بك ما صنع به على أيدي المستضعفين من المسلمين، الذين ما ادخرت جهداً لحربهم و لصدهم عن دينهم.

و دعني أزيدك من الشعر بيتاً، فوالذي جعل موت أبيك عبرةً لكل طاغية، إننا لا نشك لحظة واحدة أن نجمك آفلٌ لا محالة، تلك سُنة الله في الذين ظلموا: {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب:٦٢]، {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف:٩٨].

لعمرك ما تدري الطوارقُ بالحصى* ولا زاجرات الطير ما الله فاعلُ**

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب السابع و الثلاثون

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ

٨ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ
٨ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٦ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد؛

فإن من سنن الله تعالى في عباده؛ أن لا ينتصر هذا الدين إلا على يد من ثبت على الحق وتمسك بالصراط المستقيم، ولأجل هذا قدر الله تعالى الإبتلاء على عباده ونوع في الفتن حتى تتميز الصفوف وينقى فسطاط المؤمنين، قال تعالى: {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران:١٧٩].

قال ابن القيم: (فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين، إما أن يقول أحدهم؛ آمنا، وإما أن لا يقول آمنا، فليستمر على عمل السيئات، فمن قال؛ آمنا، امتحنه الرب عز وجل وتبتلاه وألبسه الابتلاء والاختبار، ليبين الصادق من الكاذب)، انتهى كلامه رحمه الله.

فتنة تعقبها أخرى تتصاعد باضطراد، حتى يضطر كل مدع وكل من حسب نصرة الدين نزهة؛

أن يحدد موقفه بوضوح، ولقد كانت ولا تزال سيرة النفاق هي... هي... في عدم وضوح الموقف من الإيمان والكفران، حيث ترى ظاهرهم مع أهل الإيمان، وفي السر يتصلون بالكفار، ليضمنوا لأنفسهم خلاصا من احتمال إدالة أهل الكفر على المؤمنين.

قال ابن القيم: (فهم واقفون بين الجمعين، ينظرون أيهم أقوى وأعز قبيلا، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن، فإن كان لهم فتح من الله، قالوا؛ ألم نكن معكم؟! وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب، قالوا؛ ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا محكم وأن النسب بيننا قريب؟!).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى: {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء} [النساء:١٤٣]، يعني المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا مع الكافرين ظاهرا وباطنا، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك؛ فتارة يميل إلى هؤلاء، وتارة يميل إلى أولئك، كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا).

قال مجاهد: ({مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء} [النساء:١٤٣]، يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، {وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء} [النساء:١٤٣]؛ يعني اليهود).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق؛ كمثل الشاة العاهرة بين الغنمين).

قال ابن جرير عن قتادة: (ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرَّفين).

إن لهذا النفاق ثلاثة منابع:

الأول؛ نفاق عقائدي:

يتمثل بضعف اليقين وسوء الظن بالله تعالى، ومن ذلك إبطال الكفر وإظهار الإسلام والإعانة على هدم الإسلام في الخفاء، وهذا من سوء الظن بالله تعالى.

قال ابن القيم: (ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما ينال بطاعته والتقرب إليه، فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسماءه وصفاته، وهو من ظن السوء)، انتهى

كلامه رحمه الله.

الثاني؛ نفاق طبعي أو خُلقي:

وأبرز أنواعه الجبن والبخل وعدم الغيرة على الدين، والمعضلة أن هؤلاء يأبون الاعتراف بأنهم جبناء، ويرفضون وصفهم بعدم الغيرة، ويوجهون سهام النقد واللمز نحو المتمسكين بالحق، واصفين إياهم؛ بـ (المتهورين) وبـ (الحماسيين) أو (الذين لا يفهمون الواقع).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وتارة يقولون؛ أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو؟! وقد غركم دينكم! كما قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال:٤٩]، وتارة يقولون؛ أنتم مجانين لا عقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم والناس معكم!)، انتهى كلامه رحمه الله.

ولأن الله تعالى كتب على عباده المجاهدين الامتحان، بإدالة الكفار عليهم قبل التمكين، فإنا على يقين؛ بأنا سنشهد اليوم الذي نرى فيه فريق النفاق المتسلق وقد اضطر إلى إظهار نفاقه، وسيقول يومها للكفار؛ (ألم نكن معكم؟! ألم ندخل البرلمان ورضينا بالديموقراطية وكنا شركاء لكم في القضاء على المتشددين والغرباء؟!).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (يخبر تعالى عن المنافقين؛ أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم، {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ} [النساء:١٤١]؛ أي نصر وتأييد وظفر وغنيمة، {قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} [النساء:١٤١]؟! أي يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة، {وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} [النساء:١٤١]، أي إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان -كما وقع يوم أحد، فإن الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة- {قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء:١٤١]، أي ساعدناكم في الباطل وما ألوناهم خبالا وتخذيلا، حتى انتصرتم عليهم...)، إلى أن قال: (فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم وقلة إيقانهم)، انتهى كلامه.

الثالث؛ نفاق في المنهج:

ومثاله اليوم ما عليه الوطنيون والمنحرفون عن هدي السنة في الجهاد، الذين يقاتلون لأجل الحدود، ويرضون بالعلمانية حكما، وبالثوابت الوطنية ميزانا للولاء والبراء، وهؤلاء قد انحرفوا

عن منهج النبوة إلى منهج (بني علمان).

قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه: (المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، قيل: ولم ذلك؟! قال: (لأنهم كانوا يسرون نفاقهم، وهم اليوم يعلنونه).

وأما نفاق المنهج اليوم فإن أخطر وجوهه؛
الوطنيون والمنتسبون للسلف زورا، فهم يلبسون على الناس أمر دينهم، ويخدعون الجهال بمقاتلتهم الأعداء، وسعيهم إلى تحرير البلاد من نير المحتل، وهم في الوقت ذاته يسرون العداء للشريعة؛ بمحاربة دعاتها -شعروا أو لم يشعروا، علموا أو لم يعلموا-

ولعمر الله تعالى إن هؤلاء؛ هم العدو القادم، وهم من جنس شر غائب منتظر، وسيستخدمهم الصليبيون لضرب المجاهدين.

وعند هذه النقطه نحتاج إلى الوقوف على تاريخ الصليبيين وأساليبهم وكيف غرر بالمسلمين في أكثر من موطن بسبب أهل النفاق.

- ففي مطلع القرن العشرين؛ عقدت بريطانيا اتفاقها الشهير مع المدعو الشريف حسين، وأعطته الضمانات على تنصيبه ملكا للعرب في حال وقوفه إلى جانبهم في الحرب ضد العثمانيين، وما أن انتهت من العثمانيين؛ التفتت إلى حلفيها الذي قاتل عوضا عنها، وألقت به منفيا يصارع الأمراض وتأكله الحسرات.

يقول لورانس في (أعمدة الحكمة السبعة): (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب؛ أن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، ولهم ثقة بالعدو، إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد)، انتهى كلامه.

- وقبل ما يقارب ثمانية عقود خلت؛ هبت في مصر ثورة عارمة، انطلقت شرارتها من المساجد، والتف عليها بني الأصفر حينها، واستدعوا على جناح السرعة ما أسموه (زعيم الأمة المصرية) -سعد زغلول- من منفاه وارتضوه أمينا على مصالحهم ووكيلا على مصر، فهو علماني من

بني جلدتهم، وسيتكفل لهم بتقويض الشرع وتغييب التحاكم إلى الكتاب والسنة، فلم يخافون منه إذا؟!

- وفي تلك الحقبة تفجرت في العراق (ثورة العشرين)؛ وعلى الرغم من أنها لم تكن دعوة إلى الجهاد أو تحكيم الشرع، إلا أن الإنجليز وجدوا أنفسهم في ورطة، واضطروا صاغرين إلى الإتيان بفيصل ابن الحسين وتنصيبه ملكا على العراق.

- وفي ثلاثينيات القرن الماضي قامت الثورة الكبرى؛ التي أشعلها عز الدين القسامي في فلسطين ضد اليهود، وعجزت بريطانيا عن إخمادها، فاستنجدت بخادمها الملك عبد العزيز آل سعود، الذي أرسل ولده فيصل ليتحايل على زعماء الثورة من أجل إيقافها بعد أن تكفل لهم بوفاء (صديقتنا بريطانيا) -على حد وصفه- وتراخى الثوار، ليعطوا لبريطانيا فرصة استعادة أنفاسها وترتيب صفوفها، لتنقض عليهم وتتمكن من إخماد الثورة، وتصفيه رؤوسها.

ويلاحظ مما تقدم؛

أن تنازل الصليبيين عن بعض مطامعهم لا يلغي مخططهم الأكبر، فهم من جهة يتنازلون عن شيء ما، ومن جهة أخرى يرتبون أوضاعهم على إنجاز مشروعهم الأعظم.

ويلاحظ كذلك؛

أن حصولهم على فرصة إسكات الثائرين قد وفر عليهم في كل مرة احتمالية هزيمتهم، فمتى يدرك اللاهثون وراء وعود الكفار؛ أنهم واهمون، وأنهم بتفاوضهم على التهدئة قد أعطوا للكفار فرصة الانقضاض عليهم؟

ويراد لتلك المشاهد أن تتكرر اليوم مع قصة الحرب الصليبية الجديدة، التي تدور رحاها في أرض الرافدين، وهي تطمع في التمكين لليهود، وتتوسل إلى إطالة عمر تفردها عبر سيطرتها على أغنى بلاد الدنيا، ولما كانت تعلم أنها لن تجد في المنطقة خيرا من دين الرافضة عونا لها ومعولا لهدم الإسلام، فقد جعلت من دعمهم والاعتماد عليهم جزءا لا يفترق أبدا عن مرافقة خطوات مخططهم الأثيم.

وبعد الاجتياح السريع للعراق؛ الذي اعتبرته ضيعة تابعة لها، عينت (بريمر) حاكما عسكريا عليه، واستقدمت معه أكثر من عشرين وزيرا أمريكيا، ولما انطلقت عجلة الجهاد؛ تنازلت قليلا واستدعت الراضين لأنفسهم بنصيب الخيانة، لتشكل منهم مهزلة (مجلس الحكم) السيء

السيط، وحيث منيت خطوتها هذه بالهزيمة فقد عمدت هذه المرة إلى تمثيلية (تسليم السيادة)، وعينت حكومة انتقاليه، وبعد استحقاق خياني واضح؛ سلموا مسئولية الخادم المطيع إلى الرافضة، وأطلقوا يدهم في التنكيل بأهل السنة، وقد هدفت من ذلك إلى جرهم إلى حظيرة الخيانة، وجعلهم على قناعة من عدم جدوي قتالها.

وما دار في خلد دهاقنة (البيت الأسود)؛ أن تكون أرض الرافدين مستنقع يغوص فيه الجيش الأمريكي حتى هامته، وظنوا أن دار الخلافة – بعد عقود من حكم البعث الكافر تخللتها حربان وحصار أهلك الحرث والنسل – لن تكون إلا غنيمة باردة، فأرداهم ظنهم، وإنبرى ليوث التوحيد لأقوى جيوش الأرض، متسلحين بإيمانهم بالله أولا، وبالخفيف من الأسلحة ثانيا، فأذلوا كبرياء (هُبل العصر)، ومرغوا أنف جيشها الجرار ومن تحالف معها بالوحل.

وبعد لاءات أمريكا في بداية مشروعها الصليبي في أرض الرافدين؛ بدأ مسلسل التنازلات يزداد باضطراد، كلما ازداد حجم خسائرها في أرض الرافدين، لينتهي بها المطاف أخيرا تستجدي العون والمساعدة ممن كانت قد ركلتهم وداست على رؤوسهم قبل وقت قريب.

فقد عملت أمريكا على خطين للخروج من ورطتها؛

الخط الأول؛ وينشط خارج أرض الرافدين:

وذلك بإلزام حلفائها بتحمل جزء من التزاماتها المالية والعسكرية، لكن دون أن يجديها ذلك نفعا، وهذا ليس بخفي على أحد، فهذه أفغانستان قد سلمت لجيوش (حلف الناتو) لما رؤوا ورطة زعيمة النظام العالمي الجديد، وقد بدأت الأرقام تتحدث عن حجم الكارثة التي ألمت بها، ومن فم ساسة ما يسمي بـ (الكونجرس الأمريكي)، وبدأت تتكشف الأرقام الحقيقة للخسائر، فبالإضافة لأكثر من خمس عشر ألف إصابة بين قتيل وجريح، جائت أرقام الخسائر المادية لتعلن عن أكثر من نصف تريليون دولارا، هذا ناهيك عن هيبة أمريكا التي تلاشت مع تبخر أحلامها في أرض الرافدين.

ونحن نقول؛ بأن هذه الاحصائية هي احصائية العدو الصليبي، والتي هي أقل بكثير من الأرقام الحقيقة، ويكفي أن نذكر للسامع مثالا بسيطا ليعلم حجم الخسائر في قوات التحالف الصليبي؛ أنه ومنذ أن بدأت عمليات المجاهدين بعد سقوط النظام البعثي إلى يومنا هذا، نفذت قرابة ثمان مئة عملية استشهادية على أهداف وأرتال عسكرية صليبية بحتة، وهذا من غير

الاقتحامات والكمائن والعبوات الناسفة والقصف الصاروخي وغيره.

والذي نعتقده؛ أن خسائر عباد الصليب في العراق لا تقل عن أربعين ألف جندي حتى الآن، والله أعلم.

وأيضا استنجادهم بجامعة الدول العربية، ممثلة بأمينها العام عمرو موسى، ودعوته لمؤتمر المصالحة المزعوم في القاهرة، مع أناس مفاخرين بموالاتهم للصليبيين كالرافضة وعلماني الأكراد وغيرهم، وأناس آخرين محسوبين على أهل السنة زورا وبهتانا، يمسكون العصا من الوسط، يخافون الدوائر، ويطمعون أن يكون لهم سهم في هذه الغنيمة، وبئس ما ظنوا.

وحيال هذه المؤامرة نحتاج إلى فهم طريقة الكفار في التعامل مع القضايا التي تماثل الوضع في العراق، ونحتاج إلى التعريف بحقيقة المجتمعين، لأنك إن أردت أن تفهم خطورة دورهم وتتمكن من توقع ما سيأتون به، فتعرّف على تاريخ هؤلاء، وأطلع على أسلافهم، فإن لهم تاريخا أسودا مع جميع قضايا المسلمين، ، وعلى مدار الوقت الفائت من عمر المعركة الدائرة بين ملة الكفر وبين أمة الإسلام؛ لقد لعبوا دائما دور المنقذ لأمريكا ولعموم الغرب الصليبي كلما اشتدت الأزمة بالكفار وادلهمت الخطوب بأعداء الأمة.

ونأتي الآن على ذكر الجامعة العربية والدول الأعضاء فيها؛

والذين وقفوا عاجزين عن حل أي قضية، أو تحريك أي قطعات عسكرية لدفع هجوم ما عن الدول العربية، وهي بهذا الاعتبار فاشلة حتى على المفهوم القومي والمقياس الوطني الذي تحتكم إليه، واللحظة الوحيدة التي عرفت تحركا محموما للجامعة العربية؛ هي تلك التي شهدت غزو البعثيين للكويت، وهنا حركوا الجيوش وقاتلوا مع سيدهم الأمريكي لتحرير الكويت، لصالح الأمريكان، وتحويلها من يد صدام إلى يد بوش.

إن هذه الدول التي اجتمعت في القاهرة لإتمام مشروع (الوفاق الوطني* هي ذاتها التي شاركت في ذبح العراق، وتعاونت مع الأمريكان على ذلك عبر فسح المجال البري والجوي والبحري، وتقديم المعلومات الاستخباراتية للأمريكان.

ألم يكن أول صاروخ أطلق على بغداد من بارجة أمريكية كانت راسية من القرب من الإسكندرية؟!

وكيف كان للأمريكان أن يصلوا إلى بغداد دون معاونة هذه الدول المحيطة بالعراق؟!

وهل كانت أمريكا تسمح لهذه الدول الخائرة أن تتكلم بالشأن العراقي لولا ورطتها في العراق؟!

وأما الخط الثاني؛ فإنه ينشط داخل أرض الرافدين:

وهو طوق النجاة الأخير، وعليه يعول عتاولة البيت الأسود، ولهذا أعد الكفر عدته وعبء ذخيرته، وكلما خابت محاولة أعاد الكرة، فتارة (مجلس حكم)، وتارة أخرى (حكومة إنتقالية)، ومن علاوي العلماني إلى الجعفري العلقمي، أخذت أمريكا تجتر عملائها لعلها تخرج بحل لمأزقها، والحق يقال؛ فأمريكا حبلى بالعملاء، ولكن في كل مرة لا يرى وليدها النور، كيف لا وهي في أرض سعد والمثنى، التي لم تزل عرينا للأسود.

واليوم، وبعد أكثر من سنتين ونصف، وبعد فشل أحفاد ابن العلقمي في كل شيء إلا في التنفيس عن حقدهم الرافضي، وجد سيدهم الأمريكي أن الأوان قد حان للتخلي عنهم ظاهرا، وأن الدور اليوم لنوع آخر من العمالة لا يستطيع القيام به إلا نوع خاص من العملاء، فمن يا ترى أفضل ممن يدعي دعوى الإسلام، ويظهر بمظهر المخلَّص لأهل السنة!

ويمكننا تصنيف أصحاب هذا اللون من النفاق بفريقين:

الفريق الأول؛ وهو ذاك الصنف الذي أدرك منذ اليوم الأول لدخول الصليبيين أرض العراق أن لا سبيل لقبول دعوته إلا بنسبتها إلى الإسلام؛

فكان منهم من إختار الانتساب للإسلام العام، **ومنهم** من انتسب إلى دعوة السلف وأهل السنة والجماعة، وها نحن نراهم اليوم مضطرين للرجوع إلى أصولهم العقدية، وهم من بات على اتصال مع الكفار وحاميا للمقرات الانتخابية، وهم من لا يزالوا يتلاعب بأتباعه ويخادع الناس من خلال تصريحه بشيء، وبعمله في السر شيئاً آخر.

ولله در الشيخ أبي قتادة، حين يقول: (مرت فترات متقطعة من أعمال الجهاد، واقعة يتقمصها غير أصحابها، ويتاجر بها غير أبنائها، وسبب ذلك عائد إلى عوامل:

منها؛ رضى الجماهير المسلمة عن هذا الجهاد، ومن أجل الرفعة والظهور على أكتاف المجاهدين، فتسارع هذه التنظيمات الطفيلية إلى تقمص دور البطولة، وإظهار نفسها مع موقع الريادة في هذا الجهاد، فترتفع الأرصدة الإعلامية، وبالتالي ترتفع الأرصدة المالية، وحين إذ يصبح الجهاد في مأزق حقيقي، حيث يضرب المجاهدون ضربا شرسا، وذلك ليصبحوا تحت وطأة هؤلاء اللصوص وقطاع الطريق إلى الله تعالى، فتظهر الأمراض العجيبة، وتتكشف النفوس الخبيثة ويقع الفصام النكد بين المجاهد الحقيقي والممول الخبيث -لص بغداد-، وأمثلة هذا كثيرة الوقوع وعديدة، فمن أفغانستان إلى فلسطين إلى البوسنة والهرسك إلى سوريا.

ومن هذه العوامل كذلك؛ إرضاء القواعد التحتية المتململة، فالإنسان المسلم الفطري السوي تتوق نفسه فطريا إلى الجهاد، وإلى المشاركة في مواطن العبودية لله ضد الكفر بجميع صنوفه وأشكاله، فمن أجل تفريغ هذا المرجل من بخاره الغاضب؛ فلابد من بعض المنفثات للتفريغ الذكي الخبيث، فتسارع الجماعة إلى تبني أعمال جهادية، لتقنع القيادة قواعدها أنها لم تغير الطريق، أو لتعريف قواعدها؛ أن هناك فرقا بين ما هو معلن من أجل الغطاء السياسي وبين ما هو مخفي حقيقي)، انتهى كلامه رفع الله قدره وفك أسره.

الفريق الثاني؛ (الحزب الإسلامي العراقي)، وحلفائه:

وتاريخه مع الجهاد وأهل السنة معروف، فهو من رضى أن يكون طوق النجاة الذي أنقذ أمريكا في معركة الفلوجة الأولى، والتي كادت أن تعصف بالوجود الأمريكي في العراق، لولا الهدنة التي سعى إلى إبرامها هذا الحزب، لإنقاذ السيد الأمريكي من المستنقع الذي غرق فيه، بعد أن ضيق الخناق على القوات الصليبية والرافضية حول الفلوجة، وبعد أن قطع المجاهدون - بفضل الله تعالى - طرق الإمداد عنهم، واشتعلت الأرض من تحت أقدامهم، حتى أن ناقلاتهم وعرباتهم علقت في الطريق نتيجة نفاذ الوقود.

ولقد حدثنا الإخوة ممن كانوا أسارى في سجن (أبي غريب)؛ أن إدارة السجن أثناء معركة الفلوجة قد أيقنت بالهلكة، بعد أن قام المجاهدون بقطع جميع الطرق المؤدية إلى السجن، وأن المجاهدين قادمون إليهم لا محالة، فجائت إدارة السجن يسألونهم؛ ماذا أنتم فاعلون بنا إذا جائنا المجاهدون؟ فقال لهم الإخوة؛ تسلمون أسلحتكم لنا مقابل أن نؤمنكم، وإتفق الطرفان على ذلك.

فقام (الحزب الإسلامي) بمبادرته -غير مشكور عليها- بإنقاذ سيده الأمريكي.

أرأيتم كيف يذبح الإسلام على يد هؤلاء المتسلطين؟!

وهو من أدخل الفرحة على قلب بوش وزمرته، بعقد اتفاق (اللحظة الأخيرة) -كما سمتها مجلة (النيوز ويك)- والذي نفخ الروح في دستور كان مقرر أن يولد ميتا، فهذا الدستور كان مرفوضا حتى من دعاة القومية والوطنية، ولكن جهابذة هذا الحزب لم يجدوا حرجا من القبول به واتخاذه منظما لحياة المسلمين في هذا البلد، بدلا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تحت دعوى وعود من كافر صليبي، زعم لهم إمكان إدخال بنود إضافية إليه، تضمن تعديله مستقبلا، وهو من نسق الاتصالات مع (زلماي خليل زاده) -السفير الأمريكي الحاكم للعراق- يوم أن اجتمع برموزهم في (المنطقة الخضراء) قبل التصويت على الدستور الكفري، قائلا لهم؛ (صوتوا على الدستور ولكم ما تريدون!) فتمت الصفقة، وراح الحزب يعطي الرشاوي المغرية لبعض شيوخ العشائر من أجل إقناعهم بضرورة المشاركة في الانتخابات.

ولكن مقابل ماذا؟!

مقعد في البرلمان مقابل تعهد شيوخ العشائر بحفظ أمن القوات الأمريكية في مناطقهم! دين يباع وجهاد يعطل مقابل مقعد في برلمان لا يدفع شرا ولا يغني من كفر... أبلغت الحماقة حد بيع المرء دينه بعرض من الدنيا قليل.

هذا هو الحل السياسي الذي يبشر به (الحزب الإسلامي) والمتحالفون معه!

فيالله ما أذلكم؟!
إذ تستبدلون فتات موائد إخوة القردة والخنازير وعباد الصليب بمرضاة ربكم.

واعجبي!؟
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟!

وما كانت أمريكا لتستجدي الحلول من بعض المنتسبين للسنة إلا بعد عجز آلتها العسكرية في القضاء على المجاهدين، وفشل خدمها من الروافض وغيرهم في إطفاء جذوة الجهاد في نفوس شباب هذه الأمة، وأيقنت أنها لن تستطيع -بأمر الله- القضاء على المجاهدين، فراحت تبرم الاتفاقات على تولي هؤلاء مهمة القضاء على الجهاد، بإدخال أهل السنة في دياجير اللعبة

السياسية، مقابل إشراكهم في جريرة التخلي عن الجهاد، لصالح الحلول السلمية الإنهزامية، والنتيجة المرجوة؛ هدوء يوفر للصليبيين فرصة لترتيب أوضاعهم وتهيئة القوات اللازمة لحماية قواعد الصليبيين.

ولقد قال من قبل لويس التاسع – ملك فرنسا – بعدما هُزم جيشه في مصر في الحملة الصليبية الثانيه في مذكراته، حيث يقول: (إنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوة، وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله، وإن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولا من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد، ولابد من التفريق بين العقيدة والشريعة).

ويقول منظر العقيدة العسكرية الأمريكية (كوردس مان): (إن فشل المشروع السياسي الأمريكي في العراق يعني فشلا أكيدا للعسكر).

إن مؤتمر القاهرة –وكذا الانتخابات الأخيرة– لم يعقدا إلا للإلتفاف على المجاهدين والإتيان بالوطنيين بدلا عنهم، ولو كان ذلك مما يضر بأمريكا؛ لما سمحت بقيام شيء من ذلك، وعلى كل حال؛ انتهى المخطط الأمريكي والاتفاق المبرم مع الخونة.

فإن لنا مطالب، لن نتراجع عنها حتى نعذر عند ربنا بالقتل شهداء أو بالنصر والعيش تحت حكم الله سعداء.

ومطالبنا هي:

أولاً: طرد الغزاة من أرضنا في فلسطين والعراق وفي باقي أرض الإسلام.

ثانياً: إقامة شرع الله تعالى في الأرض كلها، ونشر عدل الإسلام والقضاء على ظلم الأديان.

ولن نوقف الغارات حتى ينتصر الإسلام ويقام الشرع، أو نهلك دونه.

وننبه إخوتنا وأهلنا من أهل السنة في العراق إلى أمور هامة؛ وهي:

الأمر الأول: إنه ليحزننا اعتقال أحدكم أو مجرد المساس به، لو بشطر كلمة، لكن السبيل للخلاص من ذلك ليس بالاستكانة للكفار، ولا بالرضى بحكم الجاهلية، ولكن بالجهاد

تستجلب العزه وتتنزل الرحمات، فإن تعسر حصوله أو تأخر نزوله فبحسبكم اخبار الله تعالى عن نبيه وعن أصحابه الكرام يوم استبطأوا النصر، فقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} [البقرة:٢١٤].

الأمر الثاني: ليس الذلة أن يقتل المرء أو يعتقل، ولكن الذلة أن يعيش عاجزا عن تطبيق شرعة ربه في الأرض، والذلة أن ترى اليهود يسرحون ويمرحون بين ظهراني المسلمين وأنت صامت لا تستطيع حراكا، ومكبل لا تستطيع فكاكا، والذلة أن يتمكن الصليبيون وأعوانهم من بسط سيطرتهم وبناء قواعد لهم ثم الإنطلاق منها لقتل المسلمين ومحاربة الله ورسوله، والذلة أن ترى أخواتك وهن يصرخن من قهر السجان الصليبي وأنت مرتاح البال قرير العين.

لا يستوي المصرفان، وحاشا؛

فالأول؛ في غضب الله وسخطه، مع الذلة والهوان والخسران في الدنيا والآخرة.
والآخر؛ في رضى الله ورضوانه، مع العزة والكرامة والفوز المبين في الدنيا والآخرة.

وهذا يبين من أن القعود عن الجهاد والركون إلى الدنيا والإخلاد إليها والاستكانة لحكم الطاغوت وقهره، وتطاول الزمن على ذلك؛ ينتج أجيالا خانعة، ذليلة، مهانة، استمرأت الذل والمهانة، وألفت حياة القهر والعبودية لغير الله، فلم تعد تنكر شيئا من ذلك، فضلا عن أن تدفعه، فهي أجيال تساق؛ فتنساق، وكفى من ذلك فتنة من جراء ترك الجهاد لمن في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.

ولذا فإن إطفاء شعلة الجهاد وجدوته في الأمة هو في حقيقة الحال وبالنظر للمآل؛ تسليم لهذه الأمة لأعدائها، طيعة ذليلة، وحسبنا الله ونعم الوكيل في هؤلاء الذين شغفوا بالحديث عن فتنة الجهاد ومفاسده، ولم ينبسوا ببنت شفة عن فتنة ترك الجهاد ومفاسد القعود عنه.

وما أصدق قول شوقي:

ومن العقول جداول وجلامد
ومن النفوس حرائر وإماء

فضريبة الجهاد في سبيل الله، مهما تعاظمت وكبرت، فإنها لا يمكن أن ترقى إلى ضريبة الذل والهوان وما يتبعها من ذهاب الدين والدنيا إن لم ترفع، مع التذكير بأن الطاغوت لا يقف عند حد من طلب العبودية له، حتى يسلخ العباد تماما من دينهم، مع ضياع الدنيا، وفي الآخرة؛ عذاب النار وبئس المصير، فهل هناك فتنة أعظم من هذه الفتنة، وهل هذه الفتنة تقارن بالحرص على نفس أو مال أو منصب أو جاه أو مكانة تنظيمية أو منزلة علمية؟! بل هذا الحرص الذي يترك من أجله الجهاد هو عين ما قد يُبتلى به عبد من فتنة حقيقية تقتلع دينه من أعماقه.

يقول المستشرق (جب) في كتابه (وجهة الإسلام): (تغييب الشرق؛ إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع، في كل ناحية من النواحي، حتى إذا أمكن؛ صبغ ماضي الشرق بلون قاتم مظلم، يرغب عنه أهله، فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها، ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها، وترى بعد ذلك في خضوعها شرفا كبيرا).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

الأمر الثالث: لقد كان بإمكاننا –بإذن الله– إفساد الانتخابات في أكثر مناطق العراق، ولكننا أحجمنا عن ذلك دفعا لاحتمالية مقتل عوام أهل السنة، الذين لُبس الأمر عليهم من قبل أئمة الضلالة، ولقد كنا نتوقع غدر الصليبيين بهم، وأنهم استدرجوا لفخ نصب لهم بإحكام.

الأمر الرابع: رسال نوجهها إلى (الحزب الإسلامي)؛ ندعوه فيها لترك هذا الطريق الوعر والمنزلق المهلك، الذي سار فيه وكاد أن يُهلك أهل السنة ويورطهم في الخلود إلى الدنيا والرضي بحكم الجاهليه، التي ألبسوها زي (المصالح الشرعية)، ولقد كان الأولى بهم دعوة الناس إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، والحزن على أخواتنا وإخواننا في سجون عباد الصليب، وليس الفرح والرقص في الشوارع ابتهاجا بنصر موهوم، وفتح مزعوم... فأين الغيرة على الدين وعلى المسلمين؟!

وهذه صرخة أخرى إلى أهل السنة عامة، وأتباع (الحزب الإسلامي) خاصة:

أين يُذهب بكم؟ وفي أي طريق تسيرون؟ ألا تتقون الله تعالى في هذا الجهاد المبارك؟

ففي الوقت الذي بان للقريب والبعيد خسارة العدو الصليبي في حربه مع المجاهدين، تمدون

له حبل النجاه وأنتم غافلون، ووالله إنا عليكم لحريصون، وعلى حالكم لمشفقون، فاحذروا من دعاة على أبواب جهنم، فوالله إنا حالنا وحالكم كالمثل القائل؛ (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)!

فإن المجاهدين هم درع الأمة وسياجها المتين، وهم الذين يدافعون عن دينكم وعن أعراضكم، وقد بذلوا الغالي والنفيس، فوالله لو ضعف المجاهدون؛ فلن تأمنوا على نسائكم وأعراضكم طرفة عين.

فيا أهل السنة؛

لقد ضحيتم وبذلتم الكثير، وقتل منا من قتل في سبيل هذا الدين، وفي سبيل الحفاظ على أمة الإسلام، فلا تكونوا شؤما على أمة نبيكم، ولا ترتضوا لأنفسكم مصير الخذلان، فإن عاقبته عاقبة سوء وندامة.

قال شيخنا وأميرنا الأسد المجاهد أسامة ابن لادن حفظه الله ورعاه، في رسالته لأهل العراق: (واعلموا أن هذه الحرب حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي، وهي حرب مصيرية للأمة بأسرها، ولها من التداعيات الخطيرة والآثار السيئة على الإسلام وأهله ما لا يعمل مداه إلا الله.

فيا شباب الإسلام في كل مكان، ولا سيما في دول الجوار واليمن؛

عليكم بالجهاد والتشمير عن ساعد الجد، واتبعوا الحق، وإياكم أن تتبعوا الرجال الذين يتبعون أهوائهم، ممن تثاقلوا إلى الأرض، أو ممن ركنوا إلى الذين ظلموا، فيرجفوا بكم ويثبطوكم عن هذا الجهاد المبارك، فقد تعالت أصوات في العراق، كما تعالت من قبل في فلسطين ومصر والأردن واليمن وغيرها، تنادي بـ (الحل السلمي الديموقراطي) في التعامل مع الحكومات المرتدة أو مع الغزاة من اليهود والصليبيين، بدلا عن القتال في سبيل الله، لذا لزم التنبيه باختصار على مدى خطورة هذا المنهج الضال المضل، المخالف لشرع الله، المعوق عن القتال في سبيل الله، فكيف تطيعون - مع تعين الجهاد - من لم يغزو في سبيل الله أبدا؟! أفلا تتدبرون؟! فإن أولئك هم الذين عطلوا طاقات الأمة من الرجال الصادقين، واحتكموا إلى أهواء البشر... إلى الديموقراطية - دين الجاهلية - بدخول المجالس التشريعية، أولئك قد ضلوا ضلالا بعيدا وأضلوا خلقا كثيرا)، انتهى كلامه حفظه الله.

وهذه رسالة إلى أمة الإسلام؛

تقبل الله منا ومنكِ صالح الأعمال، وعاد الله علينا هذا العيد وأنتِ تنعمين بالعز والتمكين.

حديثي اليوم إليك يتجدد، ولكنه ليس تذكيرا بالجراحات، أو استنهاضا للأنفس الأبيات، بل هو حديث البشارات في أيام الفداء والتضحيات، فها هي العمليات تتوالى، وبإذن الله تعالى لتكونن كسرة الصليبيين هذه... الكسرة التي مالهم بعدها قائمة في أرض الرافدين.

أبشري أمتي؛ فقد دنا وقت الحصاد، واقترب وقت الجداد.

أبشري أمتي؛ فالنصر للمؤمنين والعاقبة للمتقين، مهما طال ليل الظالمين.

أبشري أمتي؛ بقرب هلاك رأس الكفر أمريكا، فقد جرت سنة الله أنه سبحانه يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، وأنه يهلك الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، وقد طغت حاملة الصليب وتجبرت، وعم ظلمها مشارق الأرض ومغاربها، وقد أذن الله بسقوطها، فسلط عليها جنود الأرض والسماوات، فهؤلاء أهلها قد تتابع عليهم الإعصار تلو الإعصار، فلا يكادون ينسون جراحات وآلام إعصار حتى يعقبه آخر ينسيهم من قوته وبطشه أهوال ما قبله، وهؤلاء جنودهم تتخطفهم أيدي المجاهدين على أرض الرافدين وأفغانستان، فإن أمريكا اليوم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وتترنح أمام ضربات المجاهدين في أفغانستان والعراق.

وكل ما تسمعونه على لسان (كذاب البيت الأبيض) بأن الوضع في العراق في تحسن مستمر، وأن الجيش العراقي بدأ بتحمل مسئولياته وبات يبسط سيطرته على بغداد وغيرها، فهذا كله محض كذب وتزوير، فوالله إن هذا الجيش الرافضي الذي ينفخ فيه عدو الله بوش ليحتمي خلفه من ضربات المجاهدين لا يستطيع أن يحمي نفسه من سيوف أولياء الله، وإن معنويات هذا الجيش في أدنى مستوياتها، وقد دب الخوف والهلع والرعب في صفوف هذا الجيش، حتى بلغ بهؤلاء الجنود؛ أن يحمل أحدهم حقيبة صغيرة بيده يضع فيها لباسه المدني، حتى إذا حمي الوطيس واقترب منه جنود الرحمن خلعوا بدلاتهم العسكرية، وارتدوا اللباس المدني، واندسوا بين الناس.

ولقد بلغ قتلى هذا الجيش الرافضي خلال الأسبوعين الماضيين أكثر من خمس مئة جندي، ففي محافظة ديالي وحدها؛ قام الإخوة بالهجوم المسلح والمنظم باقتحام ثلاثة مراكز للشرطة

والجيش في بعقوبة وبهرز والعظيم، فتم قتل ما لا يقل عن مئة وخمسين جنديا من العدو، وتدمير هذه المراكز تدميرا كاملا، فهذا في مدينة واحدة، فكيف بالمدن الأخرى؟ – طهرها الله من رجس الصليبيين والروافض الحاقدين – كبغداد والأنبار وصلاح الدين ونينوي وغيرها.

ولولا تواطئ الإعلام الخبيث بشتى وسائله مع العدو الصليبي، لهالكم ما ترون من حجم خسائر العدو الصليبي وأعوانه، وبإذن الله لينسينهم ما يلاقونه على أيدي المجاهدين أهوال فيتنام.

وما رأيتموه في الأيام الماضية من قصف مُركز بالصواريخ على أحفاد القردة والخنازير من جنوب لبنان؛ لهو باكوره عمل مبارك في ضرب العدو الصهيوني في عمق وجوده بإذن الله، وكل ذلك بتوجيه من شيخ المجاهدين الشيخ أسامة ابن لادن حفظه الله، لتعلم أمريكا وربيبتها دولة بني صهيون؛ أن تطهير مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صميم عقيدة المسلمين، وأن وراء المسلمين في فلسطين أمة لا تنام على الضيم، طليعتها يجاهدون في سبيل الله، آلوا على أنفسهم ألا يغمض لهم جفن ولا يهنأ لهم عيش وهناك يهودي واحد على ثرى الأرض المباركة... {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء: ٥١].

وأقسم بالله الذي لا إله إلا هو؛ أن الله ناصر أولياءه المجاهدين على أعداءه الصليبيين، ولكأني بضياء فجر العز يلوح في الأفق، وإن غدا لناظره لقريب، {أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤]، قال سبحانه: {لاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩].

اللهم أنزل بأمريكا وحلفائها بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين،
اللهم عذبهم بعذاب من عندك أو بأيدينا،

اللهم كل من تآمر على الجهاد والمجاهدين فرد كيده في نحره واكشف خبيئته وافضح سريرته واجعله عبره لمن يعتبر،

اللهم سلط عليهم الأسقام والبلايا،
اللهم عليك بقادة (الحزب الإسلامي) ومن تواطأ معهم،

اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم وخالف بين قلوبهم،
اللهم مزقهم كل ممزق واجعلهم في الأرض أحاديث.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

و الحمد لله رب العالمين.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الثامن و الثلاثون

هَذا بَلاغٌ للنَّاسِ

٢٦ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ
٢٤ أبريل/نيسان ٢٠٠٦ م

بِصَوْتِ وَ صُورَةِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولاً بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمّا بعد؛

أمتي الغالية؛ إني محدثكِ حديثاً ليس بالأغاليط، لعلي أجد منكِ آذانً صاغية، وقلوبً واعية؛ فإن الرائدَ لا يكذب أهله.

إن العدو الصليبي عندما دخل العراق كان ينوي من دخوله السيطرة على الأمة، والتمكين لدولة بني صهيون، من النيل الى الفرات، فمكَّنَ الله ابناءكِ المجاهدين من الوقوف في وجه أشرس حملة صليبية داهمة على بلاد المسلمين.

فوقفوا في وجه هذا الزحف لمدة ثلاث سنين ويزيد، بذلوا خلالها الغالي والنفيس..
وضحوا بالنفس والنفيس؛ مالهم وأوقاتهم واعراضهم وأنفسهم..
وتحملوا الهجمة الشرسة عسكرياً وإعلامياً وإقتصادياً..

لا لشيء إلا للدفاع عنكِ وعن دينكِ وابناءك، وغيرةً على حُرُماتِك؛ فبدد الله جموعهم، وشتت شملهم، وبانت هزيمتهم لكل ذي عين باصرة وقلب واعٍ.

فهاهم ابناءك بفضل الله تعالى؛ ينفذون الغزوة تلو الغزوة، والهجمة تلو الهجمة، فملكوا بفضل الله تعالى وحده زمام المبادرة في ارض المعركة.

ولولا التكتيم الاعلامي المتواطئ والمتصاعد؛ لرأيتم العجب العجاب، فوالله انها الملاحم والبطولات، تهب علينا نسائمها تترا، فحثيث عليكِ يا أمتي أن تشكري الله وتحمديه على هذه النعمة العظيمة، بأن هيئ الله ثلة من ابناءكِ المجاهدين يذودون عن حياضك، ويحفظون بيضتكِ، وإلا لكان حال أهل السنة في العراق بين صليبي حاقد، ورافضي غادر، ولكان نساء أهل السنة سبايا في أحضان الصليبيين والروافض الحاقدين، وما سجن أبو غريب وسجون الداخلية الرافضية عنا ببعيد.

أمتي الغالية؛

أننا في العراق على مرمى حجرٍ من مسرى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فنقاتل في العراق وعيوننا في بيت المقدس، الذي لا يسترد إلا بقرآن يهدي وسيف ينصر، وكفى بربك هادياً ونصيرا.

ولقد أثبتت التجارب والأيام، والمحن والخطوب، أن ليس لكِ بعد الله تعالى إلا ابناءكِ المجاهدين؛

فهُم حصنك الحصين، ودرعكِ المتين، وقلبك النابض،
يفرحون لفرحِك، ويبكون لحزنكِ،
يسهرون الليل لأجلكِ ويغارون عليكِ،
وتتفطر قلوبهم ألماً على حالكِ.

ولسانُ همِهم الأول والأخير؛
اللهم أرفع الذل والضيم عن أمتي،
اللهم اعد مجد أمتي وعزها.

أما الإدارة الامريكية؛ وعلى رأسها حامل راية الصليب بوش، فنقول له، ولمن دار في فلكه

من اليهود والصليبيين، ومن الروافض والمرتدين وغيرهم:

بِأنّكُم لَنْ تَنْعَمُوا في دِيَارِ الإسلامِ، وَ وَ اللهِ لَنْ يهنَأَ لكُمْ عَيشٌ وَ فِينَا عِرقٌ يَنبُضُ، وَعَينٌ تَطْرِفُ.

لقد عرض عليكم من قبل أميرنا وولي أمرنا **الشيخ أسامة حفظه الله** ورعاه؛ هدنة طويلة الأمد، كانت خيراً لك ولمن معك لو أجبت يومئذٍ؛ ولكن صدك عن ذلك كِبرُك واستعلاءك، وها أنت اليوم بفضل الله تبارك وتعالى تفزع الى الشرق والغرب، حائراً حسيراً كسيراً، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، حتى غدوت كذاباً أفاكاً، تخادع شعبك وانصارك.

فكلما ازداد المجاهدون بضرباتهم، كلما ازددت كذباً وبهتاناً؛ بأن الوضع تحت السيطرة، ثم يظهر للقريب والبعيد كذب ما ادعيت، وهلم جرا.

فأصبح حالك يشبه الذي يتداوى مِنَ الخمرِ بالخمر، فلم تكن صادقاً مع نفسك وشعبك لحظةً واحدة، رغم انه وُجِدَ من أجدادِكَ الأوائل صِدقٌ قد حُرِمْتَ مِنه.

لماذا لا تُظهِر حقيقة جنودك، وانهيار إرادتهم القتالية، حتى يعلم شعبك حقيقة المعركة؟!

لماذا لا تخبرهم عن إنتحار جنودك المتواصل؟!

لماذا لا تخبرهم بأن جنودك لا ينام الواحد منهم إلا بعد أن يأخذ حبوب التخدير والهلوسة؛ بحيث تفقده عقله ويصبح كالبهائم العجماوات، يسوقه جنرالات حربك المتصهينين الإنجيليين إلى مسالخ الذبح والهلاك؟!

لماذا لا تخبرهم عن هرب جنودك الجماعي، والتمرد المتنامي بين صفوف جنودك؟!

فاعلم أيها الكذاب الأشر؛ بأن أحلامك دونها دماءنا واشلاءنا، والقادم ادهى وأمر بعون الله تعالى.

فمسرحية الديمقراطية العفنة؛ والتي جئت بها إلى ارض الرافدين، بعد أن منّيتَ الناس بالحرية والسعادة والاستقرار المادي والنفسي، كلها ذهبت ادراج الرياح، وولت مدبرة من غير رجعة

بحول الله وقوته.

وها أنت اليوم؛ تحاول بكل حيلة ووسيلة أن تجمع بين الفرقاء والخلاطاء والشركاء من اذنابك المرتدين، لتشكل بهم حكومة مشوهة؛ لعلها تنقذك من مأزقك الحاد، والحرج أمام شعبك وأنصارك.

ونحن بدورنا؛ نعتقد أن أي حكومة تشكل في العراق اليوم كائِناً من كان رموزها، سواء أكانوا من الروافض الحاقدين، أو من علمانيين الاكراد المتصهينين، أو العملاء المحسوبين زوراً على أهل السنة؛ **هي حكومة عميلة موالية متواطئة مع الصليبيين**، وإنما جاءت لتكون خنجراً مسموماً في قلب الأمة الإسلامية.

لقد ادركت امريكا اليوم بأن دباباتها وطائراتها، وجحافل جيوشها وعملاءه من جيش الروافض الحاقدين؛ إنها لن تستطيع -بأمر الله تعالى- حسم المعركة مع المجاهدين، فعمدت الى خطة ماكرة، تنشد من خلالها الإلتفاف على الجهاد والمجاهدين، بالإيعاز الى عملاءها من المحسوبين على أهل السنة، ممن ارتضوا أن يكونوا حبلاً يلتف على رقاب أهل السنة وينقذ الامريكان من مستنقعات فشلهم وهلاكهم بالعراق؛

فاستخدموا من اِتخذَ شعارات الاسلام نقابا؛ يسدل ويخفى به فضائح اعمالهم المسودة!

فأصبحوا يروجون عن اسيادهم ضرورة تشكيل اجهزة الجيش والشُرَطْ، ويلقوا بالمسلمين متشابه القول؛ فدسوا السم بالعسل، ونسوا وتناسوا غفلة وتغافلاً أنه وعلى مر التاريخ الحديث، أن كل محتل ومستعمر لبلد من البلدان يجعل له من ينوب عنه من ابناء البلد واجهة عند الملأ؛ كي يتسنى لهذا المحتل تثبيت دعائمه، ونهب خيرات البلاد والعباد، وتحقيق ما يضمن مصالحة الخبيثة.

قال تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:51]؛ أي في احكام الدنيا والآخرة.

وقال جل شأنه: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص:8].

ومن هنا نكرر نداءنا؛ في التحذير لمن يسعى لنشر وتشكيل اجهزة الجيش والشُرَطْ، والتي اقيمت لتنفيذ مخططات المحتلين، وتطبيق الحكم بغير ما أنزل رب العالمين.

فالحذر الحذر ممن ينخرط بمثل هذه الأجهزة العميلة؛ فواللهِ ليس لديهم عندنا إلا السيف البتار، وبيننا وبينهم ليالي ووقائع تشيب لهولها الولدان.

قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء:76].

ومع ما تقدم من فشلٍ ذريعٍ للعدو ووسائلة الخربه، **يحاول اليوم أن يستدرج صنفين من الناس إلى مسرحية البرلمانات المزعومة**، لقطف ثمرات المجاهدين، الذين يسعون لجعل كَلِمَة اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا؛

فالصنف الأول منهم: هو من يحاول أن يلصق نفسه بالمجاهدين والتزلف لهم، مع كونهم لم يعيشوا أعباء الجهاد وأجوائه وقت احتلال العراق.

والثاني منهم: هو من كانت له مشاركة أول الأمر في قتال الصليبيين، إلا أن الأعمال بخواتيمها؛ فهؤلاء لن تكون اعمالهم صالحةً شرعا، ما لم يكن منهم سعي عملي لجعل كَلِمَة اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ بما شرع لنا من وسائل وطرق شرعية، لا ببرلمانات شركية طاغوتية، تكون كلمة الله فيها مسلوخة أو منسوجة ومُشرَّكة بغيرها من القوانين الوضعية، فالغاية لا تبرر الوسيله هنا.

وحتى لو زعم هذان الصنفان ومن يؤيدهما انهم يسعون بهذه البرلمانات تطبيق الشريعة، فالواقع العملي، والتجربة التاريخية، تناقض وتكذب ذلك؛

حيث ان المتتبع في الخارطة السياسية في العراق، يعلم ان غالبية اصحاب المقاعد البرلمانية هم من الشيعة، وعلمانيِ الاكراد والسنة، ناهيك عن أصحاب المنهج العقدي المتموع، **وهذا يدلنا أن الكفه الراجحه الغالبة دوماً في ميزان البرلمانات ستكون بحكم الطواغيت.**

قال سبحانه وتعالى: {وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} [المائدة:49].

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء:٦٠].

أما أنتم أيها المجاهدون الصادقون الصابرون؛

فتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وبارك الله في جهادكم ورباطكم، فلقد استطعتم بفضل الله وتوفيقه من وَقفِ هذا الزحف الصليبي الداهم على الامة، واثخنتم فيه الجراح، فأصبح في حالٍ لا يحسد عليها أبدا.

فواصلوا جهادكم، وكثفوا من عملياتكم، وضاعفوا من ضرباتكم، فإنها والله الفتوحات، وأنها واللهِ اللحظات الأخيرة، قبل أن يعلن عباد الصليب هزيمتهم في بلاد الرافدين.

فإنهيار الإرادة القتالية أصبحت السمه البارزة بالجيوش الصليبية، فجددوا النوايا وأصلحوا الطوايا، واحملوا على عدوكم حملة رجل واحد، فقد اصبح عدوكم اليوم بفضل الله وحده مكشوف الظهر، مسلوب الارادة، واهن العزم، مكسور العظم؛ فلا تعطوه فرصة لإلتقاط أنفاسه، فواصلوا الطعنات تلو الطعنات.

فيا خيل الله اركبي، ويا حملة الراية قوموا؛

أين اسود الأنبار؟! أين ليوث صلاح الدين؟!
أين رجالات بغداد؟! أين فرسان نينوى؟! وأبطال ديالى؟!
أين صناديد كردستان؟!

أين أنتم يا أسود التوحيد؛

يا أحفاد خالد والمثنى وسعد والمقداد وصلاح الدين؟!

أين المهاجرون؟! أين الأنصار؟!
أين اصحاب التوبه والانفال؟!
أين أهل سورتي الفتح والقتال؟!

يا طليعة الأمة؛

مَنْ لِلثكالى؟! مَنْ للحرائر في سجون الصليبيين؟!
مَنْ لِلطاهرات في سجون الروافض الحاقدين؟!

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة؛ فانصر الأنصار والمهاجرة.

واحذروا أشد الحذر؛ من قطاع الطرق الذين يحاولون، وبالتواطئ مع الصليبيين، أن يلتفوا على جهادكم.

فإياكم ثم إياكم أن تلقوا السلاح، فإنها حينئذٍ الحسرة والندامة، والخزي والملامة، والذلة والعار، في الدنيا والآخرة؛ فإنكم كنتم تدعون الله سبحانه وتعالى، ليلَ نهار؛ أن ييسر لكم طريقاً للجهاد في سبيل الله، في افغانستان والشيشان أو غيرهما، ثُمَ بعد ذلك إختصكم الله سبحانه وتعالى؛ فأقام تجارة الجهاد في دياركم، وفتح لكم ابواب الجنان، فأراد بكم خيراً.

فإياكم ثم إياكم أيها المجاهدون؛ أن توصدوا هذه الابواب بذنوبكم؛ وإياكم أن تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ انكاثا.

فلإن إنفض سوق الجهاد عن دياركم ليضربن الله عليكم الذل، وليسلطن عليكم أراذِلَ الناس، يسومونكم سوء العذاب؛ يذبحون ابنائكم، ويستحيون نساءكم، وليرفعنَ هذه النعمة من بين ظهرانيكم، {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد:٣٨].

وختاماً؛

نُبَشِّرُ الأُمَّةَ بِتَشكِيلِ مجلِسِ شُورَى المجاهدينَ فِي العِرَاقِ وَ الذِي سَيَكُونُ بحولِ اللهِ وَ قُوَّتِه نواةً لقيامِ دَولِةٍ اسلامِيَّةٍ، تَكُونُ فِيهَا كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا.

فالحمد لله، بدأت الجهود تتكاثف، والايادي تمتد وتتصافح، على طاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وهذا المجلس سيكون بعون الله تعالى مظلة لكل مجاهدٍ صادق.

وأني لأتشرف أن أكون أحد اعضاء هذا المجلس المبارك، بقيادته المباركة، مع كوني اميراً لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

خادم الجهاد والمجاهدين،
المعتز بالله تعالى،

أخوكم؛
أبو مصعب الزرقاوي.

في يوم الجمعة؛ الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ألفٍ و أربعمئة وسبع وعشرين للهجرة، الموافق واحد و عشرون من شهر نيسان سنة الفين و ستٍ للميلاد، و الحمد لله رب العالمين.

[وفي آخر الشريط المرئي يُقسم الشيخ رحمه الله و تقبله قسمه المزلزل، والذي لم ولن تهدأ أصدائه إلا عند قيام دولة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، والتي مهد لها الشيخ بدمائه الطاهرة و شهد له بذلك علماء و قادة مجاهدي هذا الزمان، فهنيئاً لك أبا مصعب]

وَ اللهِ لَتُهْزَمَنَّ أَمْرِيكَا في العِرَاقِ، بإِذْنِ اللهِ تَعَالَى..
وَ لَتَخْرُجَنَّ مِنْ أَرضِ الرَّافِدَيْنِ؛ مَهْزُومَةً، ذليلةً، حَسِيرةً، حقِيرَةً، بعَوْنِ اللهِ تعَالَى.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

وَ عُضْوُ مَجْلِسِ شُوْرَى المُجَاهِدِينَ فِيْ العِرَاق
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب التاسع و الثلاثون

سِلسِلَةُ مُحَاضَرَاتِ:
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الرَّافِضَةِ

الجُزءُ الأَوَّلُ

٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ
١ يونيو/حزيران ٢٠٠٦ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بِسْمِ اللهِ الذِيْ لَهُ الحُكْمُ وَ الأَمْرُ كُلّهُ وَ إِلَيهِ المعَاد، وَ الحَمْدُ للهِ الذِيْ قَدَّرَ الافْتِراقَ لِهَذهِ الأمّةِ فِرقَاً فَلا تَقَارُبَ وَ لا يَكَاد، وَ الصّلاةُ وَ السّلامُ عَلَى مَن اسْتَثنى مِنْ هَذِهِ الفِرَقِ بِالنَّجَاةِ وَاحِدَةً وَ مَنْ عَدَاهُم وَ عَادَاهُمْ يُكَاد، وَ بَعْد:

فَلَقَد قَرأنَا التّارِيْخَ وَ اسْتَقْرَأْنَاهُ فَلَمْ نَجِد فِي مَاضِيْهِ وَ حَاضِرِهِ وَ لا حَتّى إرْهَاصَاتِ مُسْتَقْبَلِه كَمِثل سِيْرَةِ بَل سَوءَةِ أَصحَابِ الرّفْض، رَفَضَهُم اللهُ كَمَا لَفَظُوا دِيْنَه وَ مِنْهَاجَهُ القَوِيْم وَ اسْتَبْدَلُوْهُ بِالّذِي هُو أَدْنَى مِن خَلِيطِ حِقْدِ وَ خُزَعْبلاتِ الفُرْسِ وَ تَضَالِيْلِ اليَهُودِ وَ ضَلالِ النَّصَارَى لِيَتناسَبَ مَعْ جَمِيْعِ أَصْحَابِ الدّيَانَاتِ المعَادِيْنَ لأهْلِ الإسْلام، فَخَرَجُوا بِدِينٍ مَمْسُوخٍ يُوجِّبُونَ فِيهِ عَلَى الأُمّة أَنْ يَلْعَن آخِرُهَا أَوّلها، وَ أَنْ يَكْفُر بِالكِتَابِ كُلِّه، وَ أَنْ تُعَطّلَ شَرَائِعُه، وَ أَنْ يُشْرِكَ مَعْ قِبْلَةِ المسْلِمِينَ بَلْ تُغيّر هَذِه القِبْلَة مِنْ مَكّة فَتُشَدّ الرِّحَالَ إِلَى كَرْبَلاءَ وَ مَشْهَد، وَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ بَينَ المسْلِمِينَ بِاسْمِ الدّيْنِ، وَ لِذَا كَانَ لِزَامَاً عَلَينَا أَنْ نُذَكِّرَ بِطَرْفٍ مِنْ جَرَائِمِ القَوْمِ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَ لَعَلّهُم يَتّقُوْن.

وَ قَبْلَ الخَوْضِ فِي ذِكْرِ جُمْلةٍ مِنْ خِيَانَاتِ الرّافِضَةِ عَبْرَ التّارِيخِ وَ اسْتِعْراضٍ لَأبْرَزِ جَرَائِمِهِم **لا بُدّ مِنَ التنبيه على أمر**:

ألا وَ هُوَ أنَّنا حِيْنَ نُطْلِقُ لَفْظَ الرّافِضَةِ فَإنّمَا نُرِيْدُ بِهِم السَّوَادَ الأعْظَمَ المَوْجُوْدَ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الأيّامِ ألا وَ هُمُ الشّيْعَةُ الجَعْفَرِيةُ الإثني عَشْرية.

وَ يُلاحَظُ أنّ أَئِمّتَهُم اعْتَبَروا جَمِيع هَذِهِ الفِرق المغَالية عِنْدَهُم مِنْ مَا يُنْسَبُ إلى الإمَامِيّةِ فَإذَا تَحَدّثُوا عَنْ طَائِفَتِهِم وَ رِجَالِهَا و دُوَلِهَا نَسَبُوا لَها كُلّ الفِرَقِ و الدُّوَلِ وَ الرّجَال المُنْتَمِين للتّشَيُّعِ **وَ إنْ كَانُوا مِنْ**:

الإسْمَاعِيلِيّةِ وَ البَاطِنِيةِ أو مِنَ الزَّنَادِقَةِ الدّهْرِيّةِ أَوْ مِنَ المجَسِّمَةِ الغُلاة فَهُمْ إِذَا تَحَدَّثُوا مَثلاً عَنْ دُوَلِ الشِّيْعِيةِ ذَكَرُوا الدَّوْلةَ الفَاطِمِيَّةَ فِيْ صَدْرِ دُوَلِهِم مَعْ أَنَها غَيرُ الإثْني عشرية.

و بَعْدَ هَذَا نَقُولُ وَ بِالله التَّوْفِيق:

أولاً: إنّ الرَّفْضَ دِيْنٌ يَخْتَلِفُ تَمَاماً عَنِ الإسْلامِ الذِيْ جَاءَ بِهِ النّبِي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلّم وَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَلْتَقِيَ مَعَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الفُرُوعِ وَ الأُصُول، كَيْفَ لا وَكِبَارُ آياتِهِم وَ عُلَمَائِهِم قَدْ قَعَدُوا لَهُم قَاعِدَةً فِي التّرْجِيحِ بَينَ الأدِلّةِ إذا اخْتَلَفَت عِنْدَهُم أو تَعَارَضَتْ بِأنَّ مَا خَالَفَ قَوْلَ أَهْلِ السُّنةِ (وَ يُسَمُّونَهُم العَامّة) هُوَ القَوْلُ الأَقْرَبُ للصَّوَابِ مُسْتَنِدِينَ عَلَى رِوَايَاتٍ مَكْذُوْبَةٍ عِنْدَهُمْ كَأصْلٍ لِهَذِهِ القَاعِدَةِ التِيْ تَدُلُّ عَلَى مُخَالفَةِ دِيْنِهِم أَصُولاً وَ فُرُوعَاً لِدِينِ الإسْلامِ مِن حَيثُ مَنْهَجِ الحَقّ.

فَفِيْ بَابٍ عَقَدَهُ «الحُرُّ العَامِلِيُّ» وَ هُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الرَّافِضَةِ فِيْ كِتَابِهِ [وَسَائِلُ الشّيْعة] تَحْت عِنْوان: عَدَمُ جَوَازُ العَمَلِ بِمَا يُوَافِقُ العَامّةُ وَ يُوَافِقُ طَرِيْقَتَهُمْ، قَالَ فِيه: (والأحاديث في ذلك متواترة) (أي في عدم جواز العمل بما يوافق العامة) فمن ذلك قول الصادق عليه السلام في الحديثين المختلفين اعرضوهما على أخبار العامة أي أهل السنة والجماعة فما وافق أخبارهم فذروه وما خالف أخبارهم فخذوه وقال عليه السلام خذ بما فيه خلاف العامة فما خالف العامة ففيه الرشاد).

وَ جَاءَ فِيْ [عُيُونِ أَخْبَارِ الرِّضَى]: (روى الصَّدوق عن علي ابن أسباط قال قلت للرضى عليه

السلام يحدث الأمر لا أجد بد من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه من أستفتيه من مواليك قال:فقال: إيتي فقيه البلد فاستفته في أمرك فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه).

وَ مَعْلُوْمٌ أَنّ الإِسْلامَ قَائِمٌ جُمْلَةً وَ تَفْصِيْلاً عَلى تَوْحِيدِ الخَالِقِ وَ تَعْبِيدِ المخْلُوقَاتِ كُلّها للهِ تَعَالى وَ عَلى الاقْتِدَاءِ بِالنّبِي صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَ سَلَّمْ اقْتَدَاء مُتّبِع لا مُبْتَدِعٍ وَ كُلُّ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى مَا جَاءَ بِالكِتَابِ وَ السُّنةِ وَ الرَّفْضُ أَسَاساً يقُومُ عَلى الإِشْرَاكِ بِاللهِ وَ تَعْبِيدِ الخَلْقِ لِغَيرِ اللهِ تَوسُّلاً وتَضرّعاً وتأليهاً، كما يَقومُ عَلى رَفضِ الكِتابِ بدعوى تحريفهِ بالنّقصانِ والزّيادةِ فيه، وعلى رفضِ سنّةِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عليهِ وسلم، ولا سيَّما صحيحَهَا بتكذيبِ وتخوينَ من نَقلها لنَا وَهُمْ أشرافُ الأمَّةِ و أخصُّ صحابَتِهِ حَتَّى رَفضُوا أَصَحَّ كُتُبِ الأَحَادِيثِ التي تَلقَّتهَا الأُمَّةُ بالقبُولِ، لما كانَ رُواتُها مِنْ أشدِّ الناسِ حِرصاً وتوثقاً عمَّنْ ينقلونَهَا عَنهُم، وعَلى رأسِ هَذهِ الكُتبِ صَحِيحَا البخاريِّ ومُسلِم، فَكانَ مَا عَدَاهُمَا مِنَ الكُتبِ أَولَى بالرَّفضِ عِنْدَهُم.

كما يقومُ دينهم على رفضِ إمامةِ وَخِلافةِ من أجمعَ الناسُ حِينَها عَلى إِمَامَتِهِ وَخِلافَتِهِ، الذين نَعتهم رسول الله صَلى اللهُ عَليهِ وسَلمَ بالرَّاشِدِين، وحَضَّ على التَّمسُّكِ بِسُنَّتِهِم بَل وَقَرَنَهَا بِالتَّمسُّكِ بِسُنَّتِه، إِنَّ دِينَ الرَّفْضِ يَرفُضُ تَبرئَةَ أُمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ مِمَّا بَرَّأَهَا اللهُ تَعَالى في كِتَابِهِ الكَرِيمْ وَعَاقَبَ بِجَلدِ مَنْ اتَّهَمَهَا أَو خَاضَ فِي عِرضِهَا.

يَقُولُ نِعمَةُ اللهِ الجزائِريّ فِي [الأَنوارِ النُّعمَانِّية]: (بَابٌ نُورٌ فِي حقِيقَةِ دِينِ الإمَامِيَّة وَالعِلَّةِ التي مِنْ أَجلِهَا يَجِبُ الأَخذُ بِخِلافِ مَا تَقُولُهُ العَامَّة):»إِنَّا لا نَجتَمِعُ مَعَهُم - أَي مَعَ السُّنَّة - عَلَى إِنَاءٍ وَلا عَلَى نَبِيٍّ وَلا عَلى إِمَامْ، وَذلِكَ أَنَّهُمْ يقُولُونَ أَنَّ رَبَّهُم هَوَ الذِي كَانَ مُحَمَّدُ نَبيُّه وَخَلِيفَتُهُ مِن بَعدِهِ أَبِي بَكرٍ وَنَحنُ لا نَقُولُ بهذَا الرَّبِّ وَلا بِذَلِكَ النَّبِي بَل نَقُولُ إِنَّ الرَّبَّ الذِي خَلِيفَةُ نَبِيِّهِ أَبُو بَكرٍ ليسَ رَبَّنَا وَلا ذَلكَ النَّبِيُّ نَبِيَّنَا».

وَيقُولُ السَّيدُ حُسينُ الموسَويُّ -وَهَوَ أَحَدُ عُلَمَائِهِمُ القَلائِلُ الذِينَ نَقَّى اللهُ فِطرَتَهُ فَمَجَّت بَاطِلَهُم- مُعَلِّقاً عَلَى موقفِ الرَّافِضة فِي كِتَابِهِ [للهِ ثُمَّ لِلتَّارِيخْ]:» وَيَتَبَادَرُ إلى الأَذهَانِ السُّؤَالُ الآتِي: لَو فَرَضنَا أَنَّ الحَقَّ كَانَ مَعَ العَامَّةِ فِي مَسْأَلةٍ ما، أَيَجِبُ عَلينَا أَنْ نَأْخُذَ بِخِلافِ قَولِهِم؟

أَجَابَنِي السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الصَّدرِ مَرَّةً فَقَالَ: نَعَمْ يَجِبُ القَولُ بخلافِ قولِهِم لِإنَّ القَولَ بِخِلافِ قَولِهِمْ وَإِنْ كَانَ خَطأً فَهُوَ أَهونُ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ عَلَى افْتِراضِ وُجُودِ الحَقِّ عِنْدَهُمْ فِي تِلكُمُ المَسْأَلةِ».

ثَانِياً: إنَّ دِينَ الرَّفضِ لم يَقُمْ أَسَاسَاً وَمُنذُ بِدَايَةِ ظُهُورِهِ، وَعَلَى مَرِّ الأزمَانِ وَحَتَّى أَيَّامِنَا هَذِهِ، إلا لِغَرَضِ هَدْمِ الإِسْلامِ وَبَثِّ الفِتنَةِ وَالفُرقَةِ بَينَ المسلِمِينَ وَتقْويضِ دَولَةِ الإِسْلامِ، مِنْ خِلالِ مُحَارَبَةِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، أَعنِي بِهِمُ الجَمَاعَةَ الأُولَى التِي استَثنَاهَا الرَّسُولُ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلمَ مِنَ الثَّلاثِ وَالسَّبعِينَ فِرقَةً بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَمَن سَارَ عَلى نَهجِهِمْ وَليَس هَذا كَلاماً مُبَالغَاً أَو مُتوَهَّماً وَلا هُوَ مُنكَرٌ مِنِ القَولِ وَزُوراً بَل هَذَا مَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ السَّلفِ وَالخَلفِ.

فَهُو مُخطَّطٌ دُبرِّ بِلَيلٍ لَمْ يَقُمْ مِنَ الأَسَاسِ إلا لِغَرَضِ هَدمِ الدِّينِ؛ مِنْ خِلالِ أَمرينِ هَامَّيْنِ:

الأَوَّلُ: التَّشكِيكُ فِي حَقِيقِةِ هَذَا الدِّينِ وَزَعْزَعِةِ العَقِيدَةِ، إِمَّا بِبَثِّ الشُبُهَاتِ عَلى مَذهَبِ أَهلِ الحَقِّ وَالتِي تُشَكِّكُ فِي أُصُولِ هَذَا الدِّينِ وَتَصُدُّ عَنهُ بِالكُلِّيِّةِ، وَإِمَّا بِتَحرِيفِ كَثِيرٍ مِنْ أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ لِيَكُونَ دِيناً مَسخاً.

وَالأَمرُ الثَّانِي: يَتَمَثَّلُ فِي الجَانِبِ السِّياسِيّ وَذَلكَ عَنْ طَرِيقِ زَعزَعْةِ أَركَانِ الدَّولةِ الإِسلامِيَّةِ مِنَ الدَّاخِلِ وَالخَارِجِ عَلى السَّوَاءِ، فَأَمَّا مِنَ الدَّاخِلِ فَمِنْ خِلالِ استِثَارَةِ الشَّعْبِ وَلا سِيَّمَا ضِعَافُ النُّفُوسِ وَأَصحَابُ المطَامِعِ وَتَحرِيضَهُمْ عَلى الخُروجِ عَلى خَليفَةِ وَإِمَامَ المسلِمِينَ أَو اغتِيالِهِ بَدَعَاوَى وَشُبُهَاتٍ بَاطِلةٍ أَوْ غَيرِ مُسَوَّغَةٍ، وَأَمَّا مِن الخَارِجِ فَمِنْ خِلالِ التَّعَاونِ مَعَ أَعدَاءِ الدِّينِ وَالتَّحَالفِ مَعَهُمْ، حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِن اسقَاطِ الدَّولةِ الإِسْلامِيَّةِ.

وَهَذَانِ الأَمرَانِ هُمَا المنهَجُ وَالخُطَّةُ الأَسَاسِيَّةُ التِي قَامَ عَليهِمَا دِينُ الرَّفضِ مُنذُ بِدَايَةِ نَشأَتِهِ وَتَأسِيسِهِ عَلى يَدِ اليَهَودِيِّ المعرُوفِ عَبدُ اللهِ بن سَبأَ الذِي لم يَجِدْ أَفضَلَ وَلا أَجْدَى مِنَ التَّسَتُّرِ بِلِبِاسِ التَّشَيُّعِ وَالتَّشَيُّعِ بِحُبِّ آلِ البَيتِ بَعدَ أَنْ أَظهَرَ الإِسلامَ وَأَبطَنَ الكُفرَ وَالدَّسِيسَةَ لهَذَا الدِّينِ.

وَلما وَجَدَ أَتبَاعُ هَذَا اليَهَودِيِّ أَنَّ هَذَا المنهَجَ الذِي رَسَمَهُ ابنُ سَبأ قَدْ نَجَحَ فِي استِقطَابِ أَصحَابِ الهَوَى وَتَأليبِ الكَثِيرِ مِن ضِعَافِ النُّفُوسِ وَأَصحَابِ المطَامِعِ ضِدّ أَمِيرِ المؤمِنينَ عُثمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَأَرضَاهُ وَلَمَّا وَجَدُوهُ نَجَحَ فِي التَّعَاونِ مَعَ أَعدَاءِ الدِّينِ مِن خَارِجِ عَاصِمةِ الخِلافَةِ وَإِثَارَةِ الفِتَنِ وَالشُّبَهِ حَتى قَتَلُوا الخَلِيفَةَ وَفَتَنُوا رَعِيَّتَهُ.

وَلما وَجدُوهُ نَجَحَ كَذلكَ فِي التَّفرِيقِ بَينَ الصَّحَابَةِ عَلى أَسَاسِ العَصَبِيَّةِ القَبَليَّةِ التِي جَاءَ الدِّينُ أَسَاسَاً وَقَامَ عَلى هَدمِهَا، يَرُومُونَ فِتنَةَ آلِ البَيتِ وَفِتنَةَ النَّاسِ بِهم، وَصَدَّ النَّاسِ وَتَشكِيكَهُمْ فِي مِصْدَاقِيَّةِ وَأَمَانَةِ نَقَلَةِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضوانُ اللهِ عَليهِمْ، مِنْ خِلالِ مُنَادَاتِهِمْ

بِمُوَالاةِ بَلْ بِالمغَالاةِ فِي آلِ البَيتِ وَإِدِّعَاءِ العِصمَةِ فِيهِمْ، حَتَّى تَطَوَّرَ الأَمْرُ فِيهِم إِلى تَأليِهِ عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ كَمَا عِندَ السَّبَأيَّةِ.

أَقُولُ لما رَأى أَتباعُ ابنُ سَبأٍ أَنَّهُ نَجَحَ فِي ذَلكَ كُلِّهِ استَمَرَّ هَؤلاءِ الأَتبَاعُ فِي نَفسِ السِّيرةِ وَعَلى نَفسِ المنهَجِ الأَوَّلِ عَلى مَرِّ الزَّمَانِ وَإِلى أَيامِنَا هَذِهِ وَلقَدْ أَفَاضَ عُلمَاءُ السَّلفِ وَاسْتَفَاضَ فِي كُتُبِهِم بَيَانُ حَقِيقَةِ الرَّافِضةِ وَحَقِيقَةِ دِينِهِم.

وَمِنْ ذَلكَ مَا قَالهُ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ رَحمهُ اللهُ فِي [مِنْهَاجِ السُّنَّةِ]:» وَالرَّافِضةُ ليسَ لَهُم سَعيٌ إِلا فِي هَدمِ الإِسلامِ وَنَقْضِ عُرَاهُ وَإِفسَادِ قَوَاعِدِهِ».

وَقَالَ أَيضَاً:» وَلا يَطعَنُ عَلى أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا إِلا أَحَدُ رَجُلينِ: إِمَّا رَجُلٌ مُنَافِقٌ زِندِيقٌ مُلحِدٌ عَدُوٌّ للإِسلامِ يَتَوَصَّلُ فِي الطَّعنِ فِيهمَا إِلى الطَّعنِ فِي الرَّسُولِ وَدِينِ الإِسلامِ، وَهَذَا حَالُ المعلِّمِ الأَولِ للرَّافِضَةِ أَوَّلَ مَن ابتَدَعَ الرَّفضَ وَحالُ أَئِمَّةِ البَاطِنِيَّةِ، وإِمَّا جَاهِلٌ مُفرِطٌ فِي الجَهلِ وَالهَوَى وَهُوَ الغَالِبُ عَلى عَامَّةِ الشِّيعَةِ إِذْ كَانُوا مُسلِمِينَ فِي البَاطِنْ، «.

وَقَالَ فِي فَتَاوِيهِ:» قَالَ الإِمَامُ أَحمَدَ فِي رِسَالةِ عَبدُوسٍ بنِ مَالك، أُصُولُ السُّنَّةِ عِندَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَليهِ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ وَالإِقتِدَاءُ بِهِم، وَتَركُ البِدَعِ وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ والسُّنةُ عِندَنَا آثَارُ رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم والسُّنةُ تُفسِّرُ القُرآنَ وَهِيَ دَلاءٌ للقرآنِ أيْ دَلالاتٌ عَلى مَعنَاهُ وَلهذَا ذَكَرَ العُلمَاءُ أَنَّ الرَّفضَ أَسَاسُ الزَّندَقَةِ وَأَنَّ أَوَّلَ مَن ابتَدَعَ الرَّفضَ إِنما كَانَ مُنَافِقاً زِندِيقاً، وَهُوَ عَبدُ اللهِ بنُ سَبأ فَإِنَّهُ قَدْ قَدَحَ فِي السَّابِقِينَ الأَوَّلينَ وَقد قَدَحَ فِي نَقلِ الرِّسَالةِ أَو فِي فَهمِهَا أَو فِي اتِّبَاعِهَا، فَالرَّافِضَةُ تَقدَحُ تَارَةً فِي عِلمِهِمْ بِهَا وَتَارَةً فِي اتِّبَاعِهِم لَهَا، وَتُحِيلُ ذَلكَ عَلَى أَهلِ البَيتِ وَعَلى المعصُومِ الذِي لَيسَ لَه وُجُودٌ فِي الوجُودِ» انتَهَى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ.

وَجَاءَ فِي [المنتَقَى مِن مِنهَاجِ الإِعْتِدَالِ]:» وَمِن جَهلِ الرَّافِضَةِ أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ عِصمَةَ وَاحِدٍ مِنَ المسلِمِينَ وَيُجَوِّزُونَ عَلى مَجْمُوعِ المسلِمِينَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَعصُومٌ الخَطَأَ، وَقَدْ ذَكَرَ غَيرُ وَاحِدٍ أَنَّ أَوَّلَ مَن ابتَدَعَ الرَّفْضَ وَالقَولَ بِالنَّصِّ عَلى عَليٍّ وَعِصمَتِهِ كَانَ زِندِيقاً أَرَادَ افسَادَ الدِّينِ وَأَرَادَ أَنْ يَصنَعَ بِالمسْلِمِينَ كَمَا صَنَعَ بُولُصُ بِالنَّصَارَى، وَأَكبَرُ دَلِيلٍ عَلى بُطلانِ أَصلِ هَذَا المذهَبِ وَخُرَافَتِهِ أَنَّ عَلِيَّاً رَضِيَ اللهُ عَنهُ تَبَرَّأَ مِنهُ وَمِنْ أَصحَابِهِ بَل وَعَاقَبَ مَنْ يَعتَنِقُهُ كُلٌّ بِحَسَبِ بِدعَتِهِ، فَمنْ كَانَ يَسُبُّ الشَيخَينِ أَبَا بَكرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا يُجلَدُ حَدَّ المُفتَرِي، وَمَنْ غَالى فِيهِ حَرَّقَهُ بِالنَّارِ».

ثالثًا: إنَّ جَمهَرَةً مِن عُلماءِ السَّلفِ رَحِمَهُمُ اللهُ تعَالى بيَّنُوا لنَا القَولَ الفَصْلَ فِي حُكمِ الشَّرعِ عَلى الرَّافِضَةِ وَهُوَ القَولُ بِكُفرِهِمْ وَوُجُوبِ قِتَالِ مَن أَظهَرَ بِدْعَتَهُ مِنهُمْ خَاصَّةً وَإِنْ كَانَ بِطَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ مِنهُم، وَ فِي تَكفيرِهم وَ وجوبِ قِتالِهِم أدِلَّةٌ منَ الكِتابِ وَ السُّنَّةِ.

بَلْ حتّى كُتُبُ الرَّافِضَةِ أنفُسِهِم تنقِلُ لَنا الرواياتِ في تبرُّؤِ آلِ البيتِ مِنهُم، ونِسبةِ ذلك إلى النبيّ صلى الله عليه و سلَّم، وَ إخراجِهِم منَ الإسلامِ.

فَأمَّا الأدلّة من الكتابِ:

فقولُهُ تَعالَى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح:٢٩]، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ الله: وَمِنْ هَذِهِ الآيَةِ انتزَعَ الإمامُ مالكٌ رَحِمَه الله فِي رِوَايَةٍ عنهُ بِتَكفيرِ الرَّوَافِض، الذين يَبْغَضُونَ الصَّحَابَةَ رَضيَ الله عنهُم، قالَ لأنَّهُم يُغيظُونَهُم، وَ مَنْ غَاظَ الصَّحَابَةَ رَضِي الله عَنهُم فهو كافرٌ بِهَذِه الآيةِ، وَ وَافقَه طائفةٌ مِنَ العلماءِ رضيَ الله عَنهُم عَلَى ذلِك.

وَ قالَ القُرْطُبِيّ رَحِمَهُ الله فِي تَفْسِيرِه: رَوَى أَبُو عُرْوَةَ الزُّبَيْرِيّ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْر، كُنَّا عِند مالكِ بن أَنَس، فَذَكَرُوا رَجُلًا يَنتَقِصُ من أصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وَ سَلَّمَ فقرَأَ مالكٌ هَذِهِ الآيَةَ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...} [الفتح:٢٩]، حتَّى بلَغَ.. {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح:٢٩]، فقالَ مالكٌ مَن أصبَحَ منَ النَّاسِ فِي قَلْبِهِ غَيْظٌ عَلَى أحدٍ من أصحابِ رسولِ الله صلَّى الله عليهِ وَ سَلَّمَ أَصَابَتْهُ هذهِ الآيةُ [ذَكَرَه الخطيبُ أبو بكرٍ].

قلتُ –و القولُ للقُرطُبِيّ– لَقَدَ أحسَنَ مالكٌ فِي مَقَالَتِه، وَ أصَابَ فِي تَأويلِه فَمَنْ نَقَّصَ واحِدًا منهُم، أَوْ طَعَنَ فِي رِوَايَتِه فقد ردَّ على اللهِ ربّ العالمينَ، وَ أبْطَلَ شَرائِعَ المسلمين. انتهَى كَلاَمُهُ رَحِمَهُ الله.

وَ كَذلكَ استدلُّوا مِنْ قَولِهِ تَعالَى: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور:١٦-١٧]، قالَ ابنُ عبدِ القَوِيّ عَنِ الإمامِ أحمَد: وَ كانَ الإمامُ أحمدُ يُكَفِّرُ مَنْ تبَرَّأَ منهُم –أيْ الصَّحَابَة– وَ مَنْ سبَّ عَائِشَةَ أمَّ المؤمنِينَ، و رَمَاهَا مِمَّا برَّأَهَا الله مِنهُ.. وَ كانَ يَقرأُ {يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا

لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور:١٧].

وَ قَالَ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ الله: قالَ هِشامُ بنُ عَمَّار سَمِعْتُ مالِكًا يَقولُ: مَن سبَّ أبا بكرٍ وَ عُمَرَ أُدِّب، وَ مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ لأنَّ الله تَعالى يَقولُ:{يَعِظُكُمَ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور:١٧]، فَمَن سبَّ عائشَةَ فقدْ خَالَفَ القرءَانَ، وَ مَن خَالَفَ القرءانَ قُتِلَ.

قالَ ابنُ العَرَبِيّ: قالَ أصحابُ الشَّافِعِيّ: مَن سبَّ عائشَةَ رضيَ الله عَنهَا أُدِّبَ كَما في سائرِ المؤمنين، وَ ليسَ قولُه {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور:١٧] في عائِشَة؛ لأنَّ ذلكَ كُفرٌ، وَ إنَّمَا هُوَ كَمَا قالَ عليه السَّلام (لاَ يُؤمِنُ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ) وَ لَو كانَ سَلْبُ الإيمانِ في سبَّ مَن سبَّ عائشَةً حقيقَةً، لكان سَلْبُهُ في قَولِهِ (لا يزني الزَّاني حينَ يَزْنِي وَ هُوَ مُؤمِنٌ) حقيقةً، قُلْنَا: ليسَ كَمَا زَعَمْتُم، فإنَّ أهلَ الإفكِ رَمُوا عائشَةَ المطَهَّرَةَ بالزِّنَى، فَكُلُّ مَنْ سَبَّهَا بمَا بَرَّأَها اللهُ منهُ مُكَذِّبٌ لله، وَ مَنْ كَذَّبَ اللهَ فَهُوَ كافرٌ، فَهَذَا طَرِيقُ قَوْلِ مَالِكٍ، وَهِيَ سَبِيلٌ لاَئِحَةٌ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا سَبَّ عَائِشَةَ بِغَيْرِ مَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ لَكَانَ جَزَاؤُهُ الْأَدَبَ، انتهَى كَلاَمُهُ.

وَ قَولُه تعَالَى: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام:٨٩]، و بقولِهِ تَعالَى: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة:١٤٣]، يقولُ الإمامُ أبو المحاسنِ الواسِطيّ في استدلالِهِ من هذهِ الآياتِ علَى كفرِ من يُكَفِّرْ أوْ ينتَقِصْ من عدالةِ الصَّحَابَةِ الثَّابتةِ بالكتابِ، أنَّهُم يكْفُرُون؛ لتكفيرِهم لصحابةِ رسول الله صلّى الله عليه و سلَّمَ الثابتِ تعديلُهُم وَ تزْكِيَتُهُم في القرآن، في قولِه تعَالَى: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة:١٤٣]، و بِشَهَادةِ الله تعالَى لَهُم أنَّهُم لا يكْفُرُونَ بقولِهِ تَعالَى: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام:٨٩].

وَ أمَّا السُّنَّة:

فَبِمَا جاءَ في مَجْمَعِ الزَّوائِدِ بإسنادٍ حَسَنٍ، عن ابن عبَّاسٍ قَالَ: كُنتُ عِندَ النَّبِيّ صلَّى الله عليهِ وَ سَلَّمَ وَ عِندَهُ عَلِيّ، فقَالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وَ سَلَّمَ (يَا عَلِيّ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ، يَنتَحِلونَ حبَّ أهلِ البيتِ، لَهُم نِبْذٌ، يُسَمَّونَ الرَّافِضَة، قَاتِلوهُم فَإِنَّهم مُشْرِكون).

وَ مَا أخرَجَهُ الإمامُ أحمدُ في مُسْنَدِه، وَ البَزَّارُ عَن إبراهيمَ بن الحسنِ بن عَلِيّ بن أبي طالِب عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قالَ عليُّ بن أبي طالب رضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عليهِ وَ سَلَّم (يَظْهَرُ فِي آخرِ الزَّمان قَوْمٌ يُسَمَّونَ الرَّافِضَة يرفِضونَ الإسلامَ).

و العجيبُ أنَّ ذلك النَّبْذَ -أعني الرَّافِضة- قدْ نقلَه أيْضًا أئِمَّةُ الرَّافِضَة في أُصُولِهِم المعتَبَرَةِ عنِ الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.

فَقدْ نَقَلَ لنَا صاحبُ كتابِ (للهِ ثُمَّ للتَّاريخ) عَنْ كِتَابِ الكافِي رِوايَةً عَنْ أبي عبدِ اللهِ عليهِ السَّلاَم، أنَّهم جَاءُوا إليهِ -أي الرَّافِضَةُ- فقالُوا لَهُ: إنَّا قَدْ نُبِذْنَا نَبْذًا أَثْقَلَ ظُهُورَنا، و ماتَتْ لَهُ أَفْئِدَتُنَا، وَ اِسْتَحَلَّتْ لَهُ الولاةُ دِماءَنَا.. في حديثٍ رَوَاهُ لَهُم فُقَهَاءُهُم، فقالَ لَهُم أبو عبدِ اللهِ عليهِ السَّلاَم: الرَّافِضَة، قالوا: نعَمْ، فقالَ: لا واللهِ مَا هُمْ سَمَّوْكُم، وَ لَكِنَّ اللهَ سَمَّاكُم بهِ.

وَ يقُولُ السَّيد حُسَيْن بن مُوسَوِيّ مُعَلِّقًا علَى ذلِكَ: فَبَيَّنَ أبُو عبدِ اللهِ أنَّ اللهَ سَمَّاهُمُ الرَّافِضَةَ وَ لَيْسَ أهْلُ السُّنَّة.

وَ مِمَّا اُستُفِيضَ مِنْ أَقْوَالِ السَّلَف في الحُكمِ بِكُفْرِهِمْ:

فَمِمَّا وَرَدَ عنِ الإمَامِ أحمدِ رَحِمَهُ الله، ما رَوَى الخَلاَل عَنْ أَبِي بَكْرٍ المرْوَذِيّ، قالَ سألتُ أبَا عبدِ الله عَمَّنْ يَشْتِمُ أبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عَائِشَة، قالَ: (مَا أَراهُ علَى الإسْلاَمِ)، وَ قالَ الخَلاَل: أخْبَرَنِي عبدُ الملِكِ بن عبدِ الحميدِ، قالَ سَمِعْتُ أبَا عبدِ اللهِ قَالَ: (مَنْ شَتَمَ أخافُ عليهِ الكُفْرَ مِثْلَ الرَّوافِضِ) ثُمَّ قالَ (مَنْ شَتَمَ أصحابَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَ سَلَّمَ لاَ نَأْمَنُ أنْ يَكُونَ قدْ مَرَقَ عَنِ الدِّين).

وَ جاءَ في كتابِ السُّنّةِ للإمامِ أحمَدِ قَولُهُ عَنِ الرَّافِضَةِ، هُمُ الذين يَتَبَرَءونَ مِن أصحابِ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليهِ و سلَّمَ، وَ يَسُبُّونَهُم، وَ يَنْتَقِصُونَهُم، وَ يَسُبُونَ الأئِمَّةَ إلا أَرْبَعَ، عَلِيًّا وَ عَمَّارَ وَ المِقْدادَ و سَلْمَان، وَ لَيستْ الرَّافِضَةُ من الإسْلامِ في شيء.

وَ قَالَ الإمامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعَالَى في خَلْقِ أَفْعَالِ العِبادِ: (مَا أُبالي صَلَّيْتُ خَلْفَ الجَهْمِيّ وَ الرَّافِضيّ أم صلَّيْتُ خَلْفَ اليَهُودُ و النَّصارَى، وَ لاَ يُسَلَّمُ علَيْهِم، وَ لاَ يُعادُونَ، وَ لاَ يُناكَحُون، وَ لاَ يُشَهَّدُونَ وَ لاَ تُؤْكَلُ ذبائِحُهُم).

وَ قَالَ الإمامُ أحمَدُ بن يُونُس، الذي قالَ عنهُ الإمامُ أحمَدُ بن حَنبَلْ وَ هُوَ يُخاطِبُ رَجُلاً: (أُخْرُج إلى أحمدُ بن يُونس فإنَّه شيخُ الإسلامِ)، قالَ - أي الإمام أحمدُ بن يونس- لَوْ أنَّ يهُودِيًّا ذَبحَ شاةً، وَ ذَبح رافِضِيٌّ لأكَلْتُ ذَبِيحَةَ اليَهُودِيّ، وَ لَمْ آكلْ ذبيحَةَ الرَّافِضِيّ، لأنَّهُ

مُرْتَدٌّ عَنِ الإسلامِ.

وَ قالَ الإمامُ بن حَزْمٍ رحِمَهُ الله تعَالى في رَدِّهِ علَى النَّصَارَى الذين يَسْتَدِلُّونَ بِتَحريفِ القُرءان مِنْ أقْوالِ الرَّافِضَةِ، فقَالَ (وَ أمَّا قولُهُم - يُعنِي النَّصارَى - في دَعْوَى الرَّوافِضِ تبْديل القرءان، فَإنَّ الرَّوَافِضَ لَيسُوا منَ المسلِمين.

وَ قَالَ شَيْخُ الإسلامِ بن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ الله تعَالَى فِي الصَّارِمُ المسْلُول: (مَن زَعِمَ أنَّ القُرءَانَ نُقِصَ مِنْه آياتٍ، أوْ كُتِمَت، أوْ زَعَمَ أنَّ لَهُ تأويلَاتٍ باطنةً تُسْقِطُ الأعمالَ المشْرُوعَة، فَلا خِلَافَ فِي كُفْرِهِمْ، وَ مِنْ زَعَمَ أنَّ الصَّحابَةَ ارْتَدُّوا بعدَ رَسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وَ سَلَّمَ إلا نفرًا قليلًا لا يبْلُغُونَ بِضْعَةَ عَشْرَ نَفْسًا، أضوْ أنَّهُم فَسَّقُوا عَامَّتَهُم، فَهَذا لاَ رَيْبَ أيضًا فِي كُفْرِهِ، لأنَّهُ مُكَذِّبٌ لِما نَصَّهُ القُرْءان فِي غَيْرِ مَوضِعٍ من الرِّضَى عَنهُم، وَ الثَّناءِ عَليهم. بلْ مَنْ يَشُكُّ فِي كُفْرِ مثلِ هَذا فَإنَّ كُفْرَهُ مُتعَيِّنٌ، فَإنَّ مضمونَ هذهِ المقَالَة أنَّ نَقَلَةَ الكتابِ و السُّنَّةِ كُفَّارٌ أَوْ فُسَّاق، وَ أنَّ هذهِ الآيةَ التي هيَ: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]، وَ خَيرُهَا هُوَ القَرْنِ الأوَّلُ كانَ عامَّتَهُم كُفَّارًا أوْ فُسَّاقًا، وَ مُضمُونُهَا أنَّ هذهِ الأمَّةَ شَرُّ الأُمَمِ، وَ أنَّ سابِقِي هذه الأمَّة هُم شِرَارُهَا، وَ كُفْرُ هذا مِمَّا يُعلَمُ بالاضطرارِ مِنْ دينِ الإسْلَامِ).

وَ قالَ أيضًا عن الرَّافِضَة، إنَّهُم شرٌّ من عامَّةِ أهلِ الأهواءِ، وَ أَحَقُّ بالقِتالِ من الخوَارِجِ.

وَ قالَ الإمامُ السَّمْعَانيّ رَحِمَهُ الله في الأنسَابِ: (وَ اجْتَمَعَتْ الأمَّة على تكفيرِ الإماميَّةِ لأنَّهم يعتقدونَ تضليلَ الصحَّابَة، و ينكرونَ إجماعَهَم، وَ ينسِبونَهُم إلى ما لا يَليقُ بِهِم.

وَ منْ عَجيبِ التناقُضَاتِ و المفارَقَاتِ، أنَّ الحكومةَ السّعودِيَّةَ و قِس عَلَيْهَا غَيْرَها ممَّن كانوا يُنادونَ بالعدَاءِ و يُطلِقون التحذيراتِ من الخَطَرَ القادِمِ من الرَّافِضَة، نراهُمُ اليومَ يُقَرِّبونَهُم، وَ يجلِسونَ معهَم، وَ يَتَحَاوَرُونَ في مَجَالِسِ محاوراتِهِم الرَّسمِيَّة.

فَهَاهي لَجْنَتُهُم الدَّائمَة للبحوثِ و الإفتَاءِ، كانَتْ قد أفْتَتْ بتكفِيرِ الرَّافِضَة إثرَ سؤالٍ وُجِّهَ للجْنَةِ آنَذَاك من قِبلِ سائلٍ يقُولُ: أنا من قبيلةٍ تسكُن في الحدودِ الشَّمَاليَّة، وَ مُخْتَلِطين نحنُ و قبَائلُ من العراقِ، وَ مَذهَبُهُم شيعةٌ وثَنِيَّة، يَعبُدونَ قُبَبًا وَ يُسَمُّونَهَا بالحسن، و الحسين، و عليّ، و إذا قامَ، قالَ يا عليّ، يا حُسَيْن، وَ قدْ خالطَهُم البعضُ من قبَائلِنا في النِّكَاحِ، وَ في كلِّ الأحوالِ، وَ قدْ وَعَظْتُهُم وَ لَمْ يَسْمَعُوا، وَ هم في القرَايَا و المنَاصيب، وَ أَنَا مَا عندي أعظُهُم بعِلْمٍ، وَ لَكنِّي أَكْرَهُ ذلكَ وَ لاَ أُخالِطُهُم، وَ قدْ سَمِعْتُ أنَّ ذَبْحَهُم لاَ يُؤْكَل، وَ هؤُلاَءِ

يَأكُلونَ ذبحَهُم، وَ لاَ يَتَقَيَّدُوا، وَ نطلبُ من سماحتِكم توضيحَ الواجبِ نحوَ مَا ذَكَرْنَا.

فَكَانَ ردُّ اللّجنَة: إذَا كانَ الواقِعُ ما ذكرتَ من دعائِهِم عليًّا وَ الحَسَن، وَ نَحْوَهُم فَهُم مُشْرِكُونَ شِرْكًا أكبر، يُخرِجُ من ملّةِ الإسلامِ، فَلَا يحِلُّ أنْ نُزَوِّجَهُمُ المسْلِمَاتِ، وَ لَا يَحِلُّ لَنَا أنْ نتَزَوَّجَ من نِسَائِهِم، وَ لاَ يحِلُّ لَنَا أنْ نَأكُلَ من ذبائِحِهِم، قالَ اللهُ تعَالَى: {وَلاَ تَنْكِحُوا المشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُوا المشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالمغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة:٢٢١]، وَ باللهِ التوفيقُ، وَ صَلَّى اللهُ على نبيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَ على آلِهِ، وَ صَحْبِهِ وَ سَلَّمَ. اللّجنةُ الدائمَةُ للبحوثِ العلميَّةِ و الإفتاءِ.

وَ مِمَّا جاءَ في كتبُ الرَّافِضَة أنفُسِهم في تبَرؤِ آلِ البيتِ، وَ الرّسولِ صَلَّى الله عليهِ وَ سَلَّمَ منهُم، وَ إخْراجِهم من هذه الأمَّة:

مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الاحْتِجَاجِ قَالَ الإمامُ زَيْنِ العَابِدينَ عليهِ السَّلاَمُ لأهْلِ الكُوفَة: (هَل تعْلَمُونَ أنَّكم كتَبْتُم إلى أبي وَ خَدَعْتُمُوه، وَ أعْطَيْتُمُوه من أنفُسِكُم العَهْدَ وَ الميثَاق، ثُمَّ قَتَلْتُمُوه وخذَلْتُمُوه، بأيّ عينٍ تنظرونَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى عليهِ وَ سلَّمَ وَ آلِه وَ هُوَ يَقولُ لَكُم: (قَاتَلْتُم فِطْرَتِي، وَ انتَهَكْتُم حُرْمَتِي، فَلَسْتُم من أمَّتي)

رَابِعًا: إنَّنَا حينَ نَسْتَشهِدُ بروَايَاتٍ وَ أقْوَالٍ من كُتُبِ الرَّافضةِ المعتبرَةِ المعتَمَدَةِ عندَهُم، **فَإنَّنَا لا نقِرُّ بالضَّرورة بهذهِ الأقوالِ و الرِّوايَات**، وَ إنَّمَا نحنُ نَسْتَأنسُ بِهَا من بابِ (وَ شَهِدُوا على أنفُسِهِم)، وَ قدْ استَشْهَدنَا بكثيرٍ من هذه الرّوايَاتِ

خَامِسًا: إنَّ جَرَائِمَ الرَّافِضَة وَ خِيَانَاتِهِم عَبْرَ التَّاريخ، كانتْ كلُّهَا جَرَائِم من حيث المعتقد الدينيّ، لكِنَّنَا تناولْنا كلُّ منهَا بحسبِ جانبِهَا، وَ بحَيْثِيَّاتٍ متعدِّدة، فَهُنَاكَ جرائمَ دينِيَّة محَضَة تتعلَّقُ بجانبِ العِبادات، وَ شَعَائر لهدمِ الدِّين أو تحريفِه، وَ هُناكَ جرائم سِيَاسِيَّة من خلالِ الغدرِ و الاغتيالاتِ من الدَّاخِلِ، وَ المؤامرةِ مع العدوّ من الخارِجِ لزَعْزَعَةِ الدَّولَةِ الإسلاميَّة، وَ هُنَاكَ جَرَائمَ اجتِمَاعِيَّة وَ أخلاقِيَّة لِنَشْرِ الرَّذيلَة لتفكيكِ الأسرةِ المسلِمَة، وَ تفكيكِ البُنْيَةِ التَّحْتِيَّة للأمَّة الإسلاميّة باسمِ المتْعَةِ في الدِّين فَذَكَرْنَا كلًّا في مَحَلِّه، وض هيَ في مَجْمُوعِها بالجُملَة لا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهَا جَرائِمَ دينيَّة.

وَ بعدَ أنْ قرَّرْنَا مَا سَبقَ توضيحُهُ نقُولُ؛ لَقَدْ رَصَدَ لنا التَّاريخُ منذ عهد الخِلافَة الرَاشِدَة مرورًا

بالعهد الأمويّ، وَ العَبَّاسِيّ وَ العُثْمَانيّ، وَ حتَّى هَذَا العصر كَمًّا هَائلًا من خياناتِ القومِ و جرائمِهم، وَ غَدَرَاتِهِم، لَوْ أَرَدْنَا حصرهَا استيفاءًا، وَ تَتَبُّعُهَا استقْرَاءًا،لاحتَجْنَا لِمحاضراتٍ وَ مُحاضَراتٍ، بَل و إلى أسفار مُتَتَاليَاتٍ، وَ حسْبُنَا هُنا أن نَذْكُرَ وَ نُذَكِّر بجُمْلَةٍ من أَبْرَزِ خِيَانَاتِهِم، وَ جَرَائِمِهِم عبرَ التَّاريخِ من خِلالِ ذكْرِ ماضي خِيَانَاتِهِم، وَ الرَّبطِ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَاضِرِها، حَتَّى تَكُونَ الصُّورَةَ حاضِرَةٌ فِي أَذْهَانِنا، لا مُجَرَّدَ سَردٍ تاريخيّ من ماضٍ تَليدٍ مُنقطع عَن حَاضِرِهِ.

فَأَمَّا في عهْدِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَة؛ فقدْ بَدَت أولى جرائمِهم وَ خِيَانَاتِهم، فِي عَهْدِ الخليفة العَادِلِ الرَّاشد الذي أعزّ الله بِهِ الإسْلامِ؛ بِبركَةِ دَعْوَةِ نبيِّنا صلَّى الله عليهِ وَ سَلَّمَ لَهُ، **عُمَرَ بن الخَطَّاب** رضيَ الله عنهُ، مُتَمَثِّلَة الجانبِ السِّياسيّ منهَا خَاصَّة، إذ لَمْ يَكُن الفِكْر و المخَطَّطُ الرَّافِضِيّ تبَلْوَرَ تَمَامًا، وَ قدْ مَثَّلَ هذه الخِيَانَة المجُوسِيّ، الفَارِسِيّ أبُو لؤلؤَة، الذي كَانَ من سَبي فَارِسٍ بعد أنْ فتَحَها اللهُ على المسلمين في عَهْدِ الفاروقِ عُمَر، فَمَا كانَ من هذا المجُوسيّ الفَارسيّ بعدَ أنْ فَاضَ بالحقدِ قلْبُهُ، وَ استفَاضَ بالغدرِ همُّه إلاَ أنْ دبَّرَ مؤامَرَةً مع منْ يُقَاسِمونَه الكَرَاهِيّة وَ العداءَ لِهَذَا الدِّين، وَ هُما الهُرمُزَان وَ جُفَيْنَة، فَالهُرْمُزان الذي كانَ مَيْمَنَة القائدِ الفارسيّ رُسْتُم في القادِسِيَّة، ثُمَّ هَرَبَ بعد هَلاكِ رُسْتُم، ثُمَّ مَلَكَ خُوزِسْتان، وَ قَاتَلَ المسلِمين، وَ لَمَّا رَأى عَجْزَه، طَلَبَ الصُّلْحَ فَأُجِيب إليهِ، وَ لَكِنَّه غَدَرَ، وَ قتَلَ المجْزَأَة بن ثَوْر وَ البراء بن مالكٍ، فَقَاتلَه المسلمونَ وَ أَسَرُوهُ وَ سَاقُوهُ إلى عُمَرَ بن الخطَّابِ، فَأَظْهَرَ الإسلامَ وَ حُسْنَ الطَّوِيَّة، وَ عاشَ في المدِينَةِ.

وَ جُفَيْنَة النَّصْرَانِيّ من أهلِ الحِيرَة، كَانَ ظِئرًا لسعدِ بن مالكٍ، أَقْدَمَه للمدينَة للصُلْحِ الذي بَينَنَا وَ بَيْنَهُم، وَ لِيُعَلِّمَ أَهْلَ المدينَةِ الكِتَابَة. وَ بالرّغمِ أنَّ أميرَ المؤمنينَ، وَ جَميعَ المسلمينَ أَحْسَنُوا إليهم إلاَ أنَّ الحقدَ المجُوسيّ الفَارسيّ على الدِّين، وَ على دولةِ الإسلام، كانَتْ أَكْبَرَ بكثيرٍ من هَذا الإحسَانِ، فَحَاكُوهَا مؤامرةً كُبْرَى، و خِيَانَةً فِي حُكْمِ الشَّرْعِ عُظْمَى، حَيْثُ سَنُّوا أَوَّلَ سُنَّة سَيِّئَة في الإسلام، وَ أوَّلَ لَبِنَة أساسٍ من مُخططَّاتِ الرَّافضَة في مَجَالِ الغدْرِ و الخِيَانَة، أَلاَ وَ هيَ سُنَّةُ الخُروجِ على الحاكِمِ المسلِم، وَ سُنَّةُ اغتيالِ الخليفة، وَ الذي بموتِه أو بالخروجِ عليهِ تضطَرِبُ البِلادُ وِ يَفْتَتِن العِبادُ.

وَ نَحنُ هُنَا نُدْرِجُ هذه الخِيَانَةَ، وَ هَذِهِ الجَرِيمَةَ، وَ نَعُدُّهَا أُولَى جَرَائِمِ الرَّافِضَة، بالرَّغْمِ من أنَّ دينَ الرَّفْضِ لَمْ يَكُن قدْ ظَهَرَ بالفِعلْ كَمنهَجٍ وَ كَدِينٍ، وَ كَفِكْرٍ لِسَبَبَيْنِ:

الأَوَّلُ: هُوَ أنَّ هذا المجُوسيّ هو أوَّلَ مَنْ سَنَّ جَرِيمَة الاغتيَال السيَاسِيّ الموَجَّهَة ضِدَّ الحَاكِمِ المسلِمِ؛ نتيجَةَ للحقدِ على الإسْلاَمِ وَ أهْلِهِ، فَكَانتْ هيَ النِّبْرَاس الذي بِهِ اهْتَدَى بقيَّةُ الرَّافِضَة

من بَعْدِه.

وَ **الثَّاني**: أنَّ الرَّافِضَة بعدَ ذلكَ اعتبَرُوهُ رَمْزًا مِنْ رُمُوزِهِم، وَ اعتَبَروا سُنَّتَه في الاغتيال أسَاسًا من أُسُسِهِم، وَ أَدَبِيَّاتِ جرائِمِهِم، لِدَرَجَةٍ أنَّهُم يتَرَضَّوْنَ عَنْهُ في كُتُبِهِم، بَلْ وَصَلَ بهمُ الأمْرُ في تَعْظِيمِه أنْ بَنَوْا لَهُ قبْرًا، وَ مَزَارًا في مُستقَرِّ وَقْرِهِم في إيران، يَطوفُنَ بِهِ وَ يُقدِّمونَ عِندَهُ القَرَابين.

وَ في ذلكَ يَقولُ صاحبُ كتابِ (للهِ ثُمَّ للتَّاريخِ): (وَ اعْلَمْ أنَّ في مدينةِ كَاشان الإيرانية في مَنْطِقَةِ تُسَمَّ باغيثين مَشْهَدًا عَلَى غِرارِ الجُنْدِيّ المجْهُولِ، فيهِ قَبْرٌ وَهْمِيّ لأبي لُؤلؤة فَيْرُوز الفَارِسيّ المجوسيّ، قَاتِلِ الخَليفَةِ الثَّاني عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنهُ وَ أرْضَاه، حَيْثُ أطلَقُوا عليهِ مَا معناه بالعربِيَّة: مَرْقَدْ بابا شُجاعِ الدِّين، وَ بَابا شُجاعِ الدِّين، هُوَ لقبٌ أطْلَقُوهُ على أبي لؤلؤة لِقَتْلِهِ عُمَرَ بن الخطَّابِ، وَ قدْ كُتِبَ عَلى جُدْرانِ هذا المشهدِ بالفارِسيّ (مَرْك بَرْ أبو بكر - وَ مرْكبَرْ عُمَر - وَ مَرْكبَرْ عُثمان) وَ معناهُ بالعربيَّة (الموتُ لأبي بَكْرٍ، الموتُ لِعُمَرَ، الموتُ لِعُثمَان).

وَ هذا المشْهَدُ يُزارُ من قِبَلِ الإيرانيين، وَ تُلقَى فيهِ الأموالُ و التَّبَرُّعاتُ، وَ قدْ رأيتُ هذا المشْهَدُ بنَفسِي، وَ كانتْ وَزَارَةُ الإرشادِ الإيرانيَّة قدْ بَاشَرَتْ بِتَوْسِيعِهِ، وَ تَجْدِيدِه، وَ فَوْقَ ذلك قَاموا بطبعِ صورة المشْهَدِ على كارتات تُستَخدَم في تَبادُلِ الرَّسَائِلِ وَ المكاتيبِ. انتهَى كلامُه.

وَ يقُولُ الإمامُ ابن تيْمِيَّة رحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في مِنْهَاجُ السُّنَّة النَّبَويَّة: (وَ لِهَذَا تَجِدُ الشِّيعَة يَنتَصِرونَ لأعداءِ الإسلامِ المرتَدِّين، كَبني حَنِيفَةَ أتبَاعِ مُسيلَمَةَ الكذَّاب، وَ يَقُولونَ إنَّهُم كانوا مَظْلومينَ)، كَمَا ذكَرَ صاحبُ هذا الكتابِ (وَ يَنْتَصِرونَ لأبي لؤلؤة الكافرِ المجوسيّ)، وَ منهُم من يقُول (اللهمَّ ارضَ عَن أبي لؤلؤة واحْشُرنِي مَعَه)، وَ منهُم مَن يقولُ في بعض ما يَفعَله منْ مُحارَبَتِهِم (وَ ثَارَاتِ أبي لُؤلؤة). كَمَا يَفعَلُونَهُ في الصُّورَةِ التِّي يُقدّرون فيها صورةَ عُمرَ من الجِبْسِ أو غَيرِه، وَ أبو لؤلؤة كافرٌ باتِّفاقِ أهلِ الإسلامِ، كانَ مَجُوسِيًّا مِن عُبَّادِ النِّيرانِ، وَ كانَ مَمْلوكًا للمغيرة بن شُعْبَة، وَ كان يصنعُ الأرحَاء، وَ عليهِ خَراج للمغيرَةِ كُلَّ يومٍ أربعَ دراهِم، وَ كانَ قدْ رَأى ما عَمِلَهُ المسْلِمونَ بأهْلِ الذِّمَّة، وَ إذَا رَأَى سَبْيَهُم يَقْدُمُ المدِينة يَبْقى من ذلك في نَفْسِهِ شَيء)
انتهى كَلَامُهُ رَحِمَهُ الله

ثُمّ ظَهَرَتْ ثَانِي جرِيمَةٍ سِياسِيّةٍ مِنْ جَرَائِمِ الرّافِضةِ ألا وَ هِي جَريمةُ مَقتَل الخَلِيفة عُثمان رَضِيَ الله عنه؛ بَعدَ بَثِّ الشُّبَهِ و استِثارَةِ الشَّعب ضِدَّه، لكِنْ هَذِهِ المرّة، الجَرِيمَة مُستَنِدَةٌ على مخطَّطٍ و فِكرٍ مُتَبلورٍ وَ نَاضِجٍ وَ أَكْثَرُ حِبْكَةً مِنْ سابِقَتها، عَلَى يَدِ المؤَسِّس الحَقِيْقِيِّ لمذهَبِ

الرَّفض، اليَهُودِيُّ بنُ سَبَأ. حَتى أنَّ فِرقَةً مِنْ فِرَقِ الرّافِضَةِ انْتَسَبَتْ لَهُ وَ سُمُّوا بِالسَبَأيَّة، وَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَبَأ هَذا وَ إنْ كَان يَتَبَرَّأ منْه الرّافِضَةُ اليومَ ظَاهِراً إلا أنَّهُ يرْسَخُ في أمَّهَاتِ كُتبِهِمْ بَاطِنَاً. حَتَّى أنَّ المحقِّقِين مِنْ عُلمائِهِم أكَّدُوْا أنَّ هَذِهِ الشَّخصية مُثْبَتَةٌ فِيْ أُمّهاتِ كُتُبِ الرّافِضَة، بَلْ وَ فِي كُتُبٍ مُتنَوّعةٍ وَ مَصَادِرَ مُخْتلفةٍ، بَعضُها في كُتُب الرِّجَالِ و بَعْضُهَا في الفِقْهِ وَ بَعْضُهَا فِيْ الفِرَق. وَ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِيْ كِتَابِ [شَرحِ نَهْجِ البَلاغَة] مَا ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِيْ الحَدِيْدِ أَنَّ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَبَأ قَامَ إلَى عَليٍّ وَ هُوَ يَخْطِب، وَ مِنْ كِتَابِ [الأنْوَارِ النُّعْمَانِيّةِ] مَا ذَكَرَهُ سَيِّدُهم «نِعمةُ الله الجَزَائريّ» قَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ سَبَأ لِعليٍ: «أنت الإله حقاً».

وَ مَع أنَّ هَذا اليَهُوْدِيَّ الأَصْلَ، الرَّافِضِيَّ المَنْهَجِ وَ الدَّعْوَةِ قَدْ نَجَحَ فِيْ بَثِّ الفِتَنِ وَ تَشْكِيْكِ النّاسِ فِي شَرعِيَّةِ خِلافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَ مَعْ أنَّه تَمَّ وَ بإيْعازٍ مِنْهُ قَتْلُ الخَلِيفَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْه، إلا أنَّه لَمْ يَهْدَأ لَهُ بَالٌ بِذَلِك؛ لأنَّه حَقِيقَةً، لا يَقْصِدُ عَزْلَ أَمِيرٍ و تَنصِيب آخَر، بَلْ أَرَادَ أَنْ يَفْتِنَ المُسْلِمِيَن وَ يُلَبِّسَ عَلِيهِم دِيْنَهُم، فَاسْتَمرَّ يَحِيكُ المُؤامَرات، وَ يَفتِلُ حَبَائِلَ**هَا حَتّى فِي زَمَنِ أَمِيْر المُؤْمِنِينَ عَليّ بُنِ أَبي طَالِب رَضِيَ الله عَنْهُ.**

فَبَعْدَ أنْ كَادَتْ تَخْمد فِتْنَةُ «**وَقْعَة الجَمَل**» **وَ يَصْطَلِحَ الفَرِيقَانِ وَ يُسَلِّمُوْنَ لأمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَلِي، وَ إذَا بِهِ وَ بِأَتْبَاعِهِ يَغدِرُوُن و يُّصِرّوْنَ عَلَى قِتَالِ المُسْلِمين،** فَيَهْجُمُونَ عَلَى أَصْحَابِ «الجَمَل» وَ يَبْدَأونَ بِقِتَالِهِم لِيُوقِعُوا الحَرْبَ التِي كَادَتْ أَنْ تَنْطَفِئ دُونَ قِتال.

لَيْس هَذَا فَحَسْب، بَلْ إنّ الذّينَ أَظهَرُوْا تَشَيُّعَهُم لأمِيْر المؤمنينَ عَليٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ فِيْ ذَلِكَ الوَقْت، وَ طَلَبُوا مِنْهُ الخُرُوْجَ إلى العِرَاقِ وَ تَحْوِيْلَ عَاصِمَةَ الخِلافَةِ إلَى الكُوْفَةِ خَذَلُوهُ وَ تَخَلّوا عَنْه مِرَاراً.

فَحِين عَزَمَ عَلى الخُرُوجِ إلى أَهْلِ الشّام، لِيُمسِكَ بِزِمَامِ أُمُوْرِ المسْلِمِينَ حَتَّى لا تَكُونَ فُرْقَةٌ وَ اخْتِلافٌ وَ لِتَتوحّد كَلِمَةُ المسْلِميْن، تَسَلّلوا مِنْ مُعَسْكَرِهِ دُوْنَ عِلْمِهِ عَائِدِينَ إلَى بُيُوتِهِم، حَتَّى بَاتَ مُعسْكَرَهُ خَالِياً.

حَتّى قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيهِم: «مَا أَنْتُم إلا أُسُوْدُ الشَّرَى في الدَّعَة، وَ ثَعَالِبٌ رَوَّاغَةٌ حِين تُدْعَوْن إلى بَأْس،وَ مَا أَنْتُم لِيْ بِثِقَة»...

حتّى قال: «و ما أنتم بِرَكْبٍ يصُال بكم، ولا ذي عزٍّ يُعتصَم إليه، لَعَمرُ الله لَبَأْسَ حَشَاشُ الحَرْبِ أَنْتُم، إنّكُم تُكَادُونَ وَ لا تَكِيْدُوْن، وَ تُنتقَصُ أَطْرَافُكُم وَ لا تَتَحَاشَون».

وَ خَانُوْهُ كَذَلِكَ وَ خَذَلُوْهُ تَارَةً أُخْرَى لَمَّا أَقْدَمَتْ جُيُوشُ خَالِ المؤْمِنِين رُغْمَ أَنْفِ الرَّافِضَة، مُعَاوِيةَ رَضِيَ الله عَنْهُ مُتَوَجِّهةً لِعَيْنِ التَّمْرِ مِنْ أَطْرَافِ العِرَاق، فَاسْتَنْهَضَهُم للدِّفَاعِ عَنْ أَرضِ العِرَاقِ فَلَمْ يُجِيبُوْه، حَتّى قَالَ فِيْهِم: « يَا أَهلَ الكُوْفَة، كُلّما سَمِعْتُم بِمَنْسِرٍ من مَناسِرِ أَهْلِ الشَّامِ انْجَحَرَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ فِيْ بَيْتِه، وَ أَغْلَقَ بَابَهُ انْجِحَارَ الضَّبِّ فِيْ جُحْرِهِ وَ الضَّبعِ فِي وِزَارِهَا، المغْرُورُ مَن غَرَرْتُمُوه، وَ لِمَن فَازَ بِكُم فَازَ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبْ. لا أَحْرَارٌ عِنْدَ النِّدَاء، وَ لا إِخوانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاة. إِنّا للهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْن».

وَ لمّا رَأَى ذَلِكَ اليَهُودِيُّ الرّافِضيُّ أنَّ الأمُورَ السّياسِيّةَ فِي البِلادِ صَارَتْ كَمَا خَطّطَّ لَهَا، لَمْ يَكْتَفِيْ بِذَلِك؛ فَأرَادَ أَنْ يَهدِمَ مِن الدِّيْنِ جَانِبَهُ الأَصِيلُ حَتَّى لا يَكُونَ للمُسْلِمِينَ مَرَدٌّ يَرُدُّهُم لِلحَقِّ إِذَا مَا تَنَازَعُوا سِياسِيّاً.

فَبَدَأَ بِالجَانِبِ الدِّينيِّ الذّي يَمَسُّ عَقِيْدَةَ الإِسْلام، يَرُومُ زَعزَعَتَهُ كَمَا زَعْزَعَ سِيَاسَةَ البِلادِ فِيْ أَرْكَانِهَا. فَكَانَ مِنْ جَرَائِمه الدّيْنِيّةِ التّي كَانَ سَنَّها حتّى صَارَتْ دِيناً وَ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ الرَّافِضَةِ فِيْمَا بَعْد، الطَّعنُ و السَّبُّ في الصَّحَابَةِ الكِرَام، وَ كَانَ أَوّلُ مَنْ دَعَا إِلَى القَوْلِ بتَأْلِيْهِ عَليّ بن أَبي طَالِب رَضِيَ الله عَنْه حَتَّى هَمَّ بتَحْرِيقِهِ ثُمّ نَفاهُ وَ حَرَّقَ السَّبَأِيَّةَ الّذِينَ اتّبعُوا قَوْلَهُ وَ تمسَّكُوا بتَألِيْهِهِ بَعْدَ أَنْ رَفَضُوْا اسْتِتابَتَهُ لَهُم، وَ أَخَذَ هَذَا اليَهُودِيُّ الرَّافِضِيُّ يُرَوِّجُ لِخَلِيطٍ مِنْ فَاسِدِ مُعْتَقَدَاتٍ يَهُوْدِيَّة وَ نَصْرَانِيّة وَ مَجُوسِيّة، حَتّى ثَبَتَتْ هَذِهِ المعْتَقَداتِ فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهَا. **فَكَانَتْ أُسُسَ و أُصُولَ مَذْهَبِ الرّوافِضِ عَلَى جَمِيْعِ فِرَقِهِم**.

وَ هَا هِيَ خِيَانَتُهُم تَتَواصَلُ حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ لِتَصِلَ إِلى ابْنَيْهِ الحسَنِ و الحُسَين؛ سِبْطَي رَسُولِ الله صلى الله عليه و سلّم وَ سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الجنّة. فَخَانُوا الحَسَنَ حِيْنَ أَصَرّوا عَلَيْهِ مُحَرّضِينَ لَهُ بِالخُرُوجِ إِلى الشَّامِ لِقِتَالِ مُعَاوِيَة رَضِيَ اللهُ عَنْه. فَمَا كَانَ مِنْهُ وَ هُوَ الّذِي خبَرَ مَكرَهُم وَوَافَقَهُم مُسَايَرَةً لَهُم لإِخْرَاجِ خَبِيئَتِهِم وَ هُوَ يَمِيْلُ بِرَأيِهِ إِلى مُصَالحَة مُعَاوِيةَ إِلاّ أَنْ جَهَّزَ جَيْشاً عَلَى رَأسِهِ قَيسُ بنُ عُبَادَة، فلمّا نَادى مُنَادٍ بِمَقْتَلِ قَيْس سَرَتْ فِيْهِمُ الفَوْضَى وَ أَظْهَرُوا حَقِيْقَتَهُم وَ عَدَمَ ثَبَاتِهِم.فَانْقَلَبُوا عَلى الحَسَنِ يَنهَبونَ مَتَاعَهُ حَتَّى نَازَعُوهُ البِسَاطَ الذِّي كَانَ تَحْتَهُ بَعْدَ أَنْ طَعَنُوْهُ وَ جَرَحُوْه.

بَلْ وَصَلَتْ خِيَانَتُهُمْ إِلى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَد فَكَّرَ المخْتَارُ بنُ أَبي عُبَيْد الثّقَفي وَ هُوَ أَحَدُ شِيْعَةِ العِرَاقِ بِأَنْ يُهَادِنَ مُعَاوِيَة مُقَابِلَ تَسْلِيْمِ الحَسَن، فَعَرَضَ عَلى عَمِّهِ سَعْد بن مَسْعُود الذّي كَانَ وَالِياً عَلَى المدَائِنِ بِقَوْلِهِ: «هَلْ لَكَ فِي الغِنى وَ الشَّرَف؟ « فقال له عَمُّه «وما ذاك؟ «

قال «تُوثِقُ الحَسَنَ و تَستَأمِنُ بِهِ إلى مُعَاوية. « فقال له عَمُّه: «عَلَيْكَ لَعْنةُ الله، أَثِبُ عَلَى ابْنِ بِنْتِ رسول الله صلّى الله عليه و سلم فَأُوثِقَه، بِئسَ الرَّجل أنت».

وَ هَا هُوَ الحَسَنُ رَضِيَ الله عَنْهُ يَحْكِي خِيانَتَهُم لَهُ مُفَضِّلاً الصُّلحَ مَعْ مُعاوِيةَ رَضِيَ الله عَنْه، وَ التّنازُلَ لَهُ وَ حِفْظَ بَيضَةِ و هَيبَةِ آلِ البَيْتِ قَائِلاً: «أَرَى مُعَاوِيةَ خَيراً لِيْ مِنْ هَؤُلاء، يَزْعُمُونَ أنّهم لِي شِيعَة، ابتَغَوا قَتْلِي وَ أَخَذُوا مَالِي. و الله لإن آخُذ مِنْ مُعَاوِية مَا أَحْقِنُ بِهِ دَمِيَ فِي أَهْلِي وَ آمَنُ بِهِ فِي أَهْلِي خَيرٌ مِن أَنْ يَقْتُلُونِيْ فَيَضِيعُ أَهْلُ بَيْتِي وَ أَهْلِي. وَ الله لَو قَاتَلْتُ مُعَاوِيَةَ لأَخَذُوا بِعُنُقِي حَتَّى يَدفعوا بِي إلَيْهِ سِلْمَا، وَ الله لإن أُسَالِمَهُ وَ أنا عَزِيزٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَقْتُلَنِي وَ أنا أسيرٌ.»

و أمّا في عَهْدِ الدّوْلَةِ الأُمَوِيّةِ الّذِيْنَ اسْتَمَرّ حُكمُهُم مِنْ ٤١ الى ١٣٢ للهجرة؛

فَلَقد بَرَزَتْ خِيَانَاتُهُم فِيْ جَانِبِهَا السِّيَاسي أَكْثَرَ مِنَ الجَانِبِ العَقَدِي، ذَلِكَ لأنّهُم يَعلَمُونَ أَنّهُ مَتَى كَانَ للمُسْلِمِينَ خَلِيْفَةٌ مُسْلِمٌ يُحْسِنُ حِرَاسَةَ دِيْنِهِم وَ سِيَاسَةَ دُنْيَاهُم فَإِنّه لَنْ يَكُونَ للجَانِبِ العَقَدِيِّ أَيُّ أَثَرٍ يُذْكَر، لأنّه سَاعٍ فِي قَمْعِ وَ إِخْمَادِ كُلِّ فتنةٍ وَ شُبْهَة. فَكَانَ لا بُدَّ لَهُم فِيْ هَذِهِ المَرْحَلَةِ مِنْ التَّرْكِيْزِ وَ الاهْتِمَامِ أَوّلاً وَ بِشَكلٍ أَكْبَرَ عَلى خَلخَلَةِ الجانِبِ السّياسِيِّ وَ الّتِي مِنْ خِلالِها يَتَخلخَلُ الدِّيْن.

فَرَاحُوْا يَسْتَثِيْرُونَ حَمِيّة الحُسَيْنِ بنِ عَلي رَضِيَ الله عَنْهُمَا عَلَى دِيْنِه بِأَخْبَارٍ وَ رِوَايَاتٍ مُبَالَغٍ فِيْهَا و مَكذوبَةٍ عَنْ يَزِيْدَ بن مُعَاوِيَة مِن أنّه ظَلَمَ الخلقَ وَ عَطَّلَ الشَّرِيعَةَ الحَقّةَ حتّى بادَرَ بِإِرْسَالِ ابْنِ عَمِّه مُسلمٍ بنِ عَقيل لِيَتَحقَّقَ الأَمْر، وَ مَا إِنْ وَصَلَ وَ عَلِمَ بِهِ أَهلُ الكُوفَةِ حَتّى سَارَعُوا إِلَيْه، فَأَخَذَ البيعَةَ مِنْهُمْ ثمّ أَرسَلَ بِبَيعَةِ أَهلِ الكُوْفَةِ إِلَى الحُسين. فَلَمَّا عَلِمَ وَالِيْ الكُوْفَة عُبَيدُ الله ابنُ زِيَاد بِأَمرِ البَيعَةِ جَاء فقَتَلَ مُسلِماً بِن عَقِيل كَمَا قَتَلَ مُضِيفَه هَانِئَ بن عُروة المِرادِيّ على مَرْأَى وَ مَسْمَع مِنْ شِيْعَة أَهْلِ الكَوْفَةِ الَّذينَ كَانُوا للتَّو مُبَايِعِينَ وَ مُتَحَمِّسِين وَ مُحَمِّسِين للبَيْعَة.

وَمَعَ ذلِك فلَم يُحَرِّكُوا سَاكِناً لِلدِفاعِ عَنْ مُسلِمٍ وَلا عَنْ هانِئٍ بَعدَ إن إشتَرى عُبيدُاللهِ ابنَ زِياد ذِمَمَهُم بِاللأَموال.

فَلَيّتَ شِعري أيُّ عَهد، بَلّ أيُّ بَيعَةٍ هذِهْ الّلتي نَقَضُوها قَبلَ أن يُقِيمُوها، وَلَيّتَ شِعري أيُ تاريخ هَذا الّلذي يُسَطِرَ خِيانَةَ القَومِ لِيُعيدَ نَفسَه كَما هُوَ فِي أيَّامِنا هذِه، فَهذِهِ الذِمَمَ أَرخَصُ ماتَكُون عِندَ أَصحابِ الرَّفضِ فِي هذِهِ الأَيّام كَما فِي سالِفِها حَتى أنّهُم لَيَبِيعُونَهَا بِثَمَنٍ بَخسٍ

دَراهِمَ مَعدُودَه، نَقُولُ مَعَ هذا كُلّهِ أَبى الحُسَين رَضِيَ الله عَنه إلاّ أن هَرَعَ لِنَجدَتِهِم على ما ادَعَوهُ مِن وُقوعِ الظُلمِ بِهِم وإستِباحَة الحُرُمات وَتَعطيلِ الحُدود مِن قِبَلِ عُمَّالَ يَزيدٍ ابنَ مُعاويَه وإرسالِهِم بِالبَيعَةِ لَه فَخَرَجَ على قِلَّةٍ مِن أَصحابِهِ المتابِعين وَكَثرةٍ مِنَ المحَذِرينَ لَهُ مِن عَدَمِ الخُروج وَبِما حَصَلَ لِلأَبيهِ وَأَخيهِ مِن غَدرِهِم مُذَكِرين وَلكِن أَبَى الله إلاَّ أن يُتِمَ أَمرَه فَلَما عَلِمَ يَزيد بِمَقدَمِ الحُسَين أَرسَلَ إِليهِ جُندَهُ لِيَصُدُّوه وَيَحِيلوا بَينَه وَبَينَ صَدعِ كَلِمَةِ المسلمين فَلَمّا رَأَى الحُسَينُ أَنَّهُ قَد أُحيطَ بِه و رأى خُذلانَ شيعَتِه له، وَ خُذلانُهُم عَن مُناصَرَتِه عَلِمَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي فَخِ خِيانَتِهِم فَعَرَضَ على قائِدِ جُندِ يَزيدَ أَحَدَ ثَلاثة: إمَّا أَن يَعُودَ مِن حَيثُ أَتى أَو يَترُكُوه يَمضِي لِيُقابِلَ يَزيدَ بِنَفسِه وإلاّ فَيَدَعُوهُ يَلحَق بِأَهلِ الثُغورِ مُجاهِداً مُرابِطاً ولكن عبيد اللهِ ابن زِياد أبى إلاّ أن يُقاتِلَهُ حتى قُتِل.

وَمِن غرائِبٍ وَعَجائِب وَقاحَتِهِم أَنَّ عُلَمائَهُم يُسَطِّرونَ الرواياتِ عَنِ الحُسَين فِي ذَمّهِ لَهُم وَالدُّعاءِ عَلَيهِم قَبلَ مَقتَلِه فَقَد جاءَ فِي كِتاب [إعلامِ الوَرى] لِلطَبَرسِيِّ دُعاءُ الحُسَين على شِيعَتِهِ قَبلَ إستِشهادِهِ: «اللّهُمَّ إن مَتعتَهُم فَفَرِقهُم فِرَقا، وَ اجعَلهُم طرائِقَ قِدَدَا وَلا تُرضي الوُلاةَ عَنهُم أبَدا، فإِنَهُم دَعَونا لِيَنصُرونا ثُمَّ عَدَوا عَلَينا فَقَتَلونا».

وَ إنَّنا هُنا نَقِفُ وَقفَةَ المُتَفَكِرِ وَنَتَأَمَّل لِهذِهِ الخِياناتِ لأهلِ البَيّت تَأَمُّلَ المُعتَبِر؛ فإذا كانَ هذا حالُهُم مَعَ مَن يدَّعُونَ مَحَبَتِهِم بَل وَالمبالَغَةَ وَالغُلوَّ فِي مَحَبَتِهِم فَكَيفَ يَكُونُ حَالَهُم مَعَ غَيرِهِم وَلإِن طالَت مُحِبيهِم خِياناتَهُم فَمِن بابِ أولى ان تَطالَ غَيرَهُم مِنَ المسلِمينَ على ما نَراهُ اليَومَ مِن مُسارَعَتِهِم إلى الكُفّارِ وَمُوالاتِهِم وَمُحاذَنَتِهِم.

وَ مِن أَهَمّ الخِياناتِ الَّتي تَمَّت في عَصرِ بَني أُمَيَّة ما ذُكِرَ في وَفِياتِ الأَعيان؛ أَنَّهُم ساهَموا فِي خُروجِ بَني العَبَّاسِ على الخِلافَةِ الأُمَوِيَّة، و إسقاطِها بِسُقوطِ خُراسَان على يَدِ «أبي مُسلِمِ الخُراسانِيّ» والَّذي أَخَذ يَدعوا بِبَيعَةِ إبراهيمَ بن مُحَمَّد فَلما عَلِمَ نَصرُ إبنَ سِيّاط نائِبُ مَروانَ إبنَ مُحَمَّد آخِر مُلوكِ بَني أُمَيَّة بِخُراسان كَتَبَ إلى مَروان يُعلِمَه بِأمرِ البَيعَةِ فَكَتَبَ مَروانُ إلى نائِبِهِ بِدِمَشق بِإِحضارِ إبراهيم مُوثَقاً فَأَحضَرَهُ وَ قامَ بِحَبسِهِ وَلَما تَحَقَقَ أَنَّ مَروانَ لابُدَّ قاتِلَه أوصى إلى اخيه السَّفّاح وَهُوَ أَوَّلُ مَن وُلِيَّ الخِلافَةِ مِن أَولاد العَبّاس وَبَقِيَ إبراهيمُ بِالحَبسِ شَهرَيِّن حتى مات وَقِيلَ قُتِل.

وَ أَمّا فِي العَهدِ العَبّاسِيّ وَالّذي إستَمَرَ حُكمُهُم فِيهِ مابَينَ سَنَةِ مِئَةٍ واثنَينِ وَثلاثين، إلى سِتُ مِئَةٍ وَستٌ وَخَمسينَ لِلهِجرة؛

فَحَدّث وَلا حَرَج عَن ظُهورِ أمرِ الرّافِضَة و تَشَعُبُ خِياناتِهِم وَتَفَنُنِهِم في أساليبِها، وَمِن جَميعِ الجَوانِب سِياسِيَّةً كانَت أَو دِينِيَّة أَو أَخلاقِيَّة. فَأمَّا الإَغتِيالاتِ فَأكثَرُ مِن أَن تُحصى وأمَّا قلاقِلُ الإنقِسامات وَ الدُويّلاتِ الخارِجَة عَنِ الخِلافَةِ أشَدُّ مِن أن تُرسَى فَكانَت بِدايَةُ جَرائِمِهِم في هذا العَصر سِياسِيَّة تَروم إسْقاطِ الخِلافةِ الأُمَويَّةِ وَالخُروجَ عَلى وِلايةِ الحاكِم الأُمَويّ ثُمَّ بَعدَ ذلِك التَسَتُّر بِدَعوى أحَقيةِ بَني العَبَّاسِ فِي الخِلافَه والَّتي نَادى وَدَعَى إِليّها أبو مُسلِم الخُراسانِيّ لِيَتَمَكّنوا مِنَ السَيطرَةِ عَلى مَقاليدِ البِلاد بَعدَ أن أظهَرُوا مُوالاتِهِم وَمُشايعَتِهِم لِبَني العَبَّاسِ زُورا، فَبَدَأوا بِخُراسان الَّتي كانَت أوَّلَ ما سَقطَ مِنَ البِلاد عَلى يَدِ أبي مُسلِم وَ مَع بِدايَة العَهدِ العَبّاسِيّ فَأَخَذَ الفُرسُ الحاقِدونَ يَشفُونَ غَليلَهُم مِن العَرَب المسلِمين هُناكَ فَأَشبَعُوهُم قَتلاً وَ بَطشاً وَتَنكِيلا.

وَحاوَلَ أبو مُسلِم نَفسَهَ شَقَّ عَصَا الطاعَة عَلى المنصُور الَّذي وَلِيَ الخِلافَة بَعدَ مَوتِ أَخِيهِ السَّفّاح وَحاوَلَ أن يَغدُرَ بِهِ وَلكِنَّ المنصُور بِدَهاءِهِ وَفِطنَتِهِ تَنَبَهَ لِما يُحِيكَهُ أَبومُسلِمٌ لَهُ فَاستَدرَجَه حَتى تَمَكّنَ مِن قَتلِهِ شَرَّ قَتلَه وَدارت بَعَدَ ذلِكَ مُحاولاتٌ فاشِلَه مِن أنصارِ أَبِي مُسلم لِلإنتِقامِ لَه تارةً مِن خِلالِ الفِتَنِ السِياسِيَّة وَ تارةً مِن خِلالِ بَثِّ الشُبُهات.

وَ مِن هذِهِ المحاولات خُروج «سَنباب» الَّذي طَالَبَ بِبَدَنِ أَبِي مُسلم فَأَرسَل لَهُ المنصور جَيشاً فَهَزَمَهُ ثُمَّ ظَهَرَت «الراوندِيَّة» قُربَ أَصفَهان أيضاً مِن جَماعَةِ أبِي مُسلم يَدعُونَ لِمُعتَقَداتٍ فاسِدةٍ فَنادَوا بأُلوهِيَّة المنصور وَأرادوا بِذلِكَ خِداعَهُ والإِيقاعَ بِهِ لِقَتلِه وَلكِنَّهُ حارَبَهُم وانتَصَرَ عَلَيهِم ثُم ظَهَرَ بَعدَ ذلِك مِنهُم رَجلٌ لَقَّبَ نَفسَه بِالمقَنَّع زَعَم أنَّ الله سُبحانَه وَتعالى حَلَّ في آدم ثُمَّ في نوح ثُمَّ في أبِي مُسلِم ثُمَّ حَلَّ بِهِ أخيراً، وَ استَطاعَ أنْ يُكَونَ لَهُ جماعة وَتَغَلَّبَ عَلى بِلادِ ماوراءِ النَّهر مُتَحَصِناً بِقَلعَةِ «كَش» ولكِن الخَليفةُ المهدِيّ وَالَّذي إشتَهَرَ بِشِدَّتِهِ على المِلاحِدة والزَنادِقَة، تَعَقَبَهُ فأرسَلَ لهُ جَيشاً يُحاصِرَهُ فَلمّا تَيَقَنَ هلَكَتهُ سَقى نَفسَه و أَهلَ بَيتِهِ السُمَّ وَ هَلَكَ.

وَ مَع ذلِك فَلَم يَستَطِع المهدِيّ أن يَقضِيَ على فِتنَتِهِم نَظَراً لِتَستُرِهِم الدّائِم بالتَقِّيةِ وَالسِّريَّة فَهُم دائِماً يَعمَلونَ وَيُخَطِطُون بِالخَفاء مُستَخدِمينَ النِّفاقَ الإجتِماعِيّ بِالتَقَرُبِ وَالتَزَلُف إلى كِبارِ رِجالاتِ الدّولَةِ فِي الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ حَتى تَمَكّنوا مِن الوُصولِ لِلمَناصِب الوِزارِيَّة فَاستَوزَرَ كَثيرٌ مِن خُلَفاءِ بَنِي العَبّاس هؤلاءِ الرّافِضَةَ المجُوس؛ كالبَرامِكَةِ و أبي مُسلِم الخُرسانِيّ وَالمجوسِيّ الفَضل إبن سَحَل الَّذي كَانَ وَزيراً لِلمَأمُون وَقائِداً لِجَيشِهِ وَكانَ يُلَقَّب بِذِي الرِياسَتَين (أي الحَربِ والسِياسَة)، بَل وَزَوَجوا أَبنائَهُم مِن بناتِ الفُرس فأُمُ المأمُون مَراجِلُ فارسِيَّة ما أدّى إلى تَأَثُرِهِ وَظُهورِ هذا الأَثَر عِندَما إنتَهى الحُكمُ إليه حَيثُ إتَّخَذَ مِن «مَرْوَى» عاصِمَةً للخِلافَة

بَدَلاً مِن بَغداد ونادى بِأَفكارٍ وَفلسفاتٍ غَريبةٍ عَنِ الإِسلام كَقَولِه بِخَلقِ القُرآن.وَ جَاءَتْ هَذِهِ الدَعوَةُ مِن رَواسِبِ تَربِيَتِهِ الفارِسِيَّة المَجوسِيَّه فَكانَ نَتيجة هذا التَقارُب أن تَمكَن رافِضةُ المَجوسِ مِن بَثِّ أفكارِهِم ومُعتَقَداتِهِم بَينَ المسلِمين وَراحُوا يَدسّونَ الأَحاديثَ المَكذُوبَة، وَ يَلصِقُونَها بِالدّين وَراحوا يُصَوِرونَ التّاريخَ الإِسلاميّ على أنَّهُ تاريخُ فِتَن وَخُصومةٍ بَينَ الصّحابَة وَ يطعَنُونَ بِأَبِي بَكرٍ وعُمَرَ خاصَّه وَفِي الصَّحابَةِ عامَّه بَل إنبَرى شُعَرائُهُم يَتَفاخَرون بِمَجدِ فارس القَديم مِمّا حَدَى بالأَصمَعِيّ هِجاءِهِ بِقَولِه:

إذا ذُكِرَ الشِركَ بِمَجلِسٍ * لَضاءَت وُجوهِ بَني بَرمَكِي**
وإن تُلِيَت عِندَهُم آيةً * أَتَوا بِالحديثِ عَن مَزدَكِي**

بَل نَتَجَ عَن هذا التَقارُب ماهُو أشَدُّ على دَولَةِ الإِسلام وَدِينِهِ أَلا وَهُوَ تآمُرُهم على الخلافةِ و خُرُوجَهَم و إستِقلاَلَهُم فِي مَناطِقَ مُتَعَدِدَة.

فَكَانَ أوّلُ من خَرَجَ على الخلافَةِ العبّاسِيّة، هُوَ ما قَامَ بِهِ طَاهِرُ بْنُ الحُسين الخُزَاعِيّ، حيثُ اسْتَقَلّ بِخُراسانَ كَمَا فَعَلَ من قَبْلُ «أبو مُسْلم» و تَوَالَتْ بعْدَ ذلِكَ الانْقِسامَاتُ عن الخِلافَةِ و ظَهَرَتِ الخِيَانَاتُ وَالجَرَائِمُ العَظِيمَةُ مِنْ هَذِهِ الدُّوَيلاتِ، فَكَانَ القَرَامِطَةُ فِي الأَحسَاءِ وَالبَحْرَينِ وَاليَمَنِ وَعُمَانَ وَفِي بِلادِ الشَّامِ، وَالبُوَيهِيُّونَ فِي العِرَاقِ وَ فَارِس، وَالعُبَيدِيُّونَ فِي مِصْرَ وَالشَّامْ، وَلكِنْ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَظهَرُ للرَّافِضَةِ يَدٌ وَدَولَةٌ إِلا وَيُظهِرُ اللهُ عَليهِمْ مَنْ يَقُومُ بِجِهَادِهِمْ وَيَسُومُهُمْ العَذاب، فَقُيِّضَ للرَّافِضَةِ فِي تِلكَ الفَترَةِ السَّلاجِقَّةُ الأَترَاكِ السُّنِّيِّينَ، الذِينَ كَانَ وَلاءُهُمْ تَابِعاً للعَبَّاسِيِّينَ وَ لكِنَّهُمْ كانُوا أَشِدَّاءَ عَلى الرَّافِضَةِ فَقَامَتْ هَذِهِ الدُّوَيلاتِ الرَّافِضَةِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ الصَّلِيبِيَّينَ وَمَكَّنَتْهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إلى بِلادِ المسلِمِينَ للقَضَاءِ عَلى أَهلِ السُّنَّةِ الذَينَ عَجَزُوا عَنْ الصُّمُودِ فِي مُجَالَدَتِهِمْ.

فَمِنْ جَرَائِمِ القَرَامِطَةِ التِي رَصَدَهَا لَنَا التَّارِيخُ فِي العَهدِ العَبَّاسِيِّ، فِي المَجَالِ السِيَاسِيِّ:

خُرُوجُهُمْ عَلى الدَّولةِ العَبَّاسِيَّةِ وَمُنَاوَءَتِهَا، وَتحرِيقِهِمْ مَنَازِلَ بَنِي عَبدِ قَيسٍ ثُمَّ اجتِيَاحُهُمُ الكُوفَةَ عَامَ ٢٩٣ للهِجرَة، وَقِيَامِهِم بِالمَذَابِحِ الرَّهِيبَةِ التِي حَدَثَتْ فِي ذَلكَ العَامِ حَتَّى أَرَّخَ لها المؤَرِّخُونَ.

وَمِنْ جَرَائِمِهِمْ فِي جَانِبِ العَقِيدَةِ وَشَعَائِرِ الدِّينِ:

أَنَّهُمْ نَشَرُوا العَقَائِدَ الفَاسِدَةَ ابتِدَاءً بِدَعوَى التَّشَيُّعِ لآلِ البَيتِ، ثُمَّ قَالوا بِالرَّجعَةِ وَعِلمِ عَليٍّ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ لِلغَيبِ، ثُمَّ التَّنكُّرُ لآلِ البيتِ، وَذِكرِ مَثالبِ عَليٍّ وَأَولادِهِ، وَ بُطلانِ هَذَا الدِّينِ، وَلِذَلكَ فَإِنَّ القَرَامِطَةَ كانُوا يُقَرِّبُونَ الفَلاسِفَةَ وَ يَعتَمِدُونَ عَلى نَظَرِيَّاتِهِمْ وَكُتُبِهِمْ، وَ يُوصُونَ دُعَاتَهُم:»وَإِنْ وَجَدتَ فَيلسُوفاً فَهُمْ عُمْدَتُنا لأَنَّنَا نَتَّفِقُ وَهُمْ عَلى إِبْطَالِ النَّوامِيسِ وَالأنبِيَاءِ وَعَلى قِدَمِ العَالَمِ».

وَ فِي سَنَةِ ٢٩٤ للهِجرَةِ قَامَ القَرَامِطَةُ الإسمَاعِيليُّونَ بِالإعتِدَاءِ عَلى حُجَّاجِ بَيتِ اللهِ الحَرَامِ بَعدَ أَنْ أَمَّنُوهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ، فَقَتَلوا جَمِيعَ القَوَافِلِ، وَتَعَقَّبُوا مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ حَتَّى أَنَّ نِسَاءَ القَرَامِطَةِ كُنَّ يَقِفْنَ بَيْنَ القَتْلَى يَعرِضْنَ المَاءَ فَمَنْ كانَ بِهِ رَمَقٌ يَقْتُلنَ بِالإِجهَازِ عَليهِ، وَلَمْ يَكتَفُوا بِقَتْلِ الحَجِيجِ، بَل رَاحُوا يُفْسِدُونَ مِيَاهَ الآبَارِ بِالجِيَفِ وَالتُّرَابِ وَالحِجَارَةِ.

وَ فِي عَامِ ٣٢١ للهِجرَةِ قَامُوا كَذَلِكَ بِاعتِرَاضِ قَوَافِلِ الحَجِيجِ وَقَتلِ الرِّجَالِ، وَسَبيِ النِّسَاءِ وَالذُّرِيَّةِ، وَهَذَا يُذَكِّرُنَا بِجَرِيمَتِهِمْ فِي هَذَا العَصْرِ، حِينَمَا أَرسَلَتْ إِيرَانُ مَجْمُوعَةً مِنْ شِيعَةِ الكُوَيتِ لِتَروِيعِ الحُجَّاجِ فِي مَكَّةَ عَامَ ١٤٠٩ للهِجرَةِ، فَقَامُوا بِزَرعِ المُتَفَجِّرَاتِ المُدَمِّرَةِ فِي أَحَدِ الجُسُورِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ، بَعدَ أَنْ سَلمَهُمْ إِيَّاهَا السَّفِيرُ الإِيرَانِيُّ فِي الكُويتِ، وَهَرَّبُوهَا إِلى مَكَّةَ، وَقَدْ فَجَّرُوا مِنهَا حَولَ المَسْجِدِ مَسَاءَ يَومِ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ مِنْ ذَلِكَ العَامِ، مِمَّا أَدَّى إِلى مَقْتَلِ رَجُلٍ وَإِصَابَةِ ١٦ شَخْصاً بِجُرُوحٍ عَدَا الخَسَائِرِ المَادِيَّةِ.

وَ مِنْ فَظَائِعِ جَرَائِمِهِمُ الدِّينِيَّةِ أَنَّهُمْ تَطَاوَلوا حَتَّى عَلى بَيتِ اللهِ الحَرَامِ وَعَلى الكعبَةِ المُشَرَّفَةِ، فَسَرَقُوا مِنهَا الحَجَرَ الأَسْوَدَ، وَبَقِيَ عِندَهُمْ حَتَّى عَامِ ٣٣٥ للهِجرَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابنُ كَثِيرٍ فِي [البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ]:» ذِكرُ أَخذِ القَرَامِطَةِ الحَجَرَ الأَسْوَدَ إلى بِلادِهِمْ:

فِيهَا خَرَجَ رَكبُ العِرَاقِ، وَأَمِيرُهُمْ مَنْصُورٌ الدَّيلَمِيّ، وَوَصَلوا إلى مَكَّةَ سَالِمِينَ، وَتوَافَتِ الرُّكُوبُ هُنَاكَ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَجَانِبٍ وَفَجٍ، فَمَا شَعَرُوا إلا بِالقَرمَطِيِّ قَدْ خَرَجَ عَليهِمْ فِي جَمَاعَتِهِ يَومَ التَّروِيَةِ، فَانتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ، وَاسْتَبَاحَ قِتَالَهُمْ، فَقَتَلَ فِي رِحَابِ مَكَّةَ وَشِعَابِهَا وَفِي المَسْجِدِ الحَرَامِ وَفِي جَوفِ الكَعْبَةِ مِنَ الحُجَّاجِ خَلقَاً كَثِيراً، وَجَلسَ أَمِيرُهُمْ أَبُو طَاهِرْ –لعَنَهُ اللهُ– عَلى بَابِ الكعْبَةِ وَالرِّجَالُ تُصرَعُ حَولهُ، وَالسُّيُوفُ تَعمَلُ فِي النَّاسِ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ فِي يَومِ التَّروِيَةِ، الذِي هُوَ مِنْ أَشْرَفِ الأَيَّامِ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا للهِ وَ بِاللهِ، أَنَا اللهُ أَخْلُقُ الخَلقَ وَأُفْنِيهِم، وَكَانَ النَّاسُ يَفِرُّونَ مِنهُمْ فَيَتَعَلقُونَ بِأَستَارِ الكعبَةِ فَلا يُجْدِي ذَلكَ عَنْهُمْ شَيئَاً يُقْتَلونَ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَيَطُوفُونَ فَيُقتلونَ فِي الطَّوَافِ، فَلمَّا قَضَى القَرْمَطِيُّ أَمرَهُ، وَفعَلَ مَا فَعَلَ فِي الحَجِيجِ مِنَ الأَفَاعِيلِ القَبِيحَةِ، أَمَرَ أَنْ تُدفَنَ القَتلى فِي بِئْرِ زَمْزَمْ، وَدَفَنَ كَثِيراً مِنهُمْ فِي أَمَكِنِهِمْ مِنَ الحَرَمِ، وَفِي المَسجِدِ الحَرَامِ، وَيَا حَبَّذَا تِلكَ القِتْلةِ وَتِلكَ الضَّجْعَةِ، وَذلكَ المَدْفَنْ وَالمكانِ، وَمَعَ هَذَا لمْ يُغَسَّلوا وَلمْ يُكفَّنُوا وَلمْ يُصَّلى عَليهِم، لإِنَّهُمْ مُحْرِمُونَ شُهَدَاءَ فِي نَفسِ الأَمْرِ، وَهَدَمَ قُبَّةَ زَمْزَمْ، وَأَمَرَ بِقَلعِ الكَعْبَةِ وَنزعِ كِسْوَتِهَا

عَنْهَا، وَشَقَّقَهَا بَينَ أصحابِهِ، وَأمَرَ رَجُلاً أنْ يَصْعَدَ إلى مِيزَابِ الكَعْبَةِ فَيقتَلِعَهُ، فَسَقَطَ عَلى أُمِّ رَأسِهِ فَمَاتَ إلى النَّارِ، فَعِندَ ذَلكَ إنْكَفَّ الخَبِيثُ عَنِ الميزَابِ، ثُمَّ أمَرَ بِأنْ يُقلعَ الحَجُرُ الأسْودُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَضَرَبَهُ بِمِثْقَلٍ فِي يَدِهِ، وَقالَ: أينَ الطَّيرُ الأبَابِيلْ، أَينَ الحِجَارَةُ مِنْ سِجِّيلْ.

ثُمَّ قَلعَ الحَجَرَ الأسْوَدَ، وَأخَذُوهُ حِينَ رَاحُوا مَعَهُمْ إلى بِلادِهِمْ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ ٢٢ سَنَةً حَتَّى رَدُّوهُ، فَإنَّا لله وَإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ،» انتَهَى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ.

وَ أمَّا البُوَيهِيُّونَ فَكَذَلِكَ خَرَجُوا عَلى الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ، وَاستَولَوا عَلى العِرَاقِ عَامَ ٣٣٤ للهِجْرَةِ، وَخَلعُوا الخَلِيفَةَ العَبَّاسِيَّ المسْتَكفِي بِاللهِ، وَجَاؤُوا بِالفَضْلِ بنِ المقتَدِرِ، فَنَصَّبُوهُ خَلِيفَةً، وَلقَّبُوهُ بِالمطِيعِ للهِ، وَمِنْ جَرَائِمِهِمُ الدِّينِيَّةِ أنَّهُمْ فَرَضُوا التَّشَيُّعَ دِيناً، وَ اتَّخَذُوهُ سِتَاراً لِنَشرِ الأفْكَارِ وَالمعتَقَدَاتِ المجُوسِيَّةِ، وَبَثُّوا الفِتَنَ بَينَ المسلِمِينَ عَلى أسَاسِ التَّفرِيقِ بَينَ أهلِ السُّنَّةِ وَبَينَ الشيعَةِ، وَانتَشَرَ فِي عَهْدِهِم سَبُّ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ أوَّلُ مَنْ أظهَرَ بِدعَةَ إغلاقِ الأسْوَاقِ فِي يَومِ عَاشُورَاءَ مِنَ المحَرَّمِ، وَنصبِ القِبَابِ، وَأظهَرُوا مَعَالِمَ الحُزنِ، وَأخْرَجُوا النِّسَاءَ يَلطُمنَ وَيَنُحْنَ عَلى الحُسَينِ، وَهُنَّ سَافِرَاتٌ نَاشِرَاتٌ لِشُعُورِهِنَّ، وَتَجَرَّأُوا عَلى ذَاتِ اللهِ تَعَالى، حَيثُ تَسَمَّى آخِرُ مُلوكِهِم بِالمَلِكِ الرَّحِيمِ، مُنَازَعَةً للهِ فِي اسْمِهِ.

وَ أمَّا العُبَيدِيُّونَ، الذِينَ يَنسُبُونَ أنفُسَهُمْ زُوراً إلى نَسْلِ فَاطِمَةَ بِنتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ، فَحَدِّثْ وَلا حَرَجَ عَنْ جَرَائِمِهِمْ، فَقَدْ خَرَجُوا عَلى الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ، بَعدَ أنْ مَهَّدُوا لِهَذَا الخُرُوجِ بِمَرحَلةٍ سِرِّيَّةٍ بَثوا مِنْ خِلالهَا دَعْوَتَهُمْ، مُتَسَتِّرِينَ وَمُتَمَسِّحِينَ بِمَسُوحِ آلِ البَيتِ، فِي بِلادِ المغرِبِ، ثُمَّ لما تَمَكنُوا مِنَ السَّيطَرَةِ عَلى بِلادِ المغْرِبِ، انتقلوا إلى مِصْرَ فَاستَولَوا عَليهَا، وَخَلعُوا الخَلِيفَةَ هُنَاكَ.

وَكَانَ مِنْ أبْرَزِ جَرَائِمِهِمْ فِي الجَانِبِ العَقَدِيِّ:

أنَّ حَاكِمَهُمْ وَقبْلَ دُخُولِهِمْ لِمِصرَ أَرْسَلَ مَبْعُوثَهُ لأهلِ مِصْرَ يَقطَعُ عَلى نَفسِهِ العُهُودَ بِعَدَمِ إظهَارِ البِدَعِ وَإبقَاءِ السُّنَّةِ وَإحيَائِهَا، وَلكِنَّهُمْ بَعدَ دُخُولِهِمْ غَدَرُوا بِأهلِ مِصرَ، وَفَرَضُوا التَّشَيُّعَ وَأَلزَمُوا النَّاسَ بِإظهَارِهِ، وَاستَخدَمُوا مَنَابِرَ المسَاجِدِ للدِّعَايَةِ إلى مَذهَبِهِم، وَنشرِ بِدَعِهِمْ، وَصَارَ يُنَادَى فِي الأذَانِ بِحَيَّ عَلى خَيرِ العَمَلِ، وَظَهَرَ مِنهُمُ الحَاكِمِ بَأمرِ اللهِ، الذِي ادَّعَى الألوهِيَّةَ، وَبَثَّ دُعَاتَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ مَمْلكتِهِ، يُبَشِّرُونَ بِمُعتقدَاتِ المجُوسِ، كَالتَّنَاسُخِ وَالحُلولِ، وَيَزعُمُونَ أنَّ رُوحَ القُدُسِ انتقلتْ مِنْ آدَمَ إلى عَليٍّ ثُمَّ انتقلت رُوحُ عَليٍّ إلى الحَاكِمِ بِأمرِ اللهِ، وَكَانَ مِنْ أبرَزِ دُعَاتِهِ مُحَمَّدٌ بن اسمَاعِيلَ الدُّرزِيِّ المعرُوفِ «بِأنُشتَكِينْ»، وَحمزَةَ بنَ عَليٍّ الزَّوزَنِيّ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مِنْ

مُقاطَعَةِ «زُوزَنْ»، وَجاءَ إلى القَاهِرَةِ لِهَذِهِ المهِمَّةِ، أي لِبَثِّ الدَّعوَةِ إلى ألوهِيَّةِ الحَاكِمِ.

وَ مِنْ جَرَائِمِهِمُ الدِّينِيَّةِ كذلِكَ، مُحَاوَلتُهُمْ نَبشَ قَبرِ النَّبِيِّ وَنقلِ جُثمَانِهِ الطَّاهِرِ مَرَّتَينِ فِي زَمَنِ الحَاكِمِ بِأمرِ اللهِ الذي ادَّعَى الألوهِيَّةَ.

المُحَاوَلَةُ الأولى: يَومَ أنْ أشَارَ عَليهِ بَعضُ الزَّنَادِقَةِ بِنَقلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ مِنَ المدِينَةِ إلى مِصرَ فَقَامَ فَبَنَى حَائِزاً بِمِصرَ، وَأنفَقَ عَليهِ مَالاً جَزِيلاً، وَبَعَثَ أبَا الفُتُوحِ لِنَبشِ الموضِعِ الشَّرِيفِ فَهَاجَ عَليهِ النَّاسُ وَحصَلَ لهُ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ مَا مَنَعَهُ مِنْ قَصدِهِ وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةِ.

الثانِيَةِ: حِينَمَا أرْسَلَ مَنْ يَنْبِشُ قَبرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ، حَيثُ سَكَنَ هَذَا الرَّسُولُ بِقُربِ المسْجِدِ، وَحَفَرَ تَحتَ الأرْضِ، لِيَصِلَ إلى القَبرِ فَاكتَشَفَ النَّاسُ أَمرَهُ فَقَتَلوهُ.

ثُمَّ لما قَيَّضَ اللهُ السَّلاجِقَةَ الأتَرَاكَ يَرُومُونَ نَشرَ السُّنَّةِ وَالقَضَاءَ عَلى دِينِ الرَّافِضَةِ شَعَرَ العُبَيدِيُّونَ بِعَزِيمَةِ وَقُوَّةِ هَؤُلاءِ الأبْطَالِ، وَعَلِمُوا مِنْ أنْفُسِهُمُ العَجْزَ عَنْ مُوَاجَهَتِهِم، **فَلجَئوا إلى خُطَّتِهِمُ القَدِيمَةِ وَمَكرِهِمُ السَّالِفِ، حَيثُ أرسَلوا لأعْدَاءِ الدِّينِ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ،** وَأغْرُوهُمْ بِدُخُولِ بِلادِ المسْلِمِينَ وَالتَّوطِينِ لهُمْ، مُفَضِّلِينَ استِيلاءَ النَّصَارَى عَلى بِلادِ المسْلِمِينَ عَلى أنْ يَنْتَشِرَ مَذهَبُ السُّنَّةِ، وَيَظهَرُ السَّلاجِقَةُ، وَكَانَ مِمَّنْ وطَّنَ لهُمْ وَكَاتَبَهُمْ وَأرسَلَ لهُمْ، أَمِيرُ الجُيُوشِ الفَاطِمِيُّ الأَفْضَلْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابنُ الأثِيرِ:» إنَّ أَصحَابَ مِصرَ مِنَ العَلَوِيِّينَ لَمَّا رَأَوْا قُوَّةَ الدَّولَةِ السُّلجُوقِيَّةِ، وَتَمَكُّنِهَا وَاستِيلائِهَا عَلى بِلادِ الشَّامِ إلى غَزَّةَ، وَلم يَبقَ بَينَهُم وَبَينَ مِصرَ وِلايةٌ أُخرَى تَمنَعُهُم وَدُخُولَ الإقسِيسِ إلى مِصْرَ وَ حَصرَهَا، فَخَافُوا وَأَرسَلُوا إلى الإفرَنجِ يَدعُونَهُمْ إلى الخُرُوجِ إلى الشَّامِ لِيملِكُوهُ».

وَ يَقُولُ الدُّكتُورُ مُصطَفَى العَنَانِيّ، نَقلاً عَنِ المؤَرِّخِ اللاتِينِيِّ المعَاصِرِ لِلحَملَةِ الصَّلِيبِيَّةِ الأُولى «كفَارُو الكَاسكِي»: لِيَكُن مَعلُوماً لَدَى الجَمِيعِ الآن، وَفِي المستَقبَلِ وَفِي عَهْدِ البَابَا «أُوربَان الثَّانِي» الطَّيِّبِ الذِّكرِ، أَنَّ الدُّونَ «جُون فرِيد» بِصُحبَةِ الكُونت «فرَاند لِينِيس» وَعَدَدٌ آخَرُ مِنَ النُّبلاءِ وَالسَّادَةِ، الذِينَ رَغِبُوا فِي زِيَارَةِ ضَرِيحِ السَّيِّدِ المسِيح –عَليهِ السَّلامُ– قَدْ ذَهَبُوا إلى مَدِينَةِ «جَنَوَة» وَمنهَا رَكِبُوا السَّفِينَةَ الجُندِيَّةَ المعرُوفَةَ بِاسمِ «بُومِيلّا» لِيُبحِرُوا إلى الإسكَنْدَرِيَّةِ، وَلما وَصَلَ الوَفدُ إلى مِينَاءِ الإسكَندَرِيَّةِ، اتَّجَهُوا بِصُحبَةِ الجُنُودِ الفَوَاطِمِ إلى مِينَاءِ مَدِينَةِ بَيتِ المقدِسِ –أَي يَافَا– وَعِندَمَا أَرَادُوا دُخُولَ المدِينَةِ عَبرَ بَوَّابَتِهَا، لِزِيَارَةِ ضَرِيحِ السَّيِّدِ المسِيحِ رَفَضَ حُرَّاسُ المدِينَةِ دُخُولَهُم إلا أَنْ يَدفَعُوا الرُّسُومَ المفرُوضَةَ عَليهِمْ حَسْبَ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ كَالعَادَةِ، وَمِقدَارُهَا بِيزَنْطٌ وَاحِدٌ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الدُّخُولِ «.

وَ يُفَسِّرُ الدُّكْتُورُ العَنَانِيُّ هَذَا الحَدَثَ بِقَولِهِ: «إِنَّ هَذِهِ الرِّحلَةَ التِي قَامَ بِهَا الأُمَرَاءُ الصَّلِيبِيُّونَ لَمْ تَأْتِ مِنْ فَرَاغٍ، وَبِلا اعتِقَادَاتٍ وَاتِّصَالاتٍ مُسبقَةٍ، بَينَ هَؤُلاءِ الأُمَرَاءِ الفَاطِمِيِّينَ فِي مِصرَ، فَلا يُعقَلُ أَن يَقُومَ هَؤُلاءِ الأُمَراءُ الصَّلِيبِيُّونَ بِزِيَارَةِ مِينَاءِ الإِسكَندَرِيَّةِ دُونَ أَن يَستَقبِلَهُمْ مَسؤُولُوا الأَمنِ فِي المِينَاءِ، وَدُونَ وُجُودِ اتِّصَالاتٍ سَابِقَةٍ وَتَرتِيبٍ سَالِفٍ، وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا قَامَ بِهِ الفَاطِمِيُّونَ مِنْ ارسَالِ جُندِ حِرَاسَةٍ اصطَحَبُوا السَّفِينَةَ «بُوميلا» إِلى مِينَاءِ بَيتِ المَقدِسِ، وَكَانَ الهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ حِمَايَةُ هَؤُلاءِ الأُمَرَاءِ مِنْ خَطَرِ السَّلاجِقَةِ، إِبَّانَ رِحلَةِ الذَّهَابِ وَالعَودَةِ مِنَ الإِسكَنْدَرِيَّةِ إِلى بَيتِ المَقدِسِ، التِي استَغرَقَتْ أَكثَرَ مِنْ عَامَينِ.

وَ بَعدَ أَنْ تَحَرَّكَت الجُيُوشُ الصَّلِيبِيَّةُ قَادِمَةً مِنْ أُورُوبَّا فِي أُولَى الحَمَلاتِ الصَّلِيبِيَّةِ عَلى بِلادِ المسلِمِينَ، وَأَثنَاءَ مُرُورِهَا بِمَضِيقِ «البُسفُور» فِي أَرَاضِي الدَّولَةِ البِيزَنطِيَّةِ، أَخَذَ مِنهُمُ الإِمبرَاطُورُ «كُوفِين» يَمِينَ الوَلاءِ وَالطَّاعَةِ، وَكَانَ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ أَنْ يَسعَوْا لِلوُصُولِ **إِلى الإِتِّفَاقِ مَعَ الفَاطِمِيِّينَ فِي مِصرَ**، لأَنَّهُم كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ خُصُومَةً لِلتُّركِ السَّلاجِقَةِ السُّنِّيِّينَ، وَلا يَقبَلُونَ مُطلَقَاً مُصَالَحَتَهُم، بَينَمَا عُرِفَ عَنهُم التَّسَامُحُ مَعَ الرَّعَايَا المسِيحِيِّينَ، وَكَانُوا دَائِماً مُستَعِدِّينَ للتَّفَاهُمِ مَعَ الدُّوَلِ المسِيحِيَّةِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مَدَى التَّوَاطُئِ الذِي كَانَ بَينَ الرَّافِضَةِ العُبَيدِيِّينَ وَبَينَ الصَّلِيبِيِّينَ.

وَ هَذَا نَفسُهُ مَا حَصَلَ بَينَ رَافِضَةِ إِيرَانَ وَالأَمرِيكَانِ فِي مُسَاعَدَتِهِم عَلى الإِطَاحَةِ بِدَولَةِ طَالِبَانَ، بِالتَّنسِيقِ مَعَ رَافِضَةِ الشَّمَالِ فِي أَفغَانِستَانَ، وَكَذَلِكَ تَعَاوُنُ رَافِضَةُ إِيرَانَ مَعَ الأَمرِيكَانِ فِي احتِلالِ العِرَاقِ بِتَنسِيقٍ وَمُعَاوَنَةٍ مِنْ رَافِضَةِ العِرَاقِ.

وَلَيتَهُمُ اكتَفَوا بِمَوَاقِفِهِمُ السَّلبِيَّةِ تِجَاهَ الغَزوِ الصَّلِيبِيِّ لِبِلادِ المسلِمِينَ، وَلكِنَّهُم لما رَأَوا أَنَّ مُدَّةَ حِصَارَ «أَنطَاكِيا» قَدْ طَالَت، خَافُوا مِن أَن يَتَسَلَّلَ المَلَلُ وَاليَأسُ إِلى نُفُوسِ الجُنُودِ الصَّلِيبِيِّينَ فَيتَراجِعُونَ وَ ينتَصِرَ السَّلاجِقَةُ، مِمَّا حَدَا بِالأَفضَلِ إِلى ارسَالِ سُفَرَاءَ مَخصُوصِينَ يَحُضُّونَ القَادَةَ الصَّلِيبِيِّينَ عَلى مُوَاصَلَةِ الحِصَارِ، وَأَكَّدُوا لَهُم أَنَّهُم سَيُرسِلُونَ لَهُم أَيْ الصَّلِيبِيِّينَ كُلَّ مَا يَحتَاجُونَ لَهُ مِنَ الإِمدَادَاتِ العَسكَرِيَّةِ وَالغِذَائِيَّةِ، فَاستَقبَلَهُمُ القَادَةُ الصَّلِيبِيُّونَ بِحَفَاوَةٍ بَالِغَةٍ، وَعقَدُوا مَعَهُم عِدَّةَ اجتِمَاعَاتٍ تَسلمُوا خِلالَهَا رِسَالَةَ الأَفضَلِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ «وِليام صُورِي» الذِي نَقَلَهُ الدُّكتُورُ يُوسُف الغَوانِمَةِ:»إِنَّ مُحَاصَرَةَ الصَّلِيبِيِّينَ لأَنطَاكِيَا أَثلَجَتْ صَدْرَ الأَفضَلِ، وَاعتَبَرَ أَنَّ خَسَارَةَ الأَترَاكِ السَّلاجِقَةِ لأَيِّ جُزءٍ مِنْ أَملاكِهِم إِنَّمَا هُوَ نَصرٌ لَهُ نَفسُهُ، وَلما قَفَلَتْ سَفَارَةُ الأَفضَلِ رَاجِعَةً صَحِبَتهُم سَفَارَةٌ صَلِيبِيَّةٌ، تَحمِلُ الهَدَايَا لِلتَّبَاحُثِ مَعَ الأَفضَلِ فِي الأُمُورِ التِي تَمَّ الإِتِّفَاقُ عَليهَا، وَأَرسَلُوا مَعَ السَّفَارَةِ الفَاطِمِيَّةِ العَائِدَةِ مِنْ ضِمنِ الهَدَايَا حُمُولَةَ أَربَعَةِ جِيَادٍ مِنْ

رُؤُوسِ القَتلَى السَّلاجِقَةِ هَدِيَّةً لِخَلِيفَةِ مِصرَ.

و لَمْ يكتَفِ الأفضلُ بذلكَ، بلِ **استَغَلَّ فُرصَةَ انشِغَالِ السّلاجِقَةِ مِنْ أهلِ السُّنّةِ بِقتَالِهِم و جِهَادِهِمْ لِلصَّلِيبِيّينَ**، فأرْسَلَ قوّاتَهُ إلى «صُوْر» و فتَحَها بِالقُوّةِ ثُمّ أرْسَلَ قوّاتَهُ مِنَ العامِ التّالي إلى بيْتِ المقْدِسِ و انْتَزَعَهُ مِنْ أصْحَابِهِ الأرَاتِقَةِ، ثُمَّ سُرعانَ ما توَجّهَ الصّليبِيُّونَ لِبيْتِ المقدِسِ كَأنّهَا مُؤَامرَةٌ وَ اتّفَاقِيّةٌ بَينَ الطرّفَينِ، يَستَوْلِيْ الأَفْضَلُ عَلَى بَيْتِ المقْدِسِ، لِيَتِمَّ تَسْليمُ البِلادِ بدمٍ بارِدٍ إلى يَدِ الصّليبيينَ، و ليسَ أدلُّ على ذَلِكَ مِنْ أنَّ الأفْضلَ لمَّا عَلِمَ بِتوَجُّهِ الصليبيينَ إلى بيتِ المقْدِسِ توجَّهَ عائِداً إلى القَاهِرَة.

وَ كانتِ القُوَّاتُ الصَّلِيبِيَّةُ التِّي حَاصرَتْ بيتَ المقْدِسِ، في غايةِ التَّعَبِ و الإنْهَاكِ من شِدَّةِ الحَرَارَةِ التي لَمْ يَعْتَادُوا عَلَيهَا في بِلاَدِهِم، حتَّى أنَّ الماشِيَةَ وَ الأغْنَامِ هَلَكَ عددٌ كبيرٌ منهَا، بَلْ إنَّ عددَ الجيشِ الصليبيّ الذي كَانَ مُتوَجِّهًا لِحِصَارِ بيتِ المقدسِ لمْ يكُن كبيرًا، بِحَيْثُ يستطيعُ أنْ يصمُدَ في ظلّ هذِهِ الظُّروفِ لَولَا خيانَة الرَّافضَة، وَ تَوَاطُئُهم معَ الصَّلِيبين. إذ بَلَغَ عدَدُهُم ألفًا وَ خَمْسَ مائةَ فارسٍ، وَ عشرين ألفًا من المشَاةِ، حتّى أنَّ المؤَرِّخَةَ ابن تَغْرِيبَرْدِي قَالَ مُتعَجِّبًا: «وَ العَجَبُ أنَّ الإفْرَنْج لما خَرَجُوا إلى المسلمينَ كانُوا في غايةِ الضَّعْفِ من الجوعِ وَ عدَمِ القوتِ، حتى أنَّهُم أكَلُوا الميْتَةَ، وَ كانتْ عساكِرُ الإسلامِ في غايَةِ القُوَّةِ وَ الكَثرَةِ، فَكَسَرُوا -أي الصَّليبيون- المسلمين وَ فَرَّقُوا جُموعَهُم».

وَ بعدَ حِصَارٍ دامَ أربعين يَوْمًا تمكَّنَ الصليبيُّونَ من دُخولِ بيتِ المقْدِسِ وَ احْتِلالِهَا في شَهْرِ شَعْبَان، في سَنةِ أرْبعِ مائةِ و اثْنَتَيْنِ وَ تسعينَ لِلْهِجْرَةِ، وَ راحُوا يُقتِّلونَ المسلمينَ، وَ يُحَرِّقونَ مَا كَانَ ببيتِ المقْدِسِ من مَصَاحِفٍ وَ كُتُبٍ، حتّى بلَغَ عددُ القَتْلَى مَا يَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ ألفٍ من المسلمينَ منهُم الأئمَّةُ و العلماءِ وَ العُبَّادِ.

وَ ظَلُّوا على هذهِ الحَالَةِ منَ التَقْتِيلِ و التنْكيلِ أُسْبُوعًا كامِلًا لدرجة أنَّهُ لماّ أرادَ قَائِدُهُم الصَّليبي رِيمُونْد زِيارَة سَاحَة المعبَدِ أَخذَ يتلَمَّسُ طَرِيقَهُ تلَمُّسًا من كثرةِ الجُثَثِ و الدِّماء التي بلَغَت رُكبَتَيْهِ.

وَ كان من جَرَائِمِ الخلَفَاءِ العُبَيدِيين؛ أنَّهُم يتَخَلَّصُونَ من كل وَزِيرٍ يُنادِي بفريضَةِ الجِهادِ، وَ يرفَعُ لُوَاءَهُ على وجهِ السُّرعَة، وَ يظْهَرُ ذلكَ من خِلَالِ الفَتْرَةِ التي حَكَمُوا بها. فَهَذا الوزيرُ الأفضلُ لما كانَ مُتحَالِفًا مع الصَّليبيينَ كانَ منهُم مُقَرَّبا، وَ لَمَّا بدَأَ يَتَحَالَفُ معَ الدَّمَاشِقَة الأتـرَاك لمواجَهَةِ الصليبيّينَ، قَامُوا باغتيَالِهِ في عَهْدِ الخَلِيفَةِ الآمِر.

وَ هذَا الوزير رِضوَان بن الوَلْخَشِيّ كَان من أشدِّ النَّاسِ تَحَمُّسًا للجِهَادِ ضِدَّ الصليبيين حتّى أنَّهُ أَنْشَأَ ديوَانًا جَدِيدًا، أَطْلَقَ عليهِ اسم ديوانِ الجِهادِ، وَ أخذَ يُطارِدُ الأَرْمَن، و يُقصيهم من مَناصبِهِم التي توَلُّوهَا من قِبلِ الرَّافِضَة العُبَيديين، بَل إنَّهُ نَدَّدَ بالخَلِيفَةِ الحَافِظ العُبَيْدِيّ آنذاك علَى مواقِفِهِ المستكِينَّة تُجاهَ الصليبيينَ بالشَّامِ، فَعَمَدَ الخليفةِ الحافِظِ إلى تمكينِ الأرمَنِ و التَّعاون معهُم سِرًا، وَ أخذَ يثُيرُ طوائفَ الجَيْشِ الفَاطِميّ ضدَّ الوزير ابن الوَلْخَشِيّ، الأمرُ الذي أعَاقَ سيرَ حركَةِ الجِهَادِ التّي عَزَمَ ابن الوَلْخَشِيّ على إدارَتِهَا، فَاضْطُرَّ إلى الفِرارِ متَحَيِّزًا نَحْوَ الشَّمالِ حَيْثُ يُوجَدُ أَسَدٌ من أُسُودِ الجِهادِ وَ هُوَ عِمادُ الدِّينِ زِنْكِيّ، لِيَستَعينَ بهِ في جِهَادِهِ ضدَّ الصليبيينَ.

وَ هذَا الوزيرُ ابنُ السَّلاَر السُّنِّيّ الشَّافِعِيّ بَذَلَ قُصَارى جُهْدِه لمِوَاجَهَة الصَّليبيينَ، وَ حاولَ التّعاونَ مع نورِ الدِّينِ و الاتِّصالَ بهِ ليتمَكَّنوا من مُشَغَالَةِ الإفرنجِ في جِهَةٍ، وَ ضَرْبِهِم في الجِهَةِ أُخْرَى، إلا أنَّ الخليفَةَ آنَذَاك الظَّافِرْ دَبَّرَ لَهُ مُؤامَرَةً فاغْتَالَهُ في عامِ خَمسِ مائة وَ ثَمانيةٍ وَ أربَعِينَ للهِجْرَة.

وَ هذا الوزيرُ العادِل طلائعُ بنُ رُزَيْك الذي مَا لبثَ بعد تولِّيهِ الوِزَارَة أنْ رفعَ رايَةَ الجِهادِ، وَ جَهَّزَ الأساطيل و السَّرَايا لمِهَاجَمَة الصليبيينَ، لكنَّه ما لَبثَ أنْ قُتِلَ قبلَ أنْ يُحَقِّقَ حُلْمَهُ في تحريرِ بيتِ المَقْدِسِ، من قِبَلِ مُؤامرة دَبَّرها له «شَاوَر السَّعْدِيّ» الذي كانَ واليًا على الصّعيدِ في عهدِ الخلفَةِ العَاضِد عام خَمْسِ مائةٍ وَ ثَمانِيَة وَ خَمْسينَ للهِجْرَةِ. وَ لما خرجَ أحد قادةِ الجَيْشِ وَ هُوَ أبو الأشْبَالِ الضّرْغَام على شَاورٍ، وَ انتزَعَ منه الوَزَارَة وَ قَتلَ ولَدَه الأكبر طَيّ بن شَاوَر، اضطَّرّ شاوَر إلى أنْ يُرسِلَ إلى الملكِ العادِل نور الدِّين محمود زِنْكِي يَستَجيرُ بهِ، وَ يطلبُ منهُ النَّجْدَة على أنْ يُعْطِيَهُ ثُلُثَ خَرَاجِ مِصر، وَ أن يكونُ نائِبَهُ بِهَا حيثُ قالَ: « أكونُ نائِبَكَ بِها وَ أقنَعُ بما تُعَيّنُ لِي من الضِّياعِ وَ الباقي لكَ»، وَ معَ أنَّ نورَ الدِّينِ كَانَ مترَدِّدًا في إرسالِ حملَة عسكَرِّيَّةٍ مع شَاورَ إلا أنَّه استخَارَ فَأرسَلَ لَه أكبرَ قُوَّادِهِ أسدَ الدِّينِ شِرْكُوهْ، وَ أرسلَ معهُ ابن أخيهِ صَلاَح الدِّين، وَ أمرَ بإعادَةِ شَاوَرَ إلى مَنصِبِه، واستطاع أسدُ الدِّين في حَملَتِه أنْ يقضيَ على ضِرغَام، وأن يُعيدَ الوِزَارَةَ إلى شَاوَر في شَهْرِ رَجَب عام خمسِ مائةٍ وَ تسعَةٍ وَ خَمْسينَ لِلْهِجْرَة.

وَ لكِنَّ الغَدرَ و الخِيانَةَ بَدَت فِي مُحَيّا «شَاوَر»، فَأَسَاءَ مُعَامَلَةَ النّاسَ و تَنَكَّبَ عَنْ وُعُودِهِ المِعْسُولَةِ لِنُورِ الدّين، و أرَادَ أنْ يَغْدِرَ بِأَسَدِ الدِّيْن شِركُوه حَيثُ طَلَبَ مِنْهُ الرّجُوعَ إلى الشّام، دُونَ أنْ يُرسِلَ إِلَيهِ ماكانَ قدِ اسْتَقرَّ بَينَهُ و بَيْنَ نُورِ الدّين، وَ لما رَفَضَ أَسَدُ الدِّينِ الرُّجُوعَ إلى الشَّامِ أَرْسَلَ نُوّابَهُ إلَى مَدِينَةِ «بِلْبِيس» فَتَسلَّمَهَا و تَحَصَّنَ بِهَا، فَمَا كَانَ مِن «شَاوَر» إلا أَنْ يَغْدِرَ كَما هِيَ عَادَةُ الرَّافِضَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلِكِ بَيْتِ المَقْدِسِ الصّلِيبِي يَسْتَنْجِدُهُ على «شِرْكُوه»

وَ يُطَمِعُهُ فِي مُلْكِ مِصْرَ إِنْ هُمْ سَاعَدُوهُ فِيْ إِخْرَاجِ «شِرْكُوه»، وَ بِالفِعْلِ سَارَعَ الصَّلِيْبِيُّونَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى مِصْرَ وَ مِن ثُمَّ التقَوا بِ»شَاور» وَ عَسَاكِرَه حَتّى تَوَجَّهُوا جَمِيْعاً إِلَى «بَلْبِيس» وَ حَاصَرُوا أَسَد الدِّيْنِ فِيهَا وَ لَكِن مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تعَالَى أَنَّهُ وَ أَثْنَاء حِصَارِهِمْ لَهُم؛ وَصَلَتْهُم الأَنْبَاءُ بِهَزِيْمَةِ الإِفْرَنْجِ عَلَى «حَارِم» و تَمَلُّكِ نُورِ الدِّينِ لها، وَ تَقَدُّمِهِ إِلَى «بَانِيْسَا» لأَخْذِهَا فَأَصَابَهُم الرُّعْبُ وَ اضْطُرُّوا إِلَى أَنْ يُرَاسِلُوا أَسَدَ الدّينِ المحَاصَرِ فِي «بَلْبِيس» يَطْلُبُونَ مِنْهُم الصُّلْحَ وَ تَسْلِيمِ مَا أَخَذَهُ سِلْمَاً، فَاضْطُرَّ لِمُوَافَقَتِهِم عَلَى ذَلِك، إِذْ أَنّ الأَقْوَاتَ قَلَّتْ عِنْدَهُم وَ عَلِمَ عَجْزَهُ عَنْ مُقَاوَمَةِ الفَرِيْقَينِ فَصَالَحَهُم وَ خَرَجَ مِن «بَلْبِيس» عام خمسمائة وتسعة وخمسين للهجرة وهو فِي غَايَةِ القَهْر.

هَذَا الأَمْرُ وَ هَذِهِ الخِيَانَةُ مِنْ قِبَلِ «شَاوَر» وَ تَحَالُفِهِ مِعَ الصّلَيْبِيين جَعَلَ الملِكَ الصّالِحَ نُوْرُ الدّيْنِ مُحمُود، يُوَجِّهُ نَظَرَهُ إِلَى غَزْوِ مِصْرَ ثَانِيَةً لِلْقَضَاءِ عَلَى مَصْدَرِ الفُرْقَةِ فِيْ العَالَمِ الإِسْلامِيِّ وَ مَنْبَعِ الخَيَانَةِ لِلأُمّة أَلا وَ هِيَ الخِلافَةُ الفَاطِمِيَّةُ، بِالإِضَافَةِ إِلَى رَغْبَتِهِ فِيْ نَشْرِ المذْهَبِ السُّنّي وَ القَضَاءِ عَلَى مَذْهَبِ الرَّفْضِ فَخَرَجَت حَمْلَةٌ مِنْ «دِمَشْقَ» فِي مُنْتَصفِ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوّل مِن عَامِ خَمسُمَائة و اثنَين وَ سِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ بِقِيادَةِ أَسَدِ الدِّيْنِ وَ ابْنِ أَخِيْهِ صَلاحِ الدِّيْنِ وَ كَانُوا عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ النَّصْرِ، وَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ هَذَا النَّصرِ وَ إِرْهَاصَاتِهِ أَنْ قَذَفَ اللهُ الرُّعْبَ فِيْ قُلُوبِ أَعْدَاءِهِ مِنَ الصَّلِيبيينَ و الرَّافِضِةِ المرْتَدّين، وَ برغمِ تَحَالُفِ «شَاوَر» و قُوّاتِهِ مَع قُوَّاتِ الصّلِيبيين وَ اسْتِنْجَادَهُ بِهِمْ إِلا أَنَّهُم قدمُوا وَ الرَّجَاءُ يَقُوْدُهُمْ وَ الخَوْفُ يَسُوْقُهُم.

فَبَدَأَتْ أُوْلَى المعَارِكِ بَيْنَ قُوّاتِ أَسَدِ الدِّيْنِ وَ قُوَّاتِ الصّليبيّينَ المتَحالِفِينَ مَعْ «شَاور» فِي مِنْطَقَةِ الصَّعِيدِ بِمَكَانٍ يُعْرَفُ بِاسْمِ «البَابَيْنِ» فَدَارَت مَعْرَكَةٌ حَاسِمَةٌ انْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ الصّلِيبيينَ وَ الفَاطِمِيّينَ أَمَامَ جُنُودِ «شِرْكُوه»، فَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يُؤَرِّخُ أَنّ أَلْفِي فَارِس عَدَدُ أَفْرَادِ جَيْشِ «شِركوه» تَهْزِمُ عَسَاكِرَ مِصْرَ وَ فِرِنْجَ السّاحل.

وَ اسْتَمَرَّ الكَرُّ وَ الفَرُّ بَيْنَ الفَرِيقَينِ حَتّى كَانَ مِنْ فَضْلِ اللهِ تعَالَى أَنْ بَثَّ اللهُ الفُرْقَةَ وَ النِّزَاعَ بَيْنَ «شَاور» وَ الخَلِيفَةِ الفَاطِمِيّ «العَاضُد» مِنْ جِهَةٍ وَ تَنَكُّرِ الصّلِيبيّينَ للوَزِيْرِ «شَاور» مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

كُلُّ ذَلِكَ بِالإِضَافَةِ إِلَى العَزْمِ الصَّادِقِ عَلَى جِهَادِ الصَّلِيبيّينَ وَ نَشَرِ الدِّيْنِ الإِسْلامِيّ الصَّافِيْ عَلَى مَنْهَجِ الجَمَاعَةِ الأُوْلَى، مَا عَلَيهِ الرَّسُوْلُ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلّم وَ أَصْحَابَهُ أَدّى بِالنّهَايةِ إِلى انْتِصَارِ حَمْلَةِ نُورِ الدّيْنِ بِقِيادةِ أَسَدِ الدّيْنِ وَ ابْن أَخِيْهِ صَلاحِ الدِّيْنِ وَ اسْتِيْلائِهِم عَلَى مِصْرَ فِيْ نِهَايَةِ المطَافِ، وَ لَكِنَّ الحِقْدَ الرَّافِضِيَّ لَمْ يَنْتَهِي إِلى هَذَا الحَدِّ بَلْ رَاحَ الرَّافِضَةُ يُدَبِّرُونَ المؤَامَرَات

وَ المكَائِد بعْدَ سُقُوطِ الدّوْلَةِ العُبَيدِيّةِ الفَاطِمِيّةِ للتّخَلُّصِ مِنْ أَسَدِ الدِّيْنِ الذِيْ تولّى الوَزَارَةَ فِيْ مِصْرَ وَ مَنْ بَعْدِهِ ابنُ أخيهِ صَلاح الدِّيْنِ الذِيْ قَطَع الخُطْبَةَ للخَلِيفَةِ الفَاطِمِيِّ فِيْ ثَانِيْ جُمْعةٍ مِنْ المحَرَّمِ عَام خَمْسمائةٍ وَ سَبعةٍ وَ سِتّينَ للهِجْرةِ وَ خَطَبَ للخَلِيْفَةِ العَبَّاسِي المسْتَضِيءِ بِأمْرِ الله.

فَتَمَّتْ عِدّةُ **مُحَاوَلاتٍ لاغْتِيالِ القَائِدِ صَلاحِ الدّين؛**

فَفِيْ عَامِ خمْسِمَائة وَ أَرْبعةٍ وَ سَبْعينَ لِلهِجْرةِ مِنْ شَهْرِ ذِيْ القِعْدَةِ، اتَّفَقَ مُؤْتمَنُ الخِلافَةِ وَ هُوَ خَصِيٌّ كَانَ بِقَصْرِ العَاضِدِ وَ كَانَ الحُكْمُ فِيْ القَصْرِ إِلَيْهِ مَعْ جَمَاعَةٍ مِنَ المِصْرِيينَ عَلَى مُكَاتَبَةِ الإِفْرَنْجِ مَعْ شَخْصٍ يَثِقُوْنَ بِهِ يَقْتَرِحُوْنَ فِيْهِ عَلَيْهِم أَنَّ يَتَوجَّهَ الصّليبيّون إلى الدِّيَارِ المِصْرِيّة، فَإِذَا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَ أَرَادَ صَلاحُ الدّينِ الخُرُوجَ إِلَيْهِم قَامَ هُوَ وَ مَنْ مَعَهُ مِنَ المِصْرِيينَ فِيْ الدَّاخِلِ بِقَتْلِ مُخَالِفِيهِمْ مِنْ أَنْصَارِ صَلاح الدّين، ثُمَّ يَخْرُجُوْنَ جَمِيْعَاً فِيْ إِثْرِهِ حَتَّى يَأْتوْنَهُ مِنَ الخَلْفِ فَيَقْتُلُونَهُ وَ مَنْ مَعَهُ مِنَ العَسْكر، وَ لَكنَّ الله تعَالى أَفْشَلَ مُخَطّطهُم ذَلكَ وَ انْكَشَفَ حَامِلُ الرِّسَالة، فَأَرْسَل صَلاحُ الدِّينِ مِنْ فَوْرِهِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلى مُؤْتَمنِ الخِلافَة، حَيثُ كَانَ يَتَنزّهُ فِي قَرْيَةٍ لَهُ فَأَخَذُوهُ و قتَلُوهُ وَ أَتَوا بِرَأْسِهِ وَ عَزَلَ جَمِيعَ الخَدَمِ الذينَ يَتَولّونَ أَمْرَ قَصْرِ الخِلافَة.

ثُمّ جَاءَتِ المُحَاوَلَةُ الثّانِيَةُ لاغْتِيالِ صَلاح الدّيْنِ مِنْ قِبَلِ الرّافِضَةِ، لَمّا ثَارَ جُنْدُ السُّودَانِ الذين كَانُوا بِمِصْرَ لِمقْتَل مُؤْتَمَن الخِلافة لأنّه كَانَ يَتعَصَّبُ لَهُم فَجمَعُوا خَمْسِين ألفاً مِنْ رِجَالِهِم وَ سَارُوا لِحَرْبِ صَلاحِ الدِّينِ فَدَارَتْ بَيْنَهُم عِدّةُ مَعَارِك وَ كَثُر القَتْلُ فِيْ الفَرِيقَينِ، **فَأرْسَل صلاح الدّيْنِ إلى مَحلّتِهِم المَعرُوفَةِ بِالمنْصُورَةِ فَأَحْرَقها عَلَى أَمْوَالِهِم وَ أَوْلادِهِم وَ حَرَمِهِم،** فَلَمّا عَلِمُوا بِذَلِكَ وَلّوا مُنْهَزِمِينَ فَرَكِبَهُم السَّيْفُ وَ ظَلّ القَتْلُ فِيهِمْ مُسْتَمِرّاً إِلى أَنْ قَضَى عَلَى آخِرِهِمْ «تُورَان شَاه» أَخُو صَلاحِ الدّين فِيْ مِنْطَقَةِ الجيزة.

وَ لَمْ يَسْتَكِنْ الرّافِضَةَ إِلَى هَذَا الحَد، بَلْ اتّفقَ جَمَاعَةٌ مِنْ شِيْعَةِ العَلَويّينَ بِمِصْرَ وَ مِنْهُم «عَمارَة اليَمَنِيّ» الشّاعِرُ المعْرُوفُ وَ «عَبْدُ الصّمد» الكَاتِبُ وَ القَاضِيْ «العُوَيْرِسِيّ» وَ دَاعِيْ الدُّعَاة «عَبْد الجَبّارِ بْن إِسْمَاعِيْل بن عَبْدِ القَوِي» وَ قَاضِيْ القُضَاةِ هِبةُ اللهِ بْنُ كَامِل وَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ صَلاحِ الدّينِ وَ جُنْدِهِ وَ اتّفَقَ رَأْيُهُم عَلى اسْتِدْعَاءِ الفِرنِج مِنْ «صِقِلّيةِ» وَ مِنْ سَاحِلِ الشّامِ إلى الدِّيَارِ المِصْرِيّةِ عَلَى شَيءٍ يَبْذُلُونَهُ لَهُمْ مِنَ المالِ وَ البِلادِ، فَإِذَا قَصَدُوا البِلادَ وَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ صَلاحُ الدِّيْنِ لِمقَاتَلَتِهم ثَارُوا هُمْ مِنَ الدَّاخِلِ فِيْ القَاهِرَةِ وَ مِصْرَ وَ أَعَادُوا الدَّوْلَةَ الفَاطِمِيَّةَ، وَ لَكِنْ مِنْ لُطْفِ اللهِ تَعَالَى بِأُمّةِ الإِسْلامِ أَنْ كُشِفَ مُخَطّطُهُم قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ حَيْثُ كَانَ مِنْ ضِمْنِ مَنْ أَدْخَلُوهُ مَعَهُمْ فِيْ المؤَامَرَةِ وَ أَطْلَعُوهُ عَلَى خَبِيْئَتِهِم الأَمِيرُ زَيْنُ الدِّيْنِ عَليّ بْنُ الوَاعِظِ الذِيْ أَبَتْ نَفْسُهُ أَن تَقْبَلَ بِهَذِهِ الدّنِيْئِة، وَ هَذِهِ الخِيَانَةُ فَأَخْبَرَ صَلاحَ الدّين بِمَا تعَاقَدَ

عَلَيه القَوْمُ فَكَافَأهُ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ اسْتَدْعَاهُمْ وَاحداً وَاحَدا، وَ قَرَّرَهُم بِذَلِكَ فَأقَرُّوا ثُمَّ اعْتَقَلَهُم وَ استَفْتَى الفُقَهَاءَ فِيْ أَمْرِهِمْ فَأفتُوهُ بِقَتْلِهِم، فَقَتَل رُؤوسَهُم وَ أَعْيَانَهُم وَ عَفَى عَنْ أَتْبَاعِهِم وَ غُلْمَانِهِم وَ أَمر بِنَفْي مَنْ بَقِيَ مِنْ جَيْشِ العُبَيْدِيينَ إِلَى أقْصَى البِلاد.

وَ بِذَلِكَ تَكُوْنُ مِصر قَدْ بَدَأتْ صَفْحَةً مُنِيْرَةً مِنْ تَارِيْخِها، إِذْ أَعَادَ صَلاحُ الدِّيْنِ البَلادَ إِلَى المَذْهَبِ السُّنِّي مِنْ جَدِيد وَ أَرْجَعَ تَبَعِيَّتَهَا للدّوْلَةِ العَبّاسِيّةِ ثُمّ رَاحَ يُرَتِّبُ صُفُوفَهُ مِنْ جَدِيدٍ **وَ لولا مُشَاغَلَةُ الرّافِضَةِ لَهُ وَ مُحَاوَلاَتهُم العَدِيدَةَ فِيْ تَدْبِيرِ المُؤْامَرَاتِ لاغْتِيَالِه لمَا تَأخّرَ بَعْدَ ذَلِكَ النّصْرُ الكَبِيرُ لِلأمّةِ الإِسْلامِيّةِ إِلى عَامِ خمسمائة وَ ثَلاثةٍ وَ ثَمَانِينَ للهِجْرَةِ حَيْثُ انْشَغَلَ صَلاحُ الدّيْنِ بِقِتَالِ الرّافِضَةِ وَ لمّا تَمَكّنَ مِنَ القَضَاءِ عَلَيهِمْ كَدَولَةٍ وَ كَقُوّةٍ اسْتَطَاعَ بَعْدَهَا أنْ يَتَفَرَّغَ لِقِتَالِ الصّليبيين**، وَ مِنْ ثَمَّ اسْتِعَادَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِيْ مَوْقِعَةِ «حِطّيْنَ» الفَاصِلَةِ.

وَ لِهَذَا كُلَّه فِإِنّ شَخْصِيةَ **صَلاحِ الدّيْنِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى** بِقَدْرِ مَا هِي تُمَثِّلُ الرَّمْزَ النّاصِرَ لِدِينِ اللهِ و المجدِّدَ لعِزّ هَذِهِ الأمّةِ عِنْدَ أَهْلِ السّنةِ.. بِقْدرِ مَا تَغِيظَ مِنْهَا رُؤُوسُ الرّافِضَةِ وَ بِقَدْرِ مَا يُبغِضُونَ هَذِهِ الشّخْصِيّة.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

وَ عُضْوُ مَجْلِسِ شُوْرَى المُجَاهِدِينَ فِيْ العِرَاق
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الأربعون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الرَّافِضَةِ

الجُزءُ الثَّانِي

٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ
١ يونيو/حزيران ٢٠٠٦ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبِ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بِسْمِ اللهِ، وَالحَمدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ الخَلقِ مُحَمَّد، وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ الكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلى يَومِ القِيَامَةِ مِنَ الأَخيَارِ... أمَّا بَعد:

فَفِي أَثْنَاءِ الطَّورِ الثَّانِي لِلخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ نَجِدُ أَنَّ الرَّافِضَةَ يَظهَرُونَ مِنْ جَدِيدٍ، وَلكِنْ بِلِبَاسِ التَّقيَّةِ التِي يَدِينُونَ بِهَا حَتَّى تَظهَرَ لَهُم الدَّولَةُ وَاليَد؛ كَالثَّعلَبِ يَلبَسُ جِلدَ الشَّاةِ فَلا يَنخَدِعُ بِهِ إِلا الرَّاعِي المضيِّعُ لِرَعِيَّتِهِ، وَالغَافِلُ بِأُمُورِ دُنيَاهُ عَنْ أُمُورِ دِينِهِ.

فَرَاحُوا يَتَمَلَّقُونَ وَيَتَقَرَّبُونَ نِفَاقاً مِنْ كِبَارِ المسؤُولِينَ فِي الدَّولَةِ، وَيُعلِنُونَ الوَلاءَ وَالطَّاعَةَ جَهْرَاً، وَيُبَيِّتُونَ مَا لا يَرضَى مِنَ القَولِ سِرَّاً، حَتَّى انخَدَعَ بِهِم كَثِيرٌ مِنَ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ...

فَتَرَاهُمْ يُقَلِّدُونَهُمْ المَنَاصِبَ الهَامَّةَ وَالحَسَّاسَةَ فِي الدَّولَةِ... وَمِثلُ هَذَا الرَّافِضِيُّ الشَّهِيرُ **«ابنُ العَلقَمِيّ»** الذِي قَلَّدَهُ الخَلِيفَةُ المستَعصِمُ الوَزَارَةَ غَفلَةً مِنهُ وَتَضييعًا، وَإِلا.. أَمَا كَانَت تَكفِيهِ

العِبرُ مِنَ التَّارِيخِ القَرِيبِ مِمَّا فَعَلَهُ الرَّافِضَةُ بِأَجدَادِهِ..؟

وَلكِنْ لِيقضِيَ اللهُ أَمرًا كَانَ مَفعُولاً، وَلِيَرصُدَ لنَا التَّارِيخُ جَرائِمَ القَومِ وَخِيَانَاتِهِم، وَقُعُودَهُمْ لأَهلِ السُّنَّةِ كُلَّ مَرصَدٍ، وَهُم يتَرَقَّبُونَ بِهِمُ الدَّوَائِرَ.. فَمَاذَا كَانَ جَزَاءُ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيّ إلا أَنْ تَآمَرَ الحَاقِدُ «**ابنُ العَلقَمِيّ**» مَعَ شَيخِهِ الرَّافِضِيِّ «نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيّ» عَلى هَدمِ البِلادِ وَقَتلِ العِبَادِ وَخَلعِ الخَلِيفَةِ بَعدَ أَنْ رَاسَلُوا «هُولاكُو» مَلِكَ التَّتَارِ بِدُخُولِ بَغدَادَ، وَوَعَدُوهُ بِمُنَاصَرَتِهِ وَالتَّوطِينِ لَهُ مِنْ خِلالِ خِطَّةٍ وَحِيلَةٍ مَكَرَ بِهَا ابنُ العَلقَمِيّ؛ حَيثُ أَوهَمَ الخَلِيفَةَ العَبَّاسِيَّ بِأَنَّ عَدَدَ الجُنُودِ كَثُرَ وَزَادَ عَلى دِيوَانِ الجُندِ حَتّى بَاتُوا مِنْ كَثرَتِهِم يُشَكِّلُونَ عِبئَاً اقتِصَادِيًّا عَلى الدَّولَةِ، وَأَنَّ الدَّولَةَ تَحتَاجُ فِي مَرَافِقِهَا الأُخرَى أَكثَرَ مِن حَاجَتِهَا فِي الجُندِ...

فَأَشَارَ عَلِيهِ أَنْ يُقَلِّلَ نِسبَةَ الجُندِ...

فَمَا إن وَافَقَ عَلَى هَذِهِ الفِكرَةِ وَهَذَا المبدَأِ؛ حَتَّى رَاحَ يُسَرِّحُ الكَتَائِبَ تِلوَ الكَتَائِبِ.. فَبَعدَ أَنْ كَانَ عَدَدُ الجُنُودِ مَا يُقَارِبُ المائَةَ أَلفٍ، صَارُوا قُرَابَةَ العَشرَةِ آلافِ جُندِيٍّ..

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابنُ كَثِيرٍ: «وَكَانَ الوَزِيرُ ابنُ العَلقَمِيِّ قَبلَ هَذِهِ الحَادِثَةِ يَجتَهِدُ فِي صَرفِ الجُيُوشِ وَإِسقَاطِ اسمِهِم مِنَ الدِّيوَانِ، فَكَانَتِ العَسَاكِرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ المستَنصِرِ قَرِيبَاً مِنْ مَائَةِ أَلفٍ مِنهُمُ مِنَ الأُمَرَاءِ مَنْ هُوَ كَالمُلُوكِ الأَكَابِرِ الأَكَاسِرِ، فَلَمْ يَزَلْ يَجتَهِدُ فِي تَقلِيلِهِمْ إِلى أَنْ لَمْ يَبقَ سِوَى عَشرَةِ آلافٍ، ثُمَّ كَاتَبَ التَّتَارَ وَأَطمَعَهُم فِي أَخذِ البِلادِ، وَسَهَّلَ عَلَيهِم ذَلِكَ، وَحَكَى لَهُمْ حَقِيقَةَ الحَالِ، وَكَشَفَ لَهُمْ ضَعفَ الرِّجَالِ؛ وَذَلِكَ كُلِّهِ طَمَعَاً مِنهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بِالكُلِّيَّةِ، وَ أَنْ يَظهَرَ البِدْعَةَ الرَّافِضِيَّةِ، وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مِنَ الفَاطِمِيِّينَ، وَأَنْ يُبِيدَ العُلَمَاءَ وَالمفتِينَ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمرِهِ.» ا.هـ.

حِينَهَا أَرسَلَ ابنُ العَلقَمِيِّ إلى «هُولاكُو» يُبلِغُهُ مَدَى الضّعفِ الذِي حَلَّ بِالدَّولَةِ وَبِالخَلِيفَةِ، وَخَرَجَ هُولاكُو لاجتِيَاحِ بَغدَادَ، حَتَّى إِذَا صَارَ عَلَى حُدُودِ البِلادِ؛ خَرَجَ لَهُ ابنُ العَلقَمِيّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَأَهلِهِ وَاجتَمَعُوا بِهُولاكُو، وَأَشَارَ ابنُ العَلقَمِيّ عَلَى أَنْ تُدَبَّرَ لِلخَلِيفَةِ خِطَّةٌ لاستِخرَاجِهِ وَكِبَارِ قَادَتِهِ وَأُمَرَائِهِ وَخَاصَّتِهِ مِنْ حَوَاشِيهِ خَارِجَ البَلَدِ لِيَسهُلَ القَضَاءُ عَلَيهِ، وَ يَسهُلَ عَلَيهِم اجتِيَاحَ بَغدَادَ..

فَجَاءَ ابنُ العَلقَمِيّ يَنسِجُ خُيُوطَ المكرِ وَالخِيَانَةِ لِلخَلِيفَةِ المستَعصِمِ، وَيُشِيرُ عَلِيهِ بَأَنْ يَخرُجَ لِهُولاكُو لِيَعقِدَ مَعَهُ اجتِمَاعَ صُلحٍ يَصطَحِبُ فِيهِ خَاصَّتَهُ مِنَ الحَاشِيَةِ وَالأُمَرَاءِ وَالقُضَاةِ وَالقَادَةِ...

وَ بِالفِعلِ وَثِقَ الخَلِيفَةُ بِوَزِيرِهِ الرَّافِضِيّ... كَيفَ لا، وَهُوَ الذِي قَرَّبَهُ إِليهِ وَعَيَّنَهُ لَهُ وَزِيراً..

فَمَاذَا كَانَتْ نَتِيجَةُ هَذَا التَّقَارُبُ السُّنِّيُّ الرَّافِضِيّ الشَّهِير؟

النَّتِيجَةُ هِيَ مَا استَمرَأَ عَلَيهِ الرَّافِضَةُ وَأَلِفُوهُ.. إِنَّهُ الغَدرُ وَالخِيَانَةُ؛ حَتَّى أَنَّ الخَلِيفَةَ لَمَّا قَدِمَ عَلَى هُولاكُو لَم يَكُنْ هُولاكُو عَازِماً عَلى قَتلِهِ بَل تَهَيَّبَ ذَلِكَ، وَلكِنَّ ابنَ العَلقَمِيّ وَالطُّوسِيّ شَجَّعَاهُ عَلَى ذَلِكَ، وَنَصَحَاهُ بِقَتلِهِ وَقَتلِ مَنْ جَاءَ مَعَهُ حَتَّى تَمَّ لَهُم ذَلِكَ بِالفِعلِ..

وَ دَخَلَ التَّتَارُ إِلى بَغدَادَ فَأَوقَعُوا فِيهَا مَذبَحَةً عَظِيمَةً فِي النُّفُوسِ، وَمِحرَقَةً هَائِلَةً فِي الكُتُبِ وَ المِكتَبَاتِ، فَلَم يَنجُ مِنْ ذَلِكَ إِلا أَهلُ الذِّمَّةِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنْ التَجَأَ إِلى بَيتِ ابنِ العَلقَمِيّ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الإِمَامُ الذَّهَبِيّ:

«وَفِي سَنَةِ ٦٥٦ هـ، أَحَاطَ أَمرُ اللهِ بِبَغدَادَ فَأَصبَحَتْ خَاوِيَةً عَلى عُرُوشِهَا، وَبَقِيَتْ حَصِيدَاً كَأَنْ لَم تَغنَ بِالأَمسِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُونَ، نَازَلَهَا المغُولُ فِي أَخلاطٍ مِنَ السُفَّلِ وَأَوبَاشٍ مِنَ المنَافِقِينَ، وَكُلِّ مَنْ لم يُؤمِنْ بِالرَّبِّ، وَكَانَ ابنُ العَلقَمِيّ الوَزِيرُ وَاليًا عَلى المسلِمِينَ وَكَانَ رَافِضِيًّا جَلِدًا فَلمَّا استَدَارُوا بِبَغدَادَ، وَخَارَتْ القُوَى وَجَفَّ الرِّيقُ، وانخَلَعَت الأَفئِدَةُ أَشَارَ الوَزِيرُ عَلى الخَلِيفَةِ المستَعصِمِ بِاللهِ بِمُصَانَعَةِ العَدُوِّ، وَقَالَ دَعنِي أَخرُجْ إِليهِم فِي تَقرِيرِ الصُّلحِ، فَخَرَجَ وَاستَوثَقَ لِنَفسِهِ وَلِمَن أَرَادَ، وَجَاءَ إِلى الخَلِيفَةِ وَقَالَ إِنَّ الملِكَ قَد رَغِبَ أَنْ يُزَوِّجَ ابنَتَهُ بِابنِكَ أَبِي بَكرٍ، وَيُبقِيَكَ فِي الخِلافَةِ كَمَا كَانَ الخُلَفَاءُ مَعَ السُّلجُوقِيَّةِ، وَيَرحَلَ عَنكَ فَأَجِبهُ إِلى ذَلِكَ فَإِنَّ فِيهِ حَقنُ الدِّمَاءِ، وَأَرَى أَنْ تَخرُجَ إِليهِ».

فَخَرَجَ الخَلِيفَةُ فِي جَمعٍ مِنَ الأَعيَانِ إِلى السُّلطَانِ هُولاكُو، فَأَنزَلَهُ فِي خَيمَةٍ، ثُمَّ دَخَلَ الوَزِيرُ فَاستَدعَى الأَكَابِرَ لِحُضُورِ العَقدِ، فَحَضَرُوا وَضُرِبَتْ أَعنَاقُهُـمْ، وَصَارَ كَذَلِكَ يُخرِجُ طَائِفَةً بَعدَ طَائِفَةٍ فَيُقتَلُونَ، ثُمَّ صِيحَ فِي البَلَدِ، وَبُذِلَ السَّيفُ وَاستَمَرَّ القَتلُ وَ السَّبيُ وَالحَرِيقُ وَالنَّهبُ، وَقَامَتْ قِيَامَةُ بَغدَادَ فَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللهِ بِضعَا وَثَلاثِينَ يَومًا، كُلَّ صَبَاحٍ يُدخَلُ فِرقَةٌ مِنَ التَّتَارِ فَيحصُدُونَ مَحِلَّةً حَتَّى جَرَت السُّيُولُ مِنَ الدِّمَاءِ، وَرُدِمَتْ فِجَاجُ المدِينَةِ مِنَ القَتلَى، حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ رَاحَ تَحتَ السَّيفِ أَلفُ أَلفٍ وَثَمَانَمَائَةِ أَلفٍ...

وَالأَصَحُّ أَنَّهُم بَلَغُوا نَحوًا مِن ثَمَانِمَائَةِ أَلفٍ، وَهَذَا شَيءٌ لا يَكَادُ يَنضَبطُ فَإِنَّهُم قتَلُوا فِي الطُّرُقِ وَالجَوامِعِ وَالبُيُوتِ وَالأَسطِحَةِ وَبِظَاهِرِ البَلَدِ مَا لا يُحصَى، بَل هِيَ مَلحَمَةٌ مَا جَرى قَطُّ فِي الإِسلامِ مِثلَهَا، وَسَبَوا مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّغَارِ مَا مَلأَ الفَضَاءَ.. وَمِمَّنْ أُسِرَ وَلَدُ الخَلِيفَةِ الصَّغِيرُ وَإِخوَانُهُ، وَقُتِلَ الخَلِيفَةُ وَابنَاهُ أَحمَدُ وَعبدُالرَّحمَنِ، وَمِمَّنْ قُتِلَ مَعَ الخَلِيفَةِ مِنَ الأَعيَانِ: أَعمَامُهُ عَليٌّ وَالحُسَينُ وَيُوسُفُ، وَجَمَاعَةٌ مِن أَهلِ البَيتِ.

وَ أَخْرَجَ الصَّاحِبُ مُحْيِي الدِّينِ الرَّئِيسَ العلامَةَ ابنُ الجَوْزِيّ وَ بَنُوهُ عَبْدَ اللهِ وَعبدَ الرَّحْمَنِ وَ عَبْدَ الكَرِيمِ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقِهِم، وَ مِمَنْ قُتِلَ صَبْرًا جَمَاعَةٌ مُستَكْثِرُونَ مِنَ العُلَمَاءِ وَ الأُمَرَاءِ وَ الأَكَابِرِ، وَ خَلَتْ بَغْدَادُ منَ أهلها، وَ دُثِرَتِ المحَالُ، وَ اسْتَوْلَى عليْهَا الحريقُ، وَ احْتَرَقَتْ دارُ الخِلافَةِ، وَ الجَامِعُ الكَبِيرُ، حتَّى وَصَلَتْ النَّارُ إلى خَزَانَةِ الكُتُبِ، وَ عَمَّ الحَرِيقُ جميعَ البِلادِ، وَ ما سَلِمَ إلا مَا فيهِ من هؤلاءِ الملاعينَ) ا.هـ.

وَ لم يقِفْ هؤلاء الرَّوَافِضُ الحاقدينَ في جَرَائِمِهمُ السِّيَاسِيَةِ عندَ حدِّ الإِضْرَارِ بالخَلِيفَةِ وَ حَاشيتِهِ لإِسقاط الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَ حَسْب؛ **بَلْ تمادَى ضَرَرُهُم إلى عَامَّةِ المُسْلِمِين**، فَأَخَذُوا يقْطَعُونَ الطُّرُقَ، وَ يَقْتُلُونَ الآمِنِينَ منَ النَّاسِ، وَ يأخُذُونَ القَوَافِلَ، بَلْ أخذُوا يبْتَكِرُونَ وَسَائِلَ مختَلِفَةً للْفَتْكِ بِالنَّاسِ وَ نَشرِ الرُّعْبِ بيْنَهُم، فقَدْ بَلَغَ مِنْ جُرْأَةِ هَؤُلاء المفْسِدِينَ أنَّهُم كَانُوا يَخْطِفُونَ النَّاسَ منَ الشَّوَارِعِ وَ الحَارَاتِ بأغرب الطُّرُقِ، وَ كَانَ الرَّجُلُ يَتْبَعُ خَاطِفَهُ مِن سُكُونٍ وَ الخَوْفُ مُلْجِمهُ وَ الوَيْلُ لَهُ إنْ أَبْدَى مُقَاوَمَةً أو تحرَّكَ لِسَانُهُ طلبًا للنَّجْدَةِ، فَإِذَا فَعَلَ ذلك استقرَّ خِنجرُ خاطِفِهِ فِي قَلْبِهِ. فَكَانَ الإِنْسَانُ إِذَا تَأَخَّرَ عنْ بَيْتِهِ عَنْ الْوَقْتِ المعْتَادِ لرُجُوعِهِ تيَقَّنَ أهلُهُ بأنَّ البَاطِنِيَّةَ قتَلُوهُ، فيَقْعُدُوا للعَزَاءِ بِهِ، وَ يَسُودُهُمُ الحُزْنُ، وَ الأسَى حَتَّى يَرْجِعَ. فَأَصْبَحَ النَّاسُ لا يمْشُونَ فِي الشَّوَارِعِ مُنْفَرِدِينَ، وَ كَانُوا عَلَى غَايَةٍ منَ الحَذَرِ.

وَ يُصوِّرُ لَنَا المؤرِّخُ ابنُ الأثِيرِ صُورَةً لما فعلَهُ البَاطِنِيَّةُ بمؤذنٍ خطَفُوهُ فيقولُ: (وَ أَخَذُوا – البَاطِنِيَّة – فِي بَعْضِ الأيَّامِ مُؤَذِّنًا أَخَذَهُ جَارٌ لَهُ بَاطنِيّ فَقَامَ أهلُهُ للنِّيَاحَةِ عليه، فَأَصْعَدَهُ الباطنية إلى سَطْحِ دَارِهِ وَ أَرُوهُ أَهْلَهُ كَيْفَ يلْطمُونَ، وَ يبْكُونَ وَ هَوُ لا يقْدِرُ أنْ يَتَكَلَّمَ خوفًا منْهُم.) ا.هـ.

وَ مِنْ أسَالِيبِهم الأُخرَى الَّتِي استَخْدَمُوهَا لِلْفَتْكِ بأفْرَادِ المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيّ، وَ نَشْرِ الرُّعْبِ بينَهُم أَنَّهُم كَانُوا يَخْطِفُونَ النَّاسَ بحيلٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَ يُحْمَلُونَ إلى منازِلَ وَ دُورٍ غيرِ مَعْرُوفَةٍ، حيثُ يَسْجُنونَهُم أوْ يقتلُونَهُم، وَ كَانَ إِذَا مَرَّ بِهِمُ إِنْسَانٌ أَخَذُوهُ إِلَى إِحْدَى تِلْكَ الدُّورِ، وَ هُنَاكَ يُعَذِّبُونَهُ ثمَّ يَقْتُلُونَهُ وَ يرْمُونَهُ فِي بِئْرٍ فِي تلك الدَّارِ أُعِدَّتْ لِذَلِكَ الغَرَضِ.

وَ كَانَتْ **طَرِيقَتُهُم فِي خَطْفِ النَّاسِ** أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ عَلَى أَوَّلِ الدَّرْبِ المؤَدِيَّةِ إلى إحْدَى هَذِهِ الدُّورِ رَجُلٌ ضَرِيرٌ مِنَ البَاطِنِيَّةِ، فَإِذَا مَرَّ بهِ إنسانٌ سَأَلَهُ أَنْ يَقُودَهُ خُطُوَاتٍ فِي هَذَا الدَّرْبِ، فَتَأْخُذُهُ الرَّأْفَةُ وَ الإِحْسَانُ لِعَمَلِ الخَيْرِ، فَيَقُودَهُ فِي هَذَا الدَّرْبِ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى دَارٍ مِنْ دُورِهِمُ قَبَضُوا عليهِ وَ قَتَلُوهُ، وَ رَمَوْهُ فِي البئرِ.

وَ لَكِنْ لم يَلْبَثْ أَنْ اكْتَشَفَ النَّاسُ حِيلَةَ البَاطِنِيَّةِ هذِه، فَفَتَكُوا بِهِم وَ قَتَلُوهُم. فَفِي أحدِ الأَيَّامِ صَادَفَ أنْ رَجُلاً دَخلَ دَارَ صَدِيقٍ لَهُ فَرَأَى فِيهَا ثِيَاباً، وَ أحْذِيَةً، وَ مَلاَبِسَ لم يَعْهَدْهَا، فَخَرَجَ مِنْ عِنْده، وَ تَحَدَّثَ لِلْنَاسِ بِمَا رَآهُ فَدَاهَمَ النَّاسُ البيتَ، وَ كَشَفُوا عَنِ الملاَبِسِ، وَ الثِّيَابَ فَعَرَفُوا أَنَّهَا مِنَ المقْتُولِينَ، فَثَارَ النَّاسُ وَ أَخَذُوا يَبْحَثُونَ عَمَّنْ قُتِلَ مِنْهُم، وَ تَجَرَّدُوا لِلانتِقَامِ مِنَ البَاطِنِيَّةِ بِقِيَادَةِ العَالِمِ أبي القَاسِمِ مَسْعُودِ بنِ مُحَمَّدٍ الخُجَنْدِيِّ الفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ، فَجَمَعَ النَّاسَ بالأَسْلِحَةِ، وَ أَمَرَ بِحَفْرِ الأخَادِيدِ، وَ أَوْقَدَ فِيهَا النِّيْران، وَ أَمَرَ العَامَّةَ مِنَ النَّاسِ بأنْ يَأْتُوا بالبَاطِنِيَّةِ أفْوَاجاً، وَ مُنْفَرِدِين فَيُلْقُونَهُم فِي النَّارِ حَتَّى قَتَلُوا منهم خَلْقًا كَثيراً.

وَ للعِلْمِ فإنَّ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ تارِيخِهِمُ الأَسْوَدِ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَ قَتْلِ الآمنينَ وَ خَطْفِهِم، وَ خَوْفِ النَّاسِ وَ انقِطَاعِ رَجَائِهِم فِي مَنْ يَفْتَقِدُونَهُ مِن أَهْلِيهِم هُوَ ذَاتُ مَا يَحْدُثُ اليَوْمَ فِي أَرْضِ العِرَاقِ وَ بِلاَدِ الرَّافِدَيْنِ مِنْ قِبَلِ الرَّوَافِضِ، بَلْ إنَّهُم يَتَسَتَّرُونَ فِي لِبَاسِ الجَيْشِ وَ الشُّرْطَةِ لِيَكُونَ لهُمُ السُّلْطَةَ جِهَارًا نَهَارًا فِي اقْتِيَادِ الرِّجَالِ مِنَ بُيُوتِهِم وَ مِنْ ثَمَّ تَعْذِيبَهُم، وَ قَتْلِهِم، وَ الاعْتِدَاءَ عَلَى النِّسَاءِ، وَ نَهْبِ البُيُوتِ بِحُجَّةِ تَفْتِيشِهَا، فَلاَ يَستَطِيعُ أَحَدٌ مَنْعَهُم.

بَلْ إنّ جَرَائِمَهُم صَارَتْ تَتَقَصَّى أَصْحَابَ المؤَهَّلاَتِ وَ الكَوَادِرِ العِلْمِيَّةِ خَاصّة، فَمَنْ يقومُ بِجَرَائِمِ اغْتِيَالِ الأَسَاتِذَةِ الأَكَادِيمِيين، وَ القُضَاةِ، وَ العُلَمَاءِ مِنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَ مَنْ يَتَصَيَّدَهُم غَيْرَ هؤلاءِ الرَّوَافِضِ وَ بِأَوَامِرٍ من مَرْجِعِيَّاتِهِم تُعْطَى لِفَيَالِقِهِم عَلَى شَكْلِ بَيَانَاتٍ مَنْسُوخَةٍ، وَ قَدْ تَسَرَّبَتْ نُسَخٌ مِن هَذِهِ البَيَانَاتِ عَبْرَ الإنْتَرْنِتْ فَقَرَأَهَا القَاصِي وَ الدَّانِي، وَ لا مَجَالَ لإِنْكَارِهَا.

وَ فِي عَهْدِ العُثْمَانِيينَ الذِّينَ جَدَّدُوا حَرَكَةَ الجِهَادِ الإِسْلاَمِيّ، وَ بَدَؤُوا يَجْتَاحُونَ العَالَمَ حتَّى وَصَلُوا إِلَى أُورُبَّا مُسْتَعِيدِينَ بذلك البِلاَدَ الإِسْلاَمِيَّة التّي خَسَرَهَا المسْلِمُونَ أَثْنَاءَ الغَزْوِ الصَّلِيبِيّ؛ قَامَتْ يَدِ الغَدْرِ وَ الخِيَانَةِ الرَّافِضِيَّةِ الفِكْرِ، وَ المنْهَجِ، اليَهُودِيَّةِ الأَصْلِ، وَ المنْشَأ، وَ التِّي اعْتَادَتْ أَنْ تَطْعَنَ ظَهْرَ الأُمَّةِ لِتَحُولَ بينَ المسْلِمِينَ وَ بينَ جِهَادِهِم ضِدّ الكُفْرِ وَ الكُفَّارِ، امْتَدَّتْ مِنْ جَدِيد لِتَسْتَغِلَّ انْشِغَالَ العُثْمَانِيينَ أَثْنَاء تَوَغُّلِهِم فِي قَلْبِ أُورُبَّا مُجَاهِدِينَ لِيَقُومُوا بحركاتٍ انفِصَالِيَّةٍ خَارِجِينَ عَنْ الخِلاَفَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ العُثْمَانِيّة براءةً، وَ مُتَحَالِفِينَ مَعَ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمَ ولاءً. فَتَعَاوَنُوا

معَ البريطانيينَ، وَ البُرْتغاليينَ، وَ الفرنسيينَ، وَ الرُّوس، حتَّى أَضْعَفُوا الخِلاَفة العثمانيَّة وأنهكُوهَا فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ سُقُوطِهَا حيثُ شَكَّلُوا عِدَّةَ جبهَاتٍ، وَ عِدَّةَ حَرَكَاتٍ انفصَاليةٍ؛ **فَكَانَ الصَفَوِيُّونَ في شَرْوَان، وَ العِرَاقِ، وَ فَارِس، وَ البَهَائِيُّونَ في بِلاَدِ فَارِسٍ، وَ لَهُم نَشَاطَاتٌ في مَنَاطِقِ مُتفَرِّقَة، وَ القَادْيَانيَّة في الهِنْدِ، وَ النُّصَيْرِيَّة، وَ الدُّرُوز في بلادِ الشَّامِ.**

فَمِنْ جَرَائِمِ الصَفَويينَ في الجَانِبِ السَّيَاسِيّ خُرُوجُهُم عَلَى الخِلاَفَةِ العُثْمَانِيَّةِ، وَ تأسَيسُ دَوْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لَهُم عَامَ ألفٍ وَ خَمْسِ مائةٍ لِلْميلاَدِ ١٥٠٠ م، مُعْلِنِينَ دِينَ الرَّفْضِ عَلَى البِلاَدِ كَدِينٍ أَسَاس، وَ لم يَكْتَفُوا بِهَذَا، بَلْ حَارَبُوا أَهْلَ السُّنَّةِ الّذينَ كَانُوا يُشَكِّلُونَ أَكْثَرِيَّةً فِيهَا، حيثُ بَلَغَتْ نِسْبَتُهُم مَا يُقَارِبُ بِخَمْسٍ وَ سِتّينَ بِالمائةِ ٦٥ ٪. ثُمَّ تَحَالَفُوا بَعْدَ ذَلكَ مَعَ الإِنْجِليز فِي عَهْدِ الشَّاه عَبَّاسٍ الصَّفَوِيّ عامَ ألفٍ و خمْسِ مائةٍ و ثمانيةٍ و ثمانينَ لِلْميلاَدِ ١٥٨٨ م، وَ مكَّنُوا لَهُم فِي البِلاَدِ، وَ جَعَلُوا لَهُم فِيهَا أَوْكَارًا يَتِمُّ الاجْتِمَاعُ فيهَا مَعَهُم لِلْتَآمُرِ ضِدّ الخِلاَفَةِ العُثمانِيَّةِ لدَرَجَةِ أنْ مُسْتَشَارِيهِ كَانُوا مِنَ الإِنْجليز، وَ أَشْهَرُهُم السِّير أَنْطُونِي، وَ رُوبَرْت تشِيرْلِي.

وَ أَمَّا جَرَائِمُهُم في مَا يتَعَلَّقُ بِجَانِبِ الدِّينِ وَ العَقِيدَةِ؛ فَمِنْهَا صَرْفُهُم الحُجَّاجَ الإِيرَانِيينَ مِنَ الحَجِّ إلى مَشْهَدْ، بَدَلَ أنْ يَحُجُّوا إِلَى بيْتِ اللهِ الحَرَامِ فِي مَكَّةَ المكَرَّمَةِ.

حَيثُ قَامَ شَاهُ عَبَّاس الصَّفَوِيّ بِالحَجِّ إِلى مَشهَدَ مُبتَدِءاً بِنَفسِهِ سَيرًا عَلى الأَقدَامِ؛ لِيَصرفَ النَّاسَ عَنْ الحَجِّ إلى مَكَّةَ وَلِيَكُونَ قُدوَتَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ الحِين أَصبَحَتْ مَشهَدُ مَدِينَةً مُقَدَّسَةً لَدَى الرَّافِضَةِ الإِيرانيِّين.

وَفتَحَ الصَّفَوِيُّونَ فِي عَهدِ الشَّاهِ عَبَّاسٍ بِلادَهُم لِلمُبَشِّرِينَ الغَرِبِيِّينَ حَتَّى سَمَحُوا لَهُمْ بِبِنَاءِ الكَنَائِسِ وَمَدِّ جُسُورٍ مِنَ التَّعَاوِنِ الاقتِصَادِيِّ وَالعَسكَرِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ «سَلِيمُ وَاكِيمُ» فِي كِتَابِهِ «إِيرَانُ فِي الحَضَارَةِ»: وَإِثرَ ظُهُورِ البُرتغَالِيِّينَ فِي المِنطَقَةِ بَدَأَتْ إِيرَانُ عَلاقَاتٍ تِجَارِيَّةً مَعَ إِنجلترَا وَفرَنسَا وَهُولندَا، وَمَهَّدَت هَذِهِ العَلاقَاتُ إِلى اتِّصَالاتٍ عَلى مُستوَىً دُبلُومَاسِيٍّ وَثقَافِيٍّ وَدِينِيٍّ عِندَ اعتِلاءِ شَاهِ عَبَّاس الأَوَّلَ عَرش فَارِسَ عَامَ ١٥٨٧ م، وَسُجِّلت تَغيِيرات أَسَاسِيَّةٌ فِي البِلادِ وَفِي عَلاقَاتِهَا مَعَ الغَربِ، وَكَانَ مِن نَتَائِجِ التَّحَوُّلِ السِّيَاسِيِّ الذِي أَحدَثَهُ شَاهُ عَبَّاس أَنْ غَصَّ بَلاطُهُ بِالمُبَشِّرِينَ وَالقِسَسُ، فَضلًا عَنْ التُّجَّارِ وَالدُّبلومَاسِيِّينَ وَالصُّنَّاعِ وَالجُنودِ المرتَزِقَةِ؛ فَبَنَى الغَرِبيُّونَ الكَنَائِسَ فِي إِيرَانَ.

وَأَمَّا البَهَائِيُّونَ فقَد خَرَجُوا عَلَى الدَّولَةِ العُثمَانِيَّةِ وَتعَاوَنُوا مَعَ الاستِعمَارِ الإِنجليزِيّ، وَنَادُوا

بِتَعطِيلِ الجِهَادِ بَل إِلغَائِهِ أَمَامَ زَحفِ الاستِعمَارِ الإِنجلِيزيّ، مِمَّا يَعنِي الاستِسلامَ وَالخُنوعَ للاستِعمَارِ، وَكَانُوا مُرتَبِطِينَ بِالمَحَافِلِ الصُّهيُونِيَّةِ؛ كَالمَاسُونِيَّةِ السِّرِّيَّةِ وَالتِي يُدَارُ مِن خِلالِهَا التَّآمُرُ عَلى دِينِ الإِسلامِ وَدَولَتِهِ حَتَّى لا تَقُومَ لَهُ قَائِمَةٌ، وَيُدَبَّرُ لِقَادَةِ الإِسلامِ وَالجِهَادِ خُطَطُ الاغتِيَالاتِ وَالقَتلِ..

وَأَمَّا القَادِيَانِيُّونَ فَقَد تَعَاوَنُوا مَعَ الإِنجلِيز، بَل إِنَّ الإِنجلِيزَ هُمْ الذِينَ سَاهَمُوا فِي نَشأَتِهِم، فَخَرَجَ زَعِيمُهُمْ «غُلام أَحمَد» يَدَّعِي أَنَّهُ المَهدِيّ المُنتَظَر، ثُمَّ استَمَرَّ حَتَّى ادَّعَى النُّبُوَّة، وَأَمَرَ بِتَعطِيلِ الجِهَادِ حَتَّى يُخَذِّلَ أَتبَاعَهُ عَنْ جِهَادِ الإِنجلِيز الذِي كَانَ عَلى أَشُدِّه، الأَمرُ الذِي يَدُلُّ عَلى أَنَّهُم مَا أُنشِئُوا إِلا مِن أَجلِ تَعطِيلِ الجِهَادِ، فَلِذَا نَجِدُ أَتبَاعَهُمْ اليَومَ يَنشُطُونَ أَكثَرَ فِي فِلسطِينَ حَتَّى يُخَذِّلُوا عَنْ الجِهَادِ ضِدَّ اليَهُودِ المحتَلِّينَ.

وَأَمَّا النُّصَيرِيُّونَ فَكَذَلِكَ تَعَاوَنُوا مَعَ الصَّلِيبِيِّينَ أَثنَاءَ الغَزوِ الصَّلِيبِيِّ، وَكَانُوا سَبَبَاً فِي سُقُوطِ بِلادِ الشَّامِ وَبَيتَ المقدِسِ، كَمَا تَعَاوَنُوا مِن قَبْلُ مَعَ التَّتَارِ ضِدَّ المسلِمينَ وَكَانُوا سَبَبًا فِي اجتِيَاح بِلادِ الشَّامِ..

وَأَمَّا الدُّرُوزُ.. فَقَدْ تَطَوَّعَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَبنَائِهِم فِي جَيشِ الدِّفَاعِ الصَّهيُونِيّ طَمَعَاً فِي انشَاءِ دَولَةٍ مُستَقِلَّةٍ لَهُم فِي كُلٍّ مِنْ سُورِيَّا وَلبنَانَ، وَفِي حَربِ سَنَةِ ١٩٦٧ م ذَاقَ المسلِمُونَ فِي الجُولانِ وَالأُردُنِّ الوَيلاتِ مِنَ الدُّرُوزِ العَامِلِينَ فِي جَيشِ الدِّفَاعِ الإِسرَائِيلِيّ وَلَمْ يَرحَمُوا شَيخًا كَبِيراً وَلا طِفلاً صَغِيراً.

وَ عَلى أَنقَاضِ الدَّولَةِ العُثمَانِيَّةِ، وَبَعدَ تَفتِيتِ العَالَمِ الإِسلامِيِّ إِلى دُوَيلاتٍ قَومِيَّةٍ كَمَا خَطَّطَ لَهَا الصَّهَايِنَةُ وَالصَّلِيبِيُّونَ، وَعَلَى رَأسِهِم الرَّافِضَة، تَشَكَّلَت فِي بِلادِ فَارِسَ إِيرَان، وَتَبَلوَرَتْ دَولَةٌ مَركَزِيَّةٌ لِلرَّافِضَةِ، وَلِمَرجِعِيَّاتِهِم الدِّينِيَّةِ، وَصَارَت المَقَرَّ الرَّئِيسَ للاجتِمَاعَاتِ الدَّورِيَّةِ التِي تَجرِي بَينَ فَترَةٍ وَأُخرَى كُلَّمَا استَجَدَّ لِلرَّافِضَةِ أَمرٌ مِن أُمُورِهِم الهَامَّة، أَو كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخرُجُوا بِفَتَاوَىً جَدِيدَةً لِعَوَامِهِم تَتَوَافَقُ مَعَ مُجرَيَاتِ الأُمُورِ، التِي يُوَاجِهُونَهَا فِي دُوَلِهِم المختَلِفَةِ فِي العَالَمِ.. تَمَامًا كَاليَهُودِ فِي اجتِمَاعَاتِهِم السِّرِّيَّةِ الدَّورِيَّةِ مُتَّخِذِينَ مِنْ هَذِهِ الدَّولَةِ الأُمِّ مَركَزًا وَمُستَنَدَاً لِتَصدِيرِ المذهَبِ وَالمَنهَجِ الفِكرِيِّ أَوَّلاً، ثُمَّ بَعدَ ذَلِكَ إِعَادَةُ بَسطِ النُّفُوذِ وَالسَّيطَرَةِ السِّيَاسِيَّةِ..

وَإِلى هَذِهِ الحَقِيقَةِ.. أَشَارَ «الخُمَينِيّ» فِي كِتَابِهِ [الحُكُومَةُ الإِسلامِيَّةِ]، وَصَرَّحَ بِذَلِكَ مَا يُسَمَّى بِآيَةِ اللهِ «شَرِيعَة مَدَارِي» فِي لِقَاءٍ لَهُ مَعَ صَحِيفَةِ «السِّيَاسَة» الكُوَيتِيَّةِ بِتَارِيخِ ٢٦ يُونيُو عَامَ ١٩٨٧ م، وَقَالَ بِالحَرفِ الوَاحِدِ: «إِنَّ زَعَامَةَ الشِّيعَةِ فِي إِيرَانَ وَفِي قُمَّ بِالذَّاتِ» وَأَضَافَ قَائِلاً

«لابُدَّ مِن مجلِسٍ أعلَى لِلشِّيعَةِ فِي العَالمِ».

وَهَذَا بِالفِعلِ مَا قَامَ بِه آيَتُهُمْ وَإِمَامُهُم «الخُمَينِيُّ» حِينَ نَادَى بِإسقَاطِ حُكمِ الشَّاهِ مُتَذَرِّعاً بِعِلمَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لابُدَّ مِن قِيَامِ ثَورَةٍ إِسلامِيَّةٍ لِنَشرِ مَبَادِئِ الإِسلامِ عَليهَا، **وَهُوَ يَقصِدُ بِذَلِكَ الإِسلامَ الرَّافِضِيَّ –لا الإِسلامَ الحَقِيقِيّ..**

بَل حَتَّى تَفَاعَلَ مَعَهُ الكَثِيرُ مِنْ أَهلِ السُّنَّةِ **مُتَغَافِلِينَ** عَن تَارِيخِهِم الإِسلامِيّ، وَكَأَنَّهُم حِينَ يَقرَؤُونَ وَيَدرُسُونَ فِي كُتُبِ المِلَلِ وَالعَقَائِدِ وَالنِّحَلِ عَنْ أَخبَارِ وَأَحكَامِ الرَّافِضَةِ يَعُدُّونَهُم مِنَ القُرُونِ الخَالِيَةِ وَالأُمَمِ الغَابِرَةِ التِي لا وُجُودَ لَهَا وَلا امتِدَادَ لأُصُولِهَا فِي حَاضِرِنَا، حَتَّى إِذَا مَا جِئتَ تَسأَلُهُم عَنْ أَحكَامِ الرَّافِضَةِ يُفَصِّلُونَ لَكَ الجَوَابَ فَيَحكُمُونَ لَكَ بِكُفرِهِم وَوُجُوبِ قِتَالِهِم مِنَ النَّاحِيَةِ النَّظَرِيَّةِ، وَعَمَلِيّاً يَدعُونَكَ إِلَى التَّقَارُبِ مَعهُم فِي مَا يُمكِنُ أَن يُتَّفَقَ عَليهِ.. علمًا بِأَنَّ الخُمَينِيَ مَا هُوَ إِلا صَنِيعَةٌ أَمرِيكِيَّةٌ، طُبِخَتْ ثُمَّ أُعِدَّ لَهَا مِنْ مَنفَاهُ فِي فَرَنسَا..

وَهَكَذَا دَأَبَت أَمرِيكَا بَل الصُّهيُونِيَّةُ عَلَى تَبدِيلِ وَتَغيِيرِ عُمَلائِهَا مِن فَترَةٍ لأُخرَى؛ إِمَّا لأَنَّ تَارِيخَ صَلاحِيَّةِ أَحَدِهِم يَكُونُ قَدْ انتَهَى، وَإِمَّا لِلحِفَاظِ عَلى العَمِيلِ لِلَعِبِ دَورٍ آخَرَ.

وَفِي النِّهَايَةِ.. آلِيَّةُ تَبدِيلِ العُمَلاءِ تُعطِي شَيئًا مِنَ الجِدِّ وَتَفعِيلِ حَرَكَةِ المِصَالِحِ التِي تَربِطُ العُمَلاءَ بِأَسيَادِهِم لِيَكُونَ العَمِيلُ الجَدِيدُ أَفضَلَ عَطَاءً وَأَكثَرَ حَمَاساً..

وَمِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِ «وَجَاءَ دَورُ المجُوسِ»: «مَلأَ الخُمَينِيُّ وَأَنصَارُهُ الدُّنيَا صَرَخَاتٍ ضِدَّ الوِلايَاتِ المتَّحِدَةِ، فَقَالُوا: أَمرِيكَا وَرَاءَ اضْطِهَادِ مُعظَمِ شُعُوبِ العَالمِ شَرقِيَّةً وَغَربِيَّةً، وَوَعَدَ الخُمَينِيُّ بِتَقلِيمِ أَظَافِرِ أَمرِيكَا، **وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ هُنَاكَ طَحنًا وَرَاءَ الجَعجَعَةِ**.. وَعِندَمَا قَامَتْ جُمهُورِيَّتُهُ **فُوجِئَ النَّاسُ بِمَوَاقِفَ مُغَايِرَةٍ لِمَا كَانَ الثُّوَّارُ يَتَحَدَّثُونَ عَنهَا**:

أَوَّلاً: كَانَتْ أَمرِيكَا فِي طَلِيعَةِ الدُّوَلِ التِي سَارَعَت فِي الاعتِرَافِ بِهَذَا النِّظَامِ الجَدِيدِ.

ثَانِيًا: لَم تُغلِق ثَورَةُ الخُمَينِيِّ سَفَارَةَ أَمرِيكَا.

ثَالِثًا: عَادَ النِّفطُ الإِيرَانِيُّ يَتَدَفَّقُ عَلى مُستَودَعَاتِ التَّخزِينِ فِي أَمرِيكَا، وَمِن ثَمَّ إِلى إِسرَائِيل.

رَابِعًا: عَودَةُ الجِنِرَالاتِ الأَمرِيكَانِ إِلَى أَمَاكِنِ عَمَلِهِم، وَقَدَّرَتْهُم بَعضُ الصُّحُفِ بِسبعَةِ آلافِ

خَبِيرٍ.

خَامِسًا: عَقَدَ «برُوسلنجِين» القَائِمِ بِالأَعمَالِ الأَمريكِيّ ثَلاثَةَ لِقَاءَاتٍ مَعَ الخُمَينِيّ وَ لم يُكشَف النِّقَّابُ عَن حَقِيقَةِ هَذِهِ اللقَاءَاتِ.

سَادِسًا: قَالَ الشَّاهُ فِي مُذَكَّرَاتِهِ أَنَّهُ عَلِمَ بِوُجُودِ الجنِرَالِ «هويزر»، وَ «هويزر» هُوَ نَائِبُ رَئِيس أَرْكَانِ القِيَادَةِ الأَمرِيكيَّةِ فِي أُورُبَّا، وَقَالَ الشَّاهُ: «إِنَّ جِنرَالاتِي لم يَكُونُوا يَعلَمُوا شَيئَاً عَن زِيَارَةِ «هويزر»، وَعِندَمَا انتَشَرَ خَبَرُ زِيَارَتِهِ قَالَت أَجهزَةُ الإِعلامِ السُّوفِيَيتِيَّةِ: «إِنَّ هويزر وَصَلَ لِطَهرَانَ لِتَدبِيرِ انقِلابٍ عَسكَرِيٍّ»، وَأَنَا أَعرِفُ أَنَّ «هويزر» كَانَ مُنذُ فَترَةٍ عَلى اتِّصَالٍ بِمَهدِي بَازِنقَان، المهندِسُ النَّاجِحُ الذِي تَزَعَّمَ ثَورَةَ الخُمَينِيُّ، وَعَيَّنَهُ الخُمَينِيُّ رَئِيسَاً لِلوُزَرَاءِ بَعدَ الإِطَاحَةِ بِي، وَمَهدِي بَازِرقَان وَهوِيزَر يَعلَمَانِ جَيِّدَاً فِيمَا إِذَا كَانَت طَبخَةٌ كَانَت تَمَّت مِنْ وَرَاءِ الجَمِيعِ».

ثُمَّ إِنَّ الخُمينِيّ وَبَعدَ أَن سَبَقَ ثَورتَهُ مِن مُستَقَرِّ مَنفاه بِفَرنسا بِدِعاية دِينِيَّة كاذِبة، وَبَعدَ أَن تَفاعَلَ مَعَهُ وَمَعَ ثَورَتَهُ الإِسلاميَّة جَميع طوائِف الرّافضة، وَكَثِيرٌ مِن أَهلِ السُنَّة، وَبَعدَ أَن تَمَكَنَ مِن خَلعِ الشّاه، وَبسْطِ نُفوذَهُ وَيَدَه على البِلاد، وإذا بِهِ لا يَخرُج عَن فَلَكِ أَسلافَهُ مِنَ العَبيدِيين والقرامِطة، يَمكُر بِأَهلِ السُنَّة وَيُلبِسَهُم لِباسَ الهَوانِ فِي دَولَتِهِ وَيُنادي فِي مجالِسه الخاصَّة بِإستِباحَةِ دِمائِهِم وَأَموالِهِم وَفُروجَ نِسائِهِم، وَيدعو إلى تَصدير ثَورته بِالقُوَّة حَتى أَنَّ الإِشاعة الَّتي زَعَموا بِأَنَّ النِظام العِراقي البائِد هُوَ الَّذي أَعلَنَ الحربَ على إِيران فإِنَّها مُجانَبَةٌ لِلحَقِيقَه والصَواب، ذلِكَ أَنَّ الخُمَينِيّ هُوَ الَّذِي أَرادَها حربًا لِضَمِّ العِراق إِلى بِلادِ فارس كما كانت عليه قَبلَ أَن يَستَولِيَ عَليها المسلِمونَ الأَوائِل.

فَقَد قامَت إِيران بِبَثِّ عُمَلائِها داخِلَ العِراق بَعدَ وُصول الخُمَيّنِيّ إِلى الحُكمِ بِقَليل، وَقامَ النِّظام الإِيرانِيّ بِإِعتِداءاتٍ مُتَكَرِره على المغافِرِ العِراقِيَّه.

هذا هُوَ ماضي الرّافِضَة وَتارِيخَهُم الَّذي يَرتَكِزون عَلَيهِ اليَوم فِي حاضِرِهِم وَمُستَقبَلِهِم، وَيَستَقون مِنهُ، وَيَقتَفونَ نَهجَ أَسلافِهِم في الجَّرِيمَة والخِيانَه، وَيَعتَبِرونَهُ سِفرًا يَتَزودون مِنهُ لِمُتَغيراتِ عَصرِهِم... نَفس التَقِيَّة، وَنَفس المُخَطَطاتِ السِريَّة، وَنفس المُعتَقَدات.

وَزِد على ذلِك أنَّ رافِضَة هذا العَصر لَهُم دَولة وَسِيادة سِياسِيَّة مُوَحَدة، وَمَرجِعِيَّة مَركَزِيَّة تُصدِر لَهُم الأَوامِر والفتاوى الَّتي يَلتَزِمونَ بِها، وَقَد بَرَزوا وَبَرَزَت خِياناتِهِم اليومَ لِلناظِرين، وَأَوضَح ما تكون فِي أفغانِستان بِمُساعَدة الدولة الأُمّ إيران، وَفِي العِراق بِمُساعَدَة إِيران كذلِك، وَفي بِلادِ

الشّام ولا سِيَّما رافِضة لُبنان و الَّذينَ يُمَثِلَهُم حِزبُ الله، وَكَذلِك مُستَمِدين قُوَتِهِم وَتَعاليمَهُم مِن إيران مَرْكَزِ الشر وَمَحضَن أَتباع مَهدِيَّهُم المنتَظَر المسيح الدَجّال..

فَأَما فِي لُبنان؛

فَقَد كان ما تَمَخضَتهُ هذِه الدولة الأُم أَن قامَت بِتَصدير ثورتِها في بِلادِ الشّام، وَفِي لُبنان على وَجهِ الخُصوص، عِبرَ حَرَكة أَمل الشِيعِيَّة المسلَّحَة، والَّتي أَسَسَها مُوسى الصّدِر، تِلميذ الخُمَيّنِيّ وَصِهرَهُ منطلقًا مِن إيران وَ مُستَقِراً في لُبنان لِيَحصَلَ على الجِنسِيَّة اللُبنانِيَّة حتى تُمَكِنَه أَن يُمارِسَ نَشاطاتِه داخل الأَراضي اللُبنانِيَّة بِسُهولة، وبِما أَنَّ مَنشأَ هذِهِ الحَرَكة إيران فإنّها بِالضرورةِ هِيَ المتَكفِلة بِدعم هذه الحَرَكَةِ مِن أَجْلِ القَضاءِ عَلَى أَهْلِ السُنَّة فِي المخيَّماتِ الفِلسطينِيَّة فِي لُبنان بَعدَ إستِبعادِهِم مِن أَراضِيهِم فِي فِلسطين، وَبَعدَ ضَغطِ دُوَل الجِوار على لُبنان لِيَتِم احتضان أهالِي المخيَّمات، فَتحالَفَ الرّافِضة مُتَمثِلين فِي هذِهِ الحَرَكة المغرِضة مَعَ الكِيان الصُهيونِيّ ضِدَّ أَبناءِ هذِهِ المخيَّمات حَتى يَتِم القضاء على أَيّ ثَورة وَأَيّ تَمَرُد ضِدَ اليهود الصهايِنَة، وَيَتِم مِن خِلالَهُم حِماية ظَهر العدو، وَكَذلِك حَتى لا تقوم لِأَهلِ السُنَّة مِنَ الفِلسطينِيين الَّذين يَسكُنونَ المخيَّمات أَيّةُ قائِمَة؛ فَقاموا بِمَذابِحَ عديدة.. **مِنها هُجُومَهُم على مُخَيَّم عَين الرُمّانة، وَمُخَيَمَيّ صِبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ م**، وَقَد تَحَدَثَت صُحف العَالم آنَ ذاك عَن فَظَائِع حَرَكَة أَمل الرّافِضَة، فَقَد ذَكَرَت صَحِيفَة الوَطَن فِي عَدَدِها ٣٦٨٨ الصادر في ٢٧ مايو ١٩٨٥م نَقلاً عَن صحيفة «ليبو» الإيطالية أنَّ فِلسطِينِيًّاً مِنَ المعاقين لَم يَكُن يَستَطيع السَير مُنذُ سَنَوات رَفَع يَديه مُستَغِيثاً فِي شاتيلا أَمام عَناصِر أَمَل طالِباً الرّحمَة، وَكان الرَدُّ عَليه قَتلَهُ بِالمسَدسات مِثل الكِلاب.. وَقالَت الصَّحِيفة إنّها الفَظاعة بِعينِها.

وَ قال مُراسِل الصنداي تايمز: إنِّهُ مِنَ الإستِحالة نَقل أَخبار المجازِر بِدقَّة لأن **حَرَكَة أَمَل** تَمنَع المصَورين مِن دُخولِ المخيَّمات، وَ بعضَهُم تَلَقى تَهدِيداً بِالموت وَقَد جَرى سَحب العَديد مِنَ المراسِلين خَوفاً عَلَيهِم مِنَ الإختِطاف والقَتل، وَمَن تَبَقى مِنهُم في لُبنان يَجِدونَ صُعوبة في العمل.

وَ ذَكرت صَحِيفة الصنداي تايمز أيضاً أَنَّ عَدَدا مِنَ الفِلسطِينِيين قُتِلوا فِي مُستَشفيات بَيروت، وَأَنَّ مَجمُوعة مِنَ الجُثَث الفِلسطِينِيَّة ذُبِحَ أَصحابُها مِنَ الأعناق.

وَنَقَلَت وِكالة الأَنباء في ٦ يونيو ١٩٨٥ م عن رَئيسِ الإستِخبارات العَسكَرِيَّة اليَهودِيَّة إيهود باراك قَولَهُ: إنَّه على ثِقَة تامَّة مِن أَنَّ أَمَل سَتَكون الجَبهة الوَحِيدة المهيمِنَة فِي مَنطَقةِ الجَنوب

اللُّبنانِيّ، وَأَنَّها سَتمنَع رِجال المَنظمات والقُوى الوَطَنِيَّة الُلبنانِيَّة مِنَ التواجُد فِي الجَنوب وَالعَمل ضِدَ الأَهداف الإِسرائِيلِيَّة..

وَبعدَ أن تَكَشَفَ لِلعِا لَمِ عِوار هذِهِ الحَرَكة الخَبِيثَة، وَظَهَرَ لِلعِيان مَدى بَشاعَة ما ارتَكَبُوهُ مِن جرائِم وَمَجازِر فِي حَقِ أهلِ السُّنَّة مِن الفِلسطينيين فَقَد مَجّها النّاس، واحترَق الكَرتُ الَّذي تَلعَب بِهِ إِيران، لِذا كان لِزاماً عَليّها أَن تَستَحدِث طرِيقَة أُخرى، وَحَركة أُخرى تَختَلِف عَن ظاهِر تَوجُهِها عَن حَرَكة أمل..

هذِه المرَّة لابُدَّ مِن الَّلعِب على وَترِ التّقارُب الشِيعِيّ السُنِيّ، وَ الدَعوةِ إلى الوِحدة و إعلانِ الحَرب على إِسرائِيل، والمطالَبة بتحرير فِلسطين مِن إِسرائيل؛ فَتَمَّت إِجتِماعات سِرِيَّة فِي إِيران تَمَّ مِن خِلالَها التَحضِير لِولادَة حَرَكة جَديدة قرّرتها إِيران الأُم.. يَترَأسُها أَعضاء جُدُد لامِعِينَ وَمَفوَهِين، **فَعِلاقَة حِزبُ الله بِإِيران عِلاقَة الفَرع بِالأَصل**.

فَفِي البيان التأسِيسِيّ لِلحِزب، والّذي جاء بِعنوان: مَن نَحنُ وَما هِيَ هَوِيتُنا» عَرَّف الحِزبُ بِنَفسِه فَقال: «نَحنُ أَبناءُ أُمَّةِ حِزبُ الله الَّتي نَصر الله طَلِيعَتَها في إِيران وأَسَّسَت مِن جَديد نَواة دولةِ الإِسلام المَركَزِيَّة فِي العا لم نَلتَزِم بِأَوامِر قِيادَة واحِدة حَكِيمة عادِلَة تَتَمَثَل بالوَلِيِّ الفَقِيه الجامِع لِلشرائِع وَتَتَجسَّد حاضِراً بِالإِمام المِسَدّد آيةُ الله العِظمى روح الله الموسوي الخُمَيّنِيّ دامَ ظِلّه، مُفَجِّر ثورة المسلِمين وباعِث نَهضَتَهُم المجيدة».

وَ قَدّ عَبِّر إبراهيم الأَمين وَهُوَ قِياديّ فِي **الحِزب** عَن هذا التَوجُه فَقال: «نحن لا نقول إِنَنَا جُزءٌ مِن إِيران.. نَحَنُ إِيران فِي لُبنان، ولُبنان فِي إِيران»!

نَقُول إِذا كانت الثورة الإِيرانِيَّة بِقِيادَة الخُمَيّنِيّ قَد وَقفَت مواقِف العَداءِ مِن أَهل السُنَّة وَقامَت بِإِحداث بلابِل وَفوضَى وتَفجِيراتٍ داخِل عَدَد مِن البُلدان كَما حَصَل فِي البَحريّن وَ الكُوَيّت والِيَمَن وَأَفغانِستان والعِراق، وَفِي مَكة المكّرَمةِ فِي الشَهرِ الحَرامِ و فِي البَلَدِ الحرام، فَإِنَّ هذِهِ السِياسة تُعتَبَر دِيناً يُدِينُ بِهِ رافضةُ إِيران والَّذي يَتَفَرع مِنهُ حِزبُ الله الَّذي إِعتَرَفَ مِن خِلالِ قِيادَتِه بِإِنتمائِه وموافَقَتِه لِإِيران، فَكُلُ عَدو لِإِيران هُوَ عَدُو **لِحزبِ الله**..

فَحِزْبُ الله عَدو لِأَهل السُنَّة، وإِن تَستَر بِمائة تَقِيَّة، لا يَنخَدعُ بِهِ إِلا غافِل صاحِب هوى، أَو ساذَجٌ أخو جَهَل.

فَعَلى هامِش المؤتمَرَ الأَوَّل لِلمُستَضعفِين اجتَمَعَ الخُميّنِيّ بِعَدَد مِن عُلَماء وَدُعاة الشيعة الَّذين شاركوا في هذا المؤتَمَر، وَكان مِن بَينِهم محمد حسين فضل الله، وَصُبحي الطُّفَيلِي، وَمُمَثِل حَرَكة أَمَل في طهرانَ إبراهيم أمين، وَ تَدارَسَ مَعَهُم الخُطوات الأولى الّلازِمة مِن أَجل إِنشاء هذا **الحِزب** الجَديد، ثُمَّ عَاد الوَفدُ إلى لُبنان وَكَثَّفَ مِن إتِصالاتِه مَعَ وُجَهاءِ وَ عُلماءِ الطائِفة الَّذين لَم يُشارِكوا في لِقاء طهران، ثُمَّ تَكرَرَ لِقاؤُهم بالخُمَيّنِيّ، وَ وَضعوا وإِيّاهُ الخُطوطَ العَريضَةَ **لحزْبِ الله**.

يقُولُ أَحمَدُ الموسَويّ في مَقالٍ لَهُ بمَجَلَّةِ [الشِّرَاعِ]: «مَنْ أَنتُمْ؟ **حِزبُ الله**»: «ثُمَّ استُكمِلَتْ الخُطُوطُ التَّنظِيمِيَّةُ الأُولى باختِيَارِ هَيئَةٍ قِيَادِيَّةٍ لِلحِزبِ ضَمَّت ١٢ عُضوَاً هُمْ: عَبَّاسٌ الموسَوِيّ، وَصُبحِي الطُّفَيلِي، وَحُسَينٌ الموسَوِيّ، وَ**حَسَن نَصرُ الله**، وَحُسين خَلِيل، وَإِبرَاهِيم أَمِين، وَرَاغِب حَرب، وَمُحَمَّد يَزبَك، وَنَعِيم قَاسِم، وَعَلِي كُورَانِي، وَمُحَمَّد رَعد، وَمُحَمَّد فَنِيش».

وَلم يَكُن هَؤُلاءِ وَحدَهُم نُوَاةَ التَّأسِيسِ **لِحزبِ الله**، إِنَّمَا كَانَ مَعَهُم عَشَرَاتٌ مِنَ الكَوَادِرِ وَالشَّخصِيَّاتِ الإِسلامِيَّةِ الأُخرَى مِنْ حَرَكَةِ أَمَلْ، وَحِزبِ الدَّعوَةِ، وَقِوَىً وَمَجمُوعَاتٍ تَبَلوَرَت شَخصِيَّتُهَا الإِسلامِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ مَعَ الثَّورَةِ الإِسلامِيَّةِ، وَقَائِدِهَا الإِمَامُ الخُمَينِيُّ، وَكَوَادِرَ أَمنِيَّةً أُخرَى مَازَالَت أَسمَاؤُهَا طَيَّ الكِتمَانِ.

وَبالفِعلِ قَامَت إِيرَانُ بتَأسِيسِ **حِزبِ الله** وَقَامَت بِتَموِيلِ هَذَا **الحِزبُ** وَتَأمِينِ كَافَّةِ احتِيَاجَاتِهِ عَسكَرِيَّاً وَاجتِمَاعِيَاً، وَأَغدَقَتِ عَلِيهِ الأَموَالَ الطَّائِلَةَ، وَهِيَ تُعَوِّلُ عَلَى هَذَا **الحِزبِ** الآمَالُ الكِبَارُ، وَبَلَغَ دَعمُ إِيرَانَ لِلحِزبِ أَوجَهُ فِي هَذِهِ المرحَلةِ.

وَقَد جَاءَ فِي تَقرِيرٍ وَجَّهَهُ أَحَدُ الدُّبلومَاسِيِّينَ الأُورُبِّيِّينَ إِلَى حُكُومَتِهِ فِي مَطلَعِ صَيفِ ١٩٨٦ م وَكَشَفَ فِيهِ كَذَلِكَ الدَّورَ السُّورِيَّ فِي رِعَايَتِهِ لِهَذَا **الحِزبِ**، مَا يَلِي:

«تَقُومُ طَائِرَاتُ الشَّحنِ الإِيرَانِيَّةِ مِن طِرَازِ بُوينج ٧٤٧ بِالإِقلاعِ وَالهُبُوطِ ثَلاث مَرَّاتٍ فِي الأُسبُوعِ عَلى طَرَفِ مَدرَجِ مَطَارِ دِمَشقَ نَاقِلَةٍ حُمُولاتٍ غَامِضَةً؛ فَالبَضَائِعُ التِي تُفَرَّغ عِبَارَةٌ عَن أَسلِحَة خَفِيفَة مُرسَلَة إِلَى حُرَّاسِ الثَّورَةِ الذِينَ يُشرِفُونَ عَلَى تَدرِيبِ أَتبَاعِ حِزبِ اللهِ فِي مُعسكَرِ الزَّبَدَانِي بِالقُربِ مِنْ دِمَشقَ، أَو فِي المعَسكَرَاتِ الكَائِنَةِ فِي مَنطِقَةِ بَعلبَك، أَمَّا البَضَائِعُ المحَمَّلة فَهِيَ مَدَافِعُ هَاون، وَصَوَارِيخُ مُضَادَّةٌ لِلطَّيَرَانِ مِنْ طِرَازِ «سَات»، كَذَلِكَ يَحفَلُ مِينَاءُ اللاذِقِيَّةِ بِنَشَاطٍ مِن هَذَا النَّوعِ».

وَقد بَلَغَ مِقدَارُ التَّكَاليفِ المادِيَّةِ التي تَصُبُّهَا إيرَانُ لِصَالِحِ حِزبِ اللهِ عَامَ ١٩٩٠ للميلاد بِثَلاثَةِ مَلايينِ دُولارٍ وَنِصفِ المليُونِ، حَسَبَ بَعضِ التَّقدِيرَاتِ.

وَخَمسِينَ مِليُونٍ عَام ١٩٩١ م وَقُدِّرَت بِمَائَةٍ وَعِشرِينَ مِليُونًا في عَام ١٩٩٢ م، وَ مائَةٍ وَستِّينَ في عَامِ ١٩٩٣ م، وَتُشِيرُ بَعضُ المصَادِرِ إلى ارتِفَاعِ مِيزَانِيَّةِ حِزبِ اللهِ في عَهدِ رَفسنجَانِي إلى ٢٨٠ مِليونَ دُولار، هَذِهِ الميزَانِيَّةُ الكَبِيرَةُ؛ جَعَلَتْ **الحِزبَ** يَهتَمُّ فَقَط بِالأَوَامِرِ التي تُملَى عَليهِ دُونَ التَّدَخُّلِ فِي نِزَاعَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ، وَسَاعَدَتهُ عَلَى تَوسِيعِ قَاعِدَتِهِ المقَاتِلَةِ وَالشَّعبِيَّةِ؛ فَاشتَرَى وَلاءَ النَّاسِ وَحَاجَتَهُم، وَضَمِنَ وَلاءَهُم وَ إخلاصَهُم لَهُ فَهُم مِنهُ وَهُوَ مِنهُم، وقَد ظَهَرَ أَثَرُ ضَخَامَةِ تِلكَ التَّكَالِيفِ عَلَى وَاقِعِهِم المعِيشِيّ حَتَّى بَاتُوا يُشَكِّلُونَ دَولَةً مُستَقِلَّةً دَاخِلَ لُبنَانَ؛ فَظَهَرَت المؤَسَّسَاتُ الصِّحيَّةُ وَالاجتِمَاعِيَّةُ وَالتَّربَوِيَّةُ.

وَ قَد تَزَامَنَ تَأسِيسُ هَذِهِ الحَرَكَةِ، وَهَذَا **الحِزبُ** عَام ١٩٨٢ م مَعَ الاجتِيَاحِ الصُّهيُونِيّ لِلُبنَانَ؛ مَا يُعطِي دَلالَةً خَطِيرَةً عَلى العَلاقَةِ بَينَ **الحِزبِ** وَبَينَ إسرَائِيل، وَذَلكَ حَتَّى تَكُونَ الغِطَاءَ الوَاقِيَ الذِي يَستُرُ الجَيشَ الصَّهيُونِيّ مِنَ ضَرَبَاتِ المجَاهِدِينَ فِي لُبنَانَ، وَلكِن بِطَرِيقَةٍ تَختَلِفُ تَمَامًا عَن حَرَكَةِ أَمَلٍ المحرُوقَةِ.. فَهَذِهِ المرَّة زَعَمَ **حِزبُ اللهِ** بِأَنَّهُ القَادِرُ عَلى التَّصَدِّي لِضَرَبَاتِ الكَيَانِ الصَّهيُونِيِّ، وَإِخرَاجِهِ مِن جَنُوبِ لُبنَانَ، وَرَاحُوا يَرفَعُونَ شِعَارَاتٍ كَاذِبَةً يُنَادُونَ فِيهَا بِتَحرِيرِ فِلسطِينَ، كُلِّ فِلَسطِينَ، وَتَوَعَّدِ الكَيَانَ الصَّهيُونِيَّ بِالوَيلِ وَالثُّبُورِ... بَينَمَا هُم فِي الوَاقِعِ يَقِفُونَ كَحَاجِزٍ أَمنِيٍّ لا يَسمَحُونَ لأَهلِ السُّنَّةِ بِتَخَطِّي الحُدُودِ، وَلا مُوَاجَهَةَ الإِسرَائِيلِيِّينَ.

وَقَد قَامَ **الحِزبُ** بِافتِعَالِ بَعضِ الأَكَاذِيبِ وَ **الفُقَاعَاتِ الدِّعَائِيَّةِ الكَاذِبَةِ لِتَلمِيعِ الحِزبِ إعلامِيًا**، وَشَدِّ الجَمَاهِيرِ إِليهِ.

وَمِن ذَلِكَ:

أَوَّلاً: أُكذُوبَةُ تَحرِيرِ جَنُوبِ لُبنَانَ وَدَحرِ المُحتَلِّ الصَّهيُونِيِّ

عِلمًا بِأَنَّ كِبَارَ ضُبَّاطِ الجيشِ الصَّهيُونِيّ اعتَرَفُوا عَلى الملأ وَفِي وَسَائِلِ الإِعلامِ المختَلِفَةِ بِأَنَّ انسِحَابَهُم مِن الجَنُوبِ لَم يَكُن بِسَبَبِ قُوَّةِ حِزبِ اللهِ، وَإِنَّمَا جَاءَت أَوَامِرُ القِيَادَةِ وَالأَلوِيَةِ بِالانسِحَابِ وَالخُرُوجِ، عِندَ ذَلِكَ دَخَلَ حِزبُ اللهِ... إِذَن؛ بَعدَ الانسِحَابِ الصَّهيُونِيّ، وَ لَيسَ قَبلَهُ وَ لا أَثنَاءَهُ دَخَلَ حِزبُ اللهِ لِلجَنُوبِ اللبنَانِيّ يَصطَحِبُ مَعَهُ هَالَةً إعلامِيَّةً مَأْجُورَةً مِن أَجلِ التَّصوِيرِ الدِّعَائِيِّ لِلحِزبِ عَلى أَنَّهُ مِنَ المحَارِبِينَ الفَاتِحِينَ.

ثانيًا: أُكذُوبَةُ القَتلَى الذِينَ يَسقُطُونَ مِنَ الطَّرَفِينِ، حِزبُ اللهِ وَ الكَيَانُ الصَّهيُونِيّ؛

وَذَلِكَ حَقِيقَةٌ لا خَيَالٌ، **وَلكِنَّ هَؤُلاءِ القَتلَى الذِينَ يَسقُطُونَ هُم مِنَ الجُنُودِ الذِينَ لا يَعرِفُونَ بِمُخَطَّطَاتِ أَسيَادِهِم وَقَادَتِهِم، وَهُم وَ عَدَدُهُم مَحدُودٌ جِدًّا بِالنِّسبَةِ لِقَتلَى الأَطرَافِ المُتَحَارِبَةِ الحَقِيقِيَّةِ**، وَمَا هُم إِلا كَبشُ فِدَاءٍ يُضَحُّونَ بِهِم مِن أَجلِ استِدَامَةِ مَصَالِحِهِم غَيرِ المعلَنَةِ بَاطِنًا، وَمِن أَجلِ إِظهَارِهِم كَطَرَفَي حَربٍ ظَاهِراً.

وَ هَاهُوَ القِنَاعُ بَادِيَاً فِي الانكِشَافِ وَالسُّقُوطِ لِمَن كَانَ لَهُ قَلبٌ أَو أَلقَى السَّمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.. فَبَعدَ أَن كَانَ **حَسنُ نَصرُ اللهِ** يُدَندِنُ فِي خُطَبِهِ عَلى وَتَرِ القَضِيَّةِ الفِلسطِينِيَّةِ، وَ يُنَادِي بِتَحرِيرِ فِلَسطِينَ كُلَّهَا بَدَأَ الخِطَابُ بِالتَّرَاجُعِ وَالانكِمَاشِ، وَهاهُوَ **الحِزبُ** يُعلِنُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ **أَنَّهُ لا دَخلَ لَهُ فِي الشُّؤُونِ الخَارِجِيَّةِ، وَأَنَّ مُهِمَتُهُ هِيَ تَحرِيرُ أَرضِهِ وَلَيسَ تَحرِيرُ فِلَسطِينَ**، وَبَعدَ أَن كَانَ الخِطَابُ مُتَوَجِّهَاً إِلى تَحرِيرِ فِلَسطِينَ كُلِّهَا حَصَرَ الأَمرَ عَلَى الاكتِفَاءِ بِبَيتِ المَقدِسِ، وَاتَّخَذُوا مِن ذَلِكَ مُجَرَّدَ شِعَارٍ رَمزِيٍّ دِعَائِيٍّ **لِيَستَمِرَّ كَذِبُهُم عَلى الجَمَاهِيرِ السَّاذَجَةِ** وَاكتَفُوا بِالاكتِفَاءِ بِمَا يُسَمَّى يَومَ القُدسِ العَالمِي، وَيَجعَلُونَ مِن هَذَا اليَومِ يَومَ استِعَراضٍ عَسكَرِيٍّ.

لِمَاذَا يُستَثنَى **حِزبُ اللهِ**، فَلا تُطَبَّقُ عَلَيهِ بُنُودُ اتِّفَاقِيَّةِ الطَّائِفِ، وَالتِي تَقضِي بِنَزعِ سِلاحِ جَمِيعِ المِلِيشيَاتِ وَمِن وَرَاءِ الأَمرِ بِإِبقَاءَ بَل بِجَلبِ السِّلاحِ لَهُ؟.

يَقُولُ المَثَلُ: **إِذَا اختَلَفَ السُّرَّاقُ ظَهَرَ المَسرُوقُ، وَيُقَالُ، الاعتِرَافُ سَيِّدُ الأَدِلَّةِ.. وَلا أَحسَنَ مِن شَهَادَةِ مَن يَشهَدُ بِالحَقِّ عَلَى أَهلِهِ، فَاستَمِعُوا إِلى الكَلامِ الخَطِيرِ الذِي قَالَهُ الأَمِينُ العَامِ الأَوَّلِ لِحِزبِ اللهِ «صُبحِي الطُّفَيلِي» بَعدَ أَن عَارَضَ الحِزبَ فِي كَثِيرٍ مِن تَوَجُّهَاتِهِ، فِي لِقَاءٍ لَهُ مَعَ قَنَاةِ الجَزِيرَةِ الفَضَائِيَّةِ**: «لَو كَانَ أُنَاسٌ غَيرَ حِزبِ اللهِ عَلى الحُدُودِ، يَقصِدُ الفِلَسطِينِيِّينَ وَأَهلَ السُّنَّةِ، لما تَوَقَّفُوا عَن قِتَالِ إِسرَائِيلَ مُطلَقَاً، وَالآن إِذَا أَرَادُوا الذَّهَابَ يَعتَقِلُهُم **الحِزبُ**، وَيُسَلِّمَهُم إِلى الأَمنِ اللبنَانِيّ، وَتَقُولُونَ لِي إِنَّهُ لا يُدَافِعُ عَن إِسرَائِيل» أ.هـ.

وَ تَزَامَنَ هَذَا الكَلامُ الخَطِيرُ مَعَ مَقَالٍ لِلعَمِيدِ «سُلطان أبي العَينَين»، أَمِين سِر حَرَكَةْ فَتح فِي لُبنَانَ نَشَرَتهُ جَرِيدَةُ القُدسِ العَرَبِيّ فِي ٥/٤/٢٠٠٤ م بِعُنوَان:»حِزبُ اللهِ يُحبِط عَمَلِيَّات المُقَاوَمَةِ الفِلَسطِينِيَّةِ مِنَ الجَنُوبِ» قَالَ فِيهِ: « حِزبُ اللهِ قَالَ سَنَكُونُ إِلى جَانِبِكُم عِندَ المِحَنِ وَلَكِنَّنَا مُنذُ ثَلاثَةِ أَعوَامٍ نَعِيشُ الشَّدَائِدَ وَلَم نَعُدْ نَقبَلُ شِعَارَاتٍ مُزَيَّفَةً مِن أَحَدٍ، فَفِي الأُسبُوعِ الأَخِيرِ أَحبَطَ حِزبُ اللهِ أَربَعَ مُحَاوَلاتٍ فِلَسطِينِيَّةً عَلى الحُدُودِ، وَقَامَت عَنَاصِرُ حِزبُ

اللهِ بِاعتِقَالِ المقَاوِمِينَ الفِلَسطِينِيِّينَ، وَتَقدِيمِهِم لِلمُحَاكَمَةِ» وَأَكَّدَ أَبُو العَينَينِ أَنَّ الانسِحَابَ الإِسرَائِيلِيّ مِنَ الجَنُوبِ اللُّبنَانِيِّ فِي أَيَّارَ تَمَّ بِتَرتِيبَاتٍ أَمنِيَّةٍ وَاتِّفَاقٍ أَمنِيٍّ بِأَنْ لا تُطلَقَ طَلقَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى شَمَالِ فِلَسطِينَ مِن جَنُوبِ لُبنَانَ، وَهَذَا الاتِّفَاقُ يُطَبَّقُ مُنذُ الانسِحَابِ الإِسرَائِيلِيِّ، فَلَم يَتَمَكَّن أَيُّ مُقَاوِمٍ مِنَ اختِرَاقِ الحُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ، وَجَرَت أَكثَرَ مِنْ مُحَاوَلَةٍ مِن جَمِيعِ الفَصَائِلِ الفِلَسطِينِيَّةِ، وَجَمِيعُهَا أُحبِطَتْ مِن حِزبِ اللهِ وَقُدِّمَت إِلَى المحكَمَةِ» وَأَضَافَ، «إِنَّ حِزبَ اللهِ يُرِيدُ المقَاوَمَةَ كَوَكَالَةٍ حَصرِيَّةٍ لَهُ، وَحَصرًا فِي مَزَارِعِ شِبعَا، وَلا يَنتَظِرُ أَحَدٌ مِن حِزبِ اللهِ أَن يَقُومَ بِقَصفِ شَمَالِ فِلَسطِينَ بِالصَّوَارِيخِ، وَأَنَا شَاهِدٌ عَلَى مَا يَجرِي، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ سَيطَرَةَ حِزبِ اللهِ عَلَى المقَاوَمَةِ مِنَ الجَنُوبِ اللبنَانِيّ نَابِعَةٌ مِنَ اتِّفَاقِيَّاتٍ وَتَرتِيبَاتٍ أَمنِيَّةً، أَي اتِّفَاقَاتٍ مَعَ إِسرَائِيلَ بِوَاسِطَةِ طَرَفٍ ثَالِثٍ» وَقَالَ: « عَلَى الشَّعبِ الفِلَسطِينِيِّ أَن لا يُعَوِّلَ عَلَى حِزبِ اللهِ وَلا عَلَى حَزبِ الشَّيطَانِ، بَل عَلَيهِ الاتِّكَالُ عَلَى نَفسِهِ فَقَط لأَنَّ لِحِزبِ اللهِ أَولَوِيَّاتَهُ وَمَوَاقِفَهُ السِّيَاسِيَّةَ، وَهُوَ يُرِيدُ أَن يُقَاتِلَ بِآخِرِ فِلَسطِينِيٍّ مِنَّا عَلَى آخِرِ فِلَسطِينِ، وَنَحنُ نُرِيدُ مِن حِزبِ اللهِ مَوقِفَاً صَرِيحَاً وَوَاضِحَاً» أ.هـ.

وَ أخِيْرًا نَقُوْلُ؛

هَلْ يُعقَل أَنْ يَكونَ **الحِزْبُ** عدوًّا لَدُوداً للكِيانِ الصِّهْيُونِيْ كَما يزعُمُونَ،ثُم يَقومُ هَذَا **الحِزْبُ** باسْتِعْرَاضٍ عَسْكَرِي حَاشِدٍ فِي مَيْدَانٍ وَاسِعٍ فِي بَيْرُوت تَنَقلهُ القنواتُ الفَضَائِيّة نَقْلاً مُبَاشِراً يَجْلسُ فِيهِ **حَسَن نَصْر الله** على مِنَصَّتِهِ وَ حَولهُ حَاشِيَتَهُ وَ ضُيُوفَهُ وَ تَمرُّ مِنْ أَمَامِهِ الفِرَقُ وَ الكَتَائبُ وَ السَّرَايَا العَسْكَرية تَهتِفُ وَ تَتَوعّدَ بالموتِ لإسرائيلَ، ثُم تَقِفُ إِسْرَائِيْلُ طِيْلَةَ هَذِهِ السَّنَواتِ مَوْقِفَ المتفرِّجِ وَ مَكْتُوفَةَ الأَيْدِي عَاجِزَةً عَن صُنعِ أيِّ شَيءٍ حِيَالَ هَذَا العَدُوّ القَادِمِ؟ وَ هِي التِي لَمْ تَحْتَمِل رَجُلًا مُقعَداً عَلَى كُرسِيهِ الصَّغِير المتحرِّك؛ فَاغْتَالتهُ عَنْ بُعدٍ فِي ظُلْمَةِ الفَجْرِ...!.

ثُمَّ لماذَا كُلّ هَذَا الاهْتِمَامِ مِنْ جَانِبِ الدَّولَةِ الرَّافِضِيةُ بِلُبنَانِ؟ يُجِيْبُ عَنْ هَذَا التَّسَاؤُلِ حُجّةُ إسلامِهِم رَوحَانِي سَفِيرُ إِيرانَ فِيْ لُبنانَ فِيْ مُقَابَلَةٍ أجرتْهَا مَعهُ صَحِيفَةُ «إطِلاعات» الإِيْرَانِية فِي نِهَايةِ الشَّهرِ الأوّلِ من عَامِ ١٩٨٤ م، يقُولُ رَوْحَاني عن لُبنان: «لُبنان يُشْبِهُ الآنَ إِيرانَ عامِ ١٩٧٧م، وَ لَوْ نُرَاقبُ و نَعملُ بِدقةٍ وَ صَبْرٍ فإِنهُ إِن شاءَ الله سيجيءُ إِلَى أَحْضَانِنا، وَ بِسَببِ مَوْقِعِ لُبنانٍ و هُوَ قَلبُ المنطقةِ، وَ أَحدُ همِ المراكزِ العَالمِيةِ فَإِنهُ عِنْدَما يَأْتِي لُبنان إِلى أَحْضَانِ الجُمْهُورِيَّةِ الإِسْلامِيةِ فَسَوفَ يَتْبَعهُ البَاقُوْن وَ يَقُولُ: «لقد تَمكنَا عَن طَرِيقِ سَفَارَتِنا فِي بَيْرُوت مِنْ تَوحِيدِ آراءِ السُّنُة وَ الشّيْعَةِ حَوْلَ الجُمْهُوريّةِ الإِسْلامِيّةِ وَ الإِمامِ الخُميني، وَ الآنَ غَالِبِيَّةُ خُطَبَاءِ السّنُة يَمتَدِحُونَ الإِمامَ الخُميني فِيْ خُطَبِهِم» ا.هـ.

وَ أمَّا عَنْ جَرَائِمِ الرَّافِضَةِ اليَوْمَ ضِدَّ المُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السّنةِ فِيْ أَفْغَانِسْتان وَ العِرَاقَ؛

فَحدِّثْ وَ لا حَرَج، فَهَاهِيَ أَمْرِيكَا اليَوْمَ تُقِرُّ بِالتَّعَاوُنِ وَ الدَّعْمِ الإِيْرَانِيِّ الرَّافِضِي خِلالَ حربِها على أفغانستان والعِراق... قَالَتْ وَزيرةُ الخَارِجيةِ الأَمْرِيكيّة، «كُونداليزَا رَايسْ» فِي مُقَابَلةٍ معَ إِحْدَى وِكَالاتِ الأنْبَاء: «أنَّ الأُممَ المتحِدةَ قَدْ قَامَتْ بتيْسِيْرِ اتّصَالاتٍ بَيْنَ الوِلايَاتِ المتحدة وَ إِيْرَانَ بِصُوْرةٍ مُنتظمةٍ عبرَ مَا يُطلَقُ عَليه اسْمُ عَمَلية «جِنيف»، لِمُناقَشَةِ مَسَائلَ عَمليّةٍ كَانَتْ تَتعلَّقَ أصْلًا بِأفْغَانِسْتانَ، ثُمَّ اتَّسَعَ نِطاقهَا لِتَشْمَلَ العِرَاق، وَ قَدْ أشَارَتْ «رَايْس» قبْلَ فتْرةٍ وَجيْزةٍ إِلى أَنَّ مبْعُوثَ الرّئيسِ الأمْريكي «زلِماي خليل زَاد» قَدْ شَـارَكَ فِيْ مُحَادَثَـاتٍ مَـعَ مَسئُولِينَ مِـن إِيرَانَ التي انْبثقتْ مُباشَرَةً- كَمَا قَالَتْ رَايْس- مِنَ الحَاجَةِ إلى معالجَةِ أمرِ بَعضِ المسَائِلِ العملية المتَعلّقَةِ بِأفغَانِستانَ، ثُم وَسَّعْنا ذَلِكَ لِيشْمَلَ العِرَاق».

وَ هَاهُمُ الرّافِضةُ يعْتَرِفونَ، بَلْ يفْتخِرونَ، بِهذَا التّعاونِ وَ الدَّعمَ الذِي قَدَّمُوهُ لأمْرِيكا؛

حَيثُ يقُول محمد علي أبطحي، نائبُ الرَّئيس الإيراني للشؤونِ القانونيةِ وَ البرلمانيةِ الذِي وَقَفَ بفخْرٍ فِي خِتامِ أَعْمَالِ مُؤْتَمرِ الخَليجِ وَ تَحدِّياتِ المسْتَقبلِ الذِيْ يُنَظِّمُه مَرْكَزُ الإِمارَاتِ لِلدِّرَاسَاتِ وَ البُحُوثِ الإِسْتراتِيْجِيةِ سَنَوِيّاً بِإمارةِ أبِي ظبي مَسَاء الثُلاثاءِ ١٥/١/٢٠٠٤ م، ليعْلنَ أنّ بِلادهُ قَدّمتِ الكَثِيرَ مِنَ العَوْنِ للأمْرِيكِيينَ فِيْ حَربِهِم ضِدَ أفغانستانَ والعِراق، وُ مُؤَكِّداً أنَّهُ لَوْلا التَّعَاونِ الإِيْرَانِي لَمّا سَقطتْ «كابول» وَ بَغْدَاد بِهذِهِ السهولة.

وَ قَدْ نَقَلتْ جَرِيدَةُ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ فِي ٩/٢/٢٠٠٢ م، عَنْ رَئِيسِ مَجْلِسِ تَشْخِيصِ مَصْلَحةِ النِّظَامِ «رفسنجاني» قَوْلَه فِي خُطْبتهِ بِجَامعةِ طهران:» إنَّ القُوّاتَ الإِيرَانيةَ قَاتلتِ طَالِبان وَ سَاهمَتْ فِي دَحْرِها، وَ أنهُ لَو لَمْ تُسَاعِد قوَّاتُهم فِي قِتالِ طَالِبان لغرِقَ الأمْرِيْكِيُّونَ في المسْتَنقع الأَفْغاني». وَ تَابَعَ قَائِلاً: «**يَجِبُ على أمريكا أنْ تعْلَم أنهُ لَوْلا الجيشُ الإِيْرَانيُ الشَّعبي مَا اسْتَطَاعَتْ أمريكا أن تُسقِط طالِبان**».

بَلْ هَذَا مَا وَصَّى بِهِ الخُمَيْنِي حِزْبَ الوِحْدَةِ الشِّيْعِي، عقِبَ خُروجِ الرُّوسِ مِنْ أفغانستان مَدْحُوْرِين حَيْثُ قَال: «يَا حِزبَ الوِحْدَةِ يَا شِيْعةَ أفغانستان؛ جِهادُكُم يَبدأُ بَعْد خُرُوجِ الروس، و يَقْصِدُ بِذَلِك جِهَادَ أَهْلِ السّنة وَ إِيْقَاعِ الفِتَنِ وَ الاضطِرَابَاتِ الدَّاخِليةِ فِي البِلاد». وَ بالفِعلِ هذا مَا حَصَلَ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ، حَتى إِنَّ دَوْلةَ طَالِبَانَ قَامَت بِقَتْلِ ما لا يقِلُ عن ٦٠٠٠ مُقاتِلٍ مِنَ الخَوَنةِ الرَّوافِضِ مِمَّن حَاوَلُوا التَّمرُدَ عَلى حُكمِ طالِبان، فكُل هَذا التآمُر عَلَى دولةِ

أفغانستان وَ مَدُّ يَدِ العَوْنَ لأَمْريكا وَ حُلفَائهَا خَوْفاً مِنْ أَنْ يَكُونَ لإِيْرَانَ الرَّافِضِيةِ جَارةً سنيَّةً قَوِية، لأَنّ حَربَهُم الأسَاسِية لَيْسَت مَعَ اليَهُودِ وَ لا مَعَ النَّصَارَى بَل حَربُهُم الأُوْلَى وَ الأخِيْرةُ هِيَ مَع أَهْلِ السنُة.

و هَذَا مَا صَرَّحَ بِه قَدِيماً الدّكتور «علي ولايتي» بِقوله: « لَن نسمحَ أن تكون هُناك دولةٌ وهابيةٌ فِي أفغانستان»، أي دولةً سنُية وفق لمصْطَلَحاتِ الرافِضة الشائعةِ الآن..!

أَلَيْسَ هَذَا المَوْقِفُ نَفْسُهُ الذِي وَقَفَهُ خُلفاءُ وَ وُزراءُ الدّولةِ العُبَيدِيةِ الفَاطِمية منَ السَّلاجقةِ الأتراك السنُيينَ يَومَ أَن حَارَبوهم وَ نَاصَرُوا الصّليبيين..؟

وَ قَدْ أَفَادَ عَدِيدٌ مِنَ الخُبراءِ العسكريين بِأنَّ الطِائراتِ التي انْطَلَقَت مِن قَواعِدَ أَمْرِيكيّةٍ فِيْ الدُّولِ العَرَبيةِ لا يُمْكِنُ أَنْ تَعبُرَ لأفْغَانِسْتَان إلا عَنْ طَرِيقِ الأَجْوَاءِ الإِيرْانِيّة فِيْ وَقْتٍ كَان المَسْؤُولُونَ الإِيرْانِيونَ يُشَدِّدُونَ عَلى دِعَايَةِ حُرْمَة الأَجْوَاءِ الإِيرْانِيةّ إلا عَلَى الطّائِراتِ المضْطَرة للهُبوطِ اضْطِرَارِياً فِيْ إِيرَانَ وَ أَشَارتْ مَصَادرُ عَسْكَرِية فِي الاسْتِخبَارَاتِ الأمْرِيْكية فِيْ الوَقْتِ ذَاتِه أَنْ عَنَاصِرَ مِنْ القُوّاتِ الخَاصِةِ الأَمريكِيةِ المَوْجُودَةِ فِيْ مَدِينةِ هيرات غِربِ أفغانستان قُربَ الحُدُود الإِيرَانية أَفَادَتْ بِأَنّ عُمَلاءَ إيْرَانيين يَتَسللون إِلى المنطقةِ وَ يُهَدِّدُونَ زُعَماءَ القبَائِل.

وَ هَذَا مَا أَكّدَتْهُ مُنظَّمَةُ حُقُوقِ الإِنْسَان الأمْرِيكية «هيومان رايت ووتش» فِيْ أَكْتُوبَر ٢٠٠١ م، مِنْ أَنّ ثَمة تَقَارِير صَحَفِيّة تُفِيدُ أَنَّ الحُكُومَةَ الإِيرْانية وَضَعَتْ أَعْدَاداً إِضَافِيةً مِنَ الجُنُودِ عَلَى حُدُودِهِا بَعْدَ بِدْءِ الضَّرَباتِ العَسْكَرِيّة، وَ أَنهُا بَدَأَتْ فِيْ تَرْحِيلِ مِئَاتِ اللاجِئين إِلى أفغانستان، وَ هَذَا تَمَاماً مَا يَفْعَلهُ العُمَلاءَ الإِيرْانِيُّونَ وَ عَنَاصِرُ مِنَ الاسْتِخْبَارَاتِ الإِيرْانِيّةِ فِيْ العِرَاق، وَ بِعِلْمٍ وَ رِضىً مِنَ القُوّاتِ الأَمْرِيْكِيةِ وَ حُلَفَائَهِا فِي الحَرْبِ عَلَى العِرَاقِ، فَفِي الوَقْتِ الذِي نَرَى فِيهِ التَّشْدِيدَ وَ التّضْيِيقَ عَلَى المَنَاطِقِ الحُدُودِيةِ مَعَ العِراقِ مَعَ جَمِيعِ البُلْدَانِ التِي يُمْكِنُ أنْ يَنْفُذَ عَبرْهَا المجَاهِدُونَ لِمسُاعَدةِ إِخوانِهم في العِراقِ ضِدَّ المحْتل الأَمْرِيْكي؛ نَجِدُ أنَّ الحُدُودَ الإِيرْانية العِرَاقِية تُفْتَحُ على مِصْرَاعَيْهَا لِتَسَلُّلِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ العُمَلاءِ لأغْرَاضٍ سِياسيةٍ رَافِضِيةَ، وَ عَلى رَأسِها تَغْيِير نِسْبةِ التّرْكِيبَةُ السُّكانيةُ لِأهلِ العِراقِ لِصالحِ الرَّافِضَةُ، وَ لا سِيّما بَعْدَ المجَازرِ وَ المَذَابحِ الجَمَاعيّة التي تَمّتْ لِأهْلِ السنُة، حَتَّى يَتَمكّنوا مِنْ فَرْضِ سَيْطَرَتِهِمْ عَلَى جَنُوبِ العِرَاقِ عَلَى الأقَلِ مَا دَامَ لَمْ يَتَمَكّنُوا مِن بِسْطِ نفُوذِهِم عَلَى العِراقِ كُله، بِالإِضَافَةِ إِلى الأَغْرَاضِ الإِسْتِخْبَارَاتِيّة التِي تَرُومُ تتبُع المجَاهِدِينَ وَ مُتابَعةِ المصَالِحِ الإِيرْانِيةّ، وَ التّنسيقِ بَيْنَها وَ بَينَ الأَحْزَابِ وَ الحَرَكَاتِ الشّيعِيةِ الأُخْرَى دَاخِلَ العِرَاق.

عِلْماً بِأنَّ الرَّافِضة، كَمَا هِيَ عَادَتهُمُ، كَانُوا يُعْلِنُونَ مُعَادَاةَ أمْريكا، وَ يرْفَعونَ شِعارَ الموتُ لأمريكاَ، وَ يُسَمُّونَهَا بِالشَّيطَانِ الأكْبَر، بَلْ إنَّ وَزيرَ الدِّفَاعِ الإيْرانِيّ «علي شمخاني» خِلالَ تحْضِيرات أمريكا للهُجوم على طالِبانِ؛ أطلقَ تَصْريْحَاتٍ مُدويةٍ هَدَّدَ فِيها بِإسْقاطِ أي طَائِرةٍ أمْرِيكية تَعبُر الأجْواءَ الإيْرانية، وَ بَعْدَ عِدّةِ أيامٍ ظَهَرت للعَيانِ اتفاقِيةٌ تَمّت تَحْتَ طَاوِلةِ المفاوضَاتِ الأمْريكيّةِ الإيْرانيةِ يَقُومُ الإيْرانيّونَ بِمُوْجِبِها بِإعَادَةِ أي أمْرِيكي يُفقَدُ أوْ يُسْقَطُ في إيران إلى أمريكا سَالماً مُعَافى.

وَ لا يَفُوتَني أَن أذْكُرَ كَلامَ الرّئِيسِ الإيْرَانِيّ الحَالي «أحمدي نجاد»، وَ الذِي يُفْصِحُ فِيْهِ على أنَّهُم اليَومَ يَسِيرون عَلى مُخَطّطاتِ آبائهمُ الرّافِضة، حَيْثُ قَالَ مَا مَفَادهُ: لَقَدْ جَاءَتْ حُكُومتي لِتُمهِدَ الطّريقَ لاسْتِقْبالِ المهْدِي.

وَ أمّا فِيْمَا يَتَعلّقُ بجرائمهم وخياناتهم الأخلاقية؛ فَحدِّثْ وَ لا حَرَج..

فَهَاهِي مُجتَمَعَاتُهُم تَغُصُ بِالرّذِيلةِ وَ الخَنَا وَ الفُجُورِ، و تَنتَشرُ فِيهِم الفَواحِشُ ظَاهِراً وَ بَاطِنا، و لا تَجدُ مُجْتَمعاً مُلَوّثاً بِهَذِهِ الرَّزَايَا إلا وَ الرّافِضةُ قَدْ فَاقهُ فُحشاً وفجوراً.. كُلّ ذَلك يتمُ من خِلالِ شَريعةِ الرافِضة وَ دِينهِم وَ بِفَتوىً مِنْ مَرجِعياتِهِم و آيَاتِهِم!

فكيف ذاك..؟

أَوَّلاً: زَوَاجُ المُتعَةِ؛

الذِي أَبَاحَهُ الشَّرعُ فَترَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَلِلضَّرُورَةِ مَعَ غَيرِ المسلِمَاتِ قَبلَ تَقسِيمِ مُلكِ اليَمِينِ وَالأَخذِ بِهِ، حَيثُ كَانَ الصَّحَابَةُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ يَغزُونَ بِلادَاً بَعِيدَةً، وَتَطُولُ بِهِم مُدَّةُ السَّفَرِ ذَهَاباً وَإِيَاباً وَإِقَامَةً، فَرُفِعَ عَنهُم الحَرَجُ وَالمشَقَّةُ، فِي نِكَاحِ التَّمَتُّعِ لإبعَادِهِم عَن مَظَنَّةِ الوُقُوعِ فِي المحظُورِ، وَلَمَّا تَغَيَّرَ الحَالُ، وَزَالت الضَّرُورَةُ بِانتِشَارِ الإِسلامِ وَتَفَرُّقِ المسلِمِينَ فِي البِلادِ نُسِخَ حُكمُ المتعَةِ نَظَرَاً لِمَا يَحوِيهِ مِن مَفَاسِدَ أَكبَرُ مِن مَصَالِحِهِ، وَلِكَونِهِ يُنَافِي مَقَاصِدَ الزَّوَاجِ الذِي أَحلَهُ اللهُ تَعَالى، وَالذِي مِنهَا استِدَامَةُ الزَّوَاجِ وَ بِنَاءُ الأُسرَةِ المسلِمَةِ، وإِنجَابُ الوَلَدِ وَالقِيَامِ عَلى تَربِيَتِهِ، فَإِنَّ الرَّافِضَةَ يَتَعَلقُونَ بِهَذَا الزَّواجِ الذِي هُوَ مِفتَاحٌ لِلزِّنَا وَلِكُلِ شَرٍّ.. وَ هُم لا يَقُولُونَ بِإِبَاحَتِهِ وَجَوَازِهِ فَحَسبُ؛ بَل إِنَّهُم يَعتَبِرُونَ مَن لا يَتَمَتَّعُ وَمَن يَرَى حُرمَةَ هَذَا الزَّوَاجَ بِأَنَّهُ كَافِرٌ بِنَاءً عَلَى رِوَايَاتٍ مَكذُوبَةٍ نَسَبُوهَا إِلى الأَئِمَّةِ مِن آلِ البَيتِ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ [مَن لا يَحضُرُهُ الفَقِيهُ]: «رَوَى الصَّدُوقُ عَن الصَّادِقِ عَليهِ السَّلام قَالَ: إِنَّ المتعَةَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي،

فَمَن عَمِلَ بِهَا عَمِلَ بِدِينِنا، وَمَن أَنكَرَهَا أَنكَرَ دِينَنَا وَاعتَقَدَ بِغَيرِ دِينِنا».

بَل يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ لِيَشمَلَ التَّمَتُّعَ حَتَّى بِالرَّضِيعَةِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الخُمَينِيُّ فِي كِتَابِهِ «تَحرِيرُ الوَسِيلَةِ»: «لا بَأسَ بِالتَّمَتُّعِ بِالرَّضِيعَةِ ضَمًّا وَتَفخِيذًا وَتَقبِيلاً».

وَ يذكُرُ لَنَا صَاحِبُ كِتَابِ [للهِ ثُمَّ لِلتَّارِيخِ] **حَادِثَةً وَقعَت أَمَامَ نَاظِرَيهِ** حِينَ كَانَ الخُمَينِيُّ مُقِيمًا فِي العِرَاقِ، وَكَانَ فِي زِيَارَةٍ لِشَخصٍ إِيرَانِيٍّ يُدعَى «سَيِّد صَاحِب»، فَيَقُولُ: «فَرِحَ سَيِّد صَاحِب بِمَجِيئِنَا وَكَانَ وُصُولُنَا إِلَيهِ عِندَ الظُّهرِ، فَصَنَعَ لَنَا غَدَاءً فَاخِراً، وَاتَّصَلَ بِبَعضِ أَقَارِبِهِ فَحَضَرُوا، وَازدَحَمَ مَنزِلُهُ احتِفَاءً بِنَا، وَطَلَبَ «سَيِّدُ صَاحِب» إِلَينَا المَبِيتَ عِندَهُ تِلكَ اللَّيلَةِ، فَوَافَقَ الإِمَامُ، ثُمَّ لمَا كَانَ العِشَاءُ، أَتَونَا بِالعَشَاءِ، وَكَانَ الحَاضِرُونَ يُقَبِّلُونَ يَدَ الإِمَامِ وَيَسأَلُونَهُ وَيُجِيبُ عَن أَسئِلَتِهِم، وَ لَمَّا حَانَ وَقتُ النَّومِ، وَكَانَ الحَاضِرُونَ قَد انصَرَفُوا إِلا أَهلَ الدَّارِ، **أَبصَرَ الإِمَامُ الخُمَينِيُّ صَبِيَّةً بِعُمرِ أَربَعِ سَنَوَاتٍ أَو خَمسٍ** وَلكِنَّهَا جَمِيلَةٌ جِدًّا، **فَطَلَبَ الإِمَامُ مِن أَبِيهَا «سَيِّد صَاحِب» إِحضَارَهَا لِلتَّمَتُّعِ بِهَا**، فَوَافَقَ أَبُوهَا بِفَرَحٍ بَالِغٍ، **فَبَاتَ الإِمَامُ الخُمَينِي وَالصَّبِيَّةُ فِي حِضنِهِ وَنَحنُ نَسمَعُ بُكَاءَهَا وَصَرِيخَهَا**.

المهِمُّ أَنَّهُ أَمضَى تِلكَ اللَّيلَةَ، فَلَمَّا أَصبَحَ الصَّبَاحُ وَجَلَسنَا لِتَنَاوُلِ الإِفطَارِ، نَظَرَ إِلَيَّ فَوَجَدَ عَلامَاتِ الإِنكَارِ وَاضِحَةً فِي وَجهِي، إِذ كَيفَ يَتَمَتَّعُ بِهَذِهِ الطِّفلَةِ الصَّغِيرَةِ وَفِي الدَّارِ شَابَّاتٌ بَالغَاتٌ رَاشِدَاتٌ. كَانَ بِإِمكَانِهِ التَّمتُّعُ بِإِحدَاهِنَّ فَلَم يَفعَل، فَقَالَ لِي: سَيِّد حُسَين مَا تَقُولُ فِي التَّمتُّعِ بِالطِّفلَةِ؟ فَقُلتُ لَهُ: سَيِّد القَولُ قَولُكَ وَالصَّوَابُ فِعلُكَ وَأَنتَ إِمَامٌ مُجتَهِد، وَلا يُمكِنُ لِمِثلِي أَن يَرَى أَو يَقُولَ إِلا مَا تَرَاهُ أَنتَ أَو تَقُولُهُ. وَ مَعلُومٌ أَنِّي لا يُمكِنُنِي الاعتِرَاضُ وَقتَ ذَاك. فَقَالَ: «سَيِّد حُسِين، **إِنَّ التَّمَتُّعَ بِهَا جَائِزٌ وَلَكِن بِالمُدَاعَبَةِ وَالتَّقبِيلِ وَالتَّفخِيذِ أَمَّا الجِمَاعِ فَإِنَّهَا لا تَقوى عَلَيهِ**». ا.هـ.

وَ تَتوسَّعُ دَائِرَةُ التَّمَتُّعِ عِندَ الشِّيعَةِ لِتَشمَلَ حَتَّى التَّمَتُّعَ بِالنِّسَاءِ المُتزَوِّجَات؛ وَهَذَا مَا تُحَرِّمُهُ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، بَل وَلا تُقِرُّهُ حَتَّى غِيرَةُ العُقَلاءِ مِنَ الكُفَّارِ.. فَالرَّافِضَةُ يجِيزُونَ التَّمتُّعَ بِالمرأَةِ المحصَنَةِ زَوجَةَ الغَيرِ دُونَ عِلمِ زَوجِهَا وَدُونَ رِضَاهُ، عِلماً بِأَنَّ بَعضَ فُقَهَاءَ الشِّيعَةِ يُقِرُّونَ بِتَحرِيمِ نِكَاحِ المتعَةِ، كَمَا جَاءَ فِي [وَسَائِلُ الشِّيعَةِ]، وَفِي [التَّهذِيبِ] وَ فِي [الاستِبصَارِ]:» قَالَ أَمِيرُ المؤمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ: حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ يَومَ خَيبَرَ لُحُومَ الحُمُرِ الأَهلِيَّةِ وَنِكَاحَ المتعَةِ».

وَ جَاءَ فِي [التَّهذِيبِ]: «وَسُئِلَ أَبُو عَبدِ اللهِ عَلَيهِ السَّلام: كَانَ المسلِمُونَ عَلى عَهدِ رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَليهِ وَآلِهِ يَتَزَوَّجُونَ بِغَيرِ بَيِّنَةٍ؟ قَالَ: لا».

وَيقُولُ السَّيدُ حُسينٌ الموسَوِيّ مُعَلِّقَاً: «لا شَكَّ أَنَّ هَذَينِ النَّصَّينِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ فِي نَسخِ حُكمِ المتعَةِ وَإِبطَالِهِ».

وَجَاءَ فِي [وَسَائِلِ الشِّيعَةِ]: «وَعَن عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبد اللهِ عَليهِ السَّلام لِي، وَلِسُليمَانَ بن خَالِد: (قَد حُرِّمَتُ عَليكُمَا المتعَةُ).

وَ قَد نَقَلَ الدُّكتُورُ «نَاصِرُ القَفَارِيّ» فِي كِتَابِهِ [أُصُولُ مَذهَبِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ الاثنَي عَشرِيَّةِ] عَن الأَلُوسِي قَولَهُ: «مَن نَظَرَ إِلى أَحوَالِ الرَّافِضَةِ فِي المتعَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ لا يَحتَاجُ فِي حُكمِهِ عَليهِم بِالزِّنَا إِلى بُرهَانٍ، فَإِنَّ المرأَةَ الوَاحِدَةَ تَزنِي بِعشرِينَ رَجُلاً فِي يَومٍ وَ لَيلَةٍ، وَتقُولُ إِنَّهَا مُتَمَتِّعَةٌ، وَقَد هُيِّئَت عِندَهُم أَسوَاقٌ عَدِيدَةٌ لِلمُتعَةِ تُوقَفُ فِيهَا النِّساءُ وَلَهُنَّ قَوَّادُونَ يَأتُونَ بِالرِّجَالِ إِلى النِّسَاءِ وَبِالنِّسَاءِ إِلى الرِّجَالِ فَيَختَارُونَ مَا يَرضُونَ وَ يُعَيِّنُونَ أُجرَةَ الزِّنَا وَيَأخُذُونَ بِأَيدِيهِنَّ إِلى لَعنَةِ اللهِ تَعَالى وَغَضَبِهِ» ا.هـ.

فَمَاذَا نَتَجَ عَن زَوَاجِ المُتعَةِ، وَمَا هِيَ آثَارُهُ عَلَى المُجتَمَعِ الرَّافِضِيِّ؟.

فَمِن آثَارِهِ: اختِلاطُ الأَنسَابِ؛ وَالذِي بِسَبَبِهِ حَرَّمَ اللهُ الزِّنَا، وَذَلِكَ مِن خِلالِ التَّمَتُّعِ بِزَوجَاتِ الغَيرِ، وَدُونَ عِلمِ أَزوَاجِهِنَّ، فَتَحمِلُ المرأَةُ، وَلا تَدرِي هَذَا الوَلَدُ مَن يَكُونُ وَالِدُهُ، وَمِن ذَلِكَ كَثُرَ بِسَبَبِهِ الزَّواجُ مِنَ المحَارِمِ، فَمِن كَثرَةِ مَا يَتَمَتَّعُونَ صَارَ الرَّجُلُ يَتَمَتَّعُ بِالمرأَةِ، وَقَد تَكُونُ ابنَتُهُ مِن زَوجَةٍ سَابِقَةٍ كَانَ قَد تَمَتَّعَ بِهَا، أَو تَكُونُ زَوجَةَ ابنِهِ الذِي سَبَقَ أَن تَمَتَّعَ بِهَا، أَو زَوجَةَ أَبِيهِ.

وَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ السَّيدُ حُسَينٌ الموسَوِيّ: «جَاءَتنِي امرَأَةٌ تَستَفسِرُ مِنِّي عَن حَادِثَةٍ حَصَلَت مَعَهَا، إِذ أَخبَرَتنِي أَنَّ أَحدَ السَّادَةِ وَهُوَ السَّيدُ «حُسينٌ الصَّدرَ» كَانَ قَد تَمَتَّعَ بِهَا قَبلَ أَكثَرِ مِن عِشرِينَ سَنَةً، فَحَمَلَت مِنهُ، فَلَمَّا أَشبَعَ رَغبَتَهُ مِنهَا فَارَقَهَا، وَ بَعدَ مُدَّةٍ رُزِقَتْ بِبِنتٍ، وَأَقسَمَت أَنَّهَا حَمَلَت مِنهُ هُوَ، إِذ لم يَتَمَتَّع بِهَا وَقتَذَاكَ أَحَدٌ غَيرُهُ. وَ بَعدَ أَن كَبُرَت البِنتُ وَصَارَت شَابَّةً جَمِيلَةً مُتَأَهِلَةً لِلزَّوَاجِ، اكتَشَفَت الأُمُّ أَنَّ ابنَتَهَا حُبلى، فَلَمَّا سَأَلَتهَا عَن سَبَبِ حَملِهَا؛ أَخبرَتهَا البِنتُ أَنَّ السَّيدَ المذكُورَ استَمتَعَ بِهَا فَحَمِلَت مِنهُ، فَدُهِشَت الأُمُّ وَفَقَدَت صَوَابَهَا، إِذ أَخبرَت ابنَتَهَا أَنَّ هَذَا السَّيدَ هُوَ أَبُوهَا، وَأَخبرَتهَا القِصَّةَ، فَكَيفَ يَتَمَتَّعُ بِالأُمِّ، وَاليَومَ يَأتِي لِيَتَمَتَّعَ بِابنَتِهَا التِي هِيَ ابنَتُهُ هُوَ؟».

وَمِن آثَارِهِ؛ استِغلالُ أَربَابِ الهَوَى وَالفَسَادِ المُتعَةَ فِي إِشبَاعِ الغَرَائِزِ؛ لِدَرَجَةٍ وَصَلَت حَدَّ الجُنوحِ إِلى الفُجُورِ، وَإِلصَاقِ ذَلِكَ بِالدِّينِ مِن خِلالِ المتعَةِ.

وَ مِن آثَارِهِ أَيضًا؛ أَنَّ السَّادَةَ وَالمرجعِيَّاتِ الذِينَ يُبِيحُونَ هَذَا الزَّوَاجَ لِيَتِمَّ لهم مِن خِلالِهِ التَّمَتُّعَ بِبَنَاتِ النَّاسِ، يَمنعُونَ بَنَاتَهم وَأَخَوَاتَهم وَقَرِيبَاتَهم مِنَ التَّمَتُّعِ لأَنَّهُم يَستَقذِرُونَهُ لَهُم، وَيرَونَهُ كَالزِّنَا عَلى مَا يَشعُرُونَ هُم بِهِ مِن خِلالَ تَمَتُّعِهِم بِبنَاتِ الغَيرِ.

وَعَن ذَلِكَ يَروِي لَنَا السَّيدُ حُسَينٌ الموسَوِيّ رِوَايَةً وَقعَت مَعَهُ هُوَ حَيثُ يُقُولُ: «فَدَخلَ عَلينَا شَابَّانِ يَبدُوا أَنَّـهُمَا اختَلَفَا فِي مَسأَلَةٍ فَاتَّفَقَا عَلى سُؤَالِ الإِمَامِ الخُوئِيّ لِيَدُلَهُمَا عَلى الجَوَابِ.

فَسَأَلَهُ أَحَدُهُمَا قَائِلاً: سَيِّدٌ؛ مَا تَقُولُ فِي المتعَةِ أَحَلالٌ هِيَ أَم حَرَامٌ؟
نَظَرَ إِليهِ الإِمَامُ الخُوئِيّ وَقَد أَوجَسَ مِن سُؤَالِهِ أَمرَاً ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَينَ تَسكُن؟
قَالَ الشَّابُّ السَّائِلُ: أَسكُنُ الموصِلَ وَأُقِيمُ هُنَا فِي النَّجَفِ مُنذُ شَهرَينِ تَقرِيباً.
قَالَ لَهُ الإِمَامُ: أَنتَ سُنِّيٌّ إِذَن؟
قَالَ الشَّاب: نَعَم.
قَالَ الإِمَامُ: المتعَةُ عِندَنَا حَلالٌ وَعِندَكُم حَرامٌ.
فَقَالَ لَهُ الشَّاب: أَنَا هُنَا مُنذُ شَهرَينِ تَقرِيباً غَرِيبٌ فِي هَذِهِ الدِّيَار فَهَلا زَوَّجتَنِي ابنَتَكَ لأَتَمَتَّعَ بِهَا رَيثَمَا أَعُودُ إِلى أَهلِي؟
فَحَملَقَ فِيهِ الإِمَامُ هُنَيهَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَنَا سَيِّدٌ، وَهَذَا حَرَامٌ عَلى السَّادَةِ وَحَلالٌ عِندَ عَوَامِ الشِّيعَةِ.

وَ نَظَرَ الشَّابُّ إِلى السَّيِدِ الخُوئِي وَهُوَ مُبتَسِمٌ وَنَظرَتُهُ تُوحِي أَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الخُوئِي قَد عَمِلَ بِالتُّقيَةِ.

ثُمَّ قَامَا فَانصَرَفَا، فَاستَأذَنتُ الإِمَامَ الخُوئِيّ فِي الخُرُوجِ فَلَحِقتُ بِالشَّابَينِ فَعَلِمتُ أَنَّ السَّائِلَ سُنِّيٌّ وَصَاحِبَهُ شِيعِيّ اختَلَفَا فِي المتعَةِ أَحَلالٌ أَم حَرَامٌ فَاتَّفَقَا عَلَى سُؤَالِ المرجعِ الدِّينيّ الإِمَامُ الخُوئِيّ، فَلَمَّا حَادَثتُ الشَّابَينِ انفَجَرَ الشَّابُّ الشِّيعِيُّ قَائِلاً: يَا مُجرِمِينَ تُبِيحُونَ لأَنفُسِكُم التَّمَتُّعَ بِبَنَاتِنَا وَتُخبِرُونَنَا بِأَنَّهُ حَلالٌ وَأَنَّكُم تَتَقَرَّبُونَ بِذَلِكَ إِلى اللهِ، وَتُحَرِّمُونَ علينَا التَّمَتُّعَ بِبَنَاتِكُم؟

وَ رَاحَ يَسُبّ، وَ يَشتُم، وَ أَقْسَمَ أَنْ سَيَتَحَوَّلَ إِلى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّة، فَأَخَذْتُ أُهَدِئُ بِهِ، ثُمَّ أَقْسَمْتُ لَهُ أَنَّ المتْعَةَ حَرَامٌ، وَ بَيَّنْتُ لَهُ الأَدِلَّةَ عَلَى ذلك».

وَ مِنْ آثَارِهِ أيضًا؛ قَطِيعَةُ الأَرْحَامِ، وَ الوَشَائِجِ، وَ ذلكَ لِأَنَّ كثيرًا من الرَّافِضَةِ لا يَعْرِفُونَ أَنْسَابَهَمُ، وَ لا آبَاءَهُمُ، وَ لِهَذَا قَدْ يَكُون لِلْرَجُلِ إِخْوَةٌ، وَ أَخَوَاتٌ، وَ مَحَارِمِ لا يَعْرِفُهُم، لِأَنَّهُ أَصْلًا لَا يَعْرِفُ مَنْ يكون وَالِدَهُ.

وَ مِنَ الآثَارِ الأُخْرَى الخَطِيرَةِ لِزَوَاجِ المُتْعَةِ الذّي يَحِلُّهُ الرَّافِضَةُ، وَ يَتَسَامَحُ مَعَهُم وَ يَتَغَاضَى عَنْ الاخْتِلافِ مَعَهُم فيهَ كَثِيرٌ مِن دُعَاةِ التَّقَارُبِ اليَوْمَ، أَنَّهُ وَ مِنْ خِلالِ إِبَاحَةِ المتْعَةِ اسْتَطَاعَ كَثِيرٌ مِنْ دُعَاتِهِم بَثّ دَعْوَتِهِم وَ نَشْرِ مذْهَبِ الرَّفْضِ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ قَبَائِلِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَ مَا ذَلِكَ إلا مِنْ خِلالَ إِغْرَائِهِم بِهَذَا الزَّوَاجِ، وَ مُدَاعَبَةِ أَهْوَائِهِم بالقَوْلِ بِإِبَاحتِهِ.

فَقَدْ نَشَرَتْ مَجَلَةُ [المنَارِ] فِي المجَلَّدِ السَّادِسِ عَشْر رِسَالَةً لِلْشَيْخِ مُحَمَّدِ كَامِل الرَّافِعِيّ كَانَ قَدْ أَرْسَلَهَا مِنْ بَغْدَاد لِصَدِيقِهِ الشَّيْخِ رَشِيد رِضا فِي سنةِ ألفٍ وَ ثَلاث مائةٍ وَ سِتٍّ وَ عشرين للهجرَةِ ١٣٢٦ هـ، كَشَفَ لَهُ أَثْنَاءَ سِيَاحَتِهِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ مَا يَقُومُ بِهِ عُلَمَاءُ الرَّافِضَةِ مِنْ دَعْوَةِ الأَعْرَابِ إلى الدُّخُولِ فِي دِينِ الرَّفْضِ، وَ اسْتِعَانَتِهِم فِي ذَلِكَ بِإِحْلاَلِ مُتْعَةِ النِّكَاحِ لِمَشَايِخِ قَبَائِلِهِم الذِينَ يَرْغَبُونَ الاسْتِمْتَاعَ بِكَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

وَ ذَكَرَ لَنَا د. نَاصِرُ القَفَارِيّ، فِي كِتَابِهِ [أُصُولُ مَذْهَبِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ] عَنْ الحَيْدَرِيّ بَيَانًا خَطِيرًا بِالقَبَائِلِ السُّنِّيَّةِ التّي تَرَفَّضَتْ بِجُهُودِ الرَّوَافِضِ، وَ خِدَاعِهِم فِي كِتَابِهِ: [عُنْوَانُ المجْدِ فِي بَيَانِ أَحْوَالِ بَغْدَادَ وَ البَصْرَةِ وَ نَجْد]، فَيَقُولُ: (وَ أَمَّا العَشَائِرُ العِظَامُ فِي العِرَاقِ الَّذِينَ تَرَفَّضُوا مِنْ قَرِيبٍ فَكَثِيرُون، مِنْهُم: **رَبِيعَة** تَرَفَّضُوا مُنْذ سَبْعِينَ سَنَةٍ، وَ **تميمٌ**؛ وَ هي عَشِيرَةٌ عَظِيمَةٌ تَرَفَّضُوا فِي نَوَاحِ العِرَاقِ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةٍ بِسَبَبِ تَرَدُّدِ شَيَاطِينَ الرَّافِضَةِ إليهم، وَ **الخَزَاعِلُ** تَرَفَّضُوا مُنْذ أَكْثَرَ مِنْ سِتَّينَ سَنَةٍ بتَرَدُّدِ الرَّافِضَةِ إِلَيْهِم وَ عَدَمِ العُلَمَاءِ عِنْدَهُم. وَ مِنَ العَشَائِرِ المتَرَفِّضِةِ: **بَنُو عمير**، وَ هُمْ بَطْنٌ مِنْ تَمِيم، وَ **الخَزْرَج** وَ هُم بَطْنٌ مِنَ الأَزْدِ، وَ **شَمَّر** وَ هي كَثِيرَةٌ، وَ غَيْرُهَا. وَ مِنَ المترَفِّضَةِ أيضًا عَشَائِرُ **العُمَارَةِ آلُ مُحَمَّد**، وَ هِيَ لِكَثْرَتِهَا لا تُحْصَى، وَ تَرَفَّضُوا مِن قَرِيبٍ. وَ عَشِيرَةُ **بَنِي لام**، وَ هِيَ كَثِيرَةُ العَدَدِ، وَ عَشَائِرُ **الدِّيوَانِيَّة**، وَ هِيَ خَمْسُ عَشَائِرٍ؛ **آلُ أَقْرَع**، و**آلُ بُدَيْر**، وَ **عَفْجٌ**، وَ **الجِبُورِ**، وَ **جُلَيْحَة**.

ثانيًا: إِعَارَةُ الفُرُوجِ؛

وَ مَا أَدْرَاكَ مَا إِعَارَةُ الفُرُوجِ، فَإِنَّهُ وَ إِنْ كَانَ هُوَ الزِّنَا بِعَيْنِهِ مِنْ حَيْثُ الحُكْمِ الشَّرْعِيّ، إلاَ أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ طَرِيقَة مُبَاشَرَتِهِ، فَهُوَ أَفْظَعُ، وَ أَقْبَحُ، حَيْثُ أَنَّ الزُّنَاةَ يَتَسَتَّرُونَ وَ يَسْتَشْعِرُونَ الخَطِيئَةَ وَ الذَّنْبَ الذِي يَرْتَكِبُونَهُ، أَمَّا فِي إِعَارَةِ الفُرُوجِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ السَّفَرَ يَأْتِي بِزَوْجَتِه عِنْدَ

صَدِيقِهِ أَوْ جَارِهِ أَوْ قَرِيبِهِ أَوْ مَنْ شَاءَ فَيُبْقِيهَا عِنْدَهُ وَ يُبِيحُ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِهَا مَا شَاءَ طِيلَةِ فَتْرَةِ سَفَرِهِ، وَ يَأْذَنَ لَهُ التَّمَتُّعَ بِهَا لِكَيّ يَطْمَئِنَّ عَلَى زَوْجَتِهِ مِنَ الوُقُوعِ فِي الزِّنَا. وَ هُنَاكَ حَالَةٌ أُخْرَى يَعِيرُونَ فِيهَا الفُرُوجَ، وَ هِيَ إِذَا حَلّ الرَّجُلُ ضَيْفًا فَإِنَّ مِنْ دَوَاعِ إِكْرَامِ هَذَا الضَّيْفِ أَنْ يُقَدِّمَ زَوْجَتِهِ لِلْضَيْفِ، وَ يَرْوُونَ فِي ذَلِكَ رِوَايَاتٍ مَكْذُوبَةٍ، يَنْسِبُونَهَا إلى الإِمَامِ الصَّادِقِ، وَ إِلَى أَبِيهِ أَبِي جَعْفَر عَلَيْهِمُ السَّلاِمُ.

رَوَى الطُّوسِيّ فِي [الاسْتِبْصَارِ] عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَر عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الرَّجُلُ يُحِلُّ لِأَخِيهِ فَرْجَ جَارِيَتِهِ؟ قَالَ: نَعَم، لا بَأْسَ لَهُ مَا أَحَلَّ لَهُ مِنْهَا.

وَ رَوَى الكُلَيْنِيّ فِي [فُرُوعِ الكَافِي] عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ قَالَ: يَا مُحَمَّدَ، خُذْ هَذِهِ الجَارِيَةَ تَخْدُمُك، وَ تُصِيبُ مِنْهَا، فَإِذَا خَرَجْتَ فَارْدُدْهَا إِلَيْنَا.

وَ هَذَا الأَمْرُ أَفْتَى بِهِ عُلَمَاءُ الرَّافِضَةِ فِي إيران وَ العِرَاقِ، وَ هُوَ مُنْتَشِرٌ بِنَاءً عَلَى فَتَاوٍ كَثِيرَةٍ مِنْ سَادَاتِ وَ مَرْجِعِيَّاتِ الرَّافِضَةِ، يَقُولُ السَّيِّدُ حُسَين الموسَوِيّ: (زُرْنَا الحُوزَةَ القَائِمِيَّةَ فِي إِيرَان، فَوَجَدَنَا السَّادَةَ هُنَاكَ يُبِيحُونَ إِعَارَةَ الفُرُوجِ.

وَ مِمَّنْ أَفْتَى بِإِبَاحَةِ ذَلِكَ السَّيِّدُ لُطْفُ الله الصَّنَافِيّ وَ غَيْرُهُ، وَ لِذَا فَإِنَّ مَوْضُوعَ إِعَارَةِ الفَرْجِ مُنْتَشِرٌ فِي عُمُومِ إِيرَان، وَ اسْتَمَرَّ العَمَلُ بِهِ حَتَّى بَعْدَ الإِطَاحَةِ بِالشَّاهِ مُحَمَّدٍ الرِّضَا بَهْلَوِيّ وَ مَجِيء آيَةِ اللهِ العُظْمَى الإِمَامَ الخُمَيْنِيّ المُوسَوِيّ، وَ بَعْدَ رَحِيلِ الإِمَامِ الخُمَيْنِيّ إِسْتَمَرَّ العَمَلُ عَلَيْهِ»)، وَ قَالَ: (وَ مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَنَّ السَّادَةَ هُنَا - يُعنِي العِرَاق- أَفْتَوْا بِجَوَازِ إِعَارَةِ الفَرْجِ، وَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ العَوَائِلِ فِي جَنُوبِ العِرَاقِ وَ فِي بَغْدَادَ، وَ فِي مَنْطِقَةِ الثَّوْرَةِ مِمَّنْ يُمَارِسُ هَذَا الفِعْلَ بِنَاءً على فَتَاوَى كَثِيرٍ مِنَ السَّادَةِ مِنْهُم: السِّيسْتَانِيّ، وَ الصَّدْرِ، وَ الشِّيرَازِي، وَ الطَّبْطَبَائِيّ وَ غَيْرُهُم، وَ كَثِيرٌ مِنْهُم إِذَا حَلَّ ضَيْفاً عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُم اِسْتَعَارَ مِنْهُ اِمْرَأَتَهُ إِذَا رَآهَا جَمِيلَةً، وَ تَبْقَى مُسْتَعَارَةً عِنْدَهُ حَتَّى مُغَادَرَتِهِ). ا.هـ.

ثالثاً: **إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنّ؛**

وَ الَّذِي لاَ يُخْفَى عَلَى عَاقِلٍ مَدَى الأَضْرَارِ الجَسِيمَةِ التّي تَلْحَقُ بِالمجْتَمَعِ عَامَّةً جَرَّاءَ الوُطْءِ فِي الدُّبُرِ عَدَى اِنْتِكَاسَةَ الفِطْرَةِ وَ العِيَاذُ بِالله.

وَ هُنَاكَ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةَ وَ الصَّرِيحَةُ فِي لَعْنِ فَاعِلِهَا وَ تَحْرِيمِ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ، وَ

اللهُ تعَالَى يقُولُ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ} [البقرة:٢٢٢]، فَهَذِهِ الآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يَحِلُّ إِتْيَانَ المَرْأَةِ فِي دُبُرِهَا؛ إِذْ لَوْ كَانَ جَائِزًا لِمَا كَانَ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى فِي اِعْتَزَالِ النِّسَاءِ فِي المَحِيضِ مَعْنًى، فَلَيْسَ الحَيْضُ فِي الدُبُرِ وَ إِنَّمَا فِي القُبُلِ، وَ الأَمْرُ بِاعْتِزَالِهَا يَدُلُّ عَلَى أمرِ اعْتِزَالِ وُطْئِهَا فِي القُبُلِ، وَ الرَّافِضِةُ -رَفَضَهُمُ اللهُ- يَحِلُّونَ ذَلِكَ، وَ يَأْتُونَ بِرِوَايَاتٍ يَزْعُمُونَ زُورًا وَ كَذِبًا نِسْبَتِهَا إِلَى أَئِمَّةِ آلِ البَيْتِ كَمَا يَتَأَوَّلُونَ آياتِ القُرْآنِ بِالبَاطِلِ من بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُم.

وَ مِّمَا جَاءَ عِنْدَهُم فِي ذَلِكَ مَا ذُكِرَ فِي [الاسْتِبْصَارِ]، مَا رَوَاهُ الطُّوسِيّ عَنْ عبدَ الله بن أَبِي اليَعْفُور: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلاَمِ عَنْ الرَّجُلِ يَأْتِي المَرْأَةَ مِنْ دُبُرِهَا قَالَ: لاَ بَأْسَ إِذَا رَضِيَتْ، قُلْتُ: فَأَيْنَ قَوْلُ اللهِ تعَالَى: {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ} [البقرة:٢٢٢]، فَقَالَ: هَذَا فِي طَلَبِ الوَلَدَ، فاطْلُبُوا الوَلَدَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ، إِنَّ اللهَ تعَالَى يقُولُ: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة:٢٢٣].

وَ رَوَى الطُّوسِيّ أَيْضًا عَنْ مُوسَى بن عَبْدِ المَلِكِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاِم عَنْ إِتْيَانِ الرَّجُل المَرْأَةَ مِنْ خَلْفِهَا فِي دُبُرِهَا فقَالَ: أَحَلَّتْهَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، قَوْلِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلاَمِ: {هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [هود:٧٨]، فقَدْ عَلِمَ أَنَّهُم لاَ يُرِيدُونَ الفَرْجَ. ا.هـ. وَ العِيَاذُ باللهِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ يَتَأَوَّلُونَ كَلاَمَ اللهِ بِالبَاطِلِ لِيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ، فَإِنَّ اللهَ تعَالَى لاَ يَحِلُّ الخَبَائِث وإتيانُ الدُّبُرِ مِنَ الخَبَائِثِ التِّي حَرَّمَهَا اللهُ بِالجُمْلَةِ، وَ قَدْ أَوْرَدَ السَّيِّدُ حُسَيْن المُوسَوِيّ رَدًّا شَافِيًا عَلَى تَأَوّلِهِم هَذَا بِقَوْلِهِ: (إِنَّ تَفْسِيرَ الآيَةِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [هود:٧٨]، قَدْ وَرَدَ فِي آيَةٍ أُخْرَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} [العنكبوت:٢٨-٢٩]، وَ قَطْعُ السَّبِيلَ لاَ يُعْنِي مَا يَفْعَلُهُ قُطَّاعِ الطُّرُقِ وَحْدَهُم، لاَ.. وَ إِنَّمَا مَعْنَاهُ أَيْضًا قَطْعُ النَّسْلِ بِالإِتْيَانِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ طَلَبِ الوَلَدِ أَيّ فِي الأَدْبَارِ، فَلَو اِسْتَمَرَّ النَّاسُ فِي إِتْيَانِ الأَدْبَارِ -أَدْبَارِ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ- وَ تَرَكُوا أَيْضًا طَلَبَ الوَلَدِ لاَنْقَرَضَتْ البَشَرِيَّةُ وَ انقَطَعَ النَّسْلُ، فَالآيَةُ الكَرِيمَةُ تُعْطِي هَذَا المعْنَى أَيْضَاً وَ بِخَاصَّة إِذَا لاَحَظْنَا سِيَاقَ الآيَةِ مِّمَا قَبْلَهَا. وَ لا مِرْيَةَ أَنَّ هَذَا لاَ يَخْفَى عَلَى الإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلاَم، فَثَبَتَ بِذَلِكَ كَذِبُ نِسْبَةِ تِلْكَ الرِّوَايَة إِلَيْهِ.) ا.هـ

وَ لَقَدْ تَفَكَّرْتُ فِي حَالِ هَؤُلاَءِ طَوِيلاً، وَ **مَا الَّذِي أَوْصَلَهُم إلى هَذَا الحَدِّ المُرِيعِ مِنَ الفَسَادِ**، إِذْ هُمْ فِي الظَّاهِرِ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمِ، وَ بِالتَّالِي يَدَّعُونَ العِفَّةَ، وَ الطَّهَارَةِ، وَ هُمْ مِنْ قَبَائِلَ عَاشَتْ بَيْنِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَ تَزَيَّتْ بِزِيِّ الاحْتِشَامِ، فَقَدْ وَصَل بِهِمْ الفَسَادُ إِلَى حَدٍّ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الأُمَمِ، **فَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى أَكْثَرِ المَنَاطِقِ إِبَاحِيَّةٍ فِي أُورُوبَّا وَ أَمرِيكَا وَ غَيْرِهَا، وَجَدْنَا هَؤُلاء الرَّوَافِض قَدْ سَبَقُوهُم سَبْقًا بَعِيدا**، بَلْ وَ نَجِدُ أَنَّ كَثِيرا مِنَ القَوَانِينَ التِّي تَحْكُمُ هَؤُلاء تَسْتَقْذِرُ وَ تَسْتَنْكِرُ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الأَفْعَالِ المخْزِيَةِ وَ المخْجِلَةِ وَ إِنْ فَعَلَتْهَا شُعُوبُهُم!.

فَمَثلاً؛ نِكَاحُ المَحَارِمِ مَمْنُوعٌ فِي تِلْكَ القَوَانِينَ، وَ كَذَلِكَ الخِيَانَةُ الزَّوْجِيَّةُ فَضْلاً عَنِ الشُّذُوذِ الجِنْسِيّ وَ غَيْرِهِ، وَ إِنْ مَارَسُوهُ، فَإِنَّهُم يُمَارِسُونَهُ شَهْوَةً لاَ دِيناً.

أَمَّا هَؤُلاءِ الرَّاوَفِض الملاعِين فَكُلُّ شَيءٍ مُبَاحٌ بِاسمِ الدِّينِ؛ فَتَجِدُ فِي البَيتِ الوَاحِدِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحيَانِ عَدَدَاً مِنَ الأَبنَاءِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنهُم مِن أَبٍ مُختَلِفٍ نَتِيجَةَ المتعَةِ التي أَبَاحُوهَا بِاسمِ الدِّينِ.

وَلِذَلِكَ تَلحَظُ أَنَّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ ظَاهِرَةٌ في هَذِهِ الطَّائِفَةِ. بَل إِنَّهُم مِن أَغلَظِ النَّاسِ قُلُوبًا فِيمَا بَينَهُم!.

كَيفَ لا! وَقَد اختَلَطَت مِيَاهُ الأَنسَابِ بَينَهُم.. فَمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ في أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ وَاللاحِقَةِ مِنَ الفَسَادِ الأَخلاقِي؛ فَفِي الرَّافِضَةِ أَضعَافُ أَضعَافِهِ!

بَل إِنَّ البَهَائِمَ العَجمَاوَاتِ تَستَقبِحُ وَتَرفُضُ فِطرَتها أَن تَفعَلَ مِثلَ مَا يَفعَلُ هَؤُلاءِ.

وَ قَد حَدَّثَنِي أَحَدُ إِخوَانِي الثِّقَاتِ بِحَادِثَةٍ رَآهَا بِأُمِّ عَينَيْهِ فَيَقُولُ: «رَأَيتُ فِي مُقتَبَلِ حَيَاتِي حَادِثَةً لم أَرَ مِثلَهَا قَطّ في غِيرَةِ ثَورٍ قَتَلَ نَفسَهُ بَعدَ أَن عُصِبَت عَينَاهُ لِيَطَأَ أُمَّهُ، فَجَاءَت بِهِ جَدَّتِي تَجُرُّهُ إِلى وَالِدَتِهِ، وَهُوَ لا يَعلَمُ أَنَّهَا أُمَّهُ، لأَنَّهُ مَعصُوبُ العَينَينِ.

وَ بَعدَ عَمَلِيَّةِ التَّلقِيحِ كَشَفَت عَينَه، وَأَيقَنَ بِأَنَّهُ أَتَى أُمَّهُ... فَمَا كَانَ مِن ذَلِكَ الثَّورِ إلا أَن قَامَ هَائِجاً وَثَائِراً يُنَاطِحُ الجِدَارَ بِرَأسِهِ حَتَّى سَالَت مِنهُ الدِّمَاءُ الغَزِيرَةُ وَهُوَ يَتَحَرَّكُ بِجُنُونٍ وَهَيَجَانٍ، ثم اتَّجَهَ إِلَى نَهرِ دِجلَةَ وَالدَّمُ يَقطُرُ مِن جَسَدِهِ، وَأَلقَى بِنَفسِهِ فِي النَّهرِ حَتَّى غَرِقَ وَمَاتَ مِن جَرَّاءِ ذَلِكَ..!.

لأنَّ الغيرَةَ أخَذَتهُ عَلَى أُمِّهِ، وَهُوَ دَابَّةٌ قَد استُبِيحَ لها ذَلِكَ فِطرَةً وَجِبلَّةً، فَقُلتُ في نَفسِي آنَ ذَاكَ: البَهَائِمُ تأنَفُ الزِّنَا بِالمحَارِمِ، وَتغَارُ عَلى حَرِيمِهَا؛ فَكَيفَ بِالبَشَرِ لا يَعقِلُ ذَلِكَ؟».

و قَد أخرجَ البُخَارِيُّ عَن مَيمُونٍ بنُ مَهرَانٍ أنَّهُ رَأَى في الجَاهِلِيَّةِ قِردَةً زَنَت فَاجتَمَعَ عَليهَا القِرَدَةُ فَرَجَمُوهَا.

وَرَوَى مُسلِمٌ مِثلَهُ عَن أَبِي رَجَاءٍ العَطَارِدِيّ..

فَنَعُوذُ بِاللهِ مِن أُمَّةِ البَهائِمِ العَجمَاوَاتِ التي لا تَعقِلُ، فِطرَتُهَا أَصفَى وَأَنقَى مِنهَا.

و عَلِمَ اللهُ أَنَّنِي تَفَكَّرتُ في حَالِ هَؤُلاءِ طَوِيلاً، وَمَا الذِي أَوصَلَهُم إلى هَذَا الحَدِّ كَمَا أَسلَفتُ؛ فَتَبَيَّنَ لي أَنَّ الذِي أَوصَلَ هَؤُلاءِ إلى هَذَا المستَنقَعِ الآسِنِ **هُوَ أَنَّ الجَزَاءَ مِن جِنسِ العَمَلِ، وَمِثلَمَا تُدِينُ تُدَانُ، فَعِندَمَا تَجَرَّأَ هَؤُلاءِ عَلى الطَّعنِ في خَيرِ بَيتٍ وُجِدَ عَلى وَجهِ الأَرضِ، أَلا وَهُوَ بَيتُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، إذ تَجَرَّؤُوا عَلَى ذَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ** إذ قَالُوا كَمَا نَقَلَ السَّيدُ «حُسينٌ الموسَوِيّ» عَن «عَلِيٍّ الغُروِيّ»، أَحَدُ أَكبَرِ العُلَمَاءِ في الحَوزَةِ: «إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَ آلِهِ، لابُدَّ أَن يَدخُلَ فَرجُهُ النَّارَ لأَنَّهُ وَطِئَ بَعضَ المشرِكَاتِ»! يُرِيدُ بِذَلِكَ زَوَاجَهُ مِن عَائِشَةَ وَحَفصَةَ.

و هَذَا كَمَا هُوَ مَعلُومٌ بِهِ إسَاءَةٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، وَسُوءَ ظَنٍّ بِهِ وَبِاللهِ سُبحَانَهُ الذِي أَرسَلَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ كُفرٌ وَضَلالٌ لم يَتَجَرَّأ عَلَى قَولِهِ كَافِرٌ سِوَاهُم.

كَمَا اتَّهَمُوا أُمَّهَاتِ المُؤمِنِينَ، وَعَلَى رَأسِهِنَّ أُمُّنَا المُبَرَّأَةُ المُطَهَّرَةُ الصَّافِيَةُ النَّقِيَّةُ الصِّدِّيقَةُ بِنتُ الصِّدِّيقِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهَا، وَلَم يُرَاعُوا حُرمَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ في عَرضِهِ وَبَيتِهِ.

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ مَزَّقَ اللهُ أَعرَاضَهُم شَرَّ تَمزِيقٍ، فَلَيسَ هُنَاكَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ ابتُلِيَت بِعِرضِهَا كَمَا هُم الرَّوَافِض، وَلِذَلِكَ تَرَى أَنَّ عِرْضَ الرَّافِضِيّ لا يُسَاوِي عِندَهُ شَيئًا، وَإِن أَظهَرَ خِلافَ ذَلِكَ.

و لا يَفُوتُنَا أَن نُثبِتَ هُنَا أَنَّ مَن يَذُبُّ وَيُدَافِعُ عَن صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، وَنَخُصُّ مِنهُم أُمَّهَاتُ المؤمِنِينَ فَسَيَذُبُّ اللهُ عَنهُ وَعَن عِرضِهِ، وَيَحفَظَهُ لَهُ بِإذنِ اللهِ؛ لِدِفَاعِهِ هَذَا.

فَكَمَا هُوَ مَعرُوفٌ شَرعًا؛ الجَزَاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ.

وَ لا نَنسَى هُنَا أَن نَذكُرَ كَلامَ الإِمَامِ الشَّوكَانِيِّ حَولَ مُشَاهَدَاتِهِ الشَّخصِيَّةِ وَتَجَارِبِهِ مِن خِلالِ مُعَايَشَتِهِ لِرَافِضَةِ اليَمَنِ، فَكَشَفَ لَنَا أُمُوراً عَجِيبَةً وَخَطِيرَةً فِي كِتَابِهِ [طَلَبُ العَلمِ وَطَبَقَاتُ المتَعَلِّمِينَ]، نَقلاً عَن د. «القَفَارِي» مِن كِتَابِهِ «أُصُولُ مَذهَبِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ»، فَقَالَ: «لا أَمَانَةَ لِرَافِضِيٍّ قَطّ عَلى مَن يُخَالِفُهُ فِي مَذهَبِهِ وَيَدِينُ بِغَيرِ الرَّفضِ، بَل يَستَحِلُّ مَالَهُ وَدَمَهُ عِندَ أَدنَى فُرصَةٍ تَلُوحُ لَهُ، لأَنَّهُ عِندَهُ مُبَاحُ الدَّمِ وَالمالِ، وَكُلُّ مَا يُظهِرُهُ مِنَ المَوَدَّةِ فَهُوَ تُقيَةٌ يَذهَبُ أَثَرُهُ بِمُجَرَّدِ إِمكَانِ الفُرصَةِ»

وَ يَقُولُ: «وَقَد جَرَّبنَا هَذَا تَجرِيباً كَثِيراً فَلَم نَجِد رَافِضِيَّاً يُخلِصُ المَوَدَّةَ لِغَيرِ رَافِضِيٍّ، وَإِنْ آثَرَهُ بِجَمِيعِ مَا يِملِكُهُ، وَتَوَدَّدَ إِليهِ بِكُلِّ ممكن، وَلَم نَجِد فِي مَذهَبٍ مِنَ المَذَاهِبِ المبتَدَعَةِ وَلا غَيرِهَا مَا نَجِدُهُ عِندَ هَؤُلاءِ مِنَ العَدَاوَةِ لِمَن خَالَفَهُم، ثُمَّ لا نَجِدُ عِندَ أَحَدٍ مَا نَجِدُ عِندَهُم مِنَ التَّجَرُّئِ عَلى شَتمِ الأَعرَاضِ المحتَرَمَةِ، فَإِنَّهُ يَلعَنُ أَقبَحَ اللَّعنِ، وَيَسُبُّ أَفظَعَ السَّبِّ، كُلَّ مَن تَجرِي بَينَهُ وَبَينَهُ أَدنَى خُصُومَةٍ وَأَحقَرَ جِدَالٍ، وَأَقَلَّ اختِلافٍ، وَلَعَلَّ سَبَبَ هَذَا وَاللهُ أَعلَمُ أَنَّهُم لما تَجَرَّؤُا عَلَى سَبِّ السَّلَفِ الصَّالِحِ هَانَ عَلَيهِم سَبُّ مَن عَدَاهُم، وَلا جَرَمَ، فَكُلُّ شَدِيدِ ذَنبٍ يُهَوِّنُ مَا دُونَهُ».

وَ قَد أَشَارَ الشَّوكَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- إِلى أَنَّهُم لا يَتَوَرَّعُونَ مِن اقتِرَافِ أَيِّ جَرِيمَةٍ فِي المجتَمَعِ الإِسلامِيِّ، وَلا يَتَنَزَّهُونَ عَن فِعلِ أَيِّ مُحَرَّمٍ، فَقَالَ: «وَقَد جَرَّبنَا وَجَرَّبَ مَن قَبلَنَا فَلَم يَجِدُوا رَجُلاً رَافِضِيَّاً يَتَنَزَّهُ عَن مُحَرَّمَاتِ الدِّينِ كَائِناً مَن كَانَ وَلا تَغتَرَّ بِالظَّوَاهِرِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَد يَترُكُ المعصِيَةَ فِي المَلأ وَيَكُونُ أَعَفَّ النَّاسِ عَنهَا فِي الظَّاهِرِ، وَهُوَ إِذَا أَمكَنَتهُ فُرصَةٌ انتَهَزَهَا انتِهَازَ مَن لا يَخَافُ نَارَاً وَلا يَرجُو جَنَّةً» أ.هـ.

فَلا تَكَادُ تَجِدُ بَيتَاً رَافِضِيًّا إِلا وَقَد عَاقَبَ اللهُ أَهلَهُ فِي أَعرَاضِهِم، وَ الجَزَاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ.

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

وَ عُضْوُ مَجْلِسِ شُوْرَى المُجَاهِدِينَ فِيْ العِرَاق
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

الخطاب الحادي و الأربعون

سِلسِلَةُ مُحَاضَراتِ:
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الرَّافِضَةِ

الجُزءُ الثَّالِثُ

٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ
١ يونيو/حزيران ٢٠٠٦ م

بِصَوْتِ الشَيخ
أَبِيْ مُصْعبٍ الزّرْقَاوِي (رَحِمَهُ الله)

بِسمِ اللهِ، وَالحمدُ للهِ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلى سَيِّدِ الأَنبِيَاءِ وَالمرسَلِينَ، مُحَمَّدٌ وَعَلى آلِهِ وَصَحبِهِ الأَحرَارِ، وَمَن تَبِعَهُم وَسَارَ عَلَى نَهجِهِم مِنَ المسلِمِينَ الأَبرَارِ... وَبَعد:

فَلا بُدَّ بَعدَ هَذَا الاستِعرَاضَ التَّارِيخيَّ لِجُملَةٍ مِن فَضَائِحِ وَخِيَانَاتِ الرَّافِضَةِ؛ أَن نُنَوِّهَ لِأَمرٍ مُهِمٍّ جِدًّا؛

أَلا وَهُوَ أَنَّنَا حِينَ نَذكُرُ طَرَفًا مِن خِيَانَاتِ وَجَرَائِمِ الرَّافِضَةِ وَنُذَكِّرُ بِأَصلِ عَقِيدَتِهِم الفَاسِدَةِ، وَأَنَّ المؤَسِّسَ لهَذَا الدِّينَ هُوَ اليَهُودِيُّ الحَاقِدُ ابنَ سَبَأ، وَحِينَ نَربطُ فُرُوعَهُم الحَالِيةَ بِأُصُولِهِم المَاضِيَةَ، وَحِيَن نَقُومُ إِزَاءَ هَذِهِ الجَرَائِمِ بمَا نَقُومُ بِهِ مِن تَحكِيمٍ لِدِينِ اللهِ تَعَالى فِيهِم قَتلًا وَتَنكِيلاً؛ **فَإِنَّنَا وَالحَالَةُ هَذِهِ، لَسنَا وَاللهِ بِدَعاً مِنَ المُجَاهِدِينَ، وَإِنَّمَا نَحنُ نُطَبِّقُ عَلَيهِم حُكمَ اللهِ كَمَا طَبَّقَهُ فِيهِم خِيرَةُ أَسلافِنَا.**

فَهَاهُو أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ لم يُجَامِل، وَلَم يُهَادِن في دِينِ اللهِ، وَلَم يَبحَث عَن أَنصَافِ الحُلُولِ إِزَاءَ مَن ادَّعُوا مَحبَّتَهُ وَمُشَايَعَتَهُ، بَل إِنَّهُ حَرَّق الغَالِيَةَ مِنهُم الذِينَ يَدَّعُونَ فِيهِ الأُلُوهِيَّةَ، أَو جُزءاً مِنهَا.

وَ هَا هُوَ يَحكُمُ بِجلدِ مَن يَسُبُّ صَاحِبَي الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ؛ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا.

وَ هَا هُوَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَنبُذُهُم كَمَا نَبَذُوا عُهُودَهُم، يَتَبَرَّأُ مِنهُم وَيَتَنَازَلُ عَن الخِلافَةِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، فَيُبَايِعَهُ حَقنًا لِدِمَاءِ المسلِمِينَ، وَمُخَالَفَةً لأَهوَائِهِم وَشَهَوَاتِهِم، حَيثُ طَالَبُوهُ بِمُقَاتَلَتِهِ.

وَ هَذَا الحُسَينُ يَدعُو عَلِيهِم وَمِن مَصَادِرِهِم بَعدَ أَن خَذَلُوهُ وَتَخَلوا عَنهُ قَبلَ مَقتَلِهِ فَيَقُولُ: «اللهُمَّ إِن مَتَّعتَهُم إِلى حِينٍ فَفَرِّقهُم فِرَقًا، وَاجعَلهُم طَرَائِقَ قِدَدَاً، وَلا تُرضِ الوُلاةَ عَنهُم أَبَدًا؛ فَإِنَّهُم دَعُونَا لِيَنصُرُونَا ثُمَّ عَدُوا عَلَينَا فَقَتَلُونَا».

وَ هَذَا الخَلِيفَةُ المَهدِيِّ العَبَّاسِيِّ، عُرِفَ بِشِدَّتِهِ عَلى مُبتَدِعِيهِم وَزَنَادِقَتِهِم، حَيثُ انتَشَرَت فِي العَهدِ العَبَّاسِيِّ بِدَعُهُم وَرَاجَت سُوقُهُم، حَتَّى إِنَّهُ كَلَّفَ الجَدَلِيِّينَ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ بِتَأْلِيفِ الكُتُبِ فِي الرَّدِّ عَلَيهِم وَدَحضِ شُبَهِهِم، وَلَم يَكتَفِ بِذَلِكَ؛ بَل أَنشَأَ هَيئَةً مُتَخَصِّصَةً فِي مُلاحَقَةِ الزَّنَادِقَةِ، وَجَعَلَ لها رَئِيسَاً أَطلَقَ عَلَيهِ اسمَ «صَاحَبُ الزَّنَادِقَةِ» يُلاحِقُهُم وَيَقتُلُ كَلَّ مَن دَاهَنَ عَن الدِّينِ أَو أَلحَدَ فِيهِ.

و فَوقَ ذَلِكَ، كَلَّفَ ابنَهُ «الهَادِي» بِتَتَبُّعِ الزَّنَادِقَةِ وَالبَطش بِهِم.

قَالَ «المسعُودِيُّ» فِي «المهدِيِّ»: « إِنَّهُ أَمعَنَ فِي قَتلِ المُلحِدِينَ وَالمُدَاهِنِينَ عَن الدِّينِ لِظُهُورِهِم فِي أَيَّامِهِ وَإِعلانِهِم عَن مُعتَقَدَاتِهِم فِي خِلافَتِهِ، لِمَا انتَشَرَ مِن كُتُبِ «مانِي» و«ابن ذي صانا» و«مرقيون» مِمَّا نَقَلَهُ عَبدُ اللهِ بنُ المُقَفَّعِ وَغَيرُهُ وَتَرجَمَهُ مِن الفَارِسِيَّةِ وَالفَهلَوِيَّةِ إِلى العَرَبِيَّةِ.

وَ مَا صَنَّفَ فِي ذَلِكَ «ابنُ أَبِي العَوْجَاءِ» و«حَمَّادٌ» و«يحيَى بنُ زِيَادٍ» و«مُطِيعُ بنُ إِيَاسٍ» مِن تَأْيِيدِ المَذَاهِبِ «المَانَوِيَّةِ» و«الدَّيصَانِيَّةِ» و«المرقُونِيَّةِ»، فَكَثُرَ بِذَلِكَ الزَّنَادِقَةُ، وَظَهَرَت آرَاؤُهُم فِي النَّاسِ، وَكَانَ المَهدِيُّ أَوَّلَ مَن أَمَرَ الجَدَلِيِّينَ مِن أَهلِ البَحثِ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ بِتَصنِيفِ الكُتُبِ فِي الرَّدِّ عَلى المُلحِدِينَ مِمَّن ذَكَرنَا مِنَ الجَاحِدِينَ وَغَيرِهِم، وَأَقَامُوا البَرَاهِينَ عَلَى المُعَانِدِينَ، وَأَزَالُوا

شُبَهَ الملحِدِينَ فَأَوضَحُوا الحَقَّ لِلشَّاكِينَ» ا.هـ.

وَ أَمَّا السَّلاجِقَةُ الأَتـرَاكُ مِن أَهلِ السُّنَّةِ فَقَد كَانَ لهُم كَذَلِكَ مَوَاقِفُ حَاسِمَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ البَّاطِنِيَّةِ وَقِتَالِهِم... وَمِن ذَلِكَ مَا كَانَ مِن السُّلطَانِ «مَلِك شَاه» مِن إرسَالِ أَحَدِ عُلَمَائِهِ لِمُنَاظَرَةِ «الحَسَنِ بن صَالِح الصَّبَّاح» المؤَسِّسُ الحَقِيقِيُّ لِلمَزَارِيَّةِ الإسمَاعِيلِية، وَرَئِيسِهَا الفِعلِيِّ، بَعدَ استِيلائِهِ عَلى قَلعَةِ «آلموت» عَامَ ٤٨٣ هـ، وَبَعدَ أَن نَشَرَ جَيشَهُ مِنَ الفِدَائِيَّةِ الذِينَ كَانُوا يَعِيثُونَ في الأَرضِ فَسَادًا؛ يَغتَالُونَ الآمِنِينَ، وينهَبُونَ أَموَالهُم؛ فَأَرسَلَ إِليهِ أَولاً مَن يُنَاظِرُهُ فِكرِيًّا لِرَدِّهِ إِلى جَادَّةِ الصَّوَابِ لَو كَانَ مُرِيدَ حَقٍّ وَصَاحِبَ شُبهَةٍ.

وَ لمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ صَاحِبُ هوىً وَشَهوَةٍ وَرَأَى امتِنَاعَهُ؛ قَرَّرَ السُّلطَانُ «مَلِك شَاه» رَدعَهُ بِالقِتَالِ؛ فَأَرسَلَ لَهُ جَيشَاً عَامَ ٤٨٥ هـ فَحَاصَرَ قَلعَتَهُ «أَلموت»، فَاستَنجَدَ «الصَّبَاحُ» فِي قَزوِينَ «بِدَهدَار أَبِي عَلِيّ» الذِي بِدَورِهِ هَبَّ لِنَجدَتِهِ مِمَّا أَلحقَ الهَزِيمَةَ بِجَيشِ «مَلِكِ شَاه»، وَمَعَ ذَلِكَ لم يَتَوَقَّف «مَلِكُ شَاه» مِن مُوَاصَلَةِ جِهَادِهِ ضِدَّ هَذَا البَاطِنِيّ؛ بَل رَاحَ يُجَهِّزُ حَمَلاتٍ أُخرَى لِلقَضَاءِ عَلَى البَاطِنِيَّةِ، إلا أَنَّ الموت حَالَ دُونَهُ وَدُونَ إكمَالِ هَذِهِ الحَربِ.

وَ بَعدَ مَوتِ «مَلِك شَاه»؛ تَوَلى ابنَهُ السُّلطَانُ «بَارتِيَار» السُّلطَةَ، فَكَانَ مِن أَهَمِّ أَعمَالِهِ أَن طَهَّرَ جَيشَهُ مِن هَؤُلاءِ الذِينَ كَانُوا يَندَسُّونَ بَينَ صُفُوفِ الجُنُودِ وَهُم يَحمِلُونَ الفِكرَ وَالحِقدَ البَاطِنِيَّ؛ فَقَتَلَ كُلَّ مَن ثَبَتَ عَلَيهِ تُهمَةُ الانتِسَابِ لِلبَاطِنِيَّةِ، أَو حَتَّى مَن حَامَت حَولَهُ الشُّبَهُ، ثُمَّ هَاجَمَ البَاطِنِيَّةَ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَأُخِذُوا مِن خِيَامِهِم وَمَنَازِلِهِم، وَقُتِلُوا فِي مَيدَانٍ عَامٍّ، وَلَم يُفلِت مِنهُم إلا مَن لم يُعرَف، وَبَلَغَ عَدَدُ القَتلَى مِنهُم ثَلاثُمَائَةٍ وَنَيِّفاً.

وَ لم يَكتَفِ بِذَلِكَ؛ بَل إِنَّهُ أَذِنَ لِلنَّاسِ أَن يَقتُلُوهُم أَينَمَا ثَقِفُوهُم؛ فَأَخَذَ النَّاسُ يَتَتَبَّعُونَ البَاطِنِيَّةَ وَيَقتُلُونَهُم، حَتَّى أَنَّ أَحَدَ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَاسمُهُ «أَبِي القَاسِمِ مَسعُودُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَجَندِيّ» كَانَ يَحفِرُ الأَخَادِيدَ، وَيُوقِدُ فِيهَا النِّيرَانَ وَيحرِقُ البَاطِنِيَّةَ فِيهَا فُرَادَى وَجَمَاعَاتٍ، حَتَّى أَنَّهُ أَوعَزَ لِعُمَّالِهِ وَأُمَرَائِهِ في الأَقَالِيم التَّابِعَةِ لهُ بِتَتَبُّعِ البَاطِنِيَّةِ وَالفَتك بِهِم؛ فَفَتَكَ بِهِم الأَمِيرُ «جَاولِي» مَا يُقَارِبُ الثَّلاثِمَائَةَ وَذَلكَ بِحِيلَةٍ دَبَّرَهَا مَعَ أَصحَابِهِ مِن دَاخِلِ صُفُوفِ البَاطِنِيَّةِ؛ حَتَّى استَطَاعَ أَن يَظفَرَ بِهِم وَيَقتُلَهُم.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرسَلَ إِلى الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ فِي بَغدَادَ يُشِيرُ عَلَيهِ بِأَن يَتَتَبَّعَ البَاطِنِيَّةَ فِي بِلادِهِ، فَأَمَرَ بِالقَبضِ عَلَى كُلِّ مَن يَظُنُّ فِيهِم ذَلِكَ.

وَ فِي ذَلِكَ يقُولُ ابنُ الجَوزِيِّ فِي [المنتَظَم]: «وَلَم يتَجَاسر أَحَدٌ أَن يَشفَعَ فِي أَحَدٍ لِئَلا يُظَنَّ مَيلُهُ إِلَى ذَلِكَ المذهَبِ».

وَتعَاوَنَ مَعَ أَخِيهِ السُّلطَانُ «سَنجَر» فِي مُحَارَبَةِ البَاطِنِيَّةِ وَالقَضَاءِ عَليهِم.

وَ فِي عَامِ ٥٢١ هـ، أَغَارَ السُّلطَانُ «سَنجَر» عَلَى البَاطِنِيَّةِ فِي قَلعَةِ «آلمُوت»؛ فَقَتَلَ مِنهُم مَا يُقَارِبُ الإِثنَيْ عَشَرَ أَلفاً.

وَ فِي عَامِ ٤٥٦ هـ، أَرسَلَ السُّلطَانُ «سَنجَر» أَحَدَ أُمَرَائِهِ، الأَمِيرُ «قَجَق» عَلَى رَأسِ جَيشٍ كَبِيرٍ إِلَى قَلعَةِ «طُرَيثِيث» فَأَغَارَ عَليهَا وَأَحرَقَ مَسَاكِنَهَا وَسَبَى مَا وَقَعَ عَليهِ يَدَيهِ، وَفَعَلَ بِهِم الأَفَاعِيلَ العَظِيمَةَ، ثُمَّ عَادَ سَالِمَاً.

وَ أَمَّا فِي عَهدِ السُّلطَانِ «مُحَمَّدٌ السَّلجُوقِيِّ»، وَالذِي عُرِفَ بِغِيرَتِهِ الدِّينِيَّة وَجِهَادِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَتفَانِيهِ فِي نَشرِ المذهَبِ السُّنِّيِّ، وَالقَضَاءِ عَلَى دِينِ الرَّافِضَةِ وَ الفِكرِ البَاطِنِيِّ، فَقَد أَدرَكَ مُنذُ تَولِيهِ السُّلطَةَ أَنَّهُ لا يُمكِن أَن تَسلَمَ بِلادُ المسلِمِينَ وَيَعلُوهَا دِينُ اللهِ إِلا بِالقَضَاءِ أَوَّلاً عَلَى البَاطِنِيَّةِ وَهَدمِ مَعَاقِلِهِم، وَأَنَّ مِن أَهَمِّ الأَعمَالِ التِي يَجِبُ عَليهِ القِيَامُ بِهَا هُوَ القَضَاءُ عَليهِم، فَكَانَ مِن أَهَمِّ أَعمَالِهِ التِي قَامَ بِهَا؛ إِرسَالُهُ حَملَةً عَسكَرِيَّةً بِقِيَادَةِ الأَمِيرِ «آق سَنقر» لِمُحَاصَرَةِ قَلعَةِ «تكرِيت» البَاطِنِيَّة، ثُمَّ قَامَ بِالقَبضِ عَلى وَزِيرِهِ «أَبِي المحَاسِنِ الآبِيِّ» لِتوَاطُئِهِ مَعَ البَاطِنِيَّةِ، وَتقدِيمِهِ العَونَ وَالدَّعمَ لهُم، الأَمرُ الذِي تَسَبَّبَ فِي تَأخِيرِ سُقُوطِ قَلعَةِ «أَصبهَان»؛ فَعَاقبَهُ وَأَربَعَةً مِن أَعوَانِهِ فَقَتَلَهُم ثُمَّ صَلَبَهُم عَلى بَابِ «أَصبهَان»، وَقَامَ بِمُحَاصَرَةِ قَلعَةِ «أَصبهَانَ» بِنَفسِهِ؛ حَيثُ سَارَ إِليهَا عَلَى رَأسِ جَيشٍ كَبِيرٍ بَعدَ أَن كَثُرَ بِهَا أَذَى البَاطِنِيَّةِ، حَتَّى أَنَّ دَاعِيهُم زَعِيمُ البَاطِنِيَّةِ «أَحمَدٌ بنُ عَطَّاشٍ» الذِي كَانَ يُرسِلُ أَتبَاعَهُ مِنهَا لِقَطعِ الطَّرِيقِ عَلى النَّاسِ فَيَقتُلَ الأَبريَاءَ، وَيَنهَبَ الأَموَالَ مُستَحِلِّينَ تِلكَ النُّفُوسِ وَالأَموَالِ بِدِينِهِم، حَتَّى أَنَّهُم جَعَلُوا عَلَى القُرَى المجَاوِرَةِ لَهُ وَ أَملاكَ النَّاسِ الضَّرَائِبَ التِي تُجبَى مُقَابِلَ أَن يَكُفُّوا بَأسَهُم عَنهَا.

فَحَاصَرَهُم السُّلطَانُ «مُحَمَّدٌ» فِي هَذِهِ القَلعَةِ لِمدَّةِ أَربَعَةِ أَشهُرٍ، وَأَثنَاءَ الحِصَارِ؛ لَجِئُوا إِلَى حِيلَةٍ خَبِيثَةٍ يَرومُونَ مِن خِلالِها إِثَارَةَ البَلبَلَةِ وَالشُّبَهِ حَولَ مَوقِفِ السُّلطَانِ «مُحَمَّد» مِن قِتَالِهِم... تمَامًا كَمَا هُوَ حَالُهُم اليَومَ مِنَ المجَاهِدِينَ، وَتمَامًا كَمَا هُوَ مَوقِفُ مَن يَدَّعُونَ العِلمَ مِن مَشَايِخ الفَضَائِيَّاتِ؛ فَأَرسَلُوا لِفُقَهَاءِ المسلِمِينَ يَستَفتُونَهُم بِطَرِيقَةٍ مُلتَوِيَةٍ فِي قَومٍ يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلكِن يُخَالِفُونَ فِي الإِمَامِ؛ هَل يَجُوزُ لِلسُّلطَانِ مُهَادَنَتِهِم وَمُوَادَعَتِهِم، وَأَن يَقبَلَ طَاعَتَهُم، وَيَحرُسَهُم مِن كُلِّ أَذَى؟

وَ كَادَت هَذِهِ الحِيلَةُ بِالفعلِ أَن تُفَرِّق كَلِمَةَ المسلِمِينَ، وَتغَيِّرَ الموقِفَ لِصَالِحِ البَاطِنِيَّةِ حِينَ أَجَابَهُم أَكثَرُ الفُقَهَاءِ بِجَوَازِ ذَلِكَ.. لكِن البَعض تَوَقَّفَ.

وَ لكِنَّ السُّلطَانَ مُحَمَّداً بِحِكمَتِهِ وَفِقهِهِ وَحِنكَتِهِ؛ جَمَعَ الفُقَهَاءَ وَدَعَاهُم لِلمُنَاظَرَةِ؛ فَانتَصَرَ رَأيُ الفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ «أَبِي الحَسَن عَلِيّ بن عَبدِ الرَّحمَنِ السَّمَنقَانِي» الذِي أَفتَى بِوُجُوبِ قِتَالِهِم وَسَفكِ دِمَائِهِم، وَأَنَّهُم لا يَنفَعُهُم التَّلَفُّظُ بِالشَّهَادَتَينِ لِرَأيِهِم فِي الإِمَامِ الذِي يَستَطِيعُ أَن يُحَرِّمَ عَلَيهِم مَا أَحَلَّ اللهُ، وَيُحِلُّ لَهُم مَا حَرَّمَ اللهُ وَتَكُونُ طَاعَتَهُ لَهُم فِي هَذِهِ الحَالَةِ حَسَبَ اعتِقَادِهِم فِيهِ وَاجِبَةً؛ فَتُبَاحُ دِمَاؤُهُم بِهَذَا السَّبَبِ بِالإِجمَاعِ.

وَ حَاوَلَ بَعدَ ذَلِكَ السُّلطَانُ «مُحَمَّد» أَن يُسقِطَ قَلعَةَ «آلموت»، وَيُقَاتِلَ «الحَسَنَ بن الصَّبَاحِ» الذِي كَانَ مُتَحَصِّنَاً فِيهَا أَكثَرَ مِن مَرَّةٍ، إِلا أَنَّ المَنِيَّةَ وَافَتهُ عَامَ ٥١١ هـ أَثنَاءَ حِصَارِ جَيشِهِ بِقِيَادَةِ «أَنُشتَكِين» وَالتِي دَامَ مُدَّةَ حِصَارُهَا مَا يُقَارِبُ السِّتَ سَنَوَاتٍ؛ فَاضطَرَّ القَائِدُ «أَنُشتَكِين»، وَبَعدَ ضَغطِ جُندِهِ إِلَى الانسِحَابِ.

وَ بَعدَ وَفَاةِ السُّلطَانِ «مُحمَّد»؛ تَسَلَّمَ السُّلطَةَ مِن بَعدِهِ ابنُهُ «مَحمُود»، وَالذِي وَاصَلَ سِيَاسَةَ وَالِدِهِ، وَكَانَ يَحمِلُ نَفسَ الهَمِّ وَالمنهَجِ فِي مُلاحَقَةِ وَقِتَالِ الرَّافِضَةِ البَاطِنِيِّينَ وَالرَّغبَةِ فِي تَطهِيرِ البِلادِ مِن رِجسِهِم وَأَذَاهُم؛ فَحَاصَرَ قَلعَةَ «آلموت» حَتَّى سَقَطَت فِي يَدِهِ عَامَ ٥٢٤ هـ، وَلَكِنَّهُم استَطَاعُوا أَن يَستَرجِعُوهَا بَعدَ وَفَاتِهِ عَام ٥٢٥ هـ.

وَ كَانَ مِن حُكَّامِ الولايَاتِ آنَذَاكَ الأَمِيرُ «عَبَّاس» صَاحِبُ «الرَّي»، وَكَانَ مِن غِلمَانِ السُّلطَانِ «مَحمُودٌ»، وَكَانَ مِنَ المجَاهِدِينَ المخلِصِينَ؛ فَاستَطَاعَ أَن يَفتِكَ بِالبَاطِنِيَّةِ الذِينَ عِندَهُ؛ فَقَتَلَ مِنهُم خَلقًا كَثِيرًا حَتَّى أَنَّهُ بَنَى مَنَارَةً مِن رُؤُوسِهِم بِالرَّيِّ، كَمَا أَنَّهُ حَاصَرَ مُجَدَّدًا قَلعَةَ «آلموت»، وَاستَطَاعَ أَن يَدخُلَ قَريَةً مِن قُرَاهُم، فَقَذَفَهَا بِالنَّارِ وَأَحرَقَ كَلَّ مَن فِيهَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبيَانِ.

وَ كَانَ لِلدَّولَةِ «الغُورِيَّة» كَذَلِكَ مَوقِفٌ حَازِمٌ تِجَاهَ الرَّافِضَةِ البَاطِنِيَّةِ، **وَمِن ذَلِكَ مَا حَصَلَ فِي عَامِ ٥٩٧ هـ حِينَ سَارَ «شِهَابُ الدِّينِ الغُورِيُّ»** إِلَى «قُهِستَان» لمحَاصَرَتِهَا وَمَن فِيهَا مِنَ البَاطِنِيَّةِ، وَحِينَ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِقَريةٍ ذُكِرَ لَهُ بِأَنَّ أَهلَهَا إِسمَاعِيلِيَّةٌ بَاطِنِيَّةٌ؛ أَمَرَ بِقَتلِ المقَاتِلَةِ وَسَبِي النِّسَاءِ، وَنَهبِ الأَموَالِ غَنِيمةً، وَخَرَّبَ القَريَةَ وَجَعَلَهَا خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا، وَوَاصَلَ سَيرَهُ إِلَى «كنبَاد»، وَهِيَ مِن مُدُنِ البَاطِنِيَّةِ فَنَزَلَ عَليهَا وَحَاصَرَهَا.

وَ حِينَ أَرسَلَ إِليهِ صَاحِبُ «قَهستَان» البَاطِنِيّ إِلى مَلِكِ «غور» يَشكُو إِليهِ أَخَاهُ «شِهَابُ الدِّينِ» وَيقُولُ: «بَينَنَا عَهدٌ فَمَا الذِي بَدَا مِنَّا حَتَّى تُحَاصِرَ بَلَدِي؟» وَمَعَ ذَلِكَ شَدَّدَ «شِهَابُ الدِّينِ» الحِصَارَ عَلى المِدِينَةِ؛ فَلَمَّا اشتَدَّ خَوفُهُم طَلَبُوا الأَمَانَ لِيَخرُجُوا، فَأَمَّنَهُم وَأَخرَجَهُم مِنَ المِدِينَةِ، وَاستَولَى عَليهَا وَأَقَامَ فِيهَا الصَّلاةَ وَشَعَائِرَ الإِسلامِ.

وَ كَذَلِكَ كَانَ **لِلدَّولَةِ «الخَوَارِزمِيَّةِ»** مَوقِفٌ حَازِمٌ تِجَاهَ البَاطِنِيَّةِ، وَمِن ذَلِكَ مَا حَصَلَ فِي عَامِ ٦٢٤ هـ، حِينَ عَظُمَ شَرُّ البَاطِنِيَّةِ وَتَعَدَّى ضَرَرُهُم، حَتَّى أَنَّهُم قَتَلُوا أَمِيرًا مِنَ أُمَرَاءِ «جَلالِ الدِّينِ» ابنِ «خَوَارِزمَ شَاه»، فَسَارَ بِعَسكَرِهِ مِن بِلادِهِم مِن حُدُودِ «آلموت» إِلى «كَردِيكُوك» بِخُرَاسَان، فَخَرَّبَهَا جَمِيعًا فَقَتَلَ أَهلَهَا وَغَنِمَ أَموَالهُم وَسَبَى الحَرِيمَ، وَاستَرَقَّ الأَولادَ، وَقَتَلَ الرِّجَالَ وَعَمِلَ بِهِم الأَعمَالَ العَظِيمَةَ.

وَ أَمَّا مَوقِفُ «صَلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبي» مِنَ الرَّافِضَةِ؛

فَكَانَ مِن أَشَدِّ المَواقِفِ وَأَقسَاهَا عَليهِم، حَيثُ أَسقَطَ دَولَتَهُم المَنِيعَةَ، وَالتي عَمَّرَت طَويلاً مِن قَبل، مَعَ أَنَّ القَادَةَ قَبلَهُ وَالأُمَرَاءَ مِن السَّلاجِقَةِ وَغَيرَهُم كَانَ لهُم صَولاتٍ مَعَهُم وَجَولاتٍ، وَكَانَت هُنَاكَ مُوَاجَهَاتٌ وَحُرُوبٌ وَقَتلٌ وَسَبيٌ، وَلكِنَّ الضَّرَبَاتِ التي تَلَقَّوهَا مِن «صَلاحِ الدِّينِ» كَانَت أَشَدُّ عَلى نُفُوسِهِم؛ حَيثُ فَرَّقَ جَمعَهُم، وَهَدَّمَ صَرحَهُم الكَبِير، وَقَضَى عَلَى كُلِّ أَحلامِهِم بِامتِلاكِ دَولَةٍ مُستَقِلَّةٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ، وَنشرَ مَذهَبَ السُّنَّةِ بَعدَ أَن كَانَ دِينُ الرَّفضِ هُوَ السَّائِدُ، وَلِذَلكَ حَاوَلوا مِرَارًا قَتلَهُ وَاغتِيَالَهُ، وَلكِنَّهُم بِفَضلِ اللهِ وَحدَهُ فَشِلُوا فِي كُلِّ مُحَاوَلاتِهِم.

وَ كَانَ مما قَامَ بِهِ «صَلاحُ الدِّينِ» تِجَاهَ الرَّافِضَةِ عَلى مَا ذَكَرنَا سَابِقًا، وَبَعدَ مُحَاوَلاتِ اغتِيَالِهِ العَدِيدَةِ؛ اعتَقَلَ المُتَآمِرِينَ عَليهِ فِي مِصرَ، وَالذِينَ حَاوَلُوا الاتِّصَالَ بِالإِفرَنجِ لِإِسقَاطِ مِصرَ، فَقَرَّرَهُم وَاحِدًا وَاحِدًا، وَبَعدَ أَن استَفتَى الفُقَهَاءَ فِي أَمرِهِم قَتَلَ رُؤُوسَهُم وَأَعيَانَهُم دُونَ أَتبَاعِهِم وَغِلمَانِهِم، وَحَاصَرَ قَلعَةَ «مِصيَافٍ» الرَّافِضِيَّةِ بَعدَ مُحَاوَلَتِهِم اغتِيَالَهُ حِينَ كَانَ مُحَاصِرًا لِحَلَب، فَقَصَدَ قَلعَتَهُم عَامَ ٥٧٢ هـ، وَحَاصَرَهَا وَنَصَبَ عَليهَا المِنجَنِيقَاتِ فَأَحرَقَهَا وَخَرَّبَهَا، وَأَوسَعَ أَهلَهَا قَتلًا وَأَسرًا، وَغَنِمَ أَموَالهُم وَدَوَابَهُم، وَلَم يَترُكهُم إِلا بَعدَ أَن أَدَّبَهُم وَلَقَّنَهُم دَرسًا قَاسِيًا.

وَ لَمَّا ثَارَ عَليهِ الرَّافِضَةُ مِن جُندِ السُّودَانِ المُتَعِضِينَ لِمَوتِ مُؤتَمِنِ الخِلافَةِ، غَضَبًا لمَقتَلِهِ **أَرسَلَ**

لمحِلَّتِهِم المَعرُوفَةِ بِالمَنصُورَةِ فَأَحرَقَهَا عَلى أَموَالِهِم وَأَولادِهِم وَحَرَمِهِم، فَلَمَّا عَلِمُوا بِذَلِكَ وَلَّوا مُدبِرِينَ فَأَجرَى عَلَيهِم السَّيفَ، وَظَلَّ فِيهِم القَتلُ حَتَّى قَضَى أَخُو «صَلاحُ الدِّينِ» «تورَان شَاه» عَلى آخِرِهِم فِي مَنطِقَةِ «الجِيزَةِ».

وَ أَمَّا مَوقِفُ شَيخِ الإِسلامِ «ابنِ تَيمِيَّةَ» وَجِهَادِهِ لِلرَّافِضَةِ فَقَد كَانَ وَاضِحًا فِي مَوقِفَينِ؛

المَوقِفُ الأَوَّلُ: بَرَزَ فِي جَانِبِ التَّأْلِيفِ العِلمِيِّ لِلرَّدِّ عَلى بِدَعِهِم وَكُفرِيَّاتِهِم، وَكَشفِ حَقِيقَةِ الرَّوَافِضِ وَبَيَانِ أَحوَالِهِم وَحُكمِ الشَّرعِ فِيهِم كَكِتَابِ «مِنهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» وَغَيرِهِ.

وَ المَوقِفُ الثَّانِي: بَرَزَ فِي قِتَالِهِ العَمَلِيِّ لَهُم حِينَ فَرَغَ مِن قِتَالِهِ لِلتَّتَارِ تَأْدِيبًا لَهُم لِمُشَارَكَتِهِم وَتَحَالُفِهِم مَعَ التَّتَارِ ضِدَّ المسلِمِينَ.

وَ أَمَّا المَلِكُ المُظَفَّرُ «قُطُز»؛ فَقَاتَلَهُم فِي الشَّامِ بَعدَ انتِصَارِ المسلِمِينَ عَلَى التَّتَارِ فِي وَقعَةِ «عَينِ جَالوت»، فَقَد كَانَ لَهم أَيضًا دَورٌ كَبِيرٌ فِي مُحَارَبَةِ وَمُعَاقَبَةِ الرَّافِضَةِ، حَيثُ قَرَّرُوا الانتِقَامَ مِنَ الخَوَنَةِ مِنَ النَّصَارَى وَالرَّافِضَةِ الذِينَ مَالَؤُوا التَّتَارَ وَصَانَعُوهُم عَلَى أَموَالِ المسلِمِينَ وَقَتلِ العَامَّةِ.

إِذَن وَ بَعدَ هَذَا الاستِعرَاضِ التَّارِيخِيِّ المُجمَلِ، وَالمُجمَلِ جِدًّا، لِجَرَائِمِ وَخِيَانَاتِ الرَّافِضَةِ نَستَطِيعُ أَن نَخلُصَ إِلى عِدَّةِ أُمُورٍ مُهِمَّةٍ وَكَمَا يَأْتِي:

أولاً: النَّاظِرُ وَالبَاحِثُ فِي عَقَائِدِ الرَّافِضَةِ يجِدُ أَنَّهُم قَد أَشرَكُوا وَأَسَاؤُوا إِلى مَقَامِ اللهِ تَعَالى الوَاحِدِ الأَحَدِ.

وَمِن ذَلِكَ وَصفُهُم اللهَ تَعَالى بِصِفَاتِ الحَوَادِثِ وَالنَّقصِ كَحُلُولِهِ تَعَالى -حَاشَاهُ- بِبَعضِ أَجسَادِ الأَئِمَّةِ وَرِجَالاتِهِم، وَالذِينَ عَبَدُوهُم مِن دُونِ اللهِ.

وَكَذَا **شَرَّكُوا الإِلَهَ الوَاحِدَ بِالعِبَادَةِ** المُستَحَقَّةِ للهِ تَعَالى وَحدَهُ غَيرَهُ، مِن نَذرٍ وَ دُعَاءٍ وَتَقَرُّبٍ بِالعِبَادَةِ لِلأَئِمَّةِ الذِينَ اعتَبَرُوهُم مُقَدَّسِينَ وَمَعصُومِينَ.

وَ لَم يَقِف الأَمرُ إِلى هَذَا الحَدِّ بَل **نَسَبُوا الصِّفَاتِ التِي يَتَّصِفُ بِهَا اللهُ تَعَالى، كَالرِّزقِ وَالعِلمِ**

بِالغَيبِ وَنَحوَ ذَلِكَ لِهَؤُلاءِ الأَئِمَّةِ، فَلَم يَكتَفُوا بِالإِسَاءَةِ لِمَقَامِ اللهِ تَعَالى بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالأُلُوهِيَّةِ فَحَسب؛ بَل تَعَدَّى ذَلِكَ نِسبَتَهُم النَّقِيصَةَ لأَنبِيَاءِ اللهِ تَعَالى وَخَاصَّةً حِينَمَا جَعَلُوهُم فِي مَقَامِ التَّفضِيلِ وَالمقَارَنةِ لأَئِمَّتِهِم المعصُومِينَ، فَنَسَبُوا أَوصَافًا وَمَنَاقِبَ لأَئِمَّتِهِم تَفُوقُ مَنَاقِبَ وَمَزَايَا هَؤُلاءِ الأَنبِيَاءِ وَالمرسَلِينَ، حَتَّى أَنَّهُم ادَّعُوا أَنَّ هَؤُلاءِ المرسَلِينَ كَانُوا مِمَّا بُعِثُوا بِهِ: عَقِيدَةَ الوِلايَةِ لِلأَئِمَّةِ الذِينَ يَزعُمُونَ أَنَّهُم مَعصُومُونَ.

وَ مَعَ غَيَابَاتِ هَذِهِ الظُّلُماتِ أَضَافُوا لِمُعتَقَدَاتِهِم الرَّذِيلَةَ **قَولَهُم بِتَحرِيفِ القُرآنِ**، سَوَاءً أَكَانَ بِاللفظِ أَم بِالمعنَى وَالشَّرحِ، وَهُم عَلَى هَذَا لَم يَجعَلُوا المرجِعِيَّة الحَقَّةَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لأَنَّهُم طَعَنُوا بِالكِتَابِ عَلى أَسَاسِ أَنَّهُم لَم يَجِدُوا فِيهِ نَصًّا صَرِيحًا لِعَقَائِدِهِم، فَلَم يَكتَفُوا بِمَا هُوَ مَوجُودٌ مِنهُ اليَومَ.

وَكَذَا **طَعَنُوا بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ** مِن خِلالِ طَعنِهِم بِأَئِمَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ مِن رِوَايَاتِ الحَدِيثِ، أَو أَخذِهِم مَروِيَّاتٍ وَضَعُوهَا كَذِبًا عَلَى أَئِمَّةِ أَهلِ البَيتِ، بِرُوَاةٍ زَنَادِقَةٍ أَصحَابِ عَقَائِدَ مُنحَرِفَةٍ وَبَاطِلَةٍ لا تُؤَهِّلَهُم لِقَبُولِ رِوَايَاتِهِم نَاهِيكَ عَن ضَعفِهِم وَجَهَالَتِهِم.

ثانياً: إِنَّ الرَّافِضَةَ مُدَّعِي مَحَبَّةَ آلِ البَيتِ وَنُصرَةَ عُترَتِهِ وَالمتَبَاكِينَ عَلى الحُسَينِ نِيَاحَةً وَ لَطماً، وَالذِينَ يَتَّهِمُونَ أَهلَ السُّنَّةِ بِأَنَّهُم نَوَاصِبٌ نَاصَبُوا أَهلَ البَيتِ العَدَاءَ **هُم مَن قَامَ بِقَتلِ الحُسينِ مِن بَعدِ أَن كَادُوا يَقتُلُونَ الحَسَنَ وَيُسَلِّمُوهُ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، وَذَلِكَ ثَابِتٌ فِي أُصُولِ مَرَاجِعِهِم وَأُمَّهَاتِ كُتُبِهِم**.

فَقَد جَاءَ فِي كِتَابِ [الإِرشَادِ] لِلمُفِيدِ قولُ الإِمَامِ الحُسَينِ عَلَيهِ السَّلامُ فِي دُعَائِهِ عَلى شِيعَتِهِ الذِي ذَكَرنَاهُ آنِفًا، وَجَاءَ فِي كِتَابِ[الاحتِجَاجِ]: «لكِنَّكُم أَسرَعتُم إِلى بَيعَتِنَا كَطَيرَةِ الدِّبَاءِ، وَتَهَافَتُّم كَتَهَافُتِ الفَراشِ، ثُمَّ نَقَضتُمُوهَا، سِفَهاً وَبُعداً وَسُحقاً لِطَوَاغِيتِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَبَقِيَّةِ الأَحزَابِ، وَنَبَذَةِ الكِتَابِ، ثُمَّ أَنتُم هَؤُلاءِ تَتَخَاذَلُونَ عَنَّا، وَتقتُلُونَنَا، أَلا لَعنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ».

وَ يُعَلِّقُ السَّيدُ «حُسَينٌ الموسَوِيُّ» بَعدَ هَاتَينِ الرِّوَايَتَينِ بقولِه: «وَهَذِهِ النُّصُوصُ تُبَيِّنُ لَنَا مَن هُم قَتَلَةُ الحُسَينِ الحَقِيقِيُّونَ، إِنَّهُم شِيعَةُ أَهلِ الكُوفَةِ، أَيْ: أَجدَادُنَا، فَلِمَاذَا نُحَمِّلُ أَهلَ السُّنَّةِ مَسؤُولِيَّةَ مَقتَلِ الحُسَينِ؟»!.

وَ يَقُولُ السَّيدُ «مُحسِن الأَمِينُ» فِي كِتَابِ [أَعيَانُ الشِّيعَةِ]: «بَايَعَ الحُسَينَ مِن أَهلِ العِرَاقِ عِشرُونَ أَلفاً، غَدَرُوا بِهِ، وَخَرَجُوا عَلَيهِ، وَبَيعَتُهُ فِي أَعنَاقِهِم، وَقَتَلُوهُ».

وَ جَاءَ فِي كِتَابِ [الاحتِجَاج]: «قَالَ الإِمَامُ «زَينُ العَابِدِينَ» عَليهِ السَّلامِ، لأَهلِ الكُوفَةِ: (هَل تَعلَمُونَ أَنَّكُم كَتَبتُم إِلى أَبِي وَخَدَعتُمُوهُ وَأَعطَيتُمُوهُ مِن أَنفُسِكُم العَهدَ وَالمِيثَاقَ ثُمَّ قَاتَلتُمُوهُ وَخَذَلتُمُوهُ.. بِأَيِّ عَينٍ تَنظُرُونَ إِلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَآلِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَكُم: قَاتَلتُم عِترَتِي وَانتَهَكتُم حُرمَتِي، فَلَستُم مِن أُمَّتِي)».

وَ قَالَ أَيضًا عَنهُم: إِنَّ هَؤُلاءِ يَبكُونَ عَلينَا فَمَن قَتَلَنَا غَيرُهُم؟

وَجَاءَ فِي كِتَابِ [الاحتِجَاج] أَيضًا عَن «فَاطِمَةَ الصُّغرَى» عَليهَا السَّلامُ فِي خُطبَةٍ لها فِي أَهلِ الكُوفَةِ:

«يَا أَهلَ الكُوفَةِ، يَا أَهلَ الغَدرِ وَالمَكرِ وَالخُيَلاءِ، إِنَّا أَهلُ البَيتِ ابتَلانَا اللهُ بِكُم، وَابتَلاكُم بِنَا؛ فَجَعَلَ بَلاءَنَا حَسَنًا.. فَكَفَّرتُمُونَا وَكَذَّبتُمُونَا وَرَأَيتُم قِتَالَنَا حَلالاً وَأَموَالَنَا نَهبًا.. كَمَا قَتَلتُم جَدَّنَا بِالأَمسِ، وَسُيُوفُكُم تَقطُرُ مِن دِمَائِنَا أَهلُ البَيتِ.. تَبًّا لَكُم فَانتَظِرُوا اللعنَةَ وَالعَذَابَ فَكَأَنَّ قَد حَلَّ بِكُم.. وَيذِيقُ بَعضَكُم بَأسَ بَعضٍ، وَتَخلُدُونَ فِي العَذَابِ الأَلِيمِ يَومَ القِيَامَةِ بِمَا ظَلَمتُمُونَا، أَلا لَعنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. تَبًّا لَكُم يَا أَهلَ الكُوفَةِ، كَم قَرَأتُم لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَآلِهِ قَبلَكُم، ثُمَّ غَدَرتُم بِأَخِيهِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ وَجَدِّي، وَبَنِيهِ وَعُترَتِهِ الطَّيِّبِينَ.

فَرَدَّ عَليهَا أَحَدُ أَهلِ الكُوفَةِ مُفتَخِراً، فَقَالَ:

نَحنُ قَتَلنَا عَلِياً وَابنِ عَلِيٍّ * بِسُيُوفٍ هِندِيَّةٍ وَرِمَاحِ**
وَ سَبِينَا نِسَاءَهُم سَبي تُركٍ * وَنَطَحنَاهُمُ فَأَيُّ نِطَاحِ**

ثَالِثاً: يَنبَغِي عَلى المسلِمِ الامتِثَالِ لأَمرِ اللهِ تَعَالى الآمِرِ بِالتَّفَكُّرِ وَالإتِّعَاظِ بِأَحوَالِ الأُمَمِ وَالعُصُورِ السَّالِفَةِ، فَنَأخُذَ مِنهَا الدُّرُوسَ وَالعِبَرَ.. {وَ لاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} [التوبة:١٢٦].

وَ وَرَدَ فِي الأَثَرِ: «لا يُلدَغُ المؤمِنُ فِي جُحرٍ مَرَّتَينِ»، وَقَد **مَرَّت بِنَا نَتَائِجُ وَأَضرَارُ هَذَا التَّقرِيبِ مَعَ الرَّافِضَةِ** حَيثُ تَجَلَّت لَنَا خِيَانَتُهُم للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلمُؤمِنِينَ، فَوَالَوا الكُفَّارَ وَأَعدَاءَ الدِّينِ، وَطَغَوا فِي البِلادِ وَأَكثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ، فَأَوجَبَت مُوالاتُهُم هَذِهِ رِدَّتَهُم عَنِ الدِّينِ وَمُرُوقَهُم عَن أَمرِ رَبِّ العَالمِينَ، وَنَاهِيكَ بِفَسَادِ طَعنِهِم بِأُمَّهَاتِ المؤمِنِينَ، وَبِخَاصَّةٍ مَن بَرَّأَهَا وَزَكَّاهَا اللهُ تَبرِئَةً

قَطعيَّةً في كِتَابِهِ العَزيزِ.

وَ لما تقَدَّمَ أَقُولُ مُنبِّهًا؛

إنَّهُ كُلَّمَا توَاجهَ المسلِمُونَ ضِدَّ الكُفَّارِ مِن اليَهُودِ وَ النَّصَارَى، وَفي كُلِّ حَربٍ عَلى مَرِّ التَّارِيخِ، وَحتَّى في عَصرِنَا الحَاضِرِ نَجِدُ الرَّافِضَةَ يتَسَلَّلُونَ لِوَاذًا إلى مُعسكَرِ الكُفرِ، وَيَمُدُّونَهُم بِجَميعِ أَنوَاعِ الإمدَادَاتِ المتَوَفِّرَةِ إليهِم عَسكَريًّا وَمَعلُومَاتِيّاً، وَيُفَضِّلُونَ الموتَ أَو انتِصَارَ الكُفرِ عَلَى أَن يَنتَصِرَ المسلِمُونَ وَتَكُونَ لهُم اليَد العُليَا، وَهُم لا يُقَاتِلُونَ أَعدَاءَ الإِسلامِ مِنَ الكُفَّارِ الأَصلِيِّينَ، وَأَنَّهُ حَتَّى في الحَالاتِ التي كَانُوا يُظهِرُونَ أَنَّهُم يُقَاتِلُونَهُم إمَّا أَن يَكُونُوا تَحتَ قِيَادَةٍ سُنيَّةٍ هِيَ التي تُحَرِّكُهُم، وَمن بَابِ التُّقيَةِ يتَحَرَّكُونَ، وَ ذَلِكَ في حَالاتٍ نَادِرَةٍ.

أَو في حَالَةِ غَدرٍ وَاستِهتَارِ الكُفَّارِ بِهِم، وَ بِأَرَاضِيهِم وَمَصَالِحِهِم **كَمَا حَصَلَ مَعَ الوَزِيرِ «الأَفضَلِ»** حِينَ استَنجَدَ بِالدَّمَاشِقَةِ السُّنيِّينَ لما رَأَى استِهتَارَ الصَّلِيبيِّينَ بِهِ وَبِمَصَالِحِهِ، بَعدَ أَن قَدَّمَ لهُم كُلَّ التَّنَازُلاتِ الممكِنَةِ، وَطَلَبَ مِن عَسكَرِهِ فِيمَا بَعد الانضِوَاءَ تَحتَ قِيَادَةِ «طَغتِكِينَا أَتَابك».

وَ كَمَا حَصَلَ مَعَ الخَلِيفَةِ العُبَيدِيّ «العَاضِد» لما رَأَى اجتِيَاحَ الفِرَنجِ لِبِلادِهِ وَخَشِيَ عَلَى قَصرِهِ وَنِسَائِهِ فَأَرسَلَ إلى «نُورِ الدِّينَ» يَستَنجِدُ بِهِ، وَيَستَغِيثُ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ أَرسَلَ شُعُورَ نِسَائِهِ قَائِلاً: «هَذِهِ شُعُورُ نِسَائِي مِن قَصرِي يَستَغِثنَ بِكَ لِتُنقِذَهُنَّ مِنَ الفِرَنجِ».

رَابِعاً: إنَّهُ لا يُمكِنُ أَن يَكُونَ لِلمُسلِمِينَ نَصرٌ وَلا غَلَبَةٌ عَلى المحَارِبِينَ الكُفَّارِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى إلا بَعدَ القَضَاءِ عَلَى مَن دُونَهُم مِن العُمَلاءِ المرتَدِّينَ، وَعَلَى رَأسِهِم الرَّافِضَةُ تَمَاماً، **كَمَا رَصَدَ لنَا التَّارِيخُ كَيفَ أَنَّ بَيتَ المَقدِسِ الذِي سَقَطَ بِيَدِ الصَّلِيبِيِّينَ بِمُعَاوَنَةِ الرَّافِضَةِ العُبَيدِيِّنَ لَم يُستَعَد إلا عَلَى يَدِ «صَلاحِ الدِّينِ»، مَعَ أَنَّ «نُورَ الدِّينِ مَحمُوداً» كَانَ أَشَدَّ عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ مِن «صَلاحِ الدِّينِ»، وَلَكِن قَدَرُ اللهِ تَعَالى أَن يَكُونَ النَّصرُ وَتَحرِيرُ بَيتِ المَقدِسِ عَلَى يَدِ «صَلاحِ الدِّينِ»، وَلكِن مَتَى؟ بَعدَ أَن حَارَبَ الرَّافِضَةَ العُبَيدِيِّنَ لِعِدَّةِ سَنَوَاتٍ، وَقَضَى عَلى دَولَتِهِم تَمَامًا وَأَسقَطَهَا**، ثُمَّ بَعدَ ذَلكَ تفَرَّغَ لِلصَّلِيبِيِّينَ حَتَّى تَمَّ لَهُ النَّصرُ عَليهِم، وَاستَعَادَ بَيتَ المَقدِسِ الذِي ظَلَّ سَنَوَاتٍ تَحتَ قَبضَتِهِم بِسَبَبِ أَهلَ الخِيَانَةِ الرَّوَافِض.

فَهَذَا دَرسٌ مُهِمٌّ جِدّاً يُقَدِّمُهُ لَنَا التَّارِيخُ لا يَجِبُ التَّغَافُلُ عَنهُ أَبَدًا...

لَن يَكُونَ لَنَا نَصرٌ قَطّ، عَلَى الكُفَّارِ الأَصلِيِّينَ إلا بَعدَ قِتَالِ الكُفَّارِ المُرتَدِّينَ مَعَ الكُفَّارِ الأَصلِيِّينَ، وَمَا الفُتُوحَاتُ الإِسلامِيَّةُ التِي تَمَّت فِي عَهدِ الرَّاشِدِينَ إلا بَعدَ تَطهِيرِ جَزِيرَةِ العَرَبِ مِن المُرتَدِّينَ، وَلِذَلِكَ أَبغَضُ مَا يُبغِضُهُ الرَّافِضَةُ هُوَ «صَلاحُ الدِّينِ»، فَهُم يُطِيقُونَ المَوتَ وَلا يُطِيقُونَه!!.

خَامِساً: مَعلُومٌ لِذَوِي الفِطرَةِ السَّلِيمَةِ أَنَّ أَسَاسَ النَّجَاةِ لِلنَّاسِ فِي الآخِرَةِ مُتَعَلِّقٌ بِعَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ سَلِيمَةٍ مِنَ الشِّركِ وَالبِدَعِ، فَكَيفَ يُمكِنُ التَّقرِيبُ بَينَ عَقِيدَةِ الحَقِّ وَ عَقِيدَةِ الرَّافِضَةِ التِي ذَكَرنَاهَا آنِفًا؟

فَبِاللهِ عَلَيكُم كَيفَ يَتَقَرَّبُ مِنهُم عَمَلِيًّا بِعَقِيدَةٍ لَو أَخَذنَا بِبَعضِ مَا امتَازَت بِهِ ضَلالاتُهُم وَكُفرِيَّاتُهُم لَكُنَّا فِي الهَلاكِ وَالخُسرَانِ الدِّينِيِّ.. فَالدِّينُ جَاءَ لِنَجَاةِ العِبَادِ بِمَا أَرَادَ رَبُّ العِبَادِ، فَكَيفَ تَحصُلُ النَّجَاةُ الأُخرَوِيَّةُ بِدُونِ مُقَدِّمَاتٍ مَبنِيَّةٍ عَلَى عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ سَلِيمَةٍ..؟.

فَكَمَا يُقَالُ: صِحَّةُ المُقَدِّمَاتِ تَستَلزِمُ صِحَّةَ نَتَائِجِهَا، وَفَسَادُهَا يُؤَدِّي لِفَسَادِ نَتَائِجِهَا.

وَ لَو ادَّعَى مُدَّعٍ أَنَّهُم مُوافِقُونَ لَنَا فِي أَصلِ الاعتِقَادِ المُنَجِّي مِن عَذَابِ اللهِ فَهَذَا عِندَهُم حِينَئِذٍ؛

إِمَّا مِن بَابِ عَقِيدَةِ التُّقيَةِ التِي يَدِينُونَ بِهَا حَالَ استِضعَافِهِم مَعَ أَهلِ السُّنَّةِ.

أَو يَكُونُونَ بِهَذَا الاتِّفَاقِ العَقَدِيِّ مَعَنَا عَلَى مَذهَبِ الحَقِّ وَالصِّرَاطِ المُستَقِيمِ فَيَخرُجُوا حِينَئِذٍ مِن وَصفِ الرَّافِضَةِ وَضَلالاتِهِم، وَعَلَى هَذَا فَلا يُسَمَّى مِثلُ هَذَا تَقَارُبًا، بَل تَرجِيعًا وَعَودَةً وَإِنَابَةً مِنهُم لِلحَقِّ المُبِين.

وَ لما تَقَدَّمَ أَقُولُ:

إِنَّهُ لا يُمكِنُ أَن يَكُونَ هُنَاكَ أَدنَى تَقَارُبٍ عَقَدِيٍّ وَفِكرِيٍّ بَينَ أَهلِ السُّنَّةِ وَ بَينَ الرَّوَافِضِ، وَقَد رَأَينَا **نَتِيجَةَ التَّقَارُبِ مَعَ الرَّافِضَةِ عَبرَ التَّارِيخ** مِن خِلالِ تَقرِيبِ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ لِلرَّافِضَةِ وَجَعلِهِم لَهُم وُزَرَاءَ وَقَادَةً؛ كَابنِ العَلقَمِيِّ وَنَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَمِن خِلالِ مُصَاهَرَتِهِم كَمَا ذَكَرنَا مَعَ مَرَاجِلِ أُمِّ المَأمُونِ... فَمَا كَانَ مِن هَذَا التَّقَارُبِ إلا أَن عَادَ بِالهَلَكَةِ لِلأُمَّةِ، وَكَانَ

سَبَبَ سُقُوطِ دَولَةٍ اسلامِيَّةٍ، وَقِيَامِ دُوَيلاتٍ رَافِضِيَّةٍ عَلَى أَشلائِهَا، كَمَا تَسَبَّبَ هَذَا التَّقَارُبُ في افسَادِ العَقِيدَةِ، بِإِلزَامِ النَّاسِ بِالقَولِ بِمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ وَبِدَعَهَا وَبَثِّ الشُّبَهِ بَينَ المسلِمِينَ، حَتَّى زَعزَعَت عَقَائِدَهُم وَشَابَهَا كَثِيرٌ مِنَ الانحِرَافَاتِ، كَمَا هُوَ القَولُ بِخَلقِ القُرآنِ وَغَيرَ ذَلِكَ مِنَ الأَفكَارِ وَالعَقَائِدِ التِي اكتَسَبَهَا أَبنَاءُ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ مِن أُمَّهَاتِهِم الفَارِسِيَّاتِ.

وَ مَا أَجدَرَ بِنَا فِي هَذَا المقَامِ أَن نَذكُرَ أَقوَالَ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ وَالمثَقَّفِينَ الذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ جَهلاً بِالوَاقِعِ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ إِلى التَّقَارُبِ مَعَ الرَّافِضَةِ، ثُمَّ لما تَبَيَّنَ لَهُم الحَقَّ عَادُوا إِليهِ كَرِسَالَةٍ وَعظٍ وَتَذكِيرٍ وَتَنبِيهٍ لِدُعَاةِ التَّقَارُبِ اليَومَ الذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُم يَعلَمُونَ.

قَالَ الدُّكتُورُ «مُصطَفَى السِّبَاعِيّ» فِي كِتَابِهِ [السُّنَّةُ وَمَكَانَتُهَا في التَّشرِيعِ الإِسلامِيّ]: «فَتَحتُ دَارًا لِلتَّقرِيبِ بَينَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ بِالقَاهِرَةِ مُنذُ أَربَعَةِ عُقُودٍ لَكِنَّهُم رَفَضُوا أَن تُفتَحَ دُورٌ مُمَاثِلَةٌ في مَرَاكِزِهِم العِلمِيَّةِ كَالنَّجَفِ وَقُم وَغَيرِهَا، لأَنَّهُم إِنَّمَا يُرِيدُونَ تَقرِيبَنَا إِلَى دِينِهِم».

وَ يَقُولُ الدُّكتُورُ «عَلي أَحمَد السَّالُوس» أُستَاذُ الفِقهِ وَأُصُولِهِ: «بَدَأتُ دِرَاسَتِي بِالدَّعوَةِ إِلى التَّقرِيبِ بَينَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ بِتَوجِيهٍ مِن أُستَاذِيَ الجَلِيلِ الشَّيخُ «مُحَمَّد المدَنِي»، عَلَى أَنَّ التَّشَيُّعَ مَذهَبٌ خَامِسٌ بَعدَ أَربَعَةِ أَهلِ السُّنَّةِ؛ غَيرَ أَنَّنِي بَعدَمَا بَدَأتُ البَحثَ وَاطَّلَعتُ عَلَى مَرَاجِعِهِم الأَصلِيَّةِ وَجَدْتُ الأَمرَ يَختَلِفُ تَمَامًا عَمَّا سَمِعتُ.. فَدِرَاسَتِي إِذَن بَدَأَت بِتَوجِيهٍ مِنَ الشَّيخِ «المدَنِيّ» مِن أَجلِ التَّقرِيبِ، وَلَكِنَّ الدِّرَاسَةَ العِلمِيَّةَ لها طَابِعُهَا الذِي لا يَخضَعُ للأَهوَاءِ وَالرَّغَبَاتِ» ا.هـ.

فَإِذَن؛ بَعدَ مَعرِفَةِ حُكمِ اللهِ فِيهِم، وَمعرِفَةِ أَنَّ **دِينَ الرَّافِضَةِ لا يَلتَقِي مَعَ دِينِ الإِسلامِ لا بِفَرعٍ وَلا بِأَصلٍ**، وَأَنَّهُ أُنشِئَ أَسَاساً، وَأُقِيمَ لِهَدمِ الدِّينِ، نَقُولُ؛

إِنَّهُ لا يُدَافِعُ عَن هَؤُلاءِ القَومِ وَيُنَادِي بِبَرَاءَتِهِم، وَيَدعُوا جِهَارًا نَهَارًا للتَّقَارُبِ مَعَهُم وَيَستَجدِي وِصَالَهُم، وَيَعتَذِرُ لهُم، وَيُبَرِّرُ جَرَائِمَهُم:

إِلا مَن هُوَ جَاهِلٌ غَافِلٌ لا يَعلَمُ مَا يَقولُ.. أَو هُوَ أَجرَمُ وَأَظلَمُ وَأَخونُ لِلأُمَّةِ منهُم، وَحُكمُهُ حُكمُهُم، بَل إِنَّهُ يَصدُقُ فِيهِ قَولُ اللهِ تَعَالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ} [البقرة:١٥٩].

وَ بَعْدَ مَا تَقَدَّم، نَقُولُ إِنَّ دُعَاةَ التَّقْرِيبِ بينَ السُّنةِ وَ الشِّيْعةِ هُمْ أَحَدُ رَجُلَين:

١- رَجُلٌ عَلِمَ الحقَّ فَخَانَ دِينَهُ وَ أُمَّته، وَ بَاعَهَا بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا يَسِيْر.
٢- وَ آخَرُ جَهِلَ هَؤُلاء، فَهُوَ جاهِلٌ يُعَلَّم.

فَكَيْفَ يَا مَنْ تَدْعُوْنَ إلى التَّقْرِيْبِ بَيْنَ السُّنةِ وَ الرَّافِضَة، وَ هُمْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيهِ مِنَ **الشِّرْكِ الصُّرَاح**، وَ **الكُفْرِ البَوَاحِ** وَ **الطَّعْنِ فِيْ عِرْضِ نَبيِّنا صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم**، وَ **سَبِّ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ** الذِيْنَ مَاتَ عَنْهُمُ النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّمَ وَ هُوَ رَاضٍ عَنْهُم.

فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ أَحد مِنْ هَؤُلاءِ طُعِنَ فِيْ عِرْضِه، وَ رُمِيَ فِيْ زَوْجَتِه؛ لأَقَامَ الدُّنْيَا وَ أَقْعَدَهَا، وَ لما اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ فِيْ وَجْهِ مَنْ رَمَاه!.

فَمَا بَالُهُ يَرْضَى ذَلِكَ عَلَى عِرْضِ نَبيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم..؟

اللهُمَّ إنَّا نُشْهِدُكَ أَنَّ عِرْضَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيْنا مِنْ أَعْرَاضِنَا، و نُشْهِدُكَ أَنَّ شَعْرَةً فِيْ رَأْسِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها أَحَبُّ إِلَيْنا مِنْ أَنْفُسِنَا وَ أَهْلِيْنَا وَ النَّاسِ أَجْمَعِين.

وَ لا يَفُوتُنَا القَوْلُ؛ إِنَّهُ كُلّما أطْلَقَ الرّافِضَةُ شِعَارَاتُ العَدَاء، وَ عِبَارَاتُ الموتِ وَ الهَلاكِ مِنَ الكُفّارِ وَ اليَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ غَيْرِهِم؛ كُلَّمَا عَرَفنا أنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ التّقِيّةِ التِّي يُدِيْنُون بِهَا وَ يَعْتَبِرُوْنَهَا رَكناً رَكِيناً فِيْ دِيْنِهِم، **وَ بِقَدْرِ مَا تَكُونُ الشِّعَارَاتُ مُدَوِيَّةً أَكْثَر؛ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ كَذِبُهُم وَ ادِّعَاؤُهُم فِيْ هَذِهِ الشِّعَارَات.**

وَ أَقْرَبُ مِثَالٍ لِذَلِكَ فِيْ الوَقْتِ الحَالِيِّ مَا يَقُوْمُ بِهِ الرَّئِيسُ الإِيْرَاني الجَدِيدُ «أحمدي نجاد»، حِينَ مَلأَ الدّنيا بِصِياحِهِ بِضَرُورَةِ مَحْوِ إِسْرَائيلَ مِنَ الخَارِطَةِ... إِيْ وَ الله، مِنَ الخَارِطَةِ فقط!!.

سادساً: إنَّ دِيْنَ الرَّافِضَةِ يقُومُ عَلَى هَدْمِ الضَّرُوْرِيَّاتِ –كُلِّ الضَّرُوْرِيَّات – التِّي جَاءَ الدِّيْنُ الإِسْلامِيُّ – بَلْ وَكُلُّ الأَدْيان – بِحِفْظِهَا وَ المحَافَظَةِ عَلَيْهَا، فَهُم **يَهْدِمُونَ الدِّيْنَ بِتَحْرِيفِه، وَ القَوْلِ بِالزِّيَادَةِ فِيْ القُرْآنِ** وَ **نَقْصِه**، وَ **رَفْضِهِم لِلأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَة**، وَ **تَكْذِيبِهِم وَ تَشْنِيعِهِم عَلَى الصَّحَابَة**، وَ **بِثِّهِم للشُّبَهِ للتّشْكِيكِ فِيْ دِيْنِ اللهِ الحَقِّ**، وِ **إِظْهَارِهِم لِلْبِدَعِ البَاطِلَة**، وَ **الإِلْحَادِ فِيْ دِيْنِ اللهِ وَ الزَّنْدَقَة**، وَ **يَهْدِمونَ النَّفْسَ وَ المَالَ بِاسْتِحْلالِ دِمَاءِ**

أَهْلِ السُّنةِ وَ أَمْوَالِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَ **يَهْدِمُونَ النَّسَبَ وَ كُلِّ خَلْقٍ وَ أَدَبٍ سَلِيْمٍ**؛ بِقَوْلِهِم **بِجَوَازِ المُتْعَةِ وَ إِتْيانِ الدُّبُرِ وَ إِعَارَةِ الفُرُوجِ و نِكَاحِ الذّكَرَانِ** العياذ بالله.

وَ يَهْدِمُونَ العَقْلَ حِيْنَ **يُجِيْزُونَ اسْتِخْدَامَ الحَشَائِشِ وَ المخدِّرَات** مِنْ أَجْلِ اسْتِخْدَامِهَا للتَّأثِيرِ بِهَا عَلَى أَتْباعِهِمْ مِنَ الفِدَائيّة قَدِيماً، وَ عَوَامِّهِم أَصْحَابَ اللطْمِ حَدِيْثاً.

وَ حِيْن يَضْحَكُ آيَاتُهُم عَلَى عُقُولِ العَوَامِّ وَ الجُهَّالِ بِدَعْوَى انْتِسَابِهِم لآلِ البَيْت، وَ مِنْ ثَمَّ ادِّعَاءِ الْعِصْمَة، وَ مِنْ ثَمَّ يَبُثُّونَ فِيْهِم ضَلالاتِهِمُ المُغْرَضة وِفْقَ مَصَالِحِهِم وَ أَهْوائِهِم الشَّخْصِيّة.

سابعاً: إِنَّهُ **لا فَرْقَ عِنْدَنَا بَيْنَ رَافِضَةِ إِيْرَانَ الصَّفَوِيّة، وَ بَيْنَ غَيْرِهِم مِنْ رَافِضَةِ العَرَبِ**؛ كَرَافِضَةِ العِرَاقِ وَ لبْنَانَ وَ الشّام، فَدِيْنُ الرّافِضَةِ وَاحِدٌ وَ أُصُولُهُم و إِنْ تَفَرَّعَت وَاحِدَة، وَ مَرْكَزُهُم وَ مَرْجِعِيّاتُهُم وَاحِدَة، وَ عِدَاؤُهُم لأَهْلِ السُّنةِ هُوَ نَفْسُ العِدَاء.

ثامناً: إِنَّ أُصُولَ الرَّافِضَةِ وَ أُصُولَ اليَهُودِ وَاحِدَة؛ وَ لِذَلِكَ فَإِنَّ تَعَالِيْمَ الرَّافِضَةِ تُشَابِهُ كَثِيْراً مِنْ تَعَالِيمِ اليَهُود، وَ اجْتِمَاعَاتِهِم وَ مُؤْتَمَرَاتِهِمُ السِّرْية، وَ اسْتِخْدَامِهِم للتّقِيّة التي يُظْهِرُونَ بِهَا مَا لا يُبْطِنُونَ للمُسْلِمِين، كُلُّ ذَلِكَ يَتَعاطَاهُ إِخْوَانُهُم اليَهُود.

وَ إِنّ المطّلِعَ عَلَى مَا جَاءَ فِيْ بُروتُوكُولاتِ اليَهُودِ وَ تَعَالِيْمِ التَلْمُودِ نَحْو الأمّين غِيرِ اليَهود؛ يَجِدهُ مُتطابقاً تَمَاماً مَعْ فَتَاوَى آياتِ وَ أَسْيادِ الرَّافِضَةِ نَحْوَ المسْلِمِيْنَ خَاصَّة.

وَ مِنْ ذَلِك، فَإِنَّ تعَالِيْمَ اليَهُودِ تُحَرِّمُ عَلَى اليَهُودِيّ أَنْ يَتَعَامَلَ بِالرِّبَا وَ الغُشِّ مَعَ اليَهُوْدِي، وَ تُوجِبُهُ مَعْ غَيْرِ اليَهُودِي، وَكَذَلِكَ فِيْ دِيْنِ الرَّافِضَةِ يُحَرِّمُونَ التَّعَامُلَ بِالرِّبَا وَ الغُشِّ فِيْمَا بيْنهُم، وَ يَعْتَبِرُونَ أَمْوَالَهُم بَيْنَهُم حَرَام، وَ يُحِلُّونَ وَ يُوْجِبُونَ اسْتِحْلالَ أَمْوُالِ أَهْلِ السُّنّة.

وَ مِنْ تَعَالِيمِ اليَهُودِ أَنَّهُ يُحَرِّمُ عَلَى اليَهُودِيّ أَنْ يُسَاعِدَ أَوْ يُنْقِذَ غَيْرِ اليَهُودِيِّ إِنْ رَآهُ فِيْ حَالَةِ غَرَقٍ أَوْ مُوشِكٌ عَلَى السُّقُوطِ؛ بَلْ يَجِبْ هَدْمُ الحَائِطِ عَلَيهِ إِنِ اسْتَطَاع.

وَ كَذَلِكَ الرَّافِضَةُ يُفْتُونَ لِعَوَامِّهِم مِثْل ذَلِك، وَ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِيْ كِتَابِ الأَنْوَارِ النُّعْمَانِيِّةِ لِعَالِمِهِم المعْرُوفِ بِنِعْمَة الله الجزائري، وَ كِتَابِ [نَصْبِ النَّوَاصِبِ] لمحسن المعلم مَا نَصُّه: «وَ فِيْ الرِّوَايَاتِ أَنَّ عَلي بنَ يقطين، وَ هُوَ وَزِيرُ الرَّشِيْد، قَدِ اجْتَمَعَ فِيْ حَبْسِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ المخَالِفِينَ، و كَانَ مِنْ خَوَاصِّ الشِّيْعَة، فَأَمَرَ غِلْمَانَهُ وَ هَدُّوْا سَقْفَ الحَبْسِ عَلَى المحْبوسِيْن؛ فَمَاتُوا كُلُّهُم

وَ كَانُوْا خَمْسمائة رَجُلٍ تقْريباً فَأَرادُوا الخَلاص مِنْ تَبِعَاتِ دِمَائِهِم؛ فَأَرْسَلَ إِلَى الإمام مَوْلانَا الكَاظِم، فكَتَبَ عَلَيهِ السَّلامُ إِلَى جوابَ كِتَابه: بِأَنَّكَ لَو كُنْتَ تَقَدَّمْتَ إِليَّ قَبْلَ مقْتَلِهِم لَمَا كَانَ عَلَيكَ شَيْءٌ مِنْ دِمَائِهِمْ وَ حَيْثُ أَنّكَ لَمْ تَتَقدَّمْ إِليَّ فَكَفِّرْ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ قَتَلتَهُ مِنْهُمْ بِتَيْسٍ، وَ التَّيْسُ خَيْرٌ مِنْه».

وَ هَذَا الأَمْرُ يُطَبَّقُ حَتَّى فِيْ أَيَّامِنَا هَذِه، فَهُنَاكَ طَبِيبٌ مِنْ «تلعفر» يُدْعَى: «عباس قلندر»، تَابِعٌ لِلْمَجْلِسِ الأَعْلَى لِلثَّوْرَةِ الرَّافِضِيَّةِ الذِيْ يَتَزَعَّمَهُ عَبْدُ العَزِيزِ الحَكِيم، وَ كَانَ هَذَا الطَّبِيْبُ مُرَشَّحاً لأَنْ يَكُوْنَ قَائِمَ مقَام «تلعفر»، كَانَ قَدْ أَعْطَى لِطِفْل، وَ هَذَا العِلاجُ كَانَ يُضَاعِفُ مِنَ الآثَارِ الجَانِبِيَّة للمَرَضِ مُتَعمِّداً ذَلِكَ لِسَبَبٍ بَسِيطٍ هُوَ أَنَّ الطِّفْلَ اسْمُه: «عمر»!.

وَ كَانَ هُنَاكَ طَبِيْبٌ آخَر فِيْ «بعقوبة»؛ مَرْكَزِ مُحَافَظِةِ «ديالى» يَرْفُضُ أَنْ يُعَالِجَ أَيَّ مَرِيضٍ اسْمُهُ «عمر»، أَوْ أَيَّةَ مَرِيْضَةٍ اسْمُهَا «عائشة».

وَ قَدْ قَامَ المجَاهِدُونَ بِفَضْلِ اللهِ بِمُحَاوَلَةِ اغْتِيالِ هَذَا الرَّافِضِيِّ الخَبِيث فَأَطْلَقُوا عَلِيهِ النَّار دَاخِلَ عِيَادَتِهِ فَأُصِيْبَ إِصَابَةً بَالِغَةً فِيْ رَقَبَتِه وَ اسْتَطَاعَ بَعْدَهَا الفِرَارَ إِلَى «إيران».

تاسعاً: إِنَّهُ لا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الجَرَائِمَ السِّيَاسِيّة فِيْ مَجَالِ الغَدْرِ وَ الاغْتِيَالاتِ عِنْدَ الرَّافِضَةِ لَيْسَت جَرَائِمَ فَرْدِيَّةً وَ لا عَشْوَائِية، وَ إِنَّمَا هِيَ **جَرَائِمُ مُعدَّةٌ مِنْ قِبَلِ عُلَمَائِهِم وَ رُمُوزِهِم وَ رُؤَسَائِهِم**، وَ تَقُومُ علَى أَسَاسٍ عَقَدِيٍّ سِيَاسِيّ، وَ هِيَ مُرَتَّبَةٌ تَرْتِيباً عَسْكَرِيّاً مُنَظّمَاً، و أَفْرَادُهُ يُعْتَبَرُونَ مِنْ أَهَمِّ فَصَائِلِ وَ أَجْنِحَة الرَّافِضَة، كَيْفَ لا؟ وَ دَوْلَتُهُم وَ حُكْمُهُم وَ دَعْوَتُهُم لا تَقُولُ إِلا عَلَى عَاتِقِهِم.

وَ لِذَلِكَ فِإِنَّ أَفْرَادَ هَذِهِ الفِرَقِ –فِرَقُ الاغْتِيالات– مُنْتَقُوْنَ بِعِنَايَةٍ فَائِقَة، وَ يُنْفَقُ عَلَى إِعْدَادِهِم المَبَالِغُ الطَّائِلَة، وَ هَمْ حَرِيْصُونَ عَلَى أَنْ تَكُونَ ثَقَافَتَهُم عَالِية، وَ أَنْ تَكُوْنَ لَدِيْهِم مَعْرِفَةٌ بِلُغَاتٍ مُتَعدِّدَة، وَ لَهُم مُخَصَّصَاتٌ وَ رَوَاتِبٌ عَالِيَة، بِالإِضَافَة إِلَى التَّأْثِيْرَاتِ الدِّيْنِيّة و الإِيْحَاءَاتِ النَّفْسِيةِ الدَّافِعَةِ لِتَثْبِيتِهِم عَلَى مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ جَرَائِمَ حَتَّى يَعْمَدَ إِلَى تَخْدِيْرِهِم مِنَ خِلالِ إِسْقَائِهِم الحَشِيشَ الأَفْيُون كَمَا كَانَتْ قَدِيْماً جَمَاعةُ الفَدَائيّينَ عِنْدَ القَرَامِطَةِ الإِسْمَاعِيلِية، وَ حَدِيْثاً يُمَثِّلُ هَذِهِ الفِرَقُ فُرُوعٌ مُتَعَدِّدَةٌ تَنْتَمِي جَمِيْعُهَا مِنْ حَيْثُ اسْتِقَاؤُهَا وَ تَلَقِّيْهَا لِلمُهِمَّاتِ السِّرِيةِ الخَطِيْرَةِ لِمَرْكَزٍ وَاحِد، أَلا وَ هُوَ مَرْكَزُ الإِمَامِ أَوْ نُوَّابِه، كُلٌّ فِيْ قُطْرِهِ مُبَاشَرَة.

وَ مِنْ ذَلِكَ أَفْرَادُ الحَرَسِ الثَّوْرِي الإِيْرَانِي، وَ قُوَّاتُ التَّعْبِئَةِ العَامَّةِ بِالباسيج، وَ الحَرَكَاتُ

المسَلَّحَة؛ كَحَرَكَةِ «أمل»، وَ فِرَقِ الاغْتِيَالاتِ فِيْ حِزْبِ الله، وَ غَيْرِه.

وَ حتَّى إنْ كَانَتْ هُنَاكَ جَرَائِمُ اغْتِيَالاتٍ و نَهْبٍ فَرْدِية، فَذَلكَ أَيْضاً يَرْجِعُ إلى فَتَاوَى عُلَمائِهِم وَ تَحْرِيْضِهِم عَلَى قَتْلِ أَهْلِ السُّنةِ وَ اعْتِبَارِهِم مُسْتَبَاحِيْ الدَّمِ وَ المَاْلِ.

فَقَدْ جَاءَ فِيْ كِتَابَيْ [وَسَائِلِ الشِّيْعة]، وَ [بحار الأنوار]: عَنْ دَاوُودَ بنِ فَرْقَد قَاْلَ: قُلْتُ لأبِيْ عَبْدِ اللهِ عَلَيهِ السَّلام: مَا تَقُوْلُ فِيْ قَتْلِ النَّاصِبِ؟ فَقَال: حَلالُ الدَّم. وَ لَكِنْ اتَّقِيْ عَلَيْك، فَإِنْ قَدَّرْتَ أَنْ تَقْلِبَ عَلَيْهِ حَائِط أَوْ تُغْرِقَه فِيْ مَاءٍ لِكَي لا يَشْهدَ عَلَيْكَ فَافْعَل.

وَ عَلّقَ الإمَامُ الخُمَيْنِيُّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِه: فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْخُذَ مَالَهُ فَخُذْهُ وَ ابْعَثْ إِلَيْنَا بِالخُمُس!.

يَقُولُ صَاحِبُ كِتَاب[لله ثم للتاريخ]:»لَمَّا انتَهى حُكْمُ آل بهلوي فِيْ إِيْرَانَ علَى أَثْر قِيَامِ الثَّوْرَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَ تَسَلُّمِ الإمَامِ الخُمَيْني زِمَام الأُمُورِ فِيْهَا، تَوَجَّبَ عَلى عُلَمَاءِ الشِّيْعَة زِيَارة و تَهْنِئَة الإِمَامِ بِهَذا النَّصْرِ العَظِيْمِ لِقِيامِ أَوَّلِ دَوْلَةٍ شِيْعِيةٍ فِيْ العَصْرِ الحَدِيْثِ يَحْكُمُهَا الفُقَهَاء.

وَ كَانَ وَاجِبُ التَّهْنئةِ يَقَعُ عَليَّ شَخْصِيّاً أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِي لِعَلاقَتِيْ الوَثِيْقَةَ بالإِمَامِ الخُمَيّني. فَزُرْتُ إيران بَعْدَ شَهْرٍ وَ نَصْف - وَ رُبَّما أكثر - مِنْ دُخُولِ الإِمَامِ طَهران إِثْر عَوْدَتِه مِنْ مَنْفَاهُ باريس، فَرَحَّبَ بِي كثيراً، وَ كَانِتْ زِيَارِتِيْ مُنْفَرِدَةً عَن زِيَارَةِ وَفْدِ عُلَمَاءِ الشِّيْعَةِ فِيْ العِرَاق.

وَ فِيْ جَلْسَةٍ خَاصَّةٍ مَعَ الإمَامِ قَالَ لِيْ: سَيِّد حُسين، آنَ الأوانُ لِتَنْفِيذِ وَصَايَا الأئِمّة صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِم، سَنَسْفِكُ دِمَاءَ النَّوَاصِبِ نَقْتُلُ أَبْنَاءَهُم وَ نَسْتَحِيي نِسَاءَهُم، وَ لَنْ نَتْرُكَ أَحَداً مِنْهُمْ يُفْلِتُ مِنَ العِقَاب، وَ سَتَكُونُ أَمْوَالُهُم خَالِصَةً لِشِيعَةِ أَهْلِ البَيْت، **وَ سَنَمْحُو مَكَّةَ وَ المَدِيْنَة مِنْ وَجْهِ الأَرْضِ** لأَنَّ هَاتَينِ المدِيْنَتِينِ صَارَتَا مَعْقَلَ الوَهَّابِيِّين، وَ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ كربلاء أَرْضَ اللهِ المُبَارَكَةِ المُقَدَّسَة، قِبْلَةً للنَّاسِ فِيْ الصَّلاةِ وَ سَنُحَقِّق بِذَلِكَ حُلْمَ الأَئِمّةِ عَلَيْهِم السلام.

لَقَدْ قَامَتْ دَوْلَتُنا الَّتِيْ جَاهَدْنَا سَنَوَاتٍ طَويلة مِنْ أَجْلِ إِقَامَتِهَا، وَ مَا بَقِيَ إِلا التَّنفِيذ!! « ا.هـ.

وَ إِذَا رَبَطْنَا هَذِهِ المَقُولَة بِوَاقِعِ الرَّافِضَةِ اليَوْمَ فِيْ العِرَاق؛ نَجِدُ أَنّ فَيْلَق الغدر وَ جَيْشُ المَهْدِيّ المزْعُوم وَ غَيْرِهما قَدْ قَامَ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ خَيْرَ قِيَام.

فَهُوَ يُدَاهِمُ بيُوتَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِحُجَّةَ البَحثِ عَنْ المجَاهِدِين، وَ حَتى لَوْ لَمْ يَجِدُوهُم، فَإِنَّهُمُ يقُومونَ بِقتْلِ الرِّجَالِ، وَ اقْتِيَادِ النِّسَاءِ، وَ سَجْنِهم، وَ استَباحَةِ أَعْرَاضِهِم، وَ نَهْبِ كُل مَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْتَهَبَ مِنْ بيُوتِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَأَصْبَحَتْ هُنَاكَ العَدِيدُ مِنِ الجَرَائِمِ، وَ الانْتِهَاكَاتِ، وَ المآسِي التِّي قَامَتْ بِهَا هَذِهِ العِصَابَاتِ وَ المِلِيشِيَّات الرَّافِضِيَّة بِمُفْرَدِهَا أَوْ بِمُسَاعَدَةِ القُوَّاتِ الأَمْرِيكِيَّة المحْتَلَّةِ و بِتَحْرِيضٍ مِنهَا، وَ التِّي تَدُلُّ عَلَى بَشَاعَةِ مَا حَدَثَ خِلاَلَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ العِجَافِ، فَقَتَلَ المِئَاتِ مِنْ حَمَلَةِ الشَّهَادَاتِ العُلْيَا، وَ الخِبْرَاتِ العِلْمِيَّةِ والأَكَادِيمِيَّةِ فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، وَ الطِبِّ، وَ الهَنْدَسَةِ؛ نَاهِيكَ عَنْ المِئَاتِ مِنْ القَتْلَى مِنْ أَئِمَّةِ المسَاجِدِ، وَ الخُطُبَاءِ، وَ العَامِلِينَ فِي المسَاجِدِ مِنْ مُنْتَسِبِي دِيوَانِ الوَقْفِ السُّنِيّ، وَ مِئَات المعْتَقَلِينَ مِنْ أَئِمَّةِ المسَاجِدِ وَ الخُطُبَاءِ وَ أَهْلِ المسَاجِدِ، وَ مِئَات مِنْ المسَاجِدِ التِّي تَمَّ مُدَاهَمَتُهَا وَ إِهَانَتُهَا، وَ عَشَرَاتِ المسَاجِدِ التي دمرت أو تَضَرَّرَتْ ضررًا كبيرًا، أَوْ التِّي اسْتُوْلِيَ عَلَيْهَا، وَ حَوَّلَتْ إلى حُسَيْنِيِّاتٍ أَوْ أَمَاكِن لِلْتَعَذِيبِ، وَ خَاصَّةً فِي المحَافَظَاتِ الوُسْطَى، وَ الجَنُوبِيَّةِ.

وَ لَمْ يَقِفْ بَغْيُهُم، وَ جورُهُم عَلَى الرِّجَالِ؛ بَلْ طَالَ اِعْتِقَالَ النِّسَاءِ، وَاِغْتِصَابَهِنَّ،وَقَتْلَ الحَوَامِلِ مِنْهُنَّ، وَكَذَلِكَ قتْلَ الأَطْفَالِ حَتَّى الرُّضَّعِ مِنْهُم، وَلاَ مِنْ نَصِيرٍ مِنْ المسْلِمِينَ إِلاَ مَنْ رَحِمَ اللهُ، فَإِنَّا للهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

عاشراً: لَقَدْ ثَارَتْ أُمَّةُ الإِسْلاَمِ عَلَى مَا رَسَمَهُ أَحَدُ الصَّلِيبِيِينَ مِنَ الدِّنِمَرْك مُسْتَهْزِئاً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ هُوَ مَا يَدُلُّ عَلَى غيرتِهَا عَلَى رَسُولها عَلَيْهِ الصَّلاةِ وَ السَّلاَمِ. فَكَيْفَ لاَ تَثُورُ غِيرَةُ عُلَمَاءِ الإِسْلاَمِ وَ دُعَاتِهِ عَلَى شَرَفِ، وَ مقَامِ النَبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَمَّ الذِي يَنْتَقِصُهُ هؤلاءُ الرَّافِضَة اللِّئَامِ، الَّذِينَ يَتَسَتَّرُونَ بِثَوْبِ حُبِّ أَهْلِ البَيْتِ، وَ هُمْ مِنْهُم بُرَآءٌ؛ بِالطَّعْنِ بأَزْوَاجِ النَّبِيّ، وَ أَصْحَابِهِ، وَ حَمَلَةِ دِينِهِ إلى النَّاسِ أَجْمَعِين.

فَوَاللهِ مَنْ يَتَقَرَّبُ إلى هؤلاءِ الرَّافِضَةِ المُبْتَدِعَةِ المُفْسِدِينَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ؛ مَا هُوَ إِلاَ رَجُلٌ قَدْ قَسَى قَلْبُهُ، وَ أَظْلَمَ وَجْهُهُ، وَ جَمُدَتْ عَيْنُهُ.

حادِي عشر: إِنّ الرَّافِضَة هُمْ **أَوَّلُ مِنْ تَبَنَّى وَ أَسَّسَ المَنْهَجَ التَّكْفِيرِيّ الضَّال المُنْحَرِفَ**، **حَيْثُ كَفَّرُوا ابْتِدَاءً جُلَّ صَحَابَةِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَمَّ** مِمَّنْ نَقَلُوا لَنَا الدِّينَ، وَ فَتَحَ اللهُ بِهِم الإِسْلاَمَ إِلَى أَرْجَاءِ المعْمُورَةِ، وَ لَمْ يَكُنْ خَطَرُ تَكْفِيرِهِم محصُوراً فِي الجَانِبِ النَّظَرِيّ فَحَسْب، بَلْ تَعَدَّى ذَلِكَ إلى الجَانِبِ العَمَلِيّ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ السُّنَّةَ السَّيِّئَةَ بِقَتْلِ أَئِمَةِ وَ خُلَفَاءِ المسْلِمِينَ، كَمَا فَعَلُوا مَعَ سَيِّدْنَا عُمَرَ الفَارُوق رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَ غَيْرُه.

وَ تتَمَادَى عَجَلَةُ عَقِيدَةِ التَّكْفِيرِ عِنْدَهُمُ إلى تكْفِير أَهْلِ السُّنَّةِ كَافَّةً، مِمَّنْ يَسْمُونَهُم أَبْنَاءَ العَامَّة النَّوَاصِبَ بِحُجَّةِ إِنْكَارِ أَهْلِ السُّنَّةِ لِأَصْلٍ أَصِيلٍ عِنْدَهُمْ مِنْ أُصُولِ دِينِهِم؛ أَلاَ وَ هُوَ أَصْلُ الإِمَامَةِ وَ العِصْمَةِ، وَ الذِي جَعَلُوهُ مِنْ أَهَمِّ مُرْتَكِزَاتِ وَ أُصُولِ عَقَائِدِهِم الفَاسِدَةَ.

وَ مِمَّا يُجَسِّدُ هَذَا المعْنَى، وَاقِعَهُم العَمَلِيّ عَلَى مَرِّ الأَزْمِنَةِ، فَنَرَاهُم حَيْثُ تَمَكَّنُوا وَ تَهَيَّأَ لَهُم ظَرْفُ الغَدْرِ وَالخِيَانَةِ وَالعِمَالَةِ دَعَوْا لِتَطْبِيقِ هَذَا المنْهَجِ التَّكْفِيرِيّ المنْحَرِفِ، وَاليَوْمِ اسْتَبَاحُوا بِمَا يُغْنِي بِهِ لِسَانُ الحَالِ عَنْ لِسَانِ المقَالِ دِمَاءَ، وَ أَعْرَاضَ، وَ أَموالَ أَهْلِ السُّنَّةِ حَيْثُ اتَّخَذُوا ذَرِيعَةَ ضَرْبِ بَعْضِ المرَاقِدَ الشِّرْكِيَّةِ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ لأَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى زَعْمِهِم، عِلْمًا أَنَّ خُطُوطَهُمُ الحَمْرَاءِ قَدْ تَجَاوَزَهَا سَادَاتُهم الأمريكان بِفَرَاسِيخَ وَأَمْيَالٍ عَدِيدَةٍ، وَلَمْ تُحَرِّكْ مَرَاجِعُهُم الهَارِبَةُ خَارِجَ البِلاَدِ حِينَئِذٍ –نَاهِيكَ عَنْ عَوَامِّهِم– سَاكِنًا كَمَا فَعَلَتْ اليَوْمَ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ، بَلْ وَ قَابَلَ وَكَافَأَ جَيْشُ مَهْدِيهِم قُوَّاتِ الاحْتِلاَلِ التِّي ضَرَبَتْ المرْقَدَ المزْعُومِ للإِمامِ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِتَسْلِيمِ أَسْلِحَتِهِمُ بِذِلَّةٍ وَصِغَارٍ لمن قتَلَهُم وَأَذَلَّ مُقَدَّسَاتِهِم، فَكَانَت مَسْرَحِيَّة ضَرْبِ مَرْقَدَيّ الهَادِي وَالعَسْكَرِيّ المزْعُومَيْنِ ذَرِيعةً وَاهِيَةً زَائِفَةً كَشَفَتْ عَنْ قِنَاعِ حِقْدِهِم الدَّفِينِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ دُونَ أَنْ تُمَيِّزَ بين جَمَاعَةٍ مِنْهُم أَوْ أُخْرَى.

وَ مِمَّا يُثِيرُ العَجَبَ، أَنَّ هَذِهِ الأَفْعَالِ الوَحْشِيَّة مِنْهُم لَمْ تَنِلْ أَعْدَاءَ الإِسْلاَمِ مِنْ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ العَالمِ كَمَا نَرَاهُ اليَوْمَ، بَلْ عَلَى العَكْسِ؛ كَانُوا لهُمْ خَيْرَ عَوْنٍ وَنَصِير عَلَى مَرِّ العُصُورِ، وَ كَرَ الدُّهُورِ عَلَى الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ. وَ بِهَذَا تَتَجَلَّى لِلْنَاسِ كَافة أَنَّ ثَوْرَتَهُم الغَوْغَائِيَّة هَذِهِ بِسَبَبِ مَرَاقِدِهِم الشِّرْكِيَّة، و التي اِفْتَعِلَتْ أَزْمَتُهَا مِنْ سَادِتِهِم المجُوسِ، لَهِي خَيْرُ دَلِيل عَلَى تَعْظِيمِهِم بَلْ وَ تَقْدِيمهم حُرُمَاتِ أَئِمَّتِهِم المعْصُومينَ عَلَى حُرُمَاتِ اللهُ وَرَسُولِهِ وَالمسْلِمِين حِينَمَا تُنْتَهَكُ مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ الدِّينِ فِي شَتَّى بِقَاعِ الأَرْضِ، فَمَثلاً؛ لم تَثُرْ ثَائِرَتُهُم كَمَا نَرَاه من أَفْعَالهِمُ اليَوْمَ عَلَى مَنْ نَشَرَ الصُّوَرَ المسِيئَةَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وَ عَلَى الْمُحْتَلِين الذين أَسَاؤوا لعَقِيدَةِ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ **مِمّا يَدُلُّنَا عَلَى تفْضِيلِهِم أئمَّتَهم عَلَى مَقَامِ اللهِ وَ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ**.

فَيَا أَهْلَ السُّنَّةِ أَفِيقُوا وَانْتَهِضُوا؛

وَ اِسْتَعِدُّوا لِلَفْظِ وَ بَكَرْ سُمُومِ أَفَاعِي الرَّافِضَة، التِّي كَانَتْ تَلْدَغُ بِكُم وَتَسُومُكُم سُوءَ العَذَابِ مُنْذُ احْتِلاَلِ العِرَاقِ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَ كَفَاكُم مِنْ دَعَاوَى تَرْكِ الطَّائِفِيَّة وَ الوِحْدَةِ الوَطَنِيَّة، وَ التِّي أَصْبَحَتْ تُسْتَخْدَم سِلاَحًا لِتَروِيضِكُم وَ تَثْبِيطِكُم وَ اِسْتِسْلاَمِكُم، وَ تَطْبِيعِكُم عَلَى الجُبْنِ حينَ تَتَعَرَّضُون لِكَيْدِ وَ لَؤمِ هؤلاءِ، الذِينَ كَانُوا مِنْ أَبْرَزَ مَنْ وَالَى وَ سَا لَمَ المحْتَلَ، وَ سَعَى فِي

تَخْرِيبِ وَنَهْبِ خَيْرَاتِ البِلاَدِ.

وَ لَمْ يَكْتَفُوا بِهَذَا، بَلْ وَاسْتَمَرُّوا بِتَنْفِيذِ مُخَطَّطَاتِهِم وَ سُمُومِهِم عَلَيْكُم بِزِيّ الحَرَسِ وَ الشُّرْطَةِ، فَأَوْقَعُوا مَا أَوْقَعُوا مِنْ جَرَائِمَ، وَ فِتَنٍ بَيْنَ صُفُوفِكُم مِنْ قَتْلٍ، وَ نَهْبٍ، وَ اعْتِقَالٍ لِرِجَالٍ، وَ أَطْفَالٍ، وَ نِسَاءٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ بِمُسَانَدَتِهِم لَقُوَّاتِ الاحْتِلاَلِ أَوْ بِمَنَاصِبِهِم الرَّسْمِيَّةِ، وَ التي اتَّخَذُوهَا غِطَاءً يُسُومُونَكُم بِهِ سُوءَ العَذَابِ، فَيُذَبِّحُون بِهِ أَبْنَاءَكُم، وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ.

وَ نَرَاهُم عَقَدُوا الخُطَطَ المشْتَرَكَةَ الخَبِيثَةَ، وَ تَقَاسَمُوا أَدْوَارَهَا، فَالسِيسْتَانِيّ الإِيرَانِيّ وَاعِظُ المحْتَلِ إِمَامٌ لِلْكُفْرِ وَ الزَّنْدَقَةِ يُشَرْعِنْ الفَتَاوَى ذَاتِ البَلاَوَى عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَ بِمَا يَخْدُمُ مَصَالِحَ المحْتَلِينَ، وَ الحَكِيم، وَ الجَعْفَرِيّ، وَ مَنَ وَالاَهُم مِن ذِئَابِهِم يَتَسَتَّرُون بِجُلُودِ الخِرَافِ، بِلَبْسِ ثَوْبِ العَمَلِيَّة السِيَاسِيَّة المزْعُومَة ظاهِراً، وَ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ وَ الوَاقِعِ لِتَثْبِيتِ وَ تَوْسِيعِ الرُّقْعَةِ الجُغْرَافِيَّةِ لِلْحُكْمِ الفَارِسِيّ الإِيرَانِي الرَّافِضِيّ.

وَ أَمَّا فِي مَا وَرَاءَ الكَوَالِيس فَيُمَارِسُونَ حَمْلَةَ الإِبَادَةِ الجَمَاعِيَّةِ المنَظَّمَةِ الشَّرِسَةِ مُنْذُ أَكَثَرُ مِنْ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ عَلَى مُخْتَلِفِ طَبَقَات المجْتَمَع، وَ بِخَاصَّةً الفِئَة البَنَّاءَة السُّنِّيَة فِي المجْتَمَعِ من خِلاَلِ الاغْتِيَالاتِ وَ الاعْتِقَالاتِ فِي غَيَابَات سُجُونِ الدَّاخِلِيَّة، وَ بعضِ حُسَينِيَّاتهم التِّي يَسُومُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فيها سُوءَ العَذَابِ.

أَمَّا جَيْشُ المَهْدِيّ المَزْعُوم عِنْدَهُم، فَقَد كَانَ تَشْكِيلُه مَعْقُودًا أَسَاساً عَلَى حِمايَةِ عَقِيدَتِهِم الرَّافِضِيَّة، وَ مُحَارَبَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَ أَرَادُوا من تَهْيِأَتِهِ؛ جَعْلَهُ وَرَقَةً بَدِيلَةً يُقَامِرُونَ بِهَا لِتَمْكِينِ العَقِيدَةِ الرَّافِضِيَّةِ فيما إِذَا كَانَتْ كَفَّة المقَاوَمَة رَاجِحَة عَلَى كَفَّةِ السِيَاسِيينَ لاعْتِلاَءِ الحُكْم.

وَ مِماَّ يَدُلُّنَا عَلَى عُمْقِ، وَ جُذُورِ حِقْدِهِم: مَا ذَكَرَهُ **مُقْتَدَى الصَّدر** فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ لَهُ فِي الكُوفَةِ بَعْدَ دُخُولِ الصَّلِيبِيينَ، وَ تَشْكِيلِ جَيْشِهِم، قَالَ فِيهَا: (**إِنَّ هَذَا الجَيْشَ أُنشأَ لِمُعَاقبَةِ من تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ أَمِيرِ المؤْمِنِينَ عَلِيّ رَضِيَ الله عَنْهُ!**)، **فَتَأَمَّلُوا يَا إِخْوَتِي هَذَا الكَلاَمَ الذِي صَدَرَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ تطلَقَ طَلْقَةٌ بَيْنَنَا، وَ بَيْنَهُم.**

وَ قد جَاءَ اليَوْمِ الذِي بَانَتْ سَوْءَتُهُم لِلْقَاصِي، وَ الدَّانِي، وَ ظَهَرَتْ حَقِيقَتُهُم لِكُلِ راءٍ، وَ سَامِعٍ بِمَا لا يَجْعَلُ مَجَالًا لِلْشَكِّ، لاَنّ هَؤُلاَء الحَاقِدِينَ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِن إِلاً وَ لاَ ذِمَّة، وَ مَا تُخْفِي صُدُورِهِم أَكْبَر، فَفَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنْ بَغْيٍ، وَ ظُلْمٍ، وَ قتلِ المشَايِخ، وَ المصَلِّينَ، وَ أَبْرِياء النَّاسِ بِعَمَلِيَّة دُبِّرَتْ بِلَيْلٍ بالأَمْسِ القَرِيب، وَ بِفِتْرَةٍ قِيَاسِيَّة عَلَى مَا يقْرُبُ مِنْ المائتَيّ مَسْجِدٍ مِمَّا يَدُلُّ

عَلَى أَنَّ هَذَا العَمَلَ الجَبَانِ مِنْهُم كَانَ مُدَبرًا مُفْتَعَلاً، وَ مَدرُوسًا بِتَرْتِيبِ الدَّوْلَة السَّبَئِيَّة، فقدْ قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة:١١٤].

وَلَمْ يَقِف الأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الحَدّ، بَلْ فَعَلُوا فِعْلَةً يَنْدَى لهَا جَبِين التَّارِيخِ المعَاصِرِ بتَفَرُّدِهِم بِأَفْعَالٍ كُفْرِيَّةٍ مُشِينَةٍ فَاقُوا، و امْتَازُوا بِهَا عَنْ الكُفَّار الأَصْلِيينَ المحَارِبِينَ لِهَذَا الدِّين، **حَيْثُ مَزَّقُوا المَصَاحِفَ**، وَ الآيَاتِ القُرْآنيَّة، وَ المعَالم الإِسْلاَمِيَّة فِي العَشَرَاتِ من بيُوتِ اللهِ حَتّى أَثْبَتُوا أَنَّهُم أَعْدَاءُ اللهِ حقًّا قَاتَلَهُم الله أنَّى يُؤْفَكُون!.

فنَقُولُ لَهُ [أي مقتدى الصدر]؛ **لَقَد تَعَدَّيْتَ حُدُودَكَ، وَ اجْتَرَأْتَ عَلَى حِمَى أَهْلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ بَعَدَ ذَلِكَ ادَّعَيْتَ زُوراً، وَ كَذِبًا وَ تَدلِيساً، وَ تَموِيهاً، بِأَنَّكَ مِمَّنْ أَمَر أَتْبَاعَه بِحِمَايَةِ مَسَاجِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَ عَلَيْهِ فَنَحْنُ قَدْ قَبِلْنَا دُخُولَ المَعْرَكَةِ مَعَكَ، وَ مَعَ قَطِيعِ أَغْنَامِكَ، وَ لَكِنْ بِشَرْطَيْنِ اثنَيْنِ، لابُدَّ أَنْ تَقُومَ بِهِمَا، وَ لاَ أَخَالُكَ تَفْعَل؛**

الشَّرْطُ الأَوَّلُ: أَنْ تَقِفَ أَنْتَ، وَ مَنْ مَعَك وَقفَة رَجُلٍ وَاحِدٍ تَسْتَرِدُّونَ فِيهَا أَسْلِحَتَكُم؛ التّي بِعْتُمُوهَا لِلْصَلِيبِيينَ، وَ أَنْتُم أَذِلّة صَاغِرِينَ، يَوْم أَنْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ شُرُوطَه، وَ قَامَ بِإِهَانَتِكُم فِي عُقْرِ دَارِكُم، وَ وَطِئَتْ أَقْدَامِ جُنُودِهِ الصَّحْنَ الحَيْدَرِيّ المزْعُوم.

و **الشَّرْطُ الثَّاني: أَلاَّ يَخْرُجَ فِي جَيْشِكَ لِقِتَالِنَا إِلاَّ مَنْ عَرَفَ وَالِدَهُ.**

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٢١]

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي
أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

وَ عُضْوُ مَجْلِسِ شُوْرَى المُجَاهِدِينَ فِيْ العِرَاق
العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

حِوارٌ مَعَ الشيخِ المُجاهدِ أبي مُصعَبٍ الزَرقاوي –تقَبّله الله–

أجرى الحوار القسم الإعلامي لـ «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين»

كان الإخوة في القسم الإعلامي لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين –سابقاً– قد طلبوا قبل سنةٍ تقريباً من الشيخ أبي مصعب رحمه الله من إجراء لقاء معه لأجل الوقوف على بعض الإجابات الملحة عن قسم التساؤلات ،ولكن الشيخ أبا قال لهم؛ بأنه سيستخير الله تعالى ثم يعطيهم رأيه بهذا الطلب .

وفعلا جائهم الجواب بعد مدة؛ أن الشيخ وافق على طلبهم، وتم استدعاء مراسل القسم الإعلامي لتنظيم القاعدة آنذاك –الأخ أبي اليمان البغدادي رحمه الله– لإجراء لقاء «صحفي» مع الشيخ أبي مصعب.

وكانت المقابلة جرية على شكل حوار، حيث دخل الأخ أبي اليمان في نقاش مطول مع الشيخ أبي مصعب.

وإلى الإخوة الكرام تقدم «مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي» هذه المقابلة التي حصلت عليها من أرشيف الإخوة في القسم الإعلامي لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

سائلين الباري جل ذكره التوفيق والسداد في أمرنا كله .

والله المستعان وعليه التكلان

أبو اليمان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته شيخنا أبا مصعب.

الشيخ أبو مصعب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

س | من هو الشيخ أبو مصعب؟

ج | اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا ما شئت سهلا.

أخوكم في الله؛ العبد الفقير لعفو ربه، أحمد فضيل نزال الخلايلة، من عشائر بني حسن في الأردن.

س | متى كانت بداية توجهك إلى التدين؟

ج | كان ذلك في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، وكانت بدايتي في مسجد «الحسين بن علي»، الكائن في مدينة الزرقاء، ثم بعد التزامي بستة أشهر ذهبت إلى أفغانستان حيث أرض الجهاد.

س | الجهة التي احتضنتك هل كانت ذا توجه معين أو ذات تدين عام؟

ج | الشباب الذين اهتديت على أيديهم كانوا من أصحاب التدين العام، وتعرف أن المرء قبل الالتزام لا يميز بين المناهج، لكن على العموم كان تديني تديناً عاماً.

س | هل كانت هناك شخصية معينة تأثرت بها قبل هدايتك؟

ج | لا، لم يكن هناك أي شخصية قد تأثرت بها قبل التزامي.

وكان الداعي الذي دفعني إلى التدين أني مررت بأكثر من حادثة تعرضت فيها للهلاك وشارفت

معها على الموت، فشعرت أن الله عزّ وجل ينذرني، وبعدها اهتديت والتزمت طريق الإسلام.

س | الانتقال من التدين العام إلى ذروة الإسلام، وهو الجهاد، كيف تمّ ذلك؟

ج | خلال وجودي مع الإخوة في المسجد كنت – بفضل الله تعالى – محافظاً على صلاة الجماعة، وكان الإخوة يتذاكرون أخبار الجهاد في أفغانستان، وكانت تأتينا من هناك بعض الأشرطة للشيخ عبد الله عزام رحمه الله، الذي كان له تأثيراً كبيراً في توجّهي صوب الجهاد، وكانت تأتينا كذلك «مجلة الجهاد» وبعض الأفلام المرئية التي أثّرت فيّ كثيراً وجعلتني من بين الشباب الذين حرصوا على الذهاب إلى ساحات الجهاد في أفغانستان.

وعزمت على الهجرة تاركاً ورائي أهلي، حيث لم يكن مضى على زواجي إلا مدة قصيرة جداً، تقارب الشهرين، وكان عمري آنذاك ثلاث وعشرين سنة.

س | الرحلة إلى أفغانستان كيف تمت؟

ج | حصلت على «الفيزا» من السفارة الأردنية، لأن الأمر كان وقتها ميسراً من قبل هذه الأنظمة التي تأتمر بأمر أمريكا، فسهلت انتقال الشباب إلى أفغانستان من أجل القضاء على الاتحاد السوفيتي وإيقاف زحفه نحو المياه الدافئة، كما هو الحلم الروسي.

وتعلم أن العالم كان منقسماً تحت سلطة المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي الشيوعي، وكان كلاهما يتنافس على مناطق النفوذ، لا سيما في الشرق الأوسط، ولما كانت الدول العربية على الأغلب تابعة للإرادة الأمريكية فقد غضّت الطرف عن إعلان الجهاد على الإتحاد السوفيتي، ومن ثم يسّرت هذه الدول طرق الوصول إلى أفغانستان.

وقد كان وصولي إلى أفغانستان في سنة **١٩٨٩**م وبعد أن مكثتُ ثلاث سنوات هناك عدتُ إلى الأردن في عام **١٩٩٢**م.

س | ما هو سبب خروجك من أفغانستان؟

ج | كنا في أفغانستان، ولكن – سبحان الله – بدأت الأحزاب تتقاتل فيما بينها بعدما سقطت كابل، ورأينا بعض الأوضاع التي كانت بعيدة عن المنهج القويم، فارتأينا أن نخرج من أفغانستان لنحاول أن نفعل شيئاً في بلاد الشام، وعلى وجه الخصوص في فلسطين والأردن.

س | إذن كان رجوعكم طلباً لنقل تجربة الجهاد الأفغاني إلى أرض الشام، ولكن ما هو تقيمك للتجربة التي خضتموها في الأردن؟

ج | لما رجعنا إلى الأردن كانت عندنا نوعاً من الحماسة الزائدة، وهذا واضح، وكنا نشكو كذلك من قلة الخبرة وضعف التجربة، إذ لم نكن قد خضنا تجربة كافية.

س | هل لكون التجربة كانت عسكرية بحتة أو ماذا؟

ج | أجل، نوعاً ما كانت التجربة عسكرية، ويطغى عليها احتراف فنون القتال، ولم يكن هناك ثمة تأكيد على الجوانب التنظيمية أو على ما يجب مراعاته من بناء شرعي.

فكنا نريد أن نقيم الجهاد بما أمكن، وقد نكون تعجلنا في بعض المسائل، وكان هناك بعض الثغرات الأمنية، بسبب ضعف خبرتنا التنظيمية وقصور تجربتنا الجهادية آنذاك.

وهذا الذي أذكره خاص بتجربتي التي خضتها مع بعض الإخوة الذين قرّروا نقل التجربة إلى الأردن، فلم تكن ثلاث سنوات في أفغانستان لتكفي.

س | بماذا نفعكم الجهاد في أفغانستان وبماذا أضر؟

ج | على العكس، لقد نفعنا الجهاد في أفغانستان، وهذا أمر لا شكّ فيه.

أما القصور؛ فقد كان بسبب طبيعة الأوضاع في أفغانستان – آنذاك – حيث عشنا هناك حياة الجبهات، وكان جهاداً عاماً مع الكفار، وكنا نجلس الشهور الطويلة في الجبهات، ولم يكن هناك برنامج منظم بحيث إنك تكون وسط جماعة تبدأ تربيتك تربية جهادية، تشمل التربية الشرعية والتنظيمية ولم يكن هناك شيء من هذا، بل كانت هناك معسكرات تتدرب فيها ثم تنزل إلى الجبهات لترابط وتقاتل فحسب.

س | ما هي أوجه الشبه والفروق بين الحال الآن في العراق وبين ما جرى في أفغانستان أيام الجهاد الروسي؟

ج | هناك لم تتسن فرصة للتنظيم أو لبناء شخص منظم.

أما في العراق الآن؛ فإن التجربة من هذه الناحية أفضل، ولعل من أسباب ذلك أن المجاهدين في العراق استفادوا من تجارب السابقين.

وخلال المدة اللاحقة – أي بعد وصول طالبان إلى الحكم – نضجت التجربة، وقد كانت التجربة السابقة كفيلة في إنضاج وتوضيح الكثير من الأوضاع اللازمة للجهاد الصحيح، وهذا الأمر واضح، فمنذ خروجنا من أفغانستان سنة **١٩٩٢**م إلى اليوم فرق كبير.

س | كم بينك وبينهم؟

ج | **١١** سنة، وهي كفيلة بأن تُنضج رؤيتنا للأمور وطريقة التعامل مع الأحداث.

س | هل هذا هو السبب الرئيس أو من أهم الأسباب؟

ج | إن الجهاد في أفغانستان له مقوماته، لكن لاشك أن الجهاد في العراق في مدة قصيرة استطاع أن ينكل – بفضل الله تعالى – بالكفار وأن يوقع بهم نكاية عظيمة.

مع ملاحظة أمر هام؛ وهو أن المعطيات الموجودة على الساحة العراقية غير موجودة في أفغانستان.

س | ما هي أهمية وضوح المنهج واستقامته مع الكتاب والسنة في سير الجهاد؟

ج | وضوح المنهج مهم لأي جماعة تجاهد في سبيل الله تعالى، ولابد للجماعة المجاهدة أن تحدد هدفها في بداية الطريق؛ لماذا تجاهد؟ وعلى أي أساس تجاهد؟

س | ما هي أهم الأخطاء التي شهدها الجهاد الأفغاني ضد الروس؟

ج | كان الناس يقاتلون لإسقاط الحكم الشيوعي وتحكيم شرع الله عزّ وجل، فالهدف من هذه الناحية كان واضحاً.

ولكن تبين لنا مع مرور الأيام؛ أن الكثير من الجماعات المقاتلة كانت على منهج معوج.

وهنا من الواجب علينا الاستثناء، لأن هناك بعض الفصائل كانت ذات منهج جيد، ولابد من التفريق ما بين حسن القصد وصحة المنهج، ولا نشكك في النيّات، فنقول: كان هناك قصور في الرؤية وهذا جعلهم يقبلون العلماني والشيوعي والقتال مع الوطني، وفاتهم التمييز منذ البداية، فواجهوا مشاكل جمّة في الأخير.

أغلب الرموز من القادة في أفغانستان كانوا «إخوان» أو علمانيين يزعمون الجهاد كـ «سياف» و «رباني» و «حكمتيار» و «أحمد شاه مسعود»، لهذا لم يكن منهجهم واضحاً على الرغم من زعمهم أنهم يريدون تطبيق الشريعة.

وسبب ذلك أن أفغانستان كان لها ميزة تختلف كثيراً عن دول العالم الإسلامي، وهي صفة الالتزام وحب تطبيق الشريعة، فطبيعة الشعب الأفغاني محافظ، وهذا ما أدى إلى أن يكون السمت العام لهم سمتاً إسلامياً، لكن من ناحية المنهج فإنه لم يكن مطروقاً عندهم بوضوح، فماذا كانت النتيجة؟

لقد أظهرت القيادات – التي كانت ذا منهج معوج – خياناتهم فيما بعد كـ «سياف» و «رباني» و «أحمد شاه مسعود» وتحالفوا مع البوذيين الهنادكة ومع الأمريكان، وقبلوا بالأمريكان ولم يقبلوا بطالبان.

س | بماذا تختلف طالبان عن البقية؟

ج | طالبان تختلف عن قادة الجهاد الأول، والذين كانوا – معظمهم – ينتمون إلى «المدرسة الحركية الإخوانية»، بخلاف حركة طالبان، التي يغلب عليها طابع ما يعرف عندهم بـ «الملالي».

ولما كانت طالبان هي مدرسة من المدارس الدينية، أصحاب منهج المدرسة الديوبندية، وتختلف عن «مدرسة الإخوان»، فلهذا لم يقبل هؤلاء بها، ولذلك وجدتهم وقفوا في صف الأمريكان.

وللأسف الشديد، هذا إن دلَّ؛ دلّ على فساد المنهج عند هؤلاء القوم، لكن هذا الفساد لم يكن ليظهر في بداية الأمر للناس، ثم بعد مدة انكشفت الخبايا، وعند النوازل تنكشف الحقائق وتتميز الصفوف.

س | بالمقابل يطالبكم المنظرون قائلين؛ ما هو منهجكم؟ وما هو مشروعكم السياسي؟ وإلى ماذا تبتغون الوصول؟

ج | أما برنامجنا السياسي – كما يسميه البعض – فإنا نجده مجموعاً مفصلاً في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده).

ومما ينبغي التنويه له؛ أننا لا نؤمن بالسياسة على الطريقة المعهودة عند بعض الجماعات ذات التوجه الحزبي والتي ترفع الإسلام شعاراً لها ثم تراها داخلة في البرلمانات وتشارك الطغاة في إشغال المناصب التي تحتكم لغير شرع الله.

كما أن المشاريع السياسية لبعض الجماعات؛ فيها متاهات مريرة ومخالفات كثيرة – نسأل الله تعالى السلامة منها – ولهم تطبيقات منحرفة بعيدة كل البعد عن الدين.

مشروعنا السياسي – كما أسلفت – قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده).

وكما يُلاحَظ؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث بالسيف حتى يعبد الله وحده وهذا ما يحدد مشروعنا السياسي؛ نقاتل في سبيل الله حتى يقام شرع الله، وأول ذلك؛ أن نطرد العدوّ ثم نقيم دولة الإسلام ثم ننطلق في فتح بلاد المسلمين لاستردادها، ثم بعد ذلك نقاتل الكفار حتى يقبلوا بإحدى ثلاث.

«بعثت بالسيف بين يدي الساعة»؛ هذا هو مشروعنا السياسي.

ووالله لولا لم يقاتلنا الأمريكان ولم يصولوا على ديارنا هم واليهود، كان الأولى بالمسلمين أن لا يجلسوا عن الجهاد في سبيل الله وأن يطلبوا العدوّ حتى يُحَكّم شرع الله عزّ وجل على هذه البسيطة ويُنشر الإسلام في كل مكان.

وهذا ما كان يفعله النبي عليه الصلاة والسلام عندما خرج من مكة إلى المدينة، فبعد أن أقام دولة الإسلام، بدأ يتحرك بنشر الإسلام في الشرق والغرب وفي الشمال وفي الجنوب.

مشروعنا السياسي الآن؛ طرد العدوّ الصائل – هذا بداية – أما مشروعنا بعده؛ فهو إقامة شرع الله تعالى في الأرض، «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده».

هذا برنامجنا السياسي؛ «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده».

وفي الجملة؛ فإن هذا الحديث من بدايته إلى نهايته يحدد معالم طريقنا.

أما الذين يقصدون بالمشروع السياسي؛ المصطلح الحادث – الذي يخالف الشرع، كالسياسة التي فيها مداهنة وتنازل عن ثوابت العقيدة وتمييع مسائل البراءة من الكفار – فهذا من السياسة المنحرفة التي لا يصح وصفها بالشرعية، لأنها تخالف الشرع ولا يصح أن تنسب إليه.

س | لم يزد «جون أبي زيد» على القاعدة عندما قال: (إن القاعدة تسعى خلال مائة عام للسيطرة على الأرض)؟

ج | لا نذيع سراً إذا قلنا؛ إننا نعمل على نشر عدل الإسلام في الأرض كلها، ومحق ظلم الكفر وجور الأديان، ونرجو من الله عزّ وجل أن يجعلنا طليعة للأمة في القتال من أجل ذلك، وأن يمنّ علينا حتى نطرد هذا العدوّ الصائل، ثم نسترد حقوق المسلمين ونطهر ديارهم من

رجس الكفر والشرك، ثم بعد ذلك ننشر دين الله عزّ وجل في الأرض.

ولا نجد غضاضة في التصريح بهذا الأمر، فهو أمر كتبه ربنا علينا وفرضه على عباده.

س | لماذا تؤكدون دائما على وجوب الجهاد في العراق؟

ج | الواجب على المسلم أن يلتزم بأوامر الله عزّ وجل كما أراد وكما أمر، وهو أن يسعى لتطبيق شرع الله عزّ وجل، كسعيه في أداء الصلاة والزكاة والحج، وكما أن هذه فروض وشعائر من شعائر الإسلام فرضت على العبد المسلم، فكذلك الجهاد في سبيل الله عزّ وجل فريضة من الفرائض.

والجهاد في حقه؛ فرض كفاية، ولكن يتعين في حالات ثلاث – ومنهم من قال؛ أربع – والمشهور أنها ثلاث؛ إذا دهم العدوّ ديار الإسلام يصبح الجهاد فرض عين، ويتعين كذلك إذا استنفر الإمام المسلمين، وإذا التقى الزحفان يتعين كذلك.

والحالة الأولى – أي دخول العدوّ ديار الإسلام أو صولته على المسلمين – هي أشد الحالات التي يتعين فيها الجهاد.

وهي التي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولا يشترط له شرط).

ولا يُظن أن شيخ الإسلام يقصد بعدم اشتراط أي شرط لجهاد الدفع، أنه نقاتل تحت أي راية، ومن غير أي ضوابط، وإنما قصد عدم اشتراط ما هو معهود عند الفقهاء من الشروط، ففي جهاد الدفع يخرج المدين من غير إذن الدائن، والمرأة من دون إذن زوجها، والولد من دون إذن والديه، هذا هو المقصود من كلام شيخ الإسلام: (ولا يشترط له شرط).

وجهادنا في هذا الوقت هو جهاد لدفع الصائل.

والناظر لحال الأمة اليوم؛ يرى بوضوح أن ما تتعرض له من هجوم هو حملة صليبية شرسة، لن تنتهي باحتلال العراق، ولن تتوقف قبل ابتلاع ديار الإسلام كلها وتنصير أهلها أجمعين – كما يتمنون –

والمعلوم؛ أن الحملة الصليبية استهدفت العراق بقصد التمكين لليهود وتحقيق حلم اليهود بقيام «دولة إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات، وعقيدة الإدارة الأمريكية في هذا واضحة، فهي تؤمن؛ بأنه لا نزول للمسيح – مسيحهم الدجال – قبل قيام دولة إسرائيل الكبرى ووقوع «معركة هرمجدون».

وكان من أهدافهم كذلك – المتفرعة عن هدفهم الأول – هو السيطرة المباشرة على منابع

النفط، للتحكم بأسعاره ومنع أي دولة من دخول حلبة المنافسة مع الأمريكان.

وكان من مخططهم؛ الانتقال إلى السيطرة المباشرة على جزيرة العرب والشام معاً.

ولهذا فإن الأمة – كل الأمة – مأمورة بدفع هذه الصولة الصليبية اليهودية عن ديار المسلمين والوقوف بوجه هذا المخطط، الذي إن نجح – لا قدر الله تعالى – فإن المسلمين سيكونون عند ذاك على خطر عظيم، يُهدد دينهم ووجودُهم بالزوال.

ولهذا نؤكد على أن الجهاد في العراق فرض عين على المسلمين، والواجب على المسلمين إعانة إخوتهم في بلاد الرافدين وإمدادهم بالمال وبالرجال وبكل ما يستطيعون من قوة.

والجهاد في العراق – كما قلت – هو جهاد لدفع الصائل، ومن هنا قلنا: إنه لا يشترط له شرط، وهو فرض عين على كل مسلم قادر، وهذه واحدة.

والثانية؛ أن النفير لنصرة مسلمي بلاد الرافدين واجبٌ على المسلمين كافة، والله يقول: {استنصروكم}.

س | هناك من يعترض على قدوم الإخوة المهاجرين العرب وغيرهم لنصرة إخوانهم ومحاربة الصليبيين، فماذا تقولون لمثل هؤلاء؟

ج | هؤلاء صنفان، فهم إما جهّال لا يفقهون طبيعة هذا الدِّيْن، وإما إنهم مغرضون يريدون أن يصدوا المهاجرين عن اللحاق بإخوانهم الأنصار للقتال في سبيل الله تعالى، حتى لا يُأخذ بقتالهم بصفة عامة إنه جهاد عالمي.

والذي يمنع نصرة المسلمين بعضهم لبعض، إما إنه جاهل؛ فيُعلم، وإنما إنه مغرض؛ فنسأل الله السلامة من سوئه وزغل قلبه.

ولا بد من التسليم؛ بأن من الواجب على المسلمين أن ينفروا لنصرة بعضهم بعضاً، ومن الضروري أن نتفق؛ بأن ديار المسلمين هي دار واحدة.

أما ما حدده الأعداء – الأمم الكافرة – من حدود ورسموها وقسموا بموجبها بلاد المسلمين إلى دويلات، فإنا لا نؤمن بها، ولا تُلزمنا حدود «سايكس بيكو».

نحن المسلمون أمة واحدة، وأراضي الإسلام أرض واحدة، نقاتل لأجل «لا إله إلا الله»، لا نقاتل لأجل أرض فحسب، لأننا مأمورون بالدفاع عن أهل الإسلام والنفير لأجل حفظ بيضة المسلمين ونصرة جميع إخوتنا في الدِّيْن.

هذا هو الأصل؛ أن ينصر المسلم أخاه المسلم.

أما هذه الفرضيات التي وضعوها؛ فإنها مما لم ينزل الله بها من سلطان، فالعراق ليس لـ «العراقيين» وحدهم، بل هي أرض الصحابة، هذه الأرض سبق أن فتحها أجدادنا ورويت بدماء أهل الإسلام.

جاء الصحابة من مكة والمدينة ومن غيرها ومن اليمن ففتحوا هذه البلاد، ومنها انطلقوا لنشر الإسلام، وعلى هذا؛ فإن الأصل الذي نحتكم إليه في مثل هذه القضية: أن بلاد الإسلام – سواء العراق أو غيره – هي أرض إسلامية يحكمها أهل الإسلام ويدافع عنها المسلمون، على اختلاف ألوانهم وتنوع أعراقهم.

أما إسباغ صفة العرقية أو الوطنية على جهاد يحددونه بحدود «سايكس وبيكو»؛ فهذا ما لا يلزمنا ولن نحتكم إليه ما حيينا، وسيسعى المجاهدون لتحطيم هذه الأصنام وهذه الطواغيت وهذه الحدود لأنها – أصلاً – من مخططات الصليبيين ومن وضعهم، فهم من وضع هذه الحدود المصطنعة.

نحن نقول لهم؛ نحن أمة واحدة نقاتل لأجل «لا إله إلا الله»، لا نلتزم بحدودكم، وأرض العراق هي لكل المسلمين، وأرض مصر هي لكل المسلمين، وهكذا بقية أراضي المسلمين.

س | لماذا ترون أن الجهاد في العراق إذا ما انتهى، ستصاب الأمة بانتكاسة – كما صرّحتم في أكثر من مرّة –؟

ج | العدوّ عندما صال على العراق كان في مخططه مواصلة الحملة الصليبية للسيطرة على الشام وعلى جزيرة العرب، وكما أسلفت؛ التمكين لدولة إسرائيل الكبرى، فكان يظن أن هذا المخطط – بعد سقوط النظام العراقي والجيش العراقي الذي تبخر في لحظات – سيكون سهلا ميسورا، وأنه سيسير على ما وفق ما يرجون، لكن عندما قام المجاهدون وجاهدوا هذا العدوّ – بفضل الله عزّ وجل – استطاعوا أن يقفوا في وجه هذا العدوّ الصائل ويبدّدوا أحلامه.

هنا بدأ العدوّ يسعى بحيل أخرى حتى يحاول أن يصل إلى ما يبتغيه.

وقوف المجاهدين كان فيه نعمة كبيرة وخير عظيم، ولو لم يقف المجاهدون لنفّذ المخطط، والله أعلم بأحوال الشام وأحوال الجزيرة العربية.

ونحن نعتقد؛ بأن هؤلاء كان عندهم برنامج للسيطرة على العراق وغير العراق، وهجومهم على العراق كان لذاته ولغيره، لذلك وجب على الأمة أن تساند المجاهدين وتقف إلى جانبهم في

مقاتلة هذا العدو.

أنظر ماذا يفعل العدوّ بالمسلمين؟ كيف يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وينتهك أعراضهم ويأخذ أموالهم؟

هو يفعل هذه الجرائم مع وجود المجاهدين، فما بالك لو لم يكن هنالك مجاهدون؟

فوجود المجاهدين صمّام أمان وخط دفاع عن الأمة أفشل – أو كاد أن يفشل – بفضل الله تعالى هذه المخططات، وإن لم يستطيعوا؛ ففي أقل تقدير أخّروا هذا العدوّ حتى تقف الأمة على أقدامها وتمتشق سلاحها وتنفض غبار الذّلِّ عنها وتجاهد في سبيل الله عزّ وجل.

ولهذا فإن سقوط المجاهدين أو انتهاء الجهاد في العراق سيترتب عليه نتائج وخيمة على الأمة.

نحن نعتقد؛ أن المجاهدين في بلاد الرافدين هم خط الدفاع الأول عن هذه الأمة، وأن الله سبحانه وتعالى منَّ على المجاهدين في هذا الجهاد بأن أثخنوا في العدوّ وأصابوا منه أكثر من مقتل وأوقعوا فيه الجراحات، ولهذا فإن المجاهدين صمام الأمان لهذه الأمة وسياجها المتين أمام هذه الغزوة الحملة الصليبية الرافضية.

فنحن نقاتل في العراق لذاته ولغيره، نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس، نقاتل في العراق وعيوننا على مكة والمدينة.

فنحن بفضل الله تعالى نقاتِلُ في العراق، ونسأل الله أن يمنّ علينا لندفع هذا العدوّ الصائل عن الأمّة جميعاً.

كما أنّ الجهاد في العراق من ناحية إستراتجية؛ هو جهاد كبير الأهمية ويشكل خطراً عظيماً على أعداء الله عزّ وجل، وبالذات هذه الأنظمة الطاغوتية ومن ورائها إسرائيل، فنحن بيننا وبين فلسطين مرمى حجر، وهذا الجهاد مهم لأنه يقع في أخطر منطقة.

إن هذا العدوّ لو تمكن من بسط السيطرة على العراق لفعل بالأمة الأفاعيل ولهذا كان العدوّ يحث الخطى لبسط سيطرته حتى يكمل مشواره الذي جاء من أجله، وقد منّ الله تعالى على المسلمين فتصدى المجاهدون له واستطاعوا أن يضعوا العصا في العجلة فيبطئوها.

نعتقد؛ أنه كلما طال أمد الجهاد في العراق كلما استيقظت الأمة من سباتها، فليس من مصلحة الأمة أن ينتهي الجهاد في العراق، فكلما طال أمد الجهاد في العراق كلما انتفض شباب الأمة وأحيي الجهاد في نفوسهم.

والأمة ترى بفضل الله عزّ وجل كيف أن أبناءها يصولون على العدوّ ويطعنونه من هنا وهناك ويوقعون فيه الخسائر ويثخنونه بالجراحات بفضل الله عزّ وجل.

وبقدر تقدم المجاهدين على الأرض يُرفع الذل عن الأمة، وكلما تقدم المجاهدون خطوة يرفع الذل عن الأمة خطوات، وكذا كلما تأخر المجاهدون أُطبق الذل على الأمة وتأخرت سنوات.

لذلك من مصلحة الأمة أن يبقى الجهاد في العراق، ومن الواجب عليها أن تمد هؤلاء المجاهدين وقوداً يديم المعركة.

وعلى الأمة أن تقدم من أبنائها وفلذات أكبادها حتى يستمر هذا الجهاد ويأذن الله تعالى بوقوفها على أقدامها وتمتشق سيفها، بعدها لن يستطع أحد أن يقضي على هذه الأمة بإذن الله.

هذا الجهاد مهم لأن أمريكا – والكفر من ورائها بفضل الله – بدأت خطوات سقوطهم.

الآن، الكفر – بفضل الله عزّ وجل – في انحدار وفي سقوط، والإسلام – بفضل الله عزّ وجل – في ارتفاع وفي صعود، وهذا الصعود قد يصاحبه أحياناً بعض الابتلاءات وقد يكون هناك بعض البطء في قسمٍ من المراحل، وهذه ملازمة حتمية للمعارك والصراع، لاسيّما مع القوة العسكرية الضخمة والآلة الإعلامية الكبيرة التي يملكها العدوّ، ومن هنا قد يكون هناك نوع من التشويش والتضليل والتغييب للحقائق الحقيقية، ولكن في نهاية الأمر سيظهر عوار العدوّ بإذن الله عزّ وجل.

س | هل هناك فرق بين أن يحكم الأمة صليبي أو طاغوت عربي؟ وهناك من يقول؛ أنتم تقاتلون الصليبيين اليوم وسيأتيكم العلماني غداً مكانه؟

ج | لاشك أن هؤلاء المرتدين الذين يحكمون بلاد المسلمين هم نوابٌ للصليبيين وصنيعتهم، ولاشك أن الصليبيين هم من نصبهم على بلاد المسلمين، ولاشك أن هؤلاء الحكام أشد كفراً من اليهود والنصارى.

س | ما الفرق إذن؟

ج | في السابق كانوا يحكموننا بشكل مباشر، ثم تركونا بعد عجزهم عن مواجهة الثورات آنذاك ولتغيرات عالمية، نتج عنها أفول قوى ما يُسمى بـ «الاستعمار»، وخلفوا وراءهم حكومات علمانية أكملت مهمة تغييب الشريعة ونحر الإسلام بدلا عن الأجنبي الذي لا يُطاق، ولما رأوا فشل هؤلاء الحكام في القضاء على الإسلام نزلوا إلى الساحة بأنفسهم.

وأُذكّر بأنا لا نُفرق بين طاغوت عربي وآخر أجنبي.

لكني أقول لك؛ أيام صدام – مثلاً – تعرفون كيف عاش الناس تحت حكمه؟

استلمنا من آبائنا ونحن في المهد ولأكثر من ثلاثين سنة وهو يحكمنا وقد كان مسيطراً، والناس راضخون لسلطته والأوضاع مستقرة له والناس مُلبسٌ عليهم، كون القائمين على الدولة هم أبناء جلدتنا، وقد كان هؤلاء في الحقيقة أشد على الإسلام من الكافر الأصلي، فالكافر الأصلي مبغوض وتكرهه النفوس وهذا ما يشترك فيه جميع البشر، ومثال ذلك ما جرى بين الفيتناميين وبين الأمريكان، لكن المرتد الذي حكمنا قد درجت عليه النفوس وحكمنا بالسلاح واستطاع بالنار والحديد أن يلجم الناس، فكنّا مستضعفين معه والوضع مستتب والنظام باسط سيطرته.

نعم، الأصل أن نسعى، ولكن السعي قد يكون ضعيفا لقلة الإمكانيات ولكون النظام قد أحكم سيطرته على الأمور فلا أستطيع أن أقاتله، وإلا فالأصل أن نقاتله وأن نمتشق السلاح لمواجهته، لأنه أظهر الكفر البواح، وهذا ما عليه الإجماع؛ أن الإمام إذا ما أظهر الكفر خلع، وهذا طبعاً تبعاً للاستطاعة.

أما الآن، فالنظام قد سقط وحُطمت منظومة النار والحديد التي كان يمتلكها، وجاءني عدوٌ صائل، والنفوس مهيأة لقتاله والسلاح موجود والإمكانيات متوافرة، والسعة أن أقف وأقاتل هذا العدو، وعندها وجب على الأمة القتال.

أنا عندما أقاتل هذا العدو لا أقاتله لأمَكّن لليهود وغيرهم، أو ليأتي المرتدون ليحكموا، أو يأتي «علاوي» ليحكم أو غيره، ولن نُسْلِمَ له الأمور بإذن الله، اللهم إلا في حالة واحدة هي أن نكون تحت الأرض.

أنا الواجبُ عليّ – فريضةً عينيةً – أن أدفع العدوّ الصائل، وأما الثمرة؛ فليست علي والنتائج ليست موكولة لي، الأمر في ذلك كلّه لله.

قد يقول قائل: أنت تقاتل اليوم ويأتي العلمانيون غداً مكانكم؟ هذا رجمٌ بالغيب، أنا أمرت أن أقاتل هذا العدو، وما دمت مسلماً فعليك أن ترفع هذه الشعيرة.

ووفقاً لهذه النظرية الساقطة – عفواً – كونها شبه ساقطة أصلاً، وإلا متى كان المجاهدون يملكون القوة وعندهم العدد والعدة الكافيين حتى يظهروا على العدو؟

«لا تقاتلوا لأنكم إذا قاتلتم خسرتم كوادركم ومكنتم العدو»! هذا كلام غير شرعي أصلاً، لأن الأصل أن نقاتل العدوّ ونستعين بالله، فإن أظهرنا الله تعالى ومكنّ لنا وظهرنا على عدونا وحكمنا بشرع الله تعالى؛ فهذه نعمة من الله تعالى ويشفي صدور قوم مؤمنين ويومئذٍ يفرح المؤمنين، وإن لم يُمكن لي؛ فهذه مسألة علمها عند ربي، فأنا متعبد أن أطيع ربي فيما أمر.

الواجب علينا النفير في سبيل نصرة الدِّيْن ورد الصائلين، وهذا ما تعبدنا به ربنا، ولم يجعل نجاتنا متوقفة على نجاحنا أو فشلنا في رد الكفار، المطلوب منا بالتحديد؛ هو الثبات وعدم التنازل

عن شيء من عقيدتنا، ثم يقدر الله تعالى لنا ولدينه ما يريد.

وحيث دخل العدوّ الصائل على بلاد المسلمين؛ فقد وجب علي أن أدفعه بكل ما أستطيع.

وأما أولئك الذين يداهنون على حساب دينهم، ظناً منهم أنهم بفعلهم هذا سينصرون الدين؛ فهؤلاء يجهلون المطلوب منهم، وهم بفعلهم هذا قد أساءوا الظن بالله تعالى وبوعده، إذ إن فعلهم هذا يشير إلى سوء اعتقادهم بالله تعالى، وكأن الله تعالى بحاجة إلى أساليبهم الملتوية لنصرة الدين، والسؤال؛ هل هم أكثر حباً لنصر الدِّيْن وظهور التوحيد من رب العزة سبحانه؟!

س | ما هي أبعاد المخطط الأمريكي؟ وما هي الأسباب الخطر الكامنة في هذا المخطط ليكون اندفاعكم نحو ردّه بهذه القوّة؟

ج | كما قلت لك سابقاً؛ حملتهم هذه هي حرب صليبية، وهي امتداد عميق لزمنٍ غابر، وهي ليست وليدة اليوم، بل هي حرب متواصلة متصلة ذات مراحل متعددة لن تتوقف حتى تجعل من المسلمين تبعاً لهم في الملة.

ونعرف أن لهؤلاء مخططاتٍ وأهدافاً كثيرة، والمسلّم به عند الجميع أن اليهود هم رأس الأفعى وهم سبب كل شر وأصل كل سوء، ولما كانت إسرائيل مسيطرة على الإدارة الأمريكية ولها اليد الطولى في القرارات السياسية لأمريكا وبعض الدول الكبرى، فإن اليهود قد استخدموهم لتحقيق حلمهم بقيام دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات، مع السيطرة في الوقت ذاته على جزيرة العرب وثروات المسلمين والتحكم بهم كما تريد.

وهذه الإدارة الأمريكية هي الوجه الآخر لليهودية، بل هي إدارة صهيونية متعصبة أكثر من اليهود أنفسهم، وتسعى سعياً حثيثاً للإسراع بتهيئة الأرضية الملائمة لنزول مسيحهم المزعوم، وهؤلاء يُعرفون اليوم بـ «الإنجيليين»، ويصطلح عليهم السياسيون بـ «اليمين المتطرف» أو بـ «المحافظين الجدد» وعلى رأسهم «بوش» ونائبه «دكشيني» و «رايس»، وهؤلاء يعتقدون بوجوب التمكين لدولة إسرائيل في الشرق الأوسط وإقامة الدولة العبرية الكبرى وشهود معركة «هرمجدون»، لاستعجال واستدعاء مسيحهم المنتظر.

وإذاً فهي حرب عقائدية في أصل وجودها وحقيقتها.

س | بالنسبة للرافضة، كان الاعتقاد السائد أن بينهم وبين الغرب الصليبي عداءً وخصومة دائمة – هذا في أقل تقدير ما كان يعتقده كثيرٌ من الناس – ولكن يبدو اليوم أن هذه النظرية قد تهاوت، ولكن لا زال بعض الناس يظن أن أمريكا ستغدر بهم قريباً وإنها لن تثق بهم وأنها

تستخدمهم بشكل مؤقت، فما مدى صحة هذه النظرية وهل بات الأمريكان على حلفٍ دائم مع الرافضة؟

ج | من المعلوم أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، ولهذا لابد أن نعرف أولاً من هم الرافضة؟

الرافضة طائفة خبيثة خرجت عن الإسلام وعليه، وأُسست لمحاربة أهل السنة والجماعة، فهم يعتقدون أن أهل السنة هم من اغتصب الخلافة من أهل البيت، بدءً من الخلفاء الثلاثة ومروراً ببني أُمية – الذين هم أهل السنة عند أهل الرافضة – وبالتالي فلا عدو للرافضة غير أهل السنة، وهم العدوّ الحقيقي والوحيد لهم.

س | إذاً هذا هو أصل تأسيس المذهب الرافضي؟

ج) نعم، هذا في أصل تأسيسه فإذا عرفنا هذا علمنا من هو عدوهم الوحيد.

ثم لو رجعنا إلى مؤسسه لوجدناه يهودياً، وعندها نعرف علاقتهم بأسلاف اليهود وأحفادهم المعاصرين.

وعلى مر التاريخ لم يعادِ الرافضة إلا أهل الإسلام، ولم يقاتلوا اليهود ولا النصارى، وكيف يعادونهم ومؤسس مذهبهم يهودي.

قد تكون هنالك بعض الصفقات و «المسرحيات» التي قد تظهر للناس أن بين اليهود والرافضة عداءٌ ما، وذلك من باب التبشير بالمذهب الرافضي وطلب القبول له في أوساط أهل السنة والجماعة، ليتسنى لهم بعد ذلك ضرب الإسلام وطعنه من الخلف.

وكون الرافضة طائفة جبانة، فهم لا يظهرون ما يعتقدون إلا إذا كانوا ذا قوة ومنعة، وقبل ذلك لا يظهرون شيئاً من عقيدتهم، فدينهم وسيرتهم قائمتان على التقية، وهذا ما فرضه عليهم دينهم الفاسد.

ولأجل هذا فهم على الحقيقة ليسوا أعداء لليهود والنصارى، وإنما أظهروا ذلك لخداع أهل السنة والتماس القبول عندهم، أما ما يشيعونه عن أنفسهم؛ أنهم أعداء لليهود وقضية «الشيطان الأكبر»، فكل هذا من باب اللعب على الذقون وخديعة لا تمر إلا على ضعاف العقول.

بل لم يكن لليهود والنصارى من أعوان غير هؤلاء الروافض الباطنيين، ولو تركنا تاريخهم المخزي جانباً وانتقلنا معهم إلى زماننا فإن خير دليل على تقرير حقيقة الرافضة ما كان منهم من مناصرة وتأييد مطلقين لليهود والنصارى.

وقد أمر شيطانهم «السيستاني» أتباعه من الروافض؛ أن لا يقاتلوا الأمريكان، ثم أصبحوا بعد ذلك عيوناً للغاصب اليهودي وعوناً للمجرم الصليبي، فمنهم الجيوش والشرطة والجواسيس، بل وحتى الخدم في القواعد الأمريكية، فكانوا بذلك حائط صدٍ يقي الكفار بأس المجاهدين، وأثناء ذلك أثخنوا بأهل السنة وشرعوا في تصفيتهم، تقتيلاً وتهجيراً واغتصاباً للمساجد، قبل أن يطلق عليهم أهل السنة رصاصة واحدة.

والذين دخلوا مع الأمريكان لم يكن لهم من هدف غير القضاء على أهل السنة.

وكان شعار «فيلق غدر»: (الثار، الثار، من تكريت والأنبار).

كم قتلوا من كوادر علمية ومشايخ من أهل السنة؟ وكم اغتصبوا من النساء؟ وكم هجّروا من العوائل؟

فهل يعلم إخوتنا من أهل السنة في باقي البلدان ما حل بإخوتهم هنا في أرض الرافدين؟

لقد كان إثخان الرافضة في أهل السنة فضيعاً، وما حصل من مجازر على يد هؤلاء الروافض بحق أهل السنة يفوق ما نزل بالمسلمين على يد «محاكم التفتيش» في الأندلس.

وهذه المجازر لم يُسلط عليها الإعلام وغُيّبت – بتعمد – عن الإعلام، ولهذا فإن الكثير من المسلمين يجهلون حقيقة ما يجرى على أرض الرافدين من مجازر رهيبة اقترفت – ولا تزال تقترف – بحق أهل السنة.

ونحن بدورنا حاولنا ونحاول أن نبين للمسلمين حقيقة هؤلاء الروافض ونجلي لهم صورة ما وقع من المجازر المستمرة بحق أهل السنة، ولكن للأسف تغاضي البعض عن تبيين هذه الوقائع وسكوت الإعلام عن تجلية حقيقة ما يجري وإظهاره للمجرم بهيئة المظلوم؛ قد أخفى معالم أكبر جريمة ارتكبت في هذا العصر.

والذي لا إله إلا هو لو اطلعت الأمة على حقيقة مجازر الرافضة بحق أهل السنة لهالها ما رأت ولبكت العيون دماً لا دمعاً.

فيا أخي، إن ما يجري الآن وما جرى من عهد قريب لهو أمرٌ غير طبيعي، وإنه لإثخان مريع وإن صحت التسمية، «تطهير عرقي» بمعنى الكلمة، مئات من العوائل لا يعرف عنها خبر، وآلاف الشباب والشيوخ قتلوا، وكثير من النساء اغتصبن، وبيوتٌ عديدة حرِّقت، وآلاف الأسر هُجّرت قسراً، ولجأوا إلى الأنبار فراراً من بطش الرافضة، وقد جرت هذه الجرائم على مرأى ومسمع الأمريكان وبإعانة مباشرة منهم في بعض الأحيان.

و «لكن حمزة لا بواكي له»، حيث لم يذكر الإعلام شيئاً من هذا، لكن لو أن المجاهدين استهدفوا الأمريكان أو «الحرس الوثني» وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، تجد الإعلام قد هرع إلى

نقل صورة مغايرة لحقيقة ما حدث ويأتيك بالصورة الأخرى: (سيارة انفجرت على الأمريكان والحرس، ولكن القتلى من النساء والأطفال)!

إن المقابر الجماعية التي اقترفها صدام وعموم جرائمه خلال ثلاثة عقود لا تعدل عشر ما فعله الرافضة خلال السنوات الثلاث الفائتات.

وللأسف فإن الكثير من الحركات الإسلامية تعرف هذا، وكذلك كثيرٌ من الشخصيات المشهورة تعرف ما فعله الرافضة بأهل السنة، ولكنهم ساكتون ولا أحد يوضح حقيقة ما يلاقيه أهل السنة – بالذات في الجنوب وفي المناطق ذات الأغلبية الرافضية والمناطق المتاخمة للوجود الرافضي – من مجازر تقشعر منها الجلود وتتقرح منها الأكباد، وللأسف فإن من يقف بوجه هؤلاء هم قلة.

وحيال هذا انبرى المجاهدون للدفاع عن أنفسهم وعن أعراض المسلمات وعن عامة أهل السنة لدفع الخطر الرافضي الداهم.

ولأجل كلّ ما سبق، فإن الرافضة عندنا أخطر من الأمريكان، فهم أكثر حقداً وأكثر تلبيساً على الناس، وقد أتوا بمخطط رافضي صفوي لا غاية له غير جزر أهل السنة والقضاء على موروث الصحابة وعلى كل شيء يمت للسنة بصلة.

لذا فإنّنا نقول؛ إن الرافضة لو تمكنوا في العراق وتمت لهم السيطرة الكاملة على هذا البلد وبدون أن يقوم هناك جهاد، لكان حال أهل السنة أسوء مما هو عليه الآن.

ومن هنا قد يلومنا الكثيرون لأجل قتالنا للرافضة، ويتساءل آخرون لماذا تقاتلون الرافضة؟

نحن وضّحنا ولأكثر من مرة، أننا لا نقاتل الرافضة لأنهم رافضة – هذا مع إننا نعتقد أنهم شر من تحت أديم السماء – لكن كنا في غنىً عن قتالهم، كما إننا في غنىً عن قتال غيرهم من المرتدين من الذين لم يشاركوا الأمريكان في حربهم للإسلام، ونحن كنا نتمنى أن نقاتل العدوّ الصائل.

وقد يظن ظان أن قتالنا للرافضة قتال شهوة أو قتال نزهة وسياحة، وأنا ارتأينا أن نقاتلهم فقاتلناهم، فأبعدنا بذلك النجعة وحرفنا الحراب عن نحر عدونا الأصلي، وبدأنا بأناس لم يكن هناك موجب لاستعجال قتالهم!

وهذا ليس صحيحاً، فنحن لم نقاتلهم ابتداءً، بل هم من بدأ بقتال أهل السنة.

وهؤلاء الذين جاءوا على الدبابات الأمريكية هم والأمريكان في صفٍ واحد، وهم من بادر إلى تصويب البنادق إلى صدور المجاهدين، وهم الذين أثخنوا بالمسلمين في العراق، وهم الذين استباحوا مساجد المسلمين في العراق، وقد بلغ عددها أكثر من ثلاثين مسجداً، وهذا في أول

دخولهم لبغداد، وكثير من المساجد أُخذت في البصرة وفي العمارة وفي السماوة وفي الناصرية، أما رافضة الحلة فلم يتركوا لأهل السنة مسجداً.

علما أنهم لم يأخذوا كنيسة واحدة ولم يتعرضوا لخمّارة واحدة، وهناك معابد يهودية في العراق لم يتعرضوا لها، فهؤلاء القوم ما عندهم عداء إلا لأهل السنة.

ونقول للناس؛ هل يعقل شرعاً وعقلاً وواقعاً أن من كانت هذه صفته وهذا حاله، أن أغض الطرف عن جرائمه حتى لا أُتهم بإثارة الطائفية أو بحرف وجهة الصراع؟!

نحن يدنا - كما يقال - «في النار»، ونحن الذين ندرك واقعنا ونلاقي أذى الرافضة.

ولذلك فإن الأصل في الأمة؛ أن تثق بأبنائها وتأخذ برأيهم وتشد من أزرهم، فأبناؤها الذين ضحوا بأنفسهم وبذلوا أرواحهم أحق بالثقة وأجدر بالمساندة، فهم أدرى الناس بهؤلاء الرافضة وهم من اكتوى بلظى غدرهم وخيانتهم.

أما الذي خلف البحار أو ذاك البعيد عن هذه الساحة ويتابع الأحداث عن بعد وهو مرتاح البال - يأمن على عرضه وعلى أولاده ونسائه - فلن يكون حكمه على الأوضاع هنا كحكم الذي يعرف ويشعر ويلاقي ما يلاقيه أهل السنة من هؤلاء الروافض.

إن خيانات الروافض معروفة ومواقفهم المخزية مشهورة، وهذه ليست المرة الأولى التي يدخلون فيها بغداد مع العدوّ الغازي، بل قبل ذلك ابن العلقمي هيأ للتتار الدخول إلى بغداد بعد أن سرح الكثير من الجيش وأضعف جيش الخليفة وأثقله بالديون، فوطّأ للتتار، وحصل ما حصل لأهل السنة، وكانت المجازر - كما ذكر المؤرخون - تفوق المليوني قتيلا في بغداد، جراء خيانة الوزير ابن العلقمي.

هذا حالهم على مر التاريخ، ونحن نرى بأعيننا ماذا فعلوا بالمسلمين وما حلّ بهم من ويلات جراء هؤلاء، ولهذا لا نستطيع أن نبقى ساكتين عنهم، ولا مجال لتركهم يخوضوا بدماء أهل السنة، وفي قتالهم فضلٌ عظيم وخير عميم، والله يعلم أنه لولا قتال المجاهدين لهؤلاء الخونة لما بقي لأهل السنة في العراق وجود.

الرافضة عندما دخلوا جاءوا بخطة خبيثة، نعم عندما دخل «فيلق بدر» أعلن العداء، ولكن عدو الله «السيستاني» قال: لا نريد أن نثير الطائفية، لأنه يعلم أن أهل السنة إذا قاموا قومة رجل فلن يقف لهم شيء.

فماذا فعلوا؟

وضعوا أيديهم بيد أحفاد مؤسسهم، فسيطروا على مفاصل الدولة الرئيسة، كالجيش والشرطة وزارة الدفاع والنفط - وأنت تعرف أن مقومات أي دولة هو العسكر والمال - ثم بعد ذلك

باسم الجيش والشرطة وباسم الحفاظ على الوطن والمواطن والعراق بدأوا يثخنوا بأهل السنة، مع ضخ إعلامي رهيب بغير الحقائق، كما هو الآن حاصل فيما يبثوه من إعلام خبيث، سواء كانت الصحف أو القنوات – كالعراقية والفيحاء والفرات وأخواتها العربية –

كان المخطط أنهم تحت لائحة الحفاظ على الوطن والمواطن والعراق وتطهير العراق من البعثيين ومن «فدائيي صدام» ومن الإرهابيين؛ يبدأوا يثخنوا إثخانا فضيعا بأهل السنة.

إستباحوا الأعراض وقتلوا الرجال واغتصبوا النساء وشردوا العوائل، تحت هذا المسمى، مع ضخ إعلامي رهيب، وقد انطلى هذا على كثير من الناس، سواء أكان داخل العراق أو في خارجه، وكان من المؤمل عندهم أن يتم هذا المخطط بشكل كامل خلال خمس سنوات، حيث يكون أكثر العراق عندها بأيدي الرافضة.

وأكبر دليل على ذلك؛ إن أغلب الناس يجهل المجازر، فمنذ سنتين ونصف وأهل السنة يتعرضون لمجازر غير مسبوقة على يد هؤلاء، فأين هو الإعلام؟ لا إعلام.

إذا قتل بعض الروافض يأتي الإعلام ينشر، وأن أهل السنة والوهابية يثخنون في هؤلاء.

لكن منذ سنتين يقتل أهل السنة ولم يُسمع لهم صوت خافت، والأصوات الأخيرة التي خرجت؛ اتهمت بعض الفصائل من الرافضة، وللأسف أنه هذا الأمر مؤداه ليست غضبة لأهل السنة ولا غضبة لله ولرسوله، لأن أهل السنة يتعرضون لمجازر منذ سنتين ونصف، ولم نسمع هؤلاء تكلموا ولا وضحوا الحقيقة من بداية الأمر، ولكن عندما بدأ الحبل يقترب منهم وعندما طفق هؤلاء المجرمون يثخنون فيهم، راحوا يصرخون: «أن هناك نفس طائفي» أو «أن هناك مجازر ترتكب».

لماذا دماء أهل السنة رخيصة – عند هؤلاء القوم – بهذه الصورة؟!

لم تبينوا الحق، ودائماً تحذرون من الطائفية، أيُّ طائفية؟!

هل كفّ الرافضة أسلحتهم عن المسلمين لنُطالب بالكف عنهم؟!

أنتم تعلمون علم اليقين أن الإثخان في أهل السنة فضيع.

كيف نسكت؟ كيف لا نرد الصاع صاعين؟

ثم هنالك من يقول لك: أن بعض الروافض أبرياء.

وهذا غير صحيح – من الناحية الشرعية – لأن هؤلاء الروافض هم طوائف ممتنعة بشوكة، وكلما قام الإخوة بتصفية عدد من «فيلق غدر» والجيش الرافضي المدعوم رسميا، يأتي «السيستاني» – مباشرة – ويرسل لنا من مناطق الرافضة متطوعين جدداً، وهكذا.

فهذا «الحرس الوثني» وهذه الشرطة الذين تروهم و «لواء الذئب» والألوية الأخرى، كلها رافضية، وهؤلاء مادة الحكومة ومقومات هذا النظام الخبيث، فهي حكومة رافضية بحتة، وأعظم الشواهد على حقدهم الرافضي أنهم عندما دخلوا الفلوجة فعلوا بأهل السنة الأفاعيل.

أما ما نسمعه من أن رموز الرافضة يقولون: «والله لا نريد أن نجر إلى حرب طائفية»، فهذا من الكذب لخداع أهل السنة، فالحرب الطائفية قائمة، وهم ينكلون بأهل السنة، وهم من يبارك لهؤلاء الجنود ويبشرهم بالجنة ويبشرهم بالأجر العظيم.

ومن يقاتل أهل السنة غير «النجفي» وغير «السيستاني»، ثم يظهر على أنه من الحريصين على العراق ومن أبعد الناس عن الطائفية.

قبل مدة صرح كبيرهم «السيستاني»: (أنه لو أُبيد نصف الشيعة فلن نجر إلى حربٍ طائفية)!

على من تكذب أيها العلقمي؟ أنت الذي قضيت على الآلاف من أهل السنة بفتاواك وتوجيهاتك.

الكلام الظاهري شيء، والواقع شيء آخر، والله يعلم أن هؤلاء الروافض لا يتحركون إلا بإشارة من رموزهم.

هؤلاء يضحكون على أهل السنة ويخادعونهم بكلام معسول، خوفاً من ثوران أهل السنة.

أي طائفية، ونساء أهل السنة مغتصبة عند هؤلاء؟!

أنا لا أكلمك الآن عن الأسرى والأسيرات في سجون الأمريكان، أنا أكلمك عن الأسرى والأسيرات في سجون هؤلاء الذين يقولون: لا للطائفية.

والله يعلم أين نساؤنا الآن؟ في سجون مدينة الكوت الرافضية التي تحكمها إيران، وفي سجون الحلة التي يحكمها العميد «قيس» الرافضي وفي سجن «براثة»، هذا السجن معتقل «فيلق بدر» وهناك أقبية وسجون تحت الأرض لا يعلم عنها شيء.

والآلاف من أهل السنة لا يُعلم أين هم.

لكن من يجرؤ من الرموز فيقوم برجولة وبصدق ليدافع عن أهل السنة ويوضح هذه الحقائق؟!

واللهِ لو يعلم الناس حال أهل السنة في العراق وماذا نزل بهم، لما تلذذوا بالفراش ولما تلذذوا بالطعام ولما تلذذوا بالشراب، إن كان عندهم غيرة، ثم بعد ذلك يأتي بعد ذلك من يحاسبنا، ويقول وهو متكأ على أريكته: لماذا تقاتلون الرافضة؟!

يا أمة محمد؛ نحن حالنا مع الرافضة حال رجل في بيته أفعى، ولا تعرف أين موجودة بالضبط، أهي في الخزانة أو هي تحت الفراش؟ أنت تعلم أن هذه الأفعى في هذا البيت وأنها ستخرج

في أي لحظة.

الواجب عليك الآن أن تخرج وتبحث عن الأفعى ثم تقطع رأسها وتنتهي من شرها، أنت تنام الليل الطويل وهي في بيتك، هذا حالنا مع الرافضة.

بل أزيد أكثر من ذلك، الرافضة في ذاك الزمان يأخذون بالتقية، أما الآن فإنهم يأخذون بالعزيمة، وبدأوا يظهرون حقدهم لأنهم أصبحوا هم أصحاب الشوكة، وهو استحقاق خياني، وهذا نتيجة خيانتهم.

وحيث تُكشفت حقيقة الرافضة، فإن على الأمة أن تقف بوجههم.

وليتذكر أهل السنة أن الكفار إذا استفردوا بالمجاهدين فلن يقف بوجه الرافضة عندها أحد، وعند ذاك لن ينفعهم أسف ولن يغني عنهم ندم، ولعل أنسب ما يوصف به حال أهل السنة مع المجاهدين وخصومهم، المثلُ القائل؛ أُكلت يوم أكل الثور الأبيض.

المجاهدون هم الذين يحفظون أهل السنة، لا يحفظ أهل السنة البيانات، ولا يحفظ أهل السنة أصحاب القنوات الفضائية الذين يجلسون بعيدا عن المعامع ويُنَظّرون للأمة ويلقون الخطب المنمقة، هذا لن يثأر لعرض امرأة أُنتهك، ولن يثأر لدماء أهل السنة التي سفكت، ولن ينفعنا غير السلاح لمواجهة هؤلاء الجبناء ولن يردعهم إلا القوة.

إن جعل ديار الإسلام تدين بدين الرافضة مطلب أمريكي ومبتغى يهودي، كما هو معروف من تصريحات دهاقنة قم، ومن خلال التغلغل الإيراني في العراق والمسكوت عنه من قبل الأمريكان.

وفي العراق يمكن توضيح جزء من هذا المخطط من داخل بغداد، حيث منطقة الحرية ومنطقة الشعب ومنطقة حي أور والمدائن وأبو غريب والمناطق التي يكثر فيها الرافضة الآن، لقد أثخنوا بأهل السنة، وهناك برنامج لإخراجهم من هذه المناطق، حتى يسيطروا على حزام بغداد، وهو من مناطق أهل السنة، وهنالك اتفاق بين الرافضة والأمريكان لإفراغ هذه المناطق من أهل السنة.

والأمريكان عندما جاءوا مع «الحرس الوثني» الرافضي إلى الدورة قالوا لأهلها؛ سنخرجكم من بيوتكم.

والآن حتى المناهج الدراسية غُيرت لصالح الرافضة، انظروا إليها مناهج خبيثة هدامة، من الآن بدأت بذور التشيع تظهر بين الأطفال، فماذا سيكون الحال بعد خمس أو عشر سنوات عندما يمسكون بالوضع الاقتصادي والوضع العسكري؟

الناس مربوطة في بطونها ولا يريدون أن يضحوا لأجل هذا الدِّيْن وما يعلمون أن العراق مع

الوقت سيتشيع.

هذه القبائل التي في الجنوب؛ قبل مائة أو مائتي سنة كانت سُنية ثم صُيرت رافضية.

قد تستبعدون تشيع الأنبار، وأنا أقول: إن ذلك غير مستبعد إن استمر السكوت وبقي الناس متفرجين.

في بداية دخول الأمريكان لبغداد كان أهل السنة في خوف شديد مما سيحل بهم من قبل الرافضة وكانت نفوسهم مهيأة للذلة – إلا من رحم الله – لكن عندما قام المجاهدون في العراق وامتشقوا السلاح ووقفوا بوجه هؤلاء؛ عادت الثقة إلى نفوس أهل السنة، غير إن تقاعس الرموز وتخليهم عن ثُلة الجهاد وطائفة النُصرة؛ أوقع أهل السنة في الحرج، وأي سُني الآن في بغداد أو خارجها لا ينام في بيته وهو آمن على عرضه، كل ليلة مداهمات واعتقالات وقتل وتغييب في السجون، وفي كل ليلة انتهاك للأعراض وسرقة للأموال.

هذا حال أهل السنة في العراق، ثم بعد ذلك يأتي اللائمون قائلين: لماذا نقاتل الرافضة؟!

بل إن من أوجب الواجبات قتال هؤلاء، ونرى أنها نعمة عظيمة أن يسّر الله تعالى قتالهم.

وما رأيتموه في تلعفر أقرب شاهد على ذلك، لقد كان هناك اغتصاب للنساء وتهديم للبيوت وقتل الأطفال.

ولهذا أعلنا الحرب الشاملة على الرافضة، وقد كنا نبتغي ردعهم.

س | طيب ما قصة الاستثناء؟

ج | لكي نفهم ذلك لابد لنا في بادئ ذي بدء أن نوضح القاعدة الشرعية لذلك.

نحن عندما قاتلنا الرافضة، أو أعلنا الحرب عليهم – بعد وقعة تلعفر –؛ ما كانت القضية عندنا نابعة من الهوى، فنحن ندرك دور الرافضة الآن وأنهم هم مادة الجيش والشرطة، وبدأ الأمريكان يعتمدون عليهم بشكل كامل.

وعندما أعلنا قتالهم كنا نروم من ذلك ردعهم، فإن لم يرتدعوا عاملناهم بالمثل، لأن هؤلاء الروافض عندما يأتوننا من الجنوب يأتون آمنين مطمئنين على أهلهم وبيوتهم في البصرة أو في الناصرية أو في العمارة.

تهديم تلعفر وضربها بالكيماوي واغتصاب النساء وسرقة الأموال وقتل الرجال والأطفال جاء بعد تصريح «سعدون الدليمي»، هذا الذي يحسب نفسه على السنة وهو من أعداء الله أصلاً، أُمه رافضية أثرت فيه وزوجته رافضية، ولم يؤثر فيه نسبه السني، وأثناء الهجوم على تلعفر

صرح بكل تبجح: (نحن قادمون).

يهدد أهل السنة؛ أنه سيتحرك إلى راوة وإلى القائم وإلى حديثة وإلى سامراء ليفعل نفس الأفاعيل بها.

ألا يحل بعد هذا أن نتخذ خطوات تكون رادعة لهذا الأرعن عدو الله؟!

لم يأتِ وزير الدفاع بجنود من الهند أو من ألمانيا! لا، إنهم يأتون بهم من مناطق الرافضة، ونحن عندما نقاتلهم نعاملهم بالمثل، كما تقتلون رجالنا نقتل رجالكم، كما تقتلون نساءنا نقتل نساءكم، كما تقتلون أطفالنا نقتل أطفالكم، نعاملكم بالمثل، فلما يعلم أن بيته ليس آمناً، وأهله ليسوا آمنين؛ يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على مهاجمة مناطق أهل السنة.

وإن هذه العوائل لاشك إنها تضغط على أبنائها وتقف أمام هذه الحكومة قبل أن تفكر في قتل أهل السنة.

ونقولها كلمة صريحة للرافضة...

تهدمون بيوتنا نهدم بيوتكم، تقتلون عوامنا نقتل عوامكم، المثل بالمثل.

أما قضية العراق الواحد وحقن دماء العراقيين؛ فهي دعوة منحرفة تنتزع المسلم من هويته، وتترك الضعيف مقتولا من غير أن توفر له حماية أو أن تحفظ له كرامة.

الشرع أباح للمسلم أن يقتل المسلم الصائل عليه ليأخذ ماله أو ينتهك عرضه، فجاز له أن يقتله وهو مسلم، فما بالك بعدو مرتد وهو يعتقد أنه لابد من قتلك وتصفيتك؟!

والآن نأتي على ذكر الاستثناء...

فأقول: لقد جاء الاستثناء بناءً على أن هناك من الرافضة من يخشى عواقب الدخول في حرب مع أهل السنة، ومن هنا كان لا بد من الاستثناء، لنقول للرافضة؛ إن كنتم تريدون السلامة فكفوا عن أهلنا واتركوا مناصرة الأمريكان وخلوا بيننا وبين الصليبيين.

س | هناك من يقول؛ إن هذا التعميم ليس صحيحا، لأن من الرافضة من يعادي اليهود، كـ «حزب الله» مثلاً؟

ج | اتفق أهل العلم على أن الرافضة من أكذب الخلق.

قال ابن تيمية: (اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد، على إن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب).

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرافضة من أعظم الناس إظهاراً لمودة أهل السنة ولا يظهر أحدهم دينه، حتى إنهم يحفظون من فضائل الصحابة والعقائد في مدحهم وهجاء الرافضة ما يتوددون فيه إلى أهل السنة).

هذا كلام شيخ الإسلام في منهاج السنة فهذا دينهم، دين الكذب، لذلك من الخير، بل من الواجب على أهل السنة أن يعلموا حالهم، ويعرفوا أن الرافضة هم أعدى أعداء الإسلام، سواءً في العراق أو في غيره، ونحن نعلم أن هؤلاء عندهم مخططات خبيثة ويتعاملون بالتقية.

ومما ينبغي التنبيه إليه مسرحيات القتال ضد اليهود من قبل «حسن نصر الله»، وأنا اعتقد أن «حزب الله» أو «حزب الشيطان» هذا من أعدى أعداء الإسلام، وأنه من أخبث الطوائف الرافضية، وهو يقدم دورا خبيثا، ومن عشرين سنة يخادع الأمة بدور مقاتلة اليهود.

نقول أن «حماس» – قبل مدة – عندما عملت عرضا عسكرياً في غزة؛ قام الطيران الإسرائيلي مباشرة بقصف مواقعهم وقتل الكثير من كوادرهم، وقتل أحمد ياسين عندما خرج من المسجد وهو رجل مقعد.

و «حسن نصر الله» يعمل استعراضات عسكرية في ميدان واسع في بيروت ويكون بثه مباشرا وتنقله الإذاعات ويجلس على المنصة وحوله حاشيته وتمر أمامه الكتائب والسرايا العسكرية لـ «حزب الله» ويستمر ذلك لساعات، و «حسن نصر الله» يصرح ليل ونهار؛ أن «حزب الله» هذا هو الذي ركّع إسرائيل وجعلها تنسحب من الجنوب ومن مزارع شبعا، وأن هذا الجيش هو جيش لقتال العدوّ الصهيوني، وليلاً نهاراً شعاراته واضحة في عداء اليهود والصهيونية، فهل يعقل أن يسكت «شارون» ومن ورائه إسرائيل عن هذا الخطر الداهم والملاصق لها ويهدد حدودها؟! أيسكت عنهم وهو بهذه الخطورة في الوقت الذي لم يسكتوا عن أحمد ياسين وهو رجل مقعد؟!

القضية برمتها مسرحية واضحة، فإسرائيل لا يمكن أن تسكت عن أي خطر يهددها مهما كان نوع هذا الخطر، ولهذا لم تسكت عن المفاعل النووي العراقي وضربته على الرغم من خبث النظام آنذاك وعلمانيته الواضحة.

وبطبيعة الحال، فإن أكثر ما يفزعها هو المد الإسلامي وطليعته الجهادية، أما «حسن نصر الله» وحزبه الرافضي فقد تركته وغضت الطرف عنه، وبالتالي فإن إعلان «حزب الله» الحرب على إسرائيل ما هي إلا خديعة واضحة يرومون من خلالها الترويج لمذهبه الرافضي والتغطية على حقيقة الدور العلقمي الذي تكفل به «حزب حسن نصر الله» الرافضي، وهو حماية حدود إسرائيل وليس العكس، وذلك بمنع مجاهدي أهل السنة من الوصول إلى إسرائيل.

ووالله إن «جيش حسن نصر الله» لم يقوّ ولم يدعم ولم يهيأ إلا على أعين الصهيونية العالمية، ووالله هذا الجيش لا يُعد إلا لقتال أهل السنة مستقبلاً.

نحذر الأمة من هؤلاء.

وإذا ما قلنا مثل هذا، قالوا: الرجل يريد إثارة الحرب الطائفية!

ولكن غداً ستعلم الأمة حقيقة هؤلاء.

هذه إيران ما قامت ثورتها إلا على إعلان الحرب على «الشيطان الأكبر»، ولما حان وقت محاربة «الشيطان الأكبر» تحالفت معه، وجعلت من نفسها مداساً لغزو أفغانستان وتثبيت أركان «الشيطان الأكبر» في العراق.

وهم إلى اليوم يضحكون على الناس بالتمسح بقضية فلسطين، فأين هم من قضية فلسطين إذا كانوا في حلفٍ ووئام مع «الشيطان الأكبر»؟!

وإلى متى تبقى الأمة مستغفلة؟! وإلى متى يُلبّس عليها؟

«حسن نصر الله» يجلس ساعات في إدارة عرض عسكري وينقل مباشرة لمدة ساعات عديدة ولا يستطيع الطيران الإسرائيلي قصفه؟! على من يضحكون؟!

إنّا نعتقد أن هؤلاء الروافض خونة، وأنهم هم الحربة التي سيطعن بها اليهود ظهر أمة الإسلام، ولهذا نحذر الأمة منهم ومن مخططاتهم الخبيثة، وندعو الأمة أن تأخذ حذرها وتعد العدة كاملة، وإن خصمها هذا خبيث وماكر فلا يخدعونك بعسل القول، فهم أعدى أعداء الأمة، فدينهم التقية والكذب.

ارجعوا إلى كتبهم واقرأوا مراجعهم المعتمدة عندهم: «لا دين لمن لا تقية له»! وكما يروون عن جعفر – وكذبوا عليه –: (التقية ديني ودين آبائي)، أتريدون أدلة أكثر من هذا؟!

وبعد ذلك يأكل قلبك الأسى والحزن حين ترى كثيراً من كتّاب المسلمين وترى كثير من الجماعات الإسلامية تُخدع بـ «حسن نصر الله» وبغيره، وتُخدع بهؤلاء الروافض وأن «حسن نصر الله»؛ «رمز المقاومة»!

رمز المقاومة؟! إلى متى تبقى الأمة مستغفلة؟!

والله إن «شارون» يعلم أن الحدود التي يحميها «حسن نصر الله» آمنة أكثر من أن يحميها جنوده، بل هل يستطيع إنسان أن يتسلل لتنفيذ عملية من المناطق التي يسيطر عليها «حزب الله»؟!

هؤلاء الروافض من شر الناس، يسبون أمنا عائشة ويطعنون في عرض النبي صلى الله عليه وسلم ويشتمون الصحابة.

فنقول لمن يخدع بهم؛ إن هؤلاء الروافض يسبون أمنا عائشة ويتهمونها بالزنى وهي زوج النبي

عليه الصلاة والسلام.

أقول لمن يداهنهم أو يسكت على شرهم أو يراهم إخوان له؛ لو أن واحدا من الناس شتم زوجة هذا الرجل واتهمه في عرضه ورمى أهله بالفاحشة ماذا سيكون ردّه؟

أقل ما سيصدر منه الامتعاض، وإن لم يستطع أن يأخذ حقه بيده ففي الأقل سيصرف وجهه عنه وسيبغضه وسيغلظ عليه بالقول.

ومع أن عرض عائشة أحب إلى المسلمين من كل شيء، إلا إن هؤلاء يسكتون على جرائم الرافضة وعن طعنهم في عرض عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف جوزوا لأنفسهم ذلك؟! وكيف يجدون حلاوة الإيمان في صدورهم وهم يداهنون هؤلاء؟!

س | هل الصلح ممكن مع هؤلاء الروافض؟

ج | إنهم أهل تقية وكَذَبة، وإن سكتَّ عنهم لا يسكتون عنك، وإن صالحتهم لا يصالحونك، وإن صالحوك ظاهراً صالحوك تقية حتى يتمكنوا منك.

وكما هو مشاهد من عوام الرافضة؛ أن أحدهم قد يدعوك إلى بيته من باب التقية ويطعمك من طعامه وشرابه ويكرمك، وعندما تخرج يحطم الأواني مفضلا ذلك على غسلها، لأن الماء لا يطهرها من نجس السنة – كما يعتقدون – وحتى الفراش يحرقه كثير منهم.

فإذا كان هذا حال العوام منهم فكيف حال «آياتهم»؟!

س | هل هناك فرق بين الرافضة والشيعة؟

ج | انتبه إلى أن الشيعة اليوم كلهم روافض، بل حتى المذهب الزيدي درس وانقرض وفي اليمن أصبحوا روافض اثني عشرية.

أما إذا أتيتني بأناس لا يسبون أبا بكر وعمر ولا يتهمون عائشة بالزنى، فإن الحكم عليهم سيكون مختلفا.

لكن حتى هذا لا يعفيهم من الرد على تعديهم، لأن الطائفة الممتنعة بشوكة تُقاتل ولو كانت ذا بدعة ليست بناقضة للإيمان.

س | حتى لا يُلبس على الناس، هم يزعمون أنهم أنصار أهل البيت ويسموننا بـ «النواصب»

ويدّعون أنا نبغض أهل البيت؟

ج | هذا غير صحيح.

نحن أنصار أهل البيت، من كان على عقيدة وطريقة أهل البيت؛ هم خيار الصحابة، وأهل البيت هم برءآء مما يقول هؤلاء، أهل البيت لم يخرجوا عن هدي الكتاب والسنة.

أهل البيت ممن يعظمون عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الذين لا يشركون مع الله أحداً، ولا يلجأون إلى غيره سبحانه، وأهل البيت لا يدّعون العصمة.

أهل البيت هم أهل السنة، وأهل البيت هم من أحب الناس لقلوبنا، فهم عترة النبي صلى الله عليه وسلم.

أما هؤلاء الروافض فهم يزعمون محبة أهل البيت، وهم في الحقيقة أعدى أعداء أهل البيت، بل هم على التحقيق يبغضون علياً رضي الله عنه، وقد جاء في أمهات أصولهم؛ أن جميع الصحاب ارتدوا إلا سلمان الفارسي.

وهذا تاريخهم يشهد على كذبهم في ادعاء حب أهل البيت، فمن خذل علياً رضي الله عنه؟!

الحسن بن علي رضي الله عنهما عندما صالح معاوية ما السبب؟! لقد خذله هؤلاء الذين تظاهروا بمحبة أهل البيت وقد علم أنهم ليسوا له بناصرين، واختار الصلح، وكان صلحاً عظيماً وحسبك بشارة النبي صل الله عليه وسلم للأمة بذاك الصلح العظيم الذي جمع بين فئتين من المسلمين.

ومن خدع عقيلاً وأسلمه؟! ومن الذي قتل الحسين؟! ألم يكن ذلك كله بسبب خذلان الرافضة لهم؟!

فهؤلاء إذن هم أعداء أهل البيت، وإن الفرق ما بين الرافضة وأهل البيت كالفرق بين المشرق والمغرب.

أما أهل السنة فهم أنصار أهل البيت ومحبوهم، وعلى طريقهم ساروا، ولمحبتهم أخلصوا.

س | نأتي الآن على ذكر اتهام الجماعة وعلى لسان أميرها بأنها هدّدت أهل السنة، فما تقولون في ذلك؟

ج | والله للأسف الشديد لقد زور الخطاب بتعمد من قبل البعض، فهل يعقل أن نهدد أهل السنة، ونحن – والله يعلم – ما خرجنا من ديارنا إلا لنصرة المسلمين والذب عن أهل السنة بالذات، وإن امرءً من أهل السنة عندنا أحبُّ إلينا من أنفسنا.

وهؤلاء المهاجرون الذين خرجوا من ديارهم هم آمنون على أعراضهم، وقد تركوا الديار وفارقوا الأهل للدفاع عن المسلمين والمسلمات وعن دينهم.

كيف يعقل أن نقاتل أهل السنة؟!

هذا الكلام للأسف زُوّر، وأنت تعرف الإعلام.

وهناك كثيرون حملوا الخطاب على غير وجهه، مع أن كلامنا كان واضحاً.

ونقول للإخوة – والله يعلم السر وأخفى –؛ والله ما خرجنا إلا دفاعاً عن أهل السنة.

هنالك أكثر من ثلاثة آلاف من الشهداء من المهاجرين إلى الآن، هؤلاء لأجل من قتلوا؟! ألأجل الدنيا؟!

الله يعلم إنهم ما قتلوا إلا من أجل نصرة الدِّيْن والدفاع عن أهل السنة في هذه الأرض التي اغتصبها الصليبيون وتكالب معهم الرافضة على قتالهم، فكيف يصح بعد ذلك أننا نقاتل أهل السنة؟

نحن قلنا في الخطاب؛ أن أهل السنة لديهم أيادٍ بيضاء في نصرة الجهاد فقوام تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بني على أكتاف أهل السنة في العراق، حيث يبلغ نسبة أهل السنة العراقيين ما يقارب **٩٩٪** و **١٪** من المهاجرين.

فمن أبناء عشائر أهل السنة استمد التنظيم وجوده، حيث فُتحت له الأبواب واحتضنه الإخوة هنا بالإيواء والنصرة والمناصرة والبيعة والتعاون وغير ذلك من أبواب التناصر بين المسلمين.

وكنا قد حذرنا، ونحن نعلم أن هناك بعض البطون – الأفخاذ – قد تعاونت مع الصليبيين وتآمروا على المجاهدين بالسر واتصلوا بالحكومة المرتدة وعرضوا عليها التعاون من أجل القضاء على المجاهدين، واتصل بعضهم بـ «سعدون الدليمي» ليرتب معه على تنفيذ مخططهم الأثيم في إسكات الجهاد في رض الرباط – أرض الأنبار المجاهدة –

هذا الأمر ليس جديداً على المنافقين، فقد خانوا الله ورسوله من قبل واتصلوا سراً بأعداء الدِّيْن، وهذا الأمر لا زال يتجدد إلى اليوم، وكان تحذيرنا موجهاً لهؤلاء، وقلنا لهم؛ من تآمر علينا عاملناه معاملة الأمريكان، وهذا أمر واضح، وكلامنا في ذلك صريح ولا زلنا نكرره، وإلا فماذا ينتظر الناس منا غير ذلك أنسكت عن هؤلاء حتى يتمكن الأمريكان؟!

فأيُّ إنسان ثبت تورطه في شيء من ذلك فالقصاص جزاؤه، وإن قدرنا الله عليه فلن نرحمه، وهذه قضية جهاد وقضية أمة، وليس من العقل فضلاً عن الدِّيْن أن نسكت عن مثل هؤلاء.

أما أهل السنة – إخوتنا وأهلنا –؛ فمعاذ الله أن نستهدفهم أو أن نمتهن حرمتهم.

نحن لا نفرق في أحكام الردة بين من انتسب إلى أهل السنة أو غير أهل السنة، فالمسلمون على العموم – سنيهم وبدعيهم – تجمعنا وإياهم أخوة التوحيد، وقد نفترق مع من تلبس ببدعة، لكننا لا نرفع عليه السيف لمجرد كونه مبتدعاً.

أما من انتسب إلى السنة وزعم التقيد بأحكامها، وراح من جهة أخرى يوالي الكفار ويظاهرهم على المسلمين؛ فهو مرتد يستحق القتل، والمسلم المبتدع يساوي ملأ الأرض من هذا المنتسب إلى السنة الذي تلبس بجريرة موالاة أعداء الله.

وبهذا فإن من تواطأ مع أعدائنا الصليبيين فحكمه حكمهم، وهذا هو حكم الله فيه: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة: **٥١**].

فالحكم واضح، والقضية بينة.

س | نوجّه السؤال الآن باتجاه آخر، بعض الأشخاص يقولون؛ إذا كانت هذه سيرة القاعدة في الأخذ بالعزيمة والدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة، فلعلهم غداً إن تمكنوا قاتلوا لأجل مسائل خلافية ورفعوا السيف على كل من عارضهم أو اختلف معهم في رأي؟

ج | سبحان الله!

هذا بسبب غياب الناس لمدة طويلة عن منهج أهل السنة والجماعة، وعندما قام المجاهدون في العراق ورفعوا راية الجهاد وأقاموا الدعوة للتوحيد وقاتلوا الأمريكان والمرتدين – بدءً من الجيش والشرطة والجواسيس وهؤلاء الروافض الخونة – رأينا أن الكثير من الناس قد استغرب ذلك، وبدا عليه الاندهاش مما يفعله المجاهدون، فهم لم يعهدوا شيئاً من هذه السيرة قبل هذا الوقت.

وهذا الشيء الذي يظنه الناس جديداً أو حادثاً؛ هو ما كان عليه سلف الأمة، ولكن لجهل الناس بالدين ولبعدهم عن العزة ولتسلط الطواغيت لسنوات طويلة على المسلمين، فقد دُرست هذه المعالم، وإلا فإن هذه هي السنة، وهذا هو الصواب من شرع الله تعالى.

وأما الشدة التي توصف بها «القاعدة»؛ فهي في الحقيقة تمسكٌ بالحق، وإذا ما سماها البعض شدة فهي شدة في مكانها، وهذا هو دين الصحابة والتابعين، وهو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من قبل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [سورة التوبة: **٧٣**].

أما أهل السنة على الخصوص والمسلمون على العموم؛ فلا نتعامل معهم إلا بالحسنى، وقد كنا في أيام الفلوجة نتعامل مع ناس يخالفوننا في كثير من المسائل – ومثال ذلك «مجلس شورى المجاهدين» في الفلوجة كان يضم بين أعضائه أفراداً من الصوفية – ولا يمنعنا ذلك من التعامل

معهم والقتال إلى جانبهم ضد الصليبيين.

س | هناك أيضاً من يأخذ عليكم هذا الأسلوب من التعامل مع المبتدعة؟

ج | أي طائفة أو جماعة تنتسب إلى الإسلام وتدين الله تعالى بالجهاد ومحاربة أعداء الدِّيْن من الصليبيين والمرتدين؛ فنحن معهم.

وما داموا مسلمين فنحن نناصرهم ونتولاهم ولا نبرأ منهم، وإن تلبسوا ببعض البدع، ولا يمنعنا ذلك من التبرء من بدعتهم.

س | كيف تتعامل معهم؟

ج | نناصرهم ونتولاهم، وفي الوقت ذاته؛ نصرح لهم بأنهم على خطأ، ونعرض عليهم حجج السلف في ذلك، ولا نداهنهم على حساب السنة.

فالتناصر وقت الحرب وصد العدوّ الصائل شيء، والتناصر وقت النقاش والمجادلة بالتي هي أحسن ومحاولة إرجاعهم إلى جادة السنة شيء آخر.

نناصحهم ونناصرهم، وشتان ما بين إنسان مسلم متلبس بشيء من البدعة يحمل صفة الجهاد، يقاتل معي أعداء الدِّيْن، وبين شخص يصد عن الجهاد ويعطله ويطعن بالمجاهدين.

وحتى هذا الصنف لا نقاتله، وذلك عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أن يقال أن محمدا يقتّل أصحابه).

س | أيهما أفضل مسلم تلبس ببدعة، أم مسلم صافي العقيدة لكنه لا يجاهد؟

ج | أما الذي يدعي أنه مسلم صافي العقيدة وهو تارك للجهاد؛ فهو فاسق

و أما المسلم الذي يجاهد في سبيل الله؛ فهو أفضل من القاعد عن الجهاد، وإن كان متلبساً ببدعة.

وأُقرب لك الأمر؛ ها هم الطالبان مثلاً المعروف عنهم أنهم ماتُريدية خريجو المدرسة الديوبندية، وهؤلاء من المعروف عنهم أنهم لا يقبلون إلا بتحكيم شرع الله، وقاتلوا في سبيل الله ووقفوا بوجه طغيان أمريكا.

وعندهم بعض الأخطاء، ونعلم بهذا، ولكن هم عندي خير من أصحاب العقيدة الصحيحة من «علماء الجزيرة»، الذين بايعوا الطاغوت «عبد الله بن عبد العزيز»، بل أي عقيدة صحيحة يحملون ومن هو الأفضل عند الله تعالى؟ ملا محمد عمر أم هؤلاء؟! بل ملا محمد عمر خير من ملئ الأرض من أمثال هؤلاء.

ماذا نفعتنا العقيدة النظرية التي يعتقدونها؟! وماذا نفعتهم عقيدة ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب؟! وهي محشورة في عقولهم محبوسة في صدورهم، لا تخرج للعلن ولا يرى لها تأثير على الطواغيت، بل إنهم يصدون عن سبيل الله بمبايعتهم للطاغوت وبتعطيلهم للجهاد وبدعوتهم لقتل المجاهدين ووصفهم بـ «الفئة الضالة»، فبئس ما يحملون من «عقيدة» إن لم يتبعها عمل وينتج عنها ثمر صالح، {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة البقرة: **٩٣**].

فالطالبان خير من هؤلاء مئات المرات، بل لا مقياس ولا تشابه.

ومثال آخر الشيخ «عبد الله الجنابي»؛ هو صوفي نخالفه ولا نتفق معه، ومع هذا كان الشيخ أبو أنس الشامي رحمه الله يقبل رأسه، وكنا نرجو فيه خيراً، ونطمع أن نجلبه إلى طريق السلف، وقد أهدى له الشيخ أبو أنس إحدى مؤلفات الشيخ ابن تيمية، فماذا نريد من الرجل إذا كان رافعاً لراية الجهاد داعياً لقتال أعداء المسلمين، فهو عندنا – والله – خير من المثبطين القاعدين عن الجهاد.

ورغم هذا لم نكن نداهنه، كنا نناقشه، وفي وقت الحرب والمنازلة كنّا نشهر – معه – أسلحتنا بوجه العدوّ الصليبي الصائل.

فيا أخي...

ائتني بصوفي يحمل بدعة يجاهد في سبيل الله؛ أقبّل قدمه، وهو عندي خير من القاعد وإن كان يزعم أنه يحمل عقيدة صحيحة، فالمرء ما دام مسلماً مجاهداً هو على خير، وهو أفضل من القاعد على أي وجه كان، على أن لا يمنعني جهاده من التبرؤ من بدعته، ولا يحملني هذا على ترك مناصرته.

فمن المعروف أن الأئمة قاتلوا مع يزيد الخارجي عندما قاتل الفاطميين على الرغم من إنه من الطائفة الموصوفة بأنها «كلاب أهل النار».

نعم أقاتل مع المبتدع إلا إذا تلبس بناقض، وهذا أمرٌ آخر.

وأما ذاك الذي تلبس بناقض؛ فإني لا أقاتل معه ولا تحت رايته، ولكن هذا لا يمنعني من دعوته بالحسنى وأن أطمع بإسلامه وهدايته إلى طريق السنة، وفي الوقت ذاته لا أرفع عليه السيف مادام يقاتل ذات العدوّ الذي أقاتله.

ومحصلة الأمر عندنا أن من تلبس بناقض وقاتل الكفار؛ نناصحه وندعوه ونطمع بإسلامه، ولكن لا نستعين به ولا نقاتله ما دام رافعاً للسيف بوجه عدونا، معرضاً عن مقاتلتنا.

وأما المبتدع؛ فنصبر عليه وندعوه ونقاتل معه، ولا نقره على خطئه ولا نداهنه ونستمر بدعوته حتى يعود إلى السنة.

هذا هو دين الله تعالى؛ نصبر عليه وندعوه بالحسنى ونناصره لما معه من الإسلام، ولا أقول له؛ أنت محسن ببدعتك هذه ولا بأس عليك، بل أصارحه بخطورتها وبتلطف وبالحسنى، وأبقى أذكره بحقوق أخوة الإسلام التي تجمعنا.

وإن كان قد ورد عن بعض السلف طرد المبتدع من الثغور، فإن هذا كان أيام التمكين، أما اليوم فأنا أواجه عدواً صائلاً يروم استئصال الإسلام والقضاء على الدِّيْن بالكلية، ولهذا فمن الواجب أن نقاتل مع كل مسلم دون اشتراط براءته من البدع.

وهذا ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قاتل التتار، فإنه قاتل مع الصوفية ومع الأشاعرة وتحت راية المماليك، الذين كانوا يجمعون ما بين التصوف وعقيدة الأشاعرة والتعصب للمذهبية.

والواقع أنه لم يكن هنالك جيل أو جيش بعد جيل الصحابة والتابعين صافياً.

ونقر اليوم بأن هناك أخطاء، وهنالك من المجاهدين من معه بعض البدع، ولكن هذا لا يمنع من القتال معهم ضد عدونا الصائل.

أما جماعتنا؛ فشرط الانتساب إليها إتباع السنة وترك البدع وهجر الكبائر، وهذا ما نلزم به أنفسنا ومن تبعنا، أما من لم يقدر على هذا ولم يستطع بلوغه؛ فإن منعنا لانتسابه لنا لا يعني إلغاءنا له وإغفالنا لحقه علينا في التناصر بالسيف – قتالاً معه – وباللسان – نصحاً له –

وأعتقد أن هذا هو المنهج الذي ينبغي أن تكون عليه الجماعة التي تريد إرجاع خلافة النبوة وإقامة الشرع، إذ لا بد وضوح المنهج واستقامة المعتقد، لكي لا تنحرف الراية.

س | لماذا تقاتلون الجيش والشرطة؟

ج | لقد كان هؤلاء الجيش والشرطة عيوناً ووجاءً ووقاية للصليبيين من ضربات المجاهدين، وكانوا هم المنفذين لمخططاتهم.

وقد يقول قائل؛ إن حكم هؤلاء كحكم الأمريكان بل هم أشدّ جرماً وكفراً من الأمريكان.

وقد يقول قائل؛ إن كثيراً من هؤلاء يقاتل من أجل المال، ليس إلا، فعلام يُقتلون؟!

ونحن نقول: إن هؤلاء من أكفر خلق الله، ولا نجد لهم عذراً أبداً، وقد تكون لهؤلاء شبهة في البلدان الأخرى – ومع إننا لا نعذرهم – ولكن قد تكون الشبهة في حقهم أقوى في حق الجيش العراقي.

س | كيف؟

ج | البلاد سقطت بأيدي اليهود والصليبيين، والعدو هنا أجنبي، وجاهر بأنها حرب صليبية، وإنه جاءنا لتأمين الحماية لإسرائيل، وراح من اللحظة الأولى ينكل بأهل السنة ويظهر عداءه للدين وخلف وراءه دماراً هائلاً في طول البلاد وعرضها منذ الأيام الأولى لدخوله، ثم نكّل بالمسلمين تقتيلاً لرجالهم، وتهديماً لبيوتهم، وسبياً لنسائهم، وكل الناس يعلمون ما فعله الأمريكان، وإهانة المساجد وتدنيس المصاحف وغيرها كثير.

ثم يأتي بعد هذه الجرائم كلها ويدخل في طاعة هؤلاء المجرمين، ويقاتل معه عبادَ الله الموحدين ويحمي أعداءنا من اليهود والصليبيين! أفيعقل أن نقول عن مثل هؤلاء أنهم مسلمون؟!

ثم إن راية الجهاد بيّنة، وصف المسلم واضح، فكيف يعقل عن رجل يحمل ذرة من دين أو بقية من غيرة يترك راية الجهاد الواضحة ولا ينحاز لأمته، بل ويقاتل مع أعدائها من اليهود والصليبيين، فأي إسلام يحمله هذا؟! وبأي عذر يمكن أن يعتذر عنه؟!

إذا قيل أن هذا الرجل أغراه المال وساقه الفقر، قلنا: إن هذا الرجل في عقيدته خلل من جهتين:

١) الرضا بموالاة الكفار على المسلمين.

٢) عنده خلل في باب الربوبية، حيث نسى أن الله هو الرازق وليس الأمريكان.

فكيف يُعتذر لمن قاتل المسلمين من أجل الرزق؟!

ولذلك لا يدخل في سلك هؤلاء المرتدين إلا من كان فاقداً للدين وفاقداً للغيرة والمروءة ووصلت به الخسة وبلغ به الانحطاط إلى أسفل السافلين.

الذي يرى أخواته المسلمات في «أبي غريب» وما يفعل بهن، ثم يوالي من فعل هذه الجرائم، كيف نلتمس له العذر؟! هذا والله لا عذر له، وهو والله أعدى أعداء الأمة، بل وقتله أولى وأجدر وآجر من قتل الأمريكان.

س | ما هي الصعوبات التي تواجه الجهاد في العراق؟

ج | نحن نخوض في العراق معركة غير متكافئة أبداً، وليس هناك مجال للتماثل والمقارنة بيننا وبين العدو.

من ناحية العدد؛ هنالك المئات من الإخوة يقاتلون مئات الآلاف من الأعداء، ومن ناحية العدة؛ لا يخفى على أيِّ إنسان أن العدوّ يملك من الإمكانيات العسكرية – سواء كانت الجوية أو البرية أو البحرية – الشيء الكبير ولا مقياس مع ما يملكه المجاهدون.

الإخوة يملكون السلاح الفردي وبعض مدافع الهاونات وبعض قذائف **[R. B. G]** مقابل الدبابات والدروع والطائرات.

أرض الجهاد في العراق تختلف عن أخواتها في أفغانستان وفي الشيشان، فالإخوة في هذين البلدين يملكون مقومات قد لا توجد في العراق، فهناك الغابات والجبال الشاهقات التي يستطيعون أن يتخفوا فيها عن العدوّ ولا يستطيع أن يصل لهم.

أما أرض العراق؛ فهي كالكف، لا يوجد فيها جبال ولا يوجد فيها وديان ولا يوجد فيها غابات.

وهنالك مشكلة أخرى؛ وهي أن جبهة المواجهة مع العدوّ مشتركة، ومن هنا فإن الإخوة يخوضون معركة هي من أشرس المعارك في تاريخ البشرية.

الإخوة يسيرون في حقل من الألغام، ولا يعلمون متى ينفجر عليهم هذا اللغم أو ذاك.

الإخوة يخوضون معركة شرسة، وكثير من المعطيات ليست معهم، لا عمق استراتيجي ولا منطقة ممتنعة، العدوّ من أمامهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن فوقهم، الجواسيس حولهم، وفي كل مكان «الحرس الوثني» والشرطة والأمريكان.

ومع ذلك – بفضل الله عزّ وجل – ننازعهم الأرض التي يقفون عليها.

هنالك الأمريكان بقضهم وقضيضهم وحدهم وحديدهم وجموعهم، وهنالك الجيش والشرط، وهنالك الرافضة بجواسيسهم ومليشياتهم المسلحة، نسأل الله السلامة، فهي حرب استخباراتية عسكرية شرسة وضروس.

الحرب في العراق لها من الصعوبة ما الله بها عليم، ومع ذلك يصاول الإخوةُ العدوّ ويقارعونه ويبادلونه الضربة بالضربة.

س | أي الأسلحة كانت أكثر فتكاً بالعدو؟

ج | كان السلاح الأمضى بيد الإخوة – بعد التوكل على الله والدعاء – هو العمليات الإستشهادية التي نكلت بالعدو، وهي سلاح الإخوة الذي لا يرد ولا يستطيع العدوّ أن يجد له علاجاً، ولا يستطيع أن يجد له ما يمنعه.

العدوّ – كما قلنا – يتواجد مع الناس وبين الناس وبين السكان ويضع قواعده بين البيوت، وهذا من مكره ليحول بينه وبين المجاهدين، ومن ثم فإن هذه العمليات الاستشهادية – بفضل الله – كان لها الدور الكبير في إضعاف العدوّ ووصوله إلى هذه الدرجة من اليأس ومن التخبط ومن الروح الانهزامية والانهيار النفسي الكبير، وهذا ما صرح به كبراؤهم وما يثبته الواقع بفضل الله عزّ وجل.

انكسار العدوّ لم يكن بالعبوة والعبوتين ولا بغيرهما، العبوة التي توضع على الطريق أو القصف بالهاون وغيره؛ هذا مما يحدث النكاية بالعدو لكن ليس هو بالسلاح الذي يستطيع أن يحسم المعركة، لكن العمليات الاستشهادية هي التي كان لها الدور الأعظم في الإثخان بالعدو.

فالعدو لم يثخنه أو يحطم جبروته ويمرغ أنفه بالتراب ويدعوه لئن يفكر بالانسحاب، بالعبوات فقط، بل كان بكتائب الإستشهاديين الذين نفروا من ديارهم – سواء كان من مهاجرين أو أنصار – ليذودوا عن هذا الدين.

هنالك قرابة ٨٠٠ استشهاديا من المهاجرين والأنصار نفذوا عمليات على الأرتال أمريكية والمعسكرات الثابتة وسيطرات الحرس الوثني وغيرها، وهذا لو تحسبه بالورقة والقلم تدرك حجم الخسائر التي حلّت بالأمريكان، وهذا بفضل الله عزّ وجل الذي أرغم الأمريكان على التفكير بالانسحاب وعلى إظهار هزيمته أمام المجاهدين.

واستخدم الإخوة كذلك عمليات الاقتحام والهجوم على المعسكرات المحصنة واستعانوا على تنفيذ ذلك بعمليات الكرِّ والفر.

كثير من العمليات النوعية كالاقتحامات وضرب الأوكار التي يحسبونها آمنة، كانت السيف الحاسم والصارم القاطع في هذه المعركة وكانت الرقم الصعب في هذه المنازلة.

وبفضل الله ثم بفضل إخواننا الأنصار والمهاجرين الذين جاءوا يذودون عن دين الله عزّ وجل وأثخنوا في العدوّ وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله تبارك وتعالى؛ وقعت أعظم نكاية بالأمريكان، فخلخلت صفوفهم وشتت شملهم ومزق جمعهم، ولذلك فإن ما ترونه من تخبط على العدوّ الآن ومن فزع إلى الشرق والغرب لم يكن نتيجة بيان استنكار ولم يكن بسبب مظاهرة، بل كان بدماء وصبر وعرق وجهد وابتلاءات وامتحانات وسجون وهموم وجوع وصبر وخوف.

فنحن بفضل الله عزّ وجل عازمون على المضي قدماً في هذا الطريق ولن ندخر – بإذن الله –

جهداً في سبيل الإثخان في هذا العدوّ وكسر شوكته حتى يأذن الله تعالى بنزول النصر المبين ورفع راية الدِّيْن، ونحن على هذا ماضون وبه متمسكون، وليس كما يدعي العدوّ ويروج في وسائل إعلامه.

وهذا يدل على هزيمته وانهزامه وعلى إنه لم يستطع الوقوف في الميدان وما عاد يملك زمام المبادرة على أرض المعركة، ولهذا راح يستخدم بعض الأساليب الرخيصة، كبث الإشاعات والترويج للأكاذيب، وكل هذا يدخل في إطار الحرب النفسية للضغط على المجاهدين وإيهام أهل السنة في بلاد الرافدين عموم المسلمين؛ بان المجاهدين بدأوا يشعرون بالضعف.

وآخر هذه الأراجيف؛ أن المجاهدين سينقلون المعركة إلى خارج العراق بسبب تزايد التضييق عليهم – كما يزعمون – ونبشرهم بأنا لن نخرج بإذن الله تعالى حتى يأذن الله بالنصر أو نهلك دونه.

ونقول لهم؛ معركتنا معكم متوقفة على مبدأ؛ «إما نحن وإما أنتم»، ولن تروا منا إلا ما يسوؤكم، وهذا الجهاد له رب يحميه ورب يحفظه، والذي أحياه وأنشأه وأبقاه طوال السنتين والنصف الفائتتين قادر على أن يحفظه وأن يستعملنا في طاعته حتى نتمكن من قطف ثماره وتحقيق غاياته، فابشروا بالسوء يا أعداء الله، فإنا لن نتزحزح عن مرادنا هذا، وسترون منا بإذن ربنا رداً قاسياً على تجرؤكم في أذى المسلمين.

ولأبناء أمتنا الغالية نقول...

ندعوكم إلى مؤازرة المجاهدين والوقوف معهم وقفةً ثابتة حازمة، لأن هذا الجهاد يمر بمراحله شبه الأخيرة ومرحلة كسر العظم بدأت بالاقتراب، فلا بد للأمة أن تقف وقفة صادقة ولا تترك أبناءها في هذا الوقت الحاسم وتتخلى عنهم.

فهؤلاء ما نفروا وما ضحوا بدمائهم وأنفسهم وهاجروا أوطانهم إلا لأجل رفعة هذه الأمة واستنقاذها من براثن هؤلاء الكفرة وفك قيدها من هذا الأسر الذي طال أمده، لذلك ندعو الأمة أن تقف وقفة صادقة، وأن لا تظن على هؤلاء المجاهدين بأبنائها ولا بفلذات أكبادها ولا بدعائها ولا حتى بأموالها، فهذه المعارك بفضل الله عزّ وجل لها ما بعدها ومن الله ربنا نرجو الخير الكثير.

طبعاً نحن نخوض معركة في العراق معركة شرسة ونواجه أعتى جيش في العالم، وهذا الجيش لا يمكن دفعه إلا بالصبر ولا يمكن دحره إلا بالدماء والأشلاء.

نحن عندنا في كل يوم نازلة، وفي كل يوم نفقد أحد الأحبة، وبين الفينة والأخرى يقع بعض الإخوة أسرى، فالابتلاءات والجراحات مستمرة، وهذه طبيعة المعركة.

ثم إننا لسنا جيشا نظاميا، وهنالك إخوة قاموا يجاهدون في سبيل الله تعالى بأقل الإمكانيات نفروا للقتال وهم يعلمون أنهم يواجهون أعتى قوة في العالم، ولكنهم على علم أن الأصل في ديننا أن ينفر الناس إلى القتال، ولهذا لم يأبهوا لقوة الباطل ولا لإمكانياتهم، وقد مكنهم الله تعالى من عدوهم وأعانهم على مداومة قتاله.

العدو يصيب منا ونصيب منه، نقتل منه ويقتل منا، وهذه هي طبيعة المعركة، يديل علينا ونديل عليه بفضل الله عزّ وجل، نصيبه يوماً ويصب منا يوماً آخر، نصيبه في موطن ويصيبنا في موطن.

قادتنا وكبار الإخوة هم في بداية الصفوف، ولهذا فنحن معرضون لفقد الكوادر، والذي نزل في تنظيم القاعدة الله يعلم أنه لو نزل بجيش نظامي لانتهى هذا الجيش.

كيف تريد منا أن نكسر الجيش الأمريكي وهو أعظم جيش في العالم ولا نقدم تضحيات؟! إن التضحية أمر لابد منه ولا يمكن أن يكون هناك جهاد من غير آلام وجراحات.

إن الجهاد بالعبوات الناسفة فقط لا يمكن أن يكتب نصراً كاملاً على العدوّ ولا يمكن أن يحسم معركة.

وبما أن العدوّ قد حل بديارنا؛ فإن المعركة الحقيقية هي أن تواجه العدوّ ويواجهك، وينال منك وتنال منه.

وحقيقة مؤسفة واجهت الجهاد في العراق، وهي أن الأمة للأسف تخاذلت عن هذه المعركة، ولم يأتِ العلماء ولم يأتِ القادة ولم يأتِ أصحاب الخبرة حتى يقودوا هذا الجهاد ويصونوه ويحافظوا عليه، ولم تأتنا الكوادر، ولم يأتنا أبناء الحركات الإسلامية أو يأتنا غيرهم ممن تربى في السعة، ولما لم يأتِ هؤلاء قام الشباب الذين يغارون على دينهم، وبعضهم ليس عنده من العلم ما يكفي.

إن هؤلاء الشباب الذين نفروا ينصرون هذا الجهاد؛ آلمهم حال أمتهم ورأوا أخواتهم تنتهك أعراضهن، ورأوا الديار كيف تستباح والدماء كيف تسفك، فما كان منهم إلا أن يهبوا ليذودوا عن هذا الدين.

وخلال هذه المعامع رأينا الرايات الوطنية والرايات الموهومة التي كانت تخدع الأمة بصبغات إسلامية؛ قد تخلت عن الأمة، تخلت عن الساحة، ولم يبقَ إلا المجاهدون الصادقون أصحاب المنهج الصافي، الذين يقاتلون لأجل «لا إله إلا الله»، هؤلاء في هذا الوقت هم الذين يقفون بوجه العدوّ، وما البركة التي نراها إلا في قتالهم إلا إنهم قلة، بل أقل من القليل.

س | ألا ترى أن تحقيق مبتغاكم صعب جداً مع وجود هذه المعوقات؟

ج | نعم.

قد يقول بعض الناس: أنتم تعيشون في الأحلام وترجون أن تقام دولة الإسلام أو أن تثخنوا بالعدو وتعيدوا الخلافة! أنتم تصادمون الواقع وأنتم تعيشون في الأوهام وفي بروج عاجية!

نقول لهؤلاء؛ إن الله سبحانه وتعالى بيده مقاليد كل شيء وبيده ملكوت السموات والأرض والأمر أمره، ونحن عباده ونواصينا ونواصي أعدائنا بيديه، فإذا جئنا نحسبها على الأرض بالورقة والقلم حساباً مادياً؛ فلاشك أنه سيصاب كثير من المسلمين باليأس، ولكننا نحسب أن الله عزّ وجل هو الناصر وهو الحافظ وهو الذي يتولى جنده وهو الذي ينصر عباده.

النبي عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب، عندما تحزبت الأحزاب عليه من كل حدب وصوب وأحاطوا به إحاطة الهالة بالقمر وإحاطة السور بالمعصم، تهيب الصحابة وظهر الخوف عليهم، بل إن القرآن وصفهم بأعظم وصف إذ قال تعالى: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}.

حدثني الشيخ أبو عزام رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء في معركة الفلوجة الثانية؛ أنه من شدة الخوف والبلاء الذي نزل على المجاهدين كان نبض أبي عزام – وأشار بيده إلى عنقه – وقال: (والله إني كنت أشعر بأن قلبي ارتفع إلى حنجرتي)، وهذا مصداق قوله عزّ وجل: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}، لقد رأينا الآية على حقيقتها.

ما واجهه النبي صلى الله عليه وسلم صعب للغاية، حيث نقض اليهود العهد وتحزبت الأعراب مع مشركي قريش وعزموا على استئصال شأفة المسلمين، فرفع النبي عليه الصلاة والسلام الذرية والنساء إلى أعالي المدينة، وكان هناك خوف شديد، حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للصحابة: (من يأتني بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة؟)، فلا يقوم أحد، ثم يكرر الأمر ثانية فلا يجيب أحد، ثم ثالثة فلا يجيب أحد، فقال لحذيفة: (قم يا حذيفة)، علماً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومها: «من يأتيني بخبر القوم جعله الله وهو رفيقي في الجنة، وأضمن له أن يعود».

سبحان الله! تخيل معي؛ النبي عليه الصلاة والسلام الصادق المصدوق الموحى إليه يقول: «أضمن له أن يعود»، ومع هذا لم يقم أحد من الصحابة.

وعندما استنفذ الصحابة الوسع في طاعة الله تعالى والثبات في المواجهة وأكثروا من الدعاء، وعندما علم الله تعالى أنهم قد استفرغوا الوسع، أرسل جندياً من جنوده، وهي الريح، فقلبت القدور وخلعت الخيام، وبفضل الله عزّ وجل فرقت القوم ثم انفض الجمع وعادوا خائبين، {وردّ الله الذين كفروا بغيضهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال}.

لاحظ قبل هذه اللحظات كيف كان حال الصحابة؟

خوف وريح شديدة وعدو متحزب، ثم بعد ذلك بلحظات يرسل الله تعالى جنوده فيشتت شمل العدوّ ويرجعهم خاسئين، وعندها قال النبي عليه الصلاة والسلام: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا).

سبحان الله! في لحظة كان الصحابة كانوا يتمنون أن ينفض عنهم الجمع فحسب، ولكن بسبب صبرهم وثباتهم فإن الله عزّ وجل أكرمهم ببشارة النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)، فكان بفضل الله عزّ وجل فتحا ونصرا مبينا.

وفي تلك الشدة والظروف الحالكة كان النبي عليه الصلاة والسلام يعد أصحابه بكنوز قيصر وكسرى، وهنا برز النفاق وأطل برأسه قائلاً: (محمد يعدنا بكنوز قيصر وكسرى وأحدنا لا يستطيع أن يذهب إلى الخلاء؟!).

أما أهل الإيمان الراسخون في الإيمان الثابتون على هذا المنهج فقد قالوا: {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً}.

وإنا لنعتقد جازمين أن الله عزّ وجل منجز وعده للمؤمنين، ولكن أهل الزيغ والمنافقين لا يعلمون، فالمنافقون – وكذا أسلافهم أيام الأحزاب – تغرهم قوة الباطل ويشككون بقوة رب العزة الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيءٍ قدير.

إن الله عزّ وجل لن يخذل عباده المجاهدين وقد وعدهم بالنصر، {ومن أحسن من الله حديثا}؟! {ومن أصدق من الله قيلاً}؟!

والله تعالى حين ضمن لعباده المجاهدين النصر لم يطلب منهم غير الثبات على الحق والتمسك بهدي الكتاب والسنة فقال جل ذكره – وهو أصدق القائلين – : {إن ينصركم الله فلا غالب لكم}.

وكلمة «غالب» جاءت نكرة في سياق الإثبات، والمعنى؛ لو اجتمع أهل الأرض عليكم فلن يغلبوكم إن أراد الله تعالى نصركم.

نصرة الله تعالى لك متوقفة على التمسك بالحق والأخذ بأسباب القوة من العدة بعد التوكل على الله وهجر المعاصي.

والإتيان بالأسباب يكون على قدر الإستطاعة وما كلفنا الله تعالى بتحقيق جميع الأسباب للشروع في الجهاد، فأمر الأسباب واكتمال العدة ما توفر للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

فنحن نعتقد أن الله عزّ وجل ناصر جنده بإذن الله، فوالله لا يهمنا أن يتكاثر العدوّ أو تكثر عدته، بل ما يهمنا هو أمر واحد هو أن يأتي بأسباب النصر، نحن لا يهمنا كثرة العدوّ ولو تضاعف العدوّ تضاعف الأمريكان، تضاعف الروافض، لا يهمنا، ولو قلّت عدتنا، ولكن ما

نرجوه وما نسعى إليه أن نأتي من الأسباب التي ينزل بها النصر، ونحن نبحث عن أسباب يأتي بها النصر من حسن التوكل على الله واللجوء إلى الله وتفويض الأمر إلى الله عزّ وجل والبعد عن معاصيه هذا ما [...] فإذا أتينا بأسباب النصر، والله لو تضاعفوا أضعافاً مضاعفة فلن يضرونا شيئاً، ولا ننظر إلى العدوّ بكثرته، فنحن لا نخشى العدوّ بل نخشى أنفسنا.

الأمة اليوم مدعوة لأن تقف وقفة وصادقة، فالأمة حقيقة خذلت الجهاد في العراق طوال هذه الشهور، فمدعوة أن تراجع نفسها وتستدرك ما فاتها في سابق الأيام، تنفر حق النفير لتدفع عن نفسها عادية هؤلاء الصليبيين، وإلا كل إنسان محاسب عليه، وهذا السوق سينفض، سيربح فيه من يربح ويخسر فيه من يخسر، والسعيد من اتعظ بغيره [...].

س | ما هو وصفكم لمعركة الفلوجة؟

ج | معركة الفلوجة الأولى كانت آية من آيات الله الباهرة، وكانت عبرة لكل المسلمين وحجة على القاعدين.

لم يكن الإخوة قد خططوا لتلك المعركة وما توقعوا أبداً وقوعها أصلاً، ولو عرضت علينا خطة هذه المعركة – كما جرت – قبل وقوعها ما كنا لنقبل بها.

قد يرى البعض أن خوض غمارها ضرباً من الجنون ونوعاً من التسرع، فالإخوة كانوا بالعشرات وعدتهم قليلة، ويقطنون مدينة صغيرة مكشوفة للعين المجردة، فضلاً عن أجهزة العدوّ المتطورة.

س | كيف أُديرت المعركة؟

ج | اتفقنا مع الإخوة على أن يكون هناك مفارز في النهار توزع على طول خط المواجهة، وفي الليل تُصنع الكمائن لاصطياد ما أمكن اصطياده من أرتالهم من خلال العبوات الناسفة أو المواجهات المباشرة التي تستغل غطاء الليل وتضرب العدوّ من حيث لا يحتسب.

ومن المعروف أن سبب الغزوة الصليبية للفلوجة كان مقتل المقاولين الأربعة، وهم في الحقيقة ليسوا مقاولين، بل كانوا ضباط مخابرات كبار، وقد وجد الإخوة بحوزة هؤلاء الضباط بعض الخرائط التي تشرح خطة اقتحام المدينة، وكان هؤلاء الضباط يتجولون في أحياء الفلوجة لمسح المنطقة ووضع اللمسات الأخيرة على خطة مهاجمة الفلوجة، ولما تمكن الإخوة من قتلهم؛ تذرعت أمريكا بتلك الحادثة لمهاجمة المدينة.

وإلا فإن التهديد كان قائماً قبل ذلك ومعداً له قبل مدة ليست بالقصيرة، وقد أراد الصليبيون كسر شوكة المجاهدين من خلال البطش بهذه المدينة العصية على جبروتهم.

حاصر الصليبيون مدينة الفلوجة تسعةً وعشرين ليلة – كما هي عدة ليالي غزوة الأحزاب – وبعد مرور تلك الليالي العصيبة على الإخوة المحاصرين؛ كسر الله تعالى شوكة العدوّ وأسقط هيبتهم على يد ثلة قليلة لا تمتلك غير السلاح الفردي الخفيف، وليس لها من ملاجئ تقيها بأس القصف العنيف الذي وجهته طائرات العدوّ ومدافعهم الثقيلة غير حفظ الله تعالى.

لقد أجرى الله تعالى كرامات كثيرة على يد هؤلاء الفتية الصابرين، الذين اختاروا الجهاد طريقاً والعزة مقصداً ورفع راية الدِّيْن هدفاً.

إنّ أعظم الكرامات التي رأيناها؛ أن الإخوة المقاتلين دفاعاً عن المدينة كانوا بالعشرات وما بلغوا المئات، وفي نهاية المعركة بدأت الذخيرة تنفذ، وكان بعض الإخوة يترك ثغره ويأتي إلى الإخوة في وسط المدينة فيأخذ رصاصة من هذا ورصاصة من ذاك ثم يرجع إلى مكمنه عند ثغور المدينة، هكذا واجه الإخوة آلة الأمريكان وعدتهم.

لكن لما علم الله تعالى أن الإخوة قد استنفذوا الوسع واجتهدوا في إرضاء ربهم – عند ذلك – أذن الله تعالى بانكشاف الغمة وألقى الرعب في قلوب الأمريكان وأخذ بنواصيهم بعيداً عن أطراف المدينة، وأرجع جيشهم الجرار ذليلاً خائباً ليطلبوا الهدنة فلا يحصلوا عليها، ويتوسل بعض أطراف النفاق للحصول على الأمان لجيشه ساعة انسحابه، انسحب جيش الصليب مخذولاً مطارداً تتخطفه سرايا الإخوة قتلاً وأسراً وغنيمةً.

هذه المعركة كان فيها عبر عظيمة، فقوة بهذا العدد وبهذه العدة والطائرات ودبابات ومدراعات وجميع الأسلحة وقرابة ثلاثين ألف جنديا لا يستطيعون أن يقتحموا المدينة، هذا إن دلّ دل على أن النصر من عند الله، وإن الأمة هذا مثال صغير في مدينة صغيرة لا تزيد عن خمس كيلومتر مربع تستطيع أن تثخن بهذا العدوّ، وبفضل الله عزّ وجل هذا مثال للأمة إنها تستطيع أن تفعل ما فعله هؤلاء.

أي أن الله عزّ وجل أراد أن يضرب مثلاً للأمة؛ أنه يا أمة محمد هؤلاء شعث غبر عشرات لا يملكون شيء وقفوا أمام أكبر ترسانة في العالم، وردوها بفضل الله عزّ وجل عندما تمسكوا بأمر الله وأتوا أسباب التي أوجبت دفع الله عنهم، فتستطيع الأمة بإذن الله تعالى أن تنهض وترد بمحاربة الصليبيين وتنفض غبار الذل وتستعيد عزتها بإذن الله تعالى، فقط عندما تسير على منهج الله وتبذل أرواح أبناءها رخيصة في سبيل لله عزّ وجل، وهذا أمرٌ هين، بل الإنسان يعطي على الذل ما لا يعطيه على العزة وعلى العزيمة وهذا أمرٌ مجرب.

نعم، فكانت هذه المعركة بفضل الله كانت من المعارك الخالدة – والله – في تاريخ الإسلام والمسلمين ويفتخر بها كل مسلم.

س | يقال أن هنالك تآمر يحاك ضد الجهاد، ما هي وجوهه؟ وما هي الرسالة التي توجهها لأصحابه؟

ج | نحن لا يضرنا تكالب العدوّ ولا تضرنا مؤامراته، وهو الآن يخشى المجاهدين، وهذا ما دعاه للفزع واللجوء إلى الدول العربية لإخراجه من ورطته.

ونحن بدورنا نحذر هذه الأنظمة الخبيثة ونقول لها؛ إياكم أن ترسلوا جنوداً إلى العراق فإنهم سيكونون مستهدفين من قبل المجاهدين، وحكمهم حكم الصليبي، فهم ومن أعانوهم سواء.

ونتوجه بالنصح إلى الأمة؛ أن تمنع أبناءها من المجيء للعراق لتحول دون اتخاذهم مطايا للطغاة وضحايا لمعركة الكفر مع المجاهدين.

إن أطراف النزاع في هذه المعركة واضحون، وراية كل واحد منهما معروفة، ولذلك يجب على الأمة أن تحول دون إنقاذ السيد الأمريكي وخدمهم الروافض وأتباعه من هذه الأنظمة البالية.

يا أمة الإسلام...

أترضون لأنفسكم أن تجعلوا من أبنائكم جُنّة وحرزاً تقي الصليبين ضربات المجاهدين، وتذكروا أن الأمريكان إنما فزعوا لهذه الأنظمة لتخليصهم من المجاهدين، وليس من الشيوعية أو الروافض.

ونعلمكم أنكم إن رضيتم بذلك ووافقتم على إرسال أبنائكم إلى ساحتنا، فإنا سنعاملهم كما نعامل الأمريكان، وسنتقصدهم قبل أن نتقصد من جاءوا لحمايته، فلا فرق عندنا بين كافر عربي وكافر أجنبي، القضية عندنا قضية دين، والأصل بموجبها أن ينحاز هؤلاء لأمتهم لا إن ينحازوا إلى صف الكفار لتحقيق مخططاته وبلوغ غاياته بعد عجزه عن الوصول إليها.

ونحذر كذلك هذه الأنظمة من إرسال سفراء إلى العراق، فإن هؤلاء واجهة لتحسين الوجه القبيح لحكومة الردة، وهي زيادة على هذا؛ اعتراف باليهود والصليبيين أسياداً على هذه الرقعة الإسلامية.

وللمؤامرة وجه آخر؛ يتمثل بقبول بعض فصائل «القتال الوطني» بمبدء الدخول في «اللعبة» السياسية وتحصيل بعض المناصب، مقابل إلقاء السلاح والوقوف مع الحكومة في قتالها للمجاهدين، وهؤلاء أيضاً ما يضرون غير أنفسهم، وقد بدء الكثير من أتباعهم ينفضون عنهم بعد أن تكشفت لهم حقيقة هؤلاء الوطنيين، فمن المفرح أن المسلمين ما عادوا يخدعون بدعاوى الوطنيين.

وأتوقع أن لا يبقى معهم غير ضعيف العقل والمفتون، ومثل هؤلاء تخلفهم رحمة، وادعاؤهم للجهاد فتنة، فكان لا بد من التمحيص لتتميز الصفوف ويعلم الناس المصلح من المفسد.

وأما طريقنا؛ فنعلم أنه طريق طويل وشاق وسنمتحن لأجله وسنواجه البلاء الشديد بسببه، ومن ذلك حلول البأساء والضراء وتكالب الأعداء، وعندها لن نقول إلا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندما: {قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران: **١٧٣**].

س | هل من كلمة توجهها للمُنَظرين القاعدين عن العمل؟

ج | إن كان عندي رسالة فأقول لهؤلاء...

اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في الأمانة التي حمّلكم الله إياها، إن الله عزّ وجل يقول: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [سورة آل عمران: **١٨٧**].

أقول لهم...

اتقوا الله في هذه الأمة، إنكم – والله – ستقفون أمام الله عزّ وجل ويحاسبكم حسابا عظيما على تخاذلكم وتخلفكم عن الجهاد وصدكم عن طريقه.

إن الأمة اليوم تحتاج إلى منارات عاملة، وتحتاج إلى من يسعّر لها الحروب، لا تحتاج إلى مخذّلين، لا تحتاج إلى أناس يجلسون داخل المحطات الفضائية الساعات الطوال يَنظرون إلى الأمة كيف تنحر ثم لا نجد منهم غير التقعر في الكلام والنيلِ من رجال المروءة والإعراضِ عن النيل من الكفار ولو بشطر كلمة.

وصّلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

١٤٢٧هـ

أَبُوْ مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي

أَمِيْرُ تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

وَ عُضْوُ مَجْلِسِ شُوْرَى المُجَاهِدِينَ فِيْ العِرَاق

العِرَاقُ – بِلادُ الرَّافِدَيْن

إنتهى و تمَ بِحمد الله.

